تفسير الخازن

المسمّى

لباب التأويل في معاني التنزيل

للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

ومعه

تفسير البغوي

المسمّى

معالم التنزيل

للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي الشافعي
المتوفى سنة ٥١٦ هـ

ضبطه وصححه

عبد السلام محمد علي شاهين

الجزء الخامس

المحتوى

أول سورة القصص - آخر سورة الحجرات

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

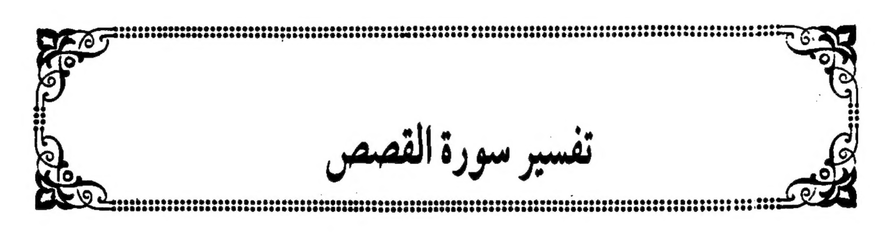
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاكس: ٠٠/١٢١٢/٤٧٨١٣٧٣ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣



تفسير سورة القصص

وهي مكية إلا قوله تعالى ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾

قوله عز وجل ﴿طسمٓ تلك﴾ إشارة إلى آيات السورة ﴿آيات الكتاب المبين﴾ قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه ﷺ ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام.

نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

﴿نتلو عليك من نبأ﴾ أي خبر ﴿موسى وفرعون بالحق﴾ أي بالصدق ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي يصدقون بالقرآن ﴿إن فرعون علا﴾ أي تجبر وتكبر ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ أي فرقاً في أنواع الخدمة والتسخير

سُوْرَة القصص

مكية إلّا قوله عزّ وجلّ: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ إلى قوله: ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ [٥٢ ـ ٥٥] وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة، وهي قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد ﴾ [٨٥]، وهي ثمان وثمانون آية.

﴿ طسم ﴾.

﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾.

﴿ نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ﴾، بالصدق، ﴿ لقوم يؤمنون ﴾، يصدقون بالقرآن.

﴿ إنّ فرعون علا ﴾، استكبر وتجبّر وتعظّم، ﴿ في الأرض ﴾، أرض مصر، ﴿ وجعل أهلها شيعاً ﴾. فرقاً

﴿يستضعف طائفة منهم﴾ يعني بني إسرائيل ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ سمى هذا استضعافاً لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم ﴿إنه كان من المفسدين﴾ أي بالقتل والتجبر في الأرض ﴿ونريد أن نمن﴾ أي ننعم ﴿على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني بني إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ أي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة ملوكاً ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يعني أملاك فرعون، وقومه بأن نجعلهم في مساكنهم ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أي نوطن لهم أرض مصر والشام، ونجعلها لهم سكناً ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ أي يخافون وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل وكانوا على حذر منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون. قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ هو وحي إلهام، وذلك بأن قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب ﴿أن أرضعيه﴾ قيل أرضعته ثمانية أشهر وقيل أربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه، وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها ﴿فإذا خفت عليه﴾ أي الذبح ﴿فألقيه في اليم﴾ أي في البحر وأراد نيل مصر ﴿ولا تخافي﴾ أي عليه من الغرق وقيل الضيعة ﴿ولا تحزني﴾ أي على فراقه ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ قال ابن عباس إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس، وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه الصلاة والسلام.

ذكر القصة في ذلك

قال ابن عباس: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها، كانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها، وقالت لها: قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم،

وأصنافاً في الخدمة والتسخير، ﴿ يستضعف طائفةً منهم ﴾، أراد بالطائفة بني إسرائيل، ثم فسّر الاستضعاف فقال: ﴿ يُذبِّح أبناءَهم ويستحيي نساءَهم ﴾. سمّى هذا استضعافاً لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، ﴿ إنه كان من المفسدين ﴾.

﴿ ونريد أنْ نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ﴾، يعني بني إسرائيل، ﴿ ونجعلهم أئمةً ﴾، قادة في الخير يقتدى بهم. وقال قتادة: لا ملوكاً دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ وجعلكم ملوكاً ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقال مجاهد: دعاة إلى الخير. ﴿ ونجعلهم الوارثين ﴾، يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم.

﴿ ونمكّن لهم في الأرض ﴾، أوطّن لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكاناً يستقرّون فيه، ﴿ ونُري فرعون ﴾، قرأ الأعمش وحمزة والكسائي (يري) بالياء وفتحها، ﴿ فرعون وهامان وجنودهما ﴾، مرفوعات على أن الفعل لهم، وقرأ الآخرون بالنون وضمّها وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده يوقع الفعل عليه، ﴿ منهم ما كانوا يحذرون ﴾، والحذر هو التوقّي من الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحذرون.

﴿ وأوحينا إلى أمِّ موسى ﴾. وهو وحي إلهام لا وحي نبوّة، قال قتادة: قذفنا في قلبها، وأُم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب، ﴿ أنْ أرضعيه ﴾، واختلفوا في مدّة الرضاع، قيل: ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر. وقيل: ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حُجرها، وهو لا يبكي ولا يتحرك، ﴿ فإذا خِفْتِ عليه ﴾، يعني من الذبح، ﴿ فألقيه في اليمّ ﴾، واليمّ البحر وأراد ههنا النيل، ﴿ ولا تخافي ﴾، قيل: لا تخافي عليه من الغرق، وقيل: من الضيعة، ﴿ ولا تحزني ﴾، على فراقه، ﴿ إنّا رادُّوه إليك وجاعِلوه من المرسلين ﴾، روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي

فعالجت قبالها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها، ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا مرادي قتل ولدك، ولكن وجدت لولدك حباً ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك، فإني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا إلى أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون، ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة، فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخته فأين الصبي؟ فقالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته، قال: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتاً له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: ابن لي أخبئه في التابوت، وكرهت الكذب قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته، وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه، فلم يطلق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الأمناء ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضاً يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام، ولم يبصر شيئاً فضربوه وأخرجوه، وبقي حيران فجعل لله عليه إن رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه، حيثما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجداً فقال يا رب: دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى، كتمت أمرها عن جميع الناس فلم

الله عنهما قال: إن بني إسرائيل لمّا كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلّط الله عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيّه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أُم موسى لمّا تقاربت ولادتها وكانت قابِلَة من القوابل التي وكّلهنّ فرعون بحُبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى، فلما ضرب بها الطَّلْق أرسلت إليها فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبّك إيّاي اليوم، قالت فعالجت قبالتها فلما وقع موسى بالأرض هَالَها نورٌ بين عيني موسى. فارتعش كل مِفصَل منها ودخل حبّ موسى قلبها. ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتيني إلاّ ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حبًّا ما وجدت حبّ شيء مثل حبّه، فاحفظي ابنك فإني أراه عدوّنا، فلما خرجت القابِلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أُخته يا أُمّاه هذا الحرس بالباب فلفّت موسى في خِرقة فوضعته في التّنور وهو مسجور وطاش عقلها، فلم تعقل ما تصنع، قال فدخلوا فإذا التنّور مسجور ورأوا أُم موسى لم يتغيّر لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا لها ما أدخلَ عِليك القابِلَة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت عليّ زائرة فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها فقالت لأُخت موسى: فأين الصبي؟ قالت لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنّور فانطلقت إليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته، قال: ثم إن أُم موسى لمّا رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها، فقذف الله في قلبها أن تتّخذ له تابوتاً فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليمّ وهو النيل، فانطلقت إلى رجل نجّار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً فقال لها النجّار ما تصنعين بهذا التابوت، قالت: ابن لي أُخبئه في التابوت، وكرهت الكذب، قال ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذبّاحين ليخبرهم بأمر أُم موسى فلما همّ بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق الكلام، وجعل يشير بيده فلم يدرِ الأمناء ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه، فلما

يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى، وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها، بعث فرعون القوابل وتقدم الأمين ففتش النساء تفتيشاً لم يفتش قبل ذلك مثله، وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها **﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾** فكتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتاً، مطبقاً، ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلاً.

قال ابن عباس وغيره: كان لفرعون يومئذٍ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون: إن هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه. فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في التابوت وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منه لبناً فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه

انتهى النجّار إلى موضعه ردّ الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه فوقع في وادٍ يهوى فيه حيران، فجعل لله عليه أن ردّ لسانه وبصره أن لا يدلّ عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان، فعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فخرّ لله ساجداً، فقال: يا ربّ دلّني على هذا العبد الصالح فدلّه الله عليه فخرّ من الوادي فآمن به وصدقه، وعلم أن ذلك من الله عزّ وجلّ. وقال وهب بن منبّه: لمّا حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميع الناس فلم يطّلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدّم إليهنّ يفتّشن النساء تفتيشاً لم يُفَتّشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى فلم ينتأ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها، فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة، ولم يطّلع عليها أحد إلاّ أُخته مريم، فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه الآية، فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت تابوتاً له مطبقاً ثم ألقته في البحر ليلاً. قال ابن عباس وغيره: وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسَّحَرَة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ إلاّ من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيُلطّخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس، فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت ابنة فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهنّ وتنضح الماء على وجوههنّ، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون إن هذا الشيء في البحر قد تعلّق بالشجرة إيتوني به، فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده، وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصّه لبناً فألقى الله لموسى

فرعون وعطف عليه. وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرأت ثم قبلته وضمته إلى صدرها فقالت: الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر فزعاً منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية: قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيراً أو نتخذه ولداً وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها. وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو قال يومئذٍ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله» فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر لأن موسى هو الماء وهو الشجر فذلك قوله تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فالتقطه آل فرعون﴾ الالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ أي عاقبة أمرهم إلى ذلك لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي آثمين وقيل: هو من الخطأ ومعناه أنهم لم يشعروا أنه الذي يذهب بملكهم ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾ قال وهب لما نظر إليه فرعون قال عبراني من الأعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا

المحبة في قلب آسية وأحبّه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنتِ فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعونِ إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبّلته وضمّته إلى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملكِ إنّا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه بني إسرائيل هو هذا رُمِيَ به في البحر خوفاً منك فاقتله، فهمّ فرعون بقتله، فقالت آسية قرّة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعونِ أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله ﷺ: «لو قال فرعون يومئذ هو قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها» فقيل لآسية سمّيه فقالت قد سمّيته موسى لأنّا وجدناه في الماء والشجر فمو الماءِ وسى هو الشجر، فذلك قوله عزّ وجلّ.

﴿ فالتقطه آلُ فرعون ﴾، والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب، ﴿ ليكونَ لهم عدوّاً وحَزناً ﴾، وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوّاً وحزناً ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك، قرأ حمزةِ والكسائي ﴿ حزنا ﴾ بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي وهما لغتان، ﴿ إنّ فرعون وهامانِ وجنودهما كانوا خاطئين ﴾، عاصين آثمين.

قوله تعالى: ﴿ وقالتِ امرأة فرعون قرّة عين لي ولك ﴾، قال وهب: لمّا وُضِع التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجدوا فيه موسى فلما نظر إليه قال عبراني من الأعداء فغاظه ذلك، وقال: كيف أخطأ هذا الغلام الذبح؟ وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني إسرائيل فقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النّساء ومن بنات الأنبياء وكانت أمّاً للمساكين ترحمهم وتتصدّق عليهم وتعطيهم، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الوليد أكبر من

الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن بنات الأنبياء. وكانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي. وقيل: إنها قالت إنه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه قوله تعالى ﴿**وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً**﴾ أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه وقيل معناه ناسياً للوحي الذي أوحى الله عز وجل إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد إليها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته. ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت إنه قد وقع في يد عدوه الذي فررت منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها ﴿**إن كادت لتبدي به**﴾ أي لتصرح بأنه ابنها من شدة وجلها.

قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه. وقيل كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها ﴿**لولا أن ربطنا على قلبها**﴾ أي بالعصمة والصبر

ابن سنة وإنما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرّة عين لي ولك، ﴿ **لا تقتلوه** ﴾، ورُوِيَ أنها قالت له إنه أتانا من أرض أُخرى ليس من بني إسرائيل، ﴿ **عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً وهم لا يشعرون** ﴾، أن هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أُريد نفعه، قال وهب: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن عدوّ الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه.

وقوله تعالى: ﴿ **وأصبح فؤاد أُم موسى فارغاً** ﴾، أي خالياً من كل شيء إلّا من ذكر موسى، وهمّه هذا قول أكثر المفسّرين. وقال الحسن: فارغاً أي ناسياً للوحي الذي أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذي عهد أن يردّه إليها ويجعله من المرسلين، فجاءها الشيطان فقال كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتولّيت أنتِ قتله فألقيته في البحر، وأغرقته، فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوّه الذي فررت مِنه، فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها. وقال أبو عبيدة: فارغاً أي فارغاً من الحزن لعلمها بصدق وعد الله تعالى وأنكر القتيبي هذا وقال كيف يكون هذا والله تعالى يقول: ﴿ **إنْ كادتْ لتُبدي به لولا أن ربطنا على قلبها** ﴾، والأول أصحّ قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنْ كادتْ لتبدي به** ﴾، قيل الهاء في به راجعة إلى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدّة وجدها. وقال عكرمة عن ابن عباس: كادت تقول وابناه. وقال مقاتل: لمّا رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها. وقال الكلبي: كادت تُظهِر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شبّ موسى بن فرعون، فشقّ عليها وكادت تقول بلى هو ابني. وقال بعضهم: الهاء عائدة إلى الوحي أي كادت تُبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يردّه إليها، ﴿ **لولا أن ربطنا على قلبها** ﴾، بالعصمة والصبر والتثبيت، ﴿ **لتكون من المؤمنين** ﴾، المصدّقين لوعد الله حين قال لها: ﴿ **إنّا رادّوه إليك** ﴾.

﴿ **وقالت لأُخته** ﴾، أي لمريم أُخت موسى ﴿ **قصّيه** ﴾، اتبعي أثره حتى تعلمي خبره، ﴿ **فَبَصُرَتْ به عن جُنُبٍ** ﴾، أي عن بُعد، وفي القصة أنها كانت تمشي جانباً وتنظر اختلاساً تُري أنها لا تنظره، ﴿ **وهم لا**

والتثبت ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي من المصدقين بوعد الله إياها ﴿وقالت لأخته﴾ أي لمريم أخت موسى ﴿قصيه﴾ أي اتبعي أثره حتى تعطي خبره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي عن بعد قيل كانت تمشي جانباً وتنظره اختلاساً ترى أنها لا تنظره ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته وأنها ترقبه ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثدياً قال ابن عباس إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم ﴿من قبل﴾ أي قبل مجيء أم موسى وذلك لما رأته أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلب ذلك ﴿فقالت﴾ يعني أخت موسى ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قتل ولدها فأحب ما تدعى إليه أن تجد صغيراً ترضعه ﴿وهم له ناصحون﴾ أي لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح إخلاص العمل من شوائب الفساد. قيل لما قالت: وهم له ناصحون قالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن قلت وهم للملك ناصحون وقيل: إنها قالت إنما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصالنا به. وقيل قالوا من هم قالت أمي قالوا ولأمك ولد قالت نعم هارون وكان هارون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت إليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً قيل كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى:

فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

يشعرون ﴾، أنها أُخته وأنها ترقبه، قال ابن عباس: إن امرأة فرعون كل همّها من الدنيا أن تجد له مُرضِعة وكلما أتوا بمُرضِعة لم يأخذ ثديها، فذلك قوله عزّ وجلّ:

﴿ **وحرّمنا عليه المراضع** ﴾، والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المُرضِع. ﴿ **من قبل** ﴾، أي من قبل مجيء أُم موسى فلما رأت أُخت موسى التي أرسلتها أُمه في طلبه ذلك قالت لهم هل أدلّكم؟ وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليالٍ لا يقبل ثدياً ويصيح وهم في طلب مُرضِعة له، ﴿ **فقالت** ﴾، يعني أُخت موسى، ﴿ **هل أدلكم على أهل بيتٍ يكفلونه** ﴾، أي يضمونه ﴿ **لكم** ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحبّ شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه، ﴿ **وهم له ناصحون** ﴾، والنصح ضدّ الغشّ وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، قالوا: نعم فأتينا بها، قال ابن جريج والسدي: لمّا قالت أُخت موسى وهم له ناصحون أخذوها وقالوا إنك قد عرفت هذا الغلام فدلّينا على أهله فقالت ما أعرفه، وقلت هم للملك ناصحون. وقيل: إنها قالت إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به، وقيل إنها لمّا قالت هل أدلّكم على أهل بيت قالوا لها مَن؟ قالت: أُمي، قالوا: ولأمك ابن؟ قالت: نعم هارون، وكان هارون وُلد في سنة لا يُقتَل فيها الولدان، قالوا صدقت فأتينا بها فانطلقت إلى أُمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أُمه قبل ثديها وجعل يمصّه حتى امتلأ جنباه ريّاً. قال السدي: كانوا يعطونها كل يوم دينار فذلك قوله تعالى:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ أي برد موسى إليها **﴿ولا تحزن﴾** أي لئلا تحزن **﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾** أي برده إليها **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** أن الله وعدها أن يرده إليها **﴿ولما بلغ أشده﴾** قيل الأشد ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاث وثلاثون سنة **﴿واستوى﴾** أي بلغ أربعين سنة قاله ابن عباس: وقيل انتهى شبابه وتكامل **﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾** أي عقلاً وفهماً في الدين فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبياً **﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾** قوله تعالى **﴿ودخل المدينة﴾** يعني موسى والمدينة قيل هي منف من أعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة شمس **﴿على حين غفلة من أهلها﴾** قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً فلما جاء قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها وليس في أطرافها أحد. وقيل كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً على حين غفلة من أهلها.

وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر بإخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به. وعن علي أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم **﴿فوجد فيها رجلين**

﴿ فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينُها ﴾، بردِّ موسى إليها، **﴿ ولا تحزن ﴾**، أي لئلا تحزن، **﴿ ولتعلم أن وعد الله حق ﴾**، بردِّه إليها، **﴿ ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾**، أن الله وعدها ردّه إليها.

﴿ ولما بلغ أشدّه ﴾، قال الكلبي: الأشدّ ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقال مجاهد وغيره: ثلاث وثلاثون سنة، **﴿ واستوى ﴾**، أي بلغ أربعين سنة، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقيل: استوى انتهى شبابه **﴿ آتيناه حكماً وعلماً ﴾**، أي الفقه والعقل والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يُبعَث نبيّاً، **﴿ وكذلك نجزي المُحسنين ﴾**.

قوله تعالى: ﴿ ودخل المدينة ﴾، يعني دخل موسى المدينة، قال السدي: هي مدينة منف من أرض مصر. وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين الشمس، **﴿ على حين غفلة من أهلها ﴾**، وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيلولة. وقال محمد بن كعب القرظي: دخلها فيما بين المغرب والعشاء. واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت. قال السدي: وذلك أن موسى كان يُسمى ابن فرعون، فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقبل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرفها أحد، فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾**، قال محمد بن إسحاق كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يستمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلّا خائفاً مستخفياً فدخلها يوماً على حين غفلة من أهلها.

وقال ابن زيد: لمّا علا موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته، فلما كبر وبلغ أشدّه فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، يعني عن ذكر أمر موسى من بعد نسيانهم

يقتتلان﴾ أي يتخاصمان ويتنازعان **﴿هذا من شيعته﴾** أي من بني إسرائيل **﴿وهذا من عدوه﴾** يعني من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطي يريد أن يأخذ الإسرائيلي يحمله الحطب. وقال ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط **﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾** يعني الإسرائيلي **﴿على الذي من عدوه﴾** يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني: خلِّ سبيله فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة **﴿فوكزه موسى﴾** يعني ضربه بجميع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع بأطراف الأصابع **﴿فقضى عليه﴾** يعني قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصد القتل فدفنه في الرمل **﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾** يعني بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفاً لله سبحانه وتعالى مستحقاً للقتل وقيل هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه **﴿قال رب إني ظلمت نفسي﴾** يعني بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى

خبره وأمره لبُعد عهدهم، ورُوِيَ عن علي في قوله: ﴿ **حين غفلة** ﴾ فإنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم، ﴿ **فوجد فيها رجلين يقتتلان** ﴾، يختصمان ويتنازعان، ﴿ **هذا من شيعته** ﴾، من بني إسرائيل ﴿ **وهذا من عدوّه** ﴾، من القبط، قيل: الذي كان من شيعته السامري والذي من عدوّه من القبط، قيل: طبّاخ فرعون اسمه فاتون. وقيل: هذا من شيعته وهذا من عدوّه أي هذا مؤمن وهذا كافر، وكان القبطي يسخّر الإسرائيلي ليحمل الحطب إلى المطبخ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لمّا بلغ موسى أشدّه لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عزّوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم، فوجد موسى رجلان يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون، ﴿ **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه** ﴾، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، والاستغاثة طلب الغوث فغضب موسى واشتدّ غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلاّ أنه من قِبَل الرضاعة من أُم موسى، فقال للفرعوني خلِّ سبيله، فقال إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه، فقال الفرعوني: لقد هممت أن أحمله عليك، وكان موسى قد أُتي بسطة في الخلق وشدّة في القوة والبطش، ﴿ **فوكزه موسى** ﴾، وقرأ ابن مسعود (فلكزه موسى)، ومعناهما واحد وهو الضرب بجميع الكفّ، وقيل: الوكز الضرب في الصدر واللكز في الظهر. وقال الفرّاء: معناهما واحد وهو الدفع، قال أبو عبيدة: الوكز الدفع بأطراف الأصابع، وفي بعض التفاسير: عقد موسى ثلاثاً وثمانين وضربه في صدره، ﴿ **فقضى عليه** ﴾، أي فقتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه، فندم موسى عليه ولم يكن قصدُه القتل فدفنه في الرمل، ﴿ **قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مبين** ﴾، أي بيّن الضلالة.

﴿ **قال ربِّ إني ظلمت نفسي** ﴾، بقتل القبطي من غير أمر، ﴿ **فاغفرْ لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم** ﴾.

﴿ **قال ربِّ بما أنعمت عليّ** ﴾، بالمغفرة، ﴿ **فلن أكونَ ظهيراً** ﴾، عوناً، ﴿ **للمجرمين** ﴾، قال ابن عباس: للكافرين وهذا يدلّ على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، وهو قول مقاتل، قال قتادة: لن أُعين بعدها

والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب. وقوله ﴿فاغفر لي﴾ يعني ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد «رب إني ظلمت نفسي» حيث فعل هذا فإن فرعون إذا عرف ذلك قتلني به فقال أي فاستره علي ولا توصل خبره إلى فرعون ﴿فغفر له﴾ أي فستره عن الوصول إلى فرعون ﴿إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما﴾ أي بالمغفرة والستر الذي ﴿أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ معناه فأنا لا أكون معاوناً لأحد من المجرمين قال ابن عباس الكافرين وفيه دليل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً.

قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن إن شاء الله ظهيراً للمجرمين ﴿فأصبح في المدينة﴾ أي التي قتل فيها القبطي ﴿خائفاً يترقب﴾ أي ينتظر سوءاً والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ أي يستغيث به من بعد. قال ابن عباس: أتي فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي ﴿قال له موسى﴾ للإسرائيلي ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي ظاهر الغواية قاتلت رجلاً بالأمس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة للإسرائيلي فمد يده ليبطش

على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.

﴿ فأصبح في المدينة ﴾، أي في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿ خائفاً ﴾، من قتله القبطي، ﴿ يترقب ﴾، ينتظر سوأً، والترقب انتظار المكروه، قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، ﴿ فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ﴾، يستغيثه ويصيح به من بُعْدٍ. قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا منّا رجلاً فخذ لنا بحقّنا، فقال ابغوا لي قاتله ومَن يشهد عليه فلا يستقيم أن يُقضى بغير بيّنة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ﴿ قال له موسى ﴾، للإسرائيلي، ﴿ إنك لغويٌّ مبين ﴾، ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه، وقيل: إنما قال موسى للفرعوني إنك لغويٌّ مبين بظلمك، والأول أصوب وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.

﴿ فلما أن أرادَ أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما ﴾، وذلك أن موسى أدركته الرقّة بالإسرائيلي فمدّ يده ليبطش

بالقبطي فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله إنك لغوي مبين ﴿**قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**﴾ معناه أنه لم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الإسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك ﴿**إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض**﴾ أي بالقتل ظلماً وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لأمر الله تعالى ﴿**وما تريد أن تكون من المصلحين**﴾ ولما فشا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال إنه مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى ﴿**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى**﴾ أي يسرع في مشيه وأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى وأخبره وأنذره بما سمع ﴿**قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك**﴾ يعني يتشاورون فيك ﴿**ليقتلوك**﴾ وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك ﴿**فاخرج**﴾ يعني من المدينة ﴿**إني لك من الناصحين**﴾ يعني في الأمر بالخروج ﴿**فخرج منها**﴾ يعني موسى ﴿**خائفاً**﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿**يترقب**﴾ يعني ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعلمه أنه لا ملجأ إلا إليه ﴿**قال رب نجني من القوم الظالمين**﴾ يعني الكافرين.

بالفرعوني فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله إنك لغويٌّ مبين، ﴿ **قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إنْ تريد** ﴾، ما تريد، ﴿ **إلاّ أن تكون جبّاراً في الأرض** ﴾، بالقتل ظلماً، ﴿ **وما تريد أن تكون من المصلحين** ﴾، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذبّاحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.

﴿ **وجاء رجل** ﴾، من شيعة موسى، ﴿ **من أقصى المدينة** ﴾، أي من آخرها، قال أكثر أهل التأويل: اسمه حزقيل مؤمن من آل فرعون، وقيل: اسمه شمعون، وقيل: سمعان، ﴿ **يسعى** ﴾، أي يسرع في مشيه فأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى فأخبـره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر، ﴿ **قال يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك** ﴾، يعني أشراف قوم فرعون يتشاورون فيك، ﴿ **ليقتلوك** ﴾، قال الزجّاج: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، ﴿ **فاخرجْ** ﴾، من المدينة، ﴿ **إني لك من الناصحين** ﴾، في الأمر لك بالخروج.

﴿ **فخرج منها** ﴾، موسى، ﴿ **خائفاً يترقّبُ** ﴾، أي ينتظر الطلب، ﴿ **قال ربِّ نجِّني من القوم الظالمين** ﴾، الكافرين، وفي القصة أن فرعون بعث في طلبه حين أُخبر بهربِهِ فقال اركبوا بنيات الطريق فإنه لا يعرف كيف الطريق.

﴿ **ولما توجّه تلقاء مَدْيَن** ﴾، أي قصد نحوها ماضياً يقال داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء، قال الزجّاج يعني سلك الطريق التي يلقى مدين فيها، ومدين هو مدين بن إبراهيم سُمّيت البلدة باسمه، وكان موسى قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، وكانت مدين على مسير ثمانية أيام من مصر، ﴿ **قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل** ﴾، أي قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها، قيل: فلما دعا جاء ملك بيده عنزة فانطلق به إلى مدين. قال المفسّرون: خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام إلاّ ورق الشجر والبقل حتى أنه يرى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خفّ قدميه. قال ابن عباس: وهو أول ابتلاء من الله عزّ وجلّ لموسى عليه الصلاة والسلام.

﴿ **ولما ورد ماء مدين** ﴾، وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم، ﴿ **وجد عليه أُمّةً** ﴾، جماعة، ﴿ **من الناس**

قوله تعالى ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ يعني قصد نحوها ماضياً قيل إنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد إبراهيم وموسى من ولد إبراهيم ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام، قيل خرج موسى خائفاً بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى ﴿قال﴾ يعني موسى ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ يعني قصد الطريق إلى مدين وذلك أنه لم يكن يعرف الطريق إليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به إلى مدين. قوله عز وجل ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿وجد عليه﴾ يعني على الماء ﴿أمة﴾ يعني جماعة﴿من الناس يسقون﴾ يعني مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ يعني سوى الجماعة وقيل بعيداً من الجماعة ﴿امرأتين تذودان﴾ أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن أن تند وتذهب والقول الأول أولى لما بعده وهو قوله ﴿قال﴾ يعني موسى للمرأتين ﴿ما خطبكما﴾ أي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس ﴿قالتا لا نسقي﴾ يعني أغنامنا ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ أي حتى يرجع الرعاء من الماء والمعنى أنا امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ أي لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم، قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام. وقيل هو بيرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس. وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر ونزع دلواً واحداً فيه بالبركة وسقى الغنم فرويت فذلك قوله تعالى

يسقون ﴾، مواشيهم، ﴿ ووجد من دونهم ﴾، يعني سوى الجماعة، ﴿ امرأتين تذودان ﴾، يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر، قال الحسن: تكفّان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وقال قتادة: تكفّان الناس عن أغنامهما. وقيل: تمنعان أغنامهما عن أن تشذّ وتذهب. والقول الأول أصوبهما لما بعده وهو قوله: ﴿ قال ﴾، يعني موسى للمرأتين، ﴿ ما خطبكما ﴾، ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس، ﴿ قالتا لا نسقي ﴾، أغنامنا، ﴿ حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾، قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر ﴿يصدر﴾ بفتح الياء وضم الدال على اللزوم، أي حتى يرجع الرعاء عن الماء، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء، والرعاء جمع راعٍ مثل تاجر وتجّار، ومعنى الآية: لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء لأنّا امرأتان لا نطيق أن نستقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض، ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾، لا يقدر أن يسقي مواشيه، فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن: شعيب النبي عليه السلام. وقال وهب بن منبّه وسعيد بن جبير: هو بيرون بن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كُفَّ بصره، فدفن بين المقام وزمزم، وقيل: رجل ممّن آمن بشعيب، قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلّا جماعة من الناس. وقال ابن إسحاق: إن موسى زاحم القوم ونحّاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين. ويُروى: أن القوم لمّا رجعوا بأغنامهم غطّوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلّا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين. ويقال: إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة فروَى منه جميع الغنم، فذلك قوله:

﴿ فسقى لهما ثم تولّى إلى الظلّ ﴾، ظلّ شجرة فجلس في ظلّها من شدّة الحرّ وهو جائع، ﴿ فقال ربِّ إنِّي لِمَا أنزلتَ إليّ من خير ﴾ من طعام، ﴿ فقير ﴾، قال أهل اللغة اللام بمعنى إلى يقال هو فقير له وفقير إليه يقول إني

﴿**فسقى لهما ثم تولى إلى الظل**﴾ يعني عدل إلي رأس الشجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع ﴿**فقال رب لما أنزلت إلي من خير فقير**﴾ معناه أنه طلب الطعام لجوعه واحتياجه إليه.

قال ابن عباس: إن موسى سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبة وعن ابن عباس قال: لقد قال موسى: «رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير» وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمرة وقيل ما سأل إلا الخبز فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما؟ قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه إلي قال الله تعالى:

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿**فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**﴾ قيل هي الكبرى واسمها صفوراء وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء وقيل استحيت منه لأنها دعته لتكافئه وقيل لأنها رسول أبيها ﴿**قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**﴾ قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعاً فلم يجد بداً من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها

لما أنزلت إليّ من خير أي طعام فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه. قال ابن عباس: **سأل الله تعالى فلقة خبز يُقيم بها صلبه.** قال محمد الباقر: لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شقّ تمرة. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لقد قال موسى: ﴿ **ربِّ إني لِما أنزلتَ إليّ من خير فقير** ﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شقّ تمرة. وقال **مجاهد**: ما سأله إلاّ الخبز، قالوا فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما **أعجلكما** قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي.

قال الله تعالى: ﴿ **فجاءتْهُ إحداهما تمشي على استحياء** ﴾، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليست بسلع من النساء خرّاجة ولاّجة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء، ﴿ **قالت إن أبي يدعوك ليجزيَك أجرَ ما سقيتَ لنا** ﴾، قال أبو حازم سلمة بن دينار لما سمع ذلك موسى أراد أن لا يذهب ولكن كان جائعاً فلم يجد بدّاً من الذهاب، فمشت المرأة ومشى موسى خلفها، فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف **ردفها فكره موسى** أن يرى ذلك منها، فقال لها امشي خلفي ودلّيني على الطريق إن أخطأت ففعلت ذلك، فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيّأ فقال اجلس يا شاب فتعشَ، فقال موسى أعوذ بالله، فقال شعيب: وِلِمَ ذاكَ ألستَ بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عِوَضاً لما سقيت لهما وإنّا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال له شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى وأكل. ﴿ **فلما جاءه وقصّ عليه القصص** ﴾، يعني أمره أجمع، من قتله القبطي وقصد فرعون قتله،

امشي خلفي ودليني على الطريق إذا أخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهيئاً فقال: اجلس يا فتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذاك ألست بجائع؟ قال بلى ولكني أخاف أن يكون هذا عوضاً من الدنيا فقال له شعيب: لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل ﴿**فلما جاءه**﴾ أي موسى ﴿**وقص عليه القصص**﴾ أي أخبره بأمره أجمع من خبر ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله ﴿**قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾ يعني من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين ﴿**قالت إحداهما يا أبت استأجره**﴾ أي اتخذه أجيراً ليرعى أغنامنا ﴿**إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾ يعني إن خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة فقال لها أبوها ما أعلمك بقوته وأمانته؟ قالت أما قوته فإنه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه إلا عشرة.

وقيل أربعون رجلاً وأما أمانته فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك ﴿**قال**﴾ شعيب عند ذلك ﴿**إني أريد أن أنكحك**﴾ أي أزوجك ﴿**إحدى ابنتي هاتين**﴾ قيل زوجه الكبرى وقال الأكثرون إنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء وهي التي ذهبت في طلب موسى ﴿**على أن تأجرني ثماني حجج**﴾ أي تكون لي أجيراً ثمان سنين ﴿**فإن أتممت عشراً فمن عندك**﴾ أي فإن أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك ﴿**وما أريد أن أشق عليك**﴾ أي ألزمك تمام العشر إلا أن تتبرع ﴿**ستجدني إن شاء الله من الصالحين**﴾ أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وإنما قال إن شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته ﴿**قال**﴾ يعني موسى ﴿**ذلك بيني وبينك**﴾ يعني ما شرطت علي فلك وما شرطت من تزوج إحداهما فلي والأمر بيننا على ذلك

﴿ **قال لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين** ﴾، يعني فرعون وقومه، وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين.

﴿ **قالت إحداهما يا أبتِ استأجِرْهُ** ﴾، اتخذه أجيراً ليرعى أغنامنا، ﴿ **إنّ خيرَ مَن استأجرتَ القويُّ الأمين** ﴾، يعني خير مَن استعملت من قوي على العمل وأداء الأمانة، فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أمّا قوته فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلاّ عشرة، وقيل إلاّ أربعون رجلاً، وأمّا أمانته فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تَصِف الريح بدنك.

﴿ **قال** ﴾ شعيب عند ذلك، ﴿ **إني أُريد أن أُنكحك إحدى ابنتيّ هاتين** ﴾، واسمها صفوراء وليا في قول شعيب الجبائي وقال ابن إسحاق صفورة وشرقا وقال غيرهما الكبرى صفراء والصغرى صفيراء. وقيل زوّجه الكبرى وذهب أكثرهم إلى أنه زوّجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى، ﴿ **على أن تأجرني ثماني حجج** ﴾، يعني أن تكون جيراً لي ثمان سنين، قال الفرّاء: يعني أجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي ثماني حجج، تقول العرب: أجرك الله بأجرك أي أثابك، والحجج السنون واحدتها حجّة، ﴿ **فإن أتممتَ عشراً فمن عندك** ﴾، أي إن أتممت عشر سنين فذلك تفضّل منك وتبرّع، وليس بواجب عليك، ﴿ **وما أُريد أن أشقّ عليك** ﴾، أن أُلزمك تمام العشر إلاّ أن تتبرّع، ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾، قال عمر: يعني في حُسْن الصحبة والوفاء بما قلت.

﴿ **قال** ﴾، موسى ﴿ **ذلك بيني وبينك** ﴾، يعني هذا الشرط بيني وبينك، فما شرطت عليّ فلك وما شرطتَ من تزويج إحداهما فلي، والأمر بيننا، تمّ الكلام، ثم قال: ﴿ **أيّما الأجلين قضيتُ** ﴾، يعني أيّ الأجلين، ﴿ **وما** ﴾ صلة قضيت يعني أتممت أو فرغت من الثمان أو العشر، ﴿ **فلا عدوان عليّ** ﴾ لا ظلم عليّ بأن أُطالب بأكثر منهما،

﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أي أيّ الأجلين أتممت وفرغت منه الثمانية أو العشرة ﴿فلا عدوان علي﴾ أي لا ظلم علي بأن أطالب بأكثر منه ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس شهيد بيني وبينك (خ) عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ قلت لا أدري حتى أقدم على خير العرب فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضي أكثرهما وأطيبهما لأن رسول الله إذا قال فعل وروي عن أبي ذر مرفوعاً: «إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإذا سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما». وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس مرفوعاً بكى شعيب النبيّ ﷺ حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فقال الله له: ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار فقال: لا يا رب ولكن شوقاً إلى لقائك فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهنيئاً لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك كليمي موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمة قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الأنبياء وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته فصارت من آدم إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى.

ثم إن موسى لما قضى الأجل سلم شعيب إليه ابنته فقال لها موسى اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم

﴿ والله على ما نقول وكيل ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: شهيد فيما بيني وبينك. وقيل: حفيظ. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن عبد الرحيم أنا سعيد بن سليمان أنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من أهل الحيرة أيّ الأجلين قضى موسى؟ قلت لا أدري حتى أَقْدُمَ على حَبْر العرب فأسأله، فقَدِمتُ على ابن عباس فسألته، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إنّ رسول الله ﷺ إذا قال فعل. ورُوِيَ عن أبي ذرٍّ مرفوعاً: إذا سُئِلتَ أيَّ الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرّهما، وإذا سُئِلتَ بأيِّ المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما، وهي التي جاءت، فقالت يا أبتِ استأجره، فتزوّج أصغرهما وقضى أوفاهما. وقال وهب: أنكحه الكبرى. رُوِيَ عن شدّاد بن أوس مرفوعاً: بكى شعيب النبي ﷺ حتى عَمِيَ فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عَمِيَ فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عَمِيَ فردّ الله عليه بصره، فقال الله ما هذا البكاء أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال: لا يا ربّ، ولكن شوقاً إلى لقائك، فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهنيئاً لك لقائي يا شعيب، لذلك أخدمتك موسى كليمي ولمّا تعاقد هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السِّباع عن غنمه، واختلفوا في تلك العصا، قال عكرمة: خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً فدفعها إليه. وقال آخرون: كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء وكان لا يأخذها غير نبي إلاّ أكلته فصارت من آدم إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، وكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاها موسى. وقال السدي: كانت تلك العصا استودعها إيّاه ملك صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصاً فدخلت فأخذت العصا فأتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردّي هذه العصا، وأتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلاّ هي، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطتها موسى فأخرجها موسى معه، ثم إن الشيخ ندم وقال كانت وديعة، فذهب في أثره وطلب أن يردّ العصا فأبى موسى أن يعطيه. وقال: هي عصاي فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فلقيهم ملك في صورة آدمي فحكم أن يطرح العصا فمَن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها، فأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ، ثم إن موسى لما أتمّ الأجل وسلّم شعيب ابنته إليه، قال موسى للمرأة: اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها فقال شعيب لكما كل ما ولدت هذا العام على غير

فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل إن شعيباً أراد أن يجازي موسى على حسن رعيه إكراماً وصلة لا بنته فقال له: إني قد وهبت لك ولد أغنامي كل أبلق وبلقاء في هذه السنة فأوحى الله تعالى إلى موسى في النوم أن اضرب بعصاك الماء، ثم اسق الأغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن هذا رزق ساقه الله إلى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام. قوله عز وجل:

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

﴿**فلما قضى موسى الأجل**﴾ أي أتمه وفرغ منه ﴿**وسار بأهله**﴾ قيل مكث موسى بعد الأجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه في العود إلى مصر فأذن له فسار بأهله أي بزوجته قاصداً إلى مصر ﴿**آنس**﴾ أي أبصر ﴿**من جانب الطور ناراً**﴾ وذلك أنه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق ﴿**قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر**﴾ أي عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق ﴿**أو جذوة من النار**﴾ أي قطعة وشعلة من النار وقيل: الجذوة العود الذي اشتعل بعضه ﴿**لعلكم تصطلون**﴾ أي تستدفئون ﴿**فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن**﴾ يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى ﴿**في البقعة المباركة**﴾ جعلها الله مباركة لأن الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبياً وقيل يريد البقعة المقدسة ﴿**من الشجرة**﴾ يعني من ناحية الشجرة قال ابن مسعود: كانت سمرة

شيتها. وقيل: أراد شعيب أن يجازي موسى على حُسْن رعيته إكراماً له وصلةً لابنته، فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلّا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم فقال له أن ذلك رزق ساقه الله عزّ وجلّ إلى موسى وامرأته فوفّى له شرطه وسلّم الأغنام إليه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فلما قضى موسى الأجلَ** ﴾، يعني أتمّه وفرغ منه، ﴿ **وسار بأهله** ﴾، قال مجاهد: لما قضى الأجل مكث بعد ذلك عند صهره عشراً آخر فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر فأذِنَ له، فخرج بأهله إلى جانب مصر، ﴿ **آنسَ** ﴾، يعني أبصر، ﴿ **من جانب الطور ناراً** ﴾، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذَ امرأته الطلقُ، ﴿ **قال لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بخبر** ﴾، يعني عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق، ﴿ **أو جَذْوَةٍ من النار** ﴾، يعني قطعة وشعلة من النار، وفيها ثلاث لغات قرأ عاصم ﴿ **جذوة** ﴾ بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسرها، قال قتادة ومقاتل: هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها أجذى، ﴿ **لعلّكم تصطلون** ﴾، تستدفئون.

خضراء تبرق وقيل كانت غوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس إنها العناب ﴿أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ قيل إن موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة إلا الله تعالى فعلم بذلك أن المتكلم هو الله تعالى. وقيل: إن الله تعالى خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بأن المتكلم هو الله تعالى وأن ذلك الكلام كلام الله تعالى. وقيل: إنه قيل لموسى كيف عرفت أنه نداء الله قال إني سمعته بجميع أجزائي فلما وجد حس السمع من جميع الأجزاء علم بذلك أنه لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ﴿وأن ألق عصاك﴾ يعني فألقاها ﴿فلما رآها تهتز﴾ يعني تتحرك ﴿كأنها جان﴾ هي الحية الصغيرة والمعنى أنها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة ﴿ولى مدبراً﴾ يعني هارباً منها ﴿ولم يعقب﴾ يعني ولم يرجع قال وهب إنها لم تدع شجرة، ولا صخرة إلا بلعتها حتى إن موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ ولى مدبراً ولم يعقب فنودي عند ذلك ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾.

قوله عز وجل ﴿اسلك يدك﴾ يعني أدخل يدك ﴿في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ يعني برص والمعنى أنه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ يعني من الخوف والمعنى إذا هالك

﴿ فلما أتاها نُودي من شاطىء الوادي الأيمن ﴾، يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، ﴿ في البقعة المباركة ﴾، لموسى جعلها الله مباركة لأن الله كلّم موسى هناك وبعثه نبيّاً. وقال عطاء: يريد المقدسة، ﴿ من الشجرة ﴾، من ناحية الشجرة، قال ابن مسعود: كانت سمرة خضراء تبرق، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: كانت عوسجة، قال وهب من العليق، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنها العنّاب، ﴿ أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين ﴾.

﴿ وأن ألقِ عصاكَ فلمّا رآها تهتز ﴾، تتحرك، ﴿ كأنّها جانٌ ﴾، وهي الحيّة الصغيرة من سرعة حركتها، ﴿ ولّى مدبراً ﴾، هارباً منها، ﴿ ولم يُعقّب ﴾، لم يرجع فنودي، ﴿ يا موسى أقبلْ ولا تخفْ إنّك من الآمنين ﴾.

﴿ أسلكْ ﴾، أدخل ﴿ يدك في جيبك تخرجْ بيضاءَ من غير سوء ﴾، برص فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، ﴿واضممْ إليك جناحك من الرهب﴾، قرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وسكون الهاء وبفتح الراء حفص، وقرأ الآخرون بفتحهما وكلها لغات بمعنى الخوف، وكلها الآية إذا هَالَكَ أمرُ يدك ما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعدْ إلى حالتها الأولى، والجناح اليد كلها. وقيل: هو العضد. وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم: أمره الله بضمّ يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحيّة، وقال: ما من خائف بعد موسى إلّا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وقال مجاهد: كلّ مَن فزع فضمّ جناحه إليه ذهب عنه الفزع. وقيل: المراد من ضمّ الجناح الكون يعني سكن روعك واخفض عليك جأشك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: ﴿ واخفضْ لهما جناح الذلّ من الرحمة ﴾ [الإسراء: ٢٤]، يريد الرفق، وقوله: ﴿ واخفض جناحك لمَن اتّبعك من المؤمنين ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي ارفق بهم وألِنْ جانبك لهم، وقال الفرّاء: أراد بالجناح العصا، معناه أضمم إليك عصاك. وقيل: الرهب الكَلِم بلغة حمير، قال الأصمعي: سمعت بعض الأعراب يقول أعطني ما في رهبك أي في كمّك، معناه أضمم إليك يدك وأخرجها من الكم، لأنه تناول العصا ويده في كمّه، ﴿ فذانِكَ ﴾، يعني العصا واليد البيضاء، ﴿ برهانان ﴾، آيتان، ﴿ من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

﴿ قال ربِّ إني قتلتُ منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ﴾.

أمر يدك وما تراه من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى وقال ابن عباس: أمر الله موسى أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وقيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن روعك واخفض عليك جناحك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه. وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم إليك يدك وأخرجها من كمك لأنه تناول العصا ويده في كمه ﴿**فذانك**﴾ يعني العصا واليد البيضاء ﴿**برهانان**﴾ يعني آيتان ﴿**من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾ يعني خارجين عن الحق ﴿**قال رب إني قتلت منهم نفساً**﴾ يعني القبطي ﴿**فأخاف أن يقتلون**﴾ يعني به ﴿**وأخي هارون هو أفصح مني لساناً**﴾ يعني بياناً وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه ﴿**فأرسله معي ردءاً**﴾ يعني عوناً ﴿**يصدقني**﴾ يعني فرعون وقيل تصديق هارون هو أن يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد ﴿**إني أخاف أن يكذبون**﴾ يعني فرعون وقومه ﴿**قال سنشد عضدك بأخيك**﴾ يعني سنقويك به وكان هارون بمصر ﴿**ونجعل لكما سلطاناً**﴾ يعني حجة وبرهاناً ﴿**فلا يصلون إليكما**﴾ أي بقتل ولا سوء ﴿**بآياتنا**﴾ قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما ﴿**أنتما ومن اتبعكما الغالبون**﴾ يعني لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ

﴿ **وأخي هارون هو أفصح منّي لساناً** ﴾، وإنما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فِيه، ﴿ **فأرسله معي ردءاً** ﴾، عوناً، يقال ردأته أي أعنته، قرأ نافع (رداً) بفتح الدال من غير همز طلباً للخفّة، وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزاً، ﴿ **يُصدِّقني** ﴾، قرأ ابن عمر وعامر وحمزة برفع القاف على الحال، أي رداً مصدّقاً، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع، قال مقاتل: لكي يصدقني فرعون، ﴿ **إني أخاف أن يكذبون** ﴾، يعني فرعون وقومه.

﴿ **قال سنشدّ عضدَك بأخيك** ﴾، أي نقوّيك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر، ﴿ **ونجعلُ لكما سلطاناً** ﴾، حجةً وبرهاناً، ﴿ **فلا يصلون إليكما بآياتنا** ﴾، أي لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما، ﴿ **أنتما ومَن اتّبعكما الغالبون** ﴾، أي لكما ولأتباعكما الغلبة على فرعون وقومه.

عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ يعني واضحات ﴿قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾ يعني مختلق ﴿وما سمعنا بهذا﴾ يعني بالذي تدعونا إليه ﴿في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يعني أنه يعلم المحق من المبطل ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ يعني العقبى المحمودة في الدار الآخرة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ يعني الكافرون ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ فيه إنكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ يعني اطبخ لي الآجر قيل إنه أول من اتخذ آجراً وبنى به ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي قصراً عالياً وقيل منارة. قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير، وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة دماً فقال: قد قتلت إله موسى وكان فرعون يصعده راكباً على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة

﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بيّنات ﴾، واضحات، ﴿ قالوا ما هذا إلاّ سحرٌ مفترى ﴾، مختلق ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾، بالذي تدعونا إليه، ﴿ في آبائنا الأوّلين ﴾.

﴿ وقال موسى ﴾، قرأ المكّي بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم، ﴿ ربّي أعلم بمَن جاء بالهدى من عنده ﴾، بالمحق من المبطل، ﴿ ومَن تكون له عاقبة الدار ﴾، يعني العقبى المحمودة في الدار الآخرة، ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾، يعني الكافرون.

﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلَهٍ غيري فأوقدْ لي يا هامان على الطين﴾، يعني فاطبخ لي الآجر، وقيل: إنه أول مَن اتخذ الآجر وبنى به، ﴿ فاجعلْ لي صرحاً ﴾، قصراً عالياً، وقيل: منارة، قال أهل السير: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمّال والفَعَلَة حتى اجتمع خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأجراء، ومَن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير، فرفعوه وشيّدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، أراد الله عزّ وجلّ أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فرُدّت إليه وهي ملطّخةً دماً، فقال قد قتلتُ إلَهَ موسى، وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل جنح غروب الشمس فضربه بجناحه فقطّعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب، ولم يبق أحد ممّن عمل فيه بشيء إلاّ هلك، فذلك قوله تعالى: ﴿ فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي أطّلعُ على إلَه موسى ﴾، أنظر إليه وأقف على حاله، ﴿ وإني لأظنّه ﴾، يعني موسى، ﴿ من الكاذبين ﴾، في زعمه أن للأرض وللخلق إلَهاً غيري، وأنه رسوله.

﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنّوا أنهم إلينا لايُرْجَعُون ﴾، قرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب: ﴿ يرجعون ﴾ بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون بضم الياء وفتح الجيم.

﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾، فألقيناهم، ﴿ في اليمّ فانظرْ كيفَ كان عاقبة الظالمين ﴾.

﴿ وجعلناهم أئمة ﴾، قادة ورؤساء، ﴿ يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنْصَرُون ﴾، لا يمنعون من العذاب.

منه على عسكره فقتلت منهم ألف رجل ووقعت قطعة منه في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق أحد عمل شيئاً فيه إلا هلك فذلك قوله ﴿**لعلي أطلع إلى إله موسى**﴾ يعني أنظر إليه وأقف على حاله ﴿**وإني لأظنه**﴾ يعني موسى ﴿**من الكاذبين**﴾ يعني في زعمه أن للأرض والخلق إلهاً غيري وأنه أرسله ﴿**واستكبر هو وجنوده في الأرض**﴾ يعني تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم ﴿**بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون**﴾ يعني للحساب والجزاء ﴿**فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم**﴾ يعني فألقيناهم في البحر وهو القلزم ﴿**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾ يعني حين صاروا إلى الهلاك ﴿**وجلعناهم أئمة**﴾ يعني قادة ورؤساء ﴿**يدعون إلى النار**﴾ أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لأن من أطاعهم ضل ودخل النار ﴿**ويوم القيامة لا ينصرون**﴾ يعني لا يمنعون من العذاب ﴿**وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة**﴾ يعني خزياً وبعداً وعذاباً ﴿**ويوم القيامة هم من المقبوحين**﴾ يعني المبعدين وقيل المهلكين.

وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون. وقوله عز وجل ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب**﴾ يعني التوراة ﴿**من بعد ما أهلكنا القرون الأولى**﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن كانوا قبل موسى ﴿**بصائر للناس**﴾ ليبصروا ذلك فيهتدوا به ﴿**وهدى**﴾ يعني من الضلالة لمن عمل به ﴿**ورحمة**﴾ يعني لمن آمن به ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ يعني بما فيه من المواعظ ﴿**وما كنت**﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي وما كنت يا محمد ﴿**بجانب الغربي**﴾ يعني بجانب الجبل الغربي قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه ﴿**إذ قضينا إلى موسى الأمر**﴾ يعني عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون ﴿**وما كنت من الشاهدين**﴾ يعني الحاضرين ذلك المقام الذي أوحينا إلى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك ﴿**ولكنا أنشأنا قروناً**﴾ يعني خلقنا بعد موسى أمماً ﴿**فتطاول عليهم العمر**﴾ يعني طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا أمره وذلك أن الله عهد إلى موسى وقومه عهوداً في محمد والإيمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها ﴿**وما كنت ثاوياً**﴾ أي مقيماً ﴿**في أهل مدين**﴾ أي كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿**تتلو عليهم آياتنا**﴾ يعني تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة

﴿ **وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً** ﴾، خزياً وعذاباً، ﴿ **ويوم القيامة هم من المقبُوحِين** ﴾، من المُبعَدين الملعونين، وقال أبو عبيدة: من المهلكين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من المشوَّهين بسواد الوجوه وزُرقة العيون، يقال: قبَحه الله وقبَّحه إذا جعله قبيحاً، ويقال: قبَحه قبحاً وقبوحاً، إذا أبعده من كل خير.

قوله تعالى: ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى** ﴾، يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى، ﴿ **بصائرَ للناس** ﴾، يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به، ﴿ **وهدىً** ﴾، من الضلال لِمَن عمل به، ﴿ **ورحمةً** ﴾، لِمَن آمن به، ﴿ **لعلَّهم يتذكرون** ﴾، بما فيه من المواعظ والبصائر.

﴿ **وما كنتَ** ﴾ يا محمد ﴿ **بجانب الغربي** ﴾، يعني بجانب الجبل الغربي، قاله قتادة والسدي، وقال الكلبي: بجانب الوادي الغربي. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد حيث ناجى موسى ربَّه، ﴿ **إذ قضينا إلى موسى الأمر** ﴾، يعني عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿ **وما كنتَ من الشاهدين** ﴾، الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك.

﴿ **ولكنّا أنشأنا قروناً** ﴾، خلقنا أُمماً من بعد موسى عليه السلام، ﴿ **فتطاول عليهم العُمُرُ** ﴾، أي طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهوداً في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها، ﴿ **وما كنتَ ثاوياً** ﴾، مقيماً، ﴿ **في أهل مدين** ﴾، كمقام موسى وشعيب فيهم، ﴿ **تتلوا عليهم آياتنا** ﴾، تذكّرهم بالوعد

خبرهم ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ أي أرسلناك رسولاً وأنزلنا إليك كتاباً فيه هذه الأخبار لتتلوها عليه ولولا ذلك لما علمتها أنت ولم تخبرهم بها.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي بناحية الجبل الذي كلم الله موسى عليه ﴿إذ نادينا﴾ أي موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى: يا رب أرني محمداً وأمته قال إنك لن تصل إلى ذلك ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم. وقال ابن عباس قال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء والأرحام أي أرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. قال الله تعالى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي رحمناك رحمة

والوعيد، قال مقاتل: يقول لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم، ﴿ ولكنّا كنّا مُرْسِلِين ﴾، أي أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار، فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها.

﴿ وما كنتَ بجانب الطور ﴾، بناحية الجبل الذي كلّم الله عليه موسى، ﴿ إذ نادينا ﴾، قيل: إذْ نادَيْنَا موسى خذِ الكتاب بقوّة، وقال وهب: قال موسى يا ربِّ أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إلى ذلك وإن شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم، قال: بلى يا رب، قال الله تعالى: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم. وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير: نادى يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما ورفعه بعضهم، قال الله: يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، لبّيك اللّهمَّ لبّيك لبّيك إن الحمد والنعمة لك والمُلْك لا شريك لك، قال الله تعالى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبقَ عقابي، قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني، وقد غفرت لكم من قبل أن تستغفروني، مَن جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة، وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر. قوله تعالى: ﴿ ولكن رحمةً من ربِّك ﴾ أي ولكن رحمناك رحمة بإرسالك وبالوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك، ﴿ لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾، يعني أهل مكة، ﴿ لعلّهم يتذكرون ﴾.

بإرسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة عنك ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله ﷺ فجمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى؛ فالمراد بقوله: «إذ قضينا إلى موسى الأمر» هو إنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله «وما كنت ثاوياً في أهل مدين» أول أمر موسى والمراد بقوله إذ نادينا ليلة المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الأحوال حاضراً بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الدالة على نبوته ﷺ ومعجزته كأنه قال في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك.

قوله تعالى ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ أي عقوبة ونقمة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعني من الكفر والمعاصي ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ أي هلاّ ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ ومعنى الآية لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكنا بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿قالوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لولا﴾ أي هلا ﴿أوتي﴾ محمد ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ يعني من الآيات كالعصا واليد البيضاء. وقيل: أوتي كتاباً جملة واحدة كما أوتي موسى التوراة قال الله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ قيل إن اليهود أرسلوا إلى قريش أن يسألوا محمداً ﷺ مثل ما أوتي موسى فقال الله تعالى: أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال ﴿قالوا سحران تظاهرا﴾ يعني التوراة والقرآن يقوي كل واحد منهما الآخر وقيل ساحران يعني محمداً وموسى. وقيل إن مشركي مكة بعثوا إلى رؤوس اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة

﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴾، عقوبة ونقمة، ﴿ بما قدّمت أيديهم ﴾ من الكفر والمعصية، ﴿ فيقولوا ربنا لولا ﴾، هلّا، ﴿ أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾، وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة، يعني لولا أنهم يحتجّون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم، وقيل: معناه لمّا بعثناك إليهم رسولاً ولكن بعثناك إليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿ قالوا ﴾، يعني كفّار مكة، ﴿ لولا ﴾، هلّا، ﴿ أُوتي ﴾، محمد، ﴿ مثل ما أُوتي موسى ﴾، من الآيات كاليد البيضاء والعصا، وقيل: مثل ما أُوتي موسى كتاباً جملة واحدة. قال الله تعالى: ﴿ أوَ لَمْ يكفروا بما أُوتي موسى من قبل ﴾، أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، ﴿ قالوا سِحْرَانِ تظاهرا ﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿ سحران ﴾ أي التوراة والقرآن تظاهرا يعني كل سحر يقوّي الآخر نسب التظاهر إلى السحرين على الاتّساع، قال الكلبي: كانت مقالتهم تلك حين بعثوا في أمر رسول الله ﷺ إلى رؤوس اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعته في كتابهم التوراة، فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا سِحْرَانِ تظاهرا، وقرأ الآخرون: ﴿ ساحران ﴾، يعنون محمداً وموسى عليهما السلام، لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب، ﴿ وقالوا إنّا بكلّ كافرون ﴾.

﴿ قلْ ﴾ لهم يا محمد، ﴿ فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾، يعني من التوراة والقرآن، ﴿ أتبعه إن كنتم صادقين ﴾.

﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾، أي لم يأتوا بما طلبت، ﴿ فاعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومَن أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

﴿ ولقد وصّلْنَا لهم القول ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينا، قال الفرّاء: أنزلنا آيات القرآن يتبع

فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا ﴿**وقالوا إنا بكل كافرون**﴾ يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما**﴾ يعني من التوراة والقرآن ﴿**أتبعه**﴾ يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله ﴿**إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك**﴾ أي فإن لم يأتوا بما طلبت ﴿**فاعلم أنما يتبعون أهواءهم**﴾ يعني أن ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا أتباعهم ما هم عليه من الهوى ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ قوله عز وجل ﴿**ولقد وصلنا لهم القول**﴾ قال ابن عباس: بينا وقيل أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً، وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم، وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ أي يتعظون ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبلة**﴾ أي من قبل محمد ﷺ وقيل من قبل القرآن ﴿**هم به يؤمنون**﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبيّ ﷺ وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا: يا رسول الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا فواسوا بها المسلمين. فنزلت هذه الآيات إلى قوله «ومما رزقناهم ينفقون» وقال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال ﴿**وإذا يتلى عليهم**﴾ يعني القرآن ﴿**قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا**﴾ وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴿**إنا كنا من قبله مسلمين**﴾ أي من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد ﷺ إنه نبي حق.

أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ

بعضها بعضاً قال قتادة: وصل لهم القول في هذا القرآن يعني كيف صنع بمَن مضى. قال مقاتل: بيَّنا لكفّار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذّبوا بتكذيبهم، وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، ﴿ **لعلّهم يتذكّرون** ﴾.

﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله** ﴾، من قبل محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقيل من قبل القرآن، ﴿ **هم به يؤمنون** ﴾، نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال مقاتل: بل هم أهل الإنجيل الذين قَدِموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ. وقال سعيد بن جبير: هم أربعون رجلاً قَدِموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا: يا نبيّ الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذِنَ لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فنزل فيهم: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام، ثم وصفهم الله فقال:

﴿ **وإذا يُتلى عليهم** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **قالوا آمنّا به إنّه الحقُّ من ربنا** ﴾، وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، ﴿ **إنّا كنّا من قبله مسلمين** ﴾، أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين**﴾ يعني بإيمانهم بالكتاب الأول والكتاب الآخر ﴿**بما صبروا**﴾ أي على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ثم تزوجها فله أجران» ﴿**ويدرؤون بالحسنة السيئة**﴾ قال ابن عباس: يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ أي في الطاعة ﴿**وإذا سمعوا اللغو**﴾ أي القول القبيح ﴿**أعرضوا عنه**﴾ وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل مكة ويقولون تباً لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم ﴿**وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**﴾ أي لنا ديننا ولكم دينكم ﴿**سلام عليكم**﴾ ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ﴿**لا نبتغي الجاهلين**﴾ يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أن نكون من أهل

﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين** ﴾، لإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ﴿ **بما صبروا** ﴾، على دينهم، قال مجاهد: نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذُوا، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو عبد الله محمد بن جعفر الجويني أنا أحمد بن سعيد الدارمي أنا عثمان أنا شعبة عن صالح عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبدٌ أحسن عبادةَ الله ونصحَ لسيِّده». قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ويدرؤون بالحسنة السيئة** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون بشهادة أن لا إله إلاّ الله الشرك، قال مقاتل: يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة، ﴿ **مما رزقناهم ينفقون** ﴾، في الطاعة.

﴿ **وإذا سمعوا اللغو** ﴾، القبيح من القول، ﴿ **أعرضوا عنه** ﴾، وذلك أن المشركين كانوا يسبّون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبّاً لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردّون عليهم، ﴿ **وقالوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالكم** ﴾، لنا ديننا ولكم دينكم، ﴿ **سلامٌ عليكم** ﴾، ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة، معناه سلمتمُ منّا لا نُعاوضكم بالشتم والقبح من القول، ﴿ **لا نبتغي الجاهلين** ﴾، أي دين الجاهلين، يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه. وقيل: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسِّعة، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

قوله تعالى: ﴿ **إنك لا تهدي مَن أحببت** ﴾، أي أحببت هدايته. وقيل: أحببته لقرابته، ﴿ **ولكن الله يهدي مَن يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾، قال مجاهد ومقاتل: بمَن قُدّر له الهدى، نزلت في أبي طالب قال له النبي ﷺ: قل

الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال. قوله تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أي هدايته وقيل أحببته لقرابته ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وذلك أن الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية فينشرح الصدر للإيمان ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي بمن قدر له الهدى (م) عن أبي هريرة قال «إنك لا تهدي من أحببت، نزلت في رسول الله ﷺ حيث راود عمه أبا طالب على الإسلام وذلك أن النبي ﷺ قال لأبي طالب عند الموت: «يا عم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك» ثم أنشد:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكن على ملة الأشياخ عبدالمطلب وعبدمناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ يعني نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق ولكن إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم. ومن المعروف أنه كان تأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة ﴿يجبى إليه﴾ يعني يجلب ويجمع إليه ويحمل إلى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ﴿ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني أن أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك. قوله عز وجل ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ يعني من أهل قرية ﴿بطرت معيشتها﴾ ي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرون سكوناً قليلاً وقيل لم يعمروا منها إلا أقلها وأكثرها خراب ﴿وكنا نحن

لا إله إلّا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررتُ بها عينك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿ وقالوا إنْ نتّبعِ الهُدَى معكَ نُتَخطَّفَ من أرضنا ﴾، أرض مكة، نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنّا لنعلم أن الذي تقول حق ولكنّا إن اتّبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة، وهو معنى قوله: ﴿ نتخطف من أرضنا ﴾، والاختطاف الانتزاع بسرعة، قال الله تعالى: ﴿ أوَ لم نمكّنْ لهم حرماً آمناً ﴾، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تُغِير بعضهم عَلى بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا، لحُرمة الحرم، ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحدأة، ﴿ يُجْبَى ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب: (تجبى) بالتاء لأجل الثمرات، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل، أي يجلب ويجمع، ﴿ إليه ﴾، يقال: جبيت الماء في الحوض أي جمعته، قال مقاتل: يحمل إلى الحرم، ﴿ ثمرات كل شيء رزقاً منْ لدنّا ولكنّ أكثرهم لا يعلمون ﴾، أنّ ما يقوله حق.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وكم أهلكنا من قرية ﴾ أي من أهل قرية، ﴿ بطرت معيشتها ﴾، أي في معيشتها، أي أشرت وطغت، قال عطاء: عاشُوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام، ﴿ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلّا قليلاً ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلّا المسافرون وما رأوا الطريق يوماً أو ساعة، معناه لم تسكن من بعدهم إلّا سكوناً قليلاً. وقيل: معناه لم يعمر منها إلّا أقلّها وأكثرها خراب، ﴿ وكنّا نحن الوارثين ﴾، كقوله: ﴿ إنّا نحن نرث الأرض ومَن عليها ﴾ [مريم: ٤٠].

الوارثين﴾ يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها إلى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق **﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾** يعني الكافرة أهلها **﴿حتى يبعث في أمها رسولاً﴾** ينذرهم وخص الأم ببعثة الرسول لأنه يبعث إلى الأشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولاً يعني محمداً ﷺ لأنه خاتم الأنبياء **﴿يتلو عليهم آياتنا﴾** أي أنه يؤدي إليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا **﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾** أي مشركون.

قوله عز وجل **﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾** أي تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء **﴿وما عند الله خير وأبقى﴾** لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائماً غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس إلى البحر العظيم **﴿أفلا تعقلون﴾** أي أن الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل. ولهذا قال الشافعي: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله لأن أعقل الناس من أعطي القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المشتغلون بطاعة الله تعالى **﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾** يعني الجنة **﴿فهو لاقيه﴾** أي مصيبه وصائر إليه **﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾** أي وتزول عنه عن قريب **﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾** أي في النار، قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة. قوله عز وجل:

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

﴿ وما كان ربك مُهلِك القرى ﴾، أي القرى الكافر أهلها، **﴿حتى يبعث في أُمها رسولاً﴾**، يعني في أكبرها وأعظمها رسولاً ينذرهم وخصّ الأعظم ببعثة الرسول فيها، لأن الرسول يبعث إلى الأشراف والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أُمّ ما حولها، **﴿يتلوا عليهم آياتنا﴾**، قال مقاتل: يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا، **﴿ وما كنّا مُهلِكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون ﴾**، مشركون، يريد أهلكهم بظلمهم.

﴿ وما أُوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴾، تتمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء، **﴿ وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ﴾**، أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامّة القرّاء: **﴿ تعقلون ﴾** بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء.

﴿ أفمنْ وعدناه وعداً حسناً ﴾، أي الجنة، **﴿ فهو لاقيه ﴾**، مصيبه ومدركه وصائر إليه، **﴿ كمَن متّعناه متاع الحياة الدنيا ﴾**، ويزول عن قريب **﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾**، النار قال قتادة يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقال السدي: نزلت في عمّار والوليد بن المغيرة.

تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿**ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون**﴾ أي في الدنيا أنهم من شركائي ﴿**قال الذين حق عليهم القول**﴾ أي وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة ﴿**ربنا هؤلاء الذين أغوينا**﴾ أي دعوناهم إلى الغي وهم الأتباع ﴿**أغويناهم كما غوينا**﴾ أي أضللناهم كما ضللنا ﴿**تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون**﴾ معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء ﴿**وقيل**﴾ يعني للكفار ﴿**ادعوا شركاءكم**﴾ أي الأصنام لتخلصكم من العذاب ﴿**فدعوهم فلم يستجيبوا لهم**﴾ أي لم يجيبوهم ﴿**ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون**﴾ معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب في الآخرة ﴿**ويوم يناديهم**﴾ أي يسأل الكفار ﴿**فيقول ماذا أجبتم المرسلين**﴾ أي ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين ﴿**فعميت عليهم**﴾ أي خفيت واشتبهت عليهم ﴿**الأنباء**﴾ يعني الأخبار والأعذار والحجج ﴿**يومئذ**﴾ فلم يكن لهم عذر ولا حجة ﴿**فهم لا يتساءلون**﴾ أي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضاً ﴿**فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين**﴾ أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب.

﴿ **ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون** ﴾، في الدنيا أنهم شركائي.

﴿ **قال الذين حقَّ عليهم القول** ﴾، وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة، ﴿ **ربّنا هؤلاء الذين أغوينا** ﴾، أي دعوناهم إلى الغنى وهم الأتباع، ﴿ **أغويناهم كما غوينا** ﴾، أضللناهم كما ضللنا، ﴿ **تبرأنا إليك** ﴾، منهم، ﴿ **ما كانوا إيّانا يعبدون** ﴾، برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى: ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو** ﴾ [الزخرف: ٦٧].

﴿ **وقيل** ﴾، للكفّار، ﴿ **ادعوا شركاءكم** ﴾، أي الأصنام لتخلّصكم من العذاب، ﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** ﴾، لم يجيبوهم، ﴿ **ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون** ﴾، وجواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

﴿ **ويوم يناديهم** ﴾، أي يسأل الله الكفّار، ﴿ **فيقول ماذا أجبتم المرسلين** ﴾.

﴿ **فعميت** ﴾، خفيت واشتبهت، ﴿ **عليهم الأنباء** ﴾، أي الأخبار والأعذار، وقال مجاهد: الحجج، ﴿ **يومئذ** ﴾ فلا يكون لهم عذر ولا حجة، ﴿ **فهم لا يتساءلون** ﴾: لا يجيبون، وقال قتادة: لا يحتجّون، وقيل: يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً.

﴿ **فأما مَن تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين** ﴾، من السعداء الناجين.

قوله تعالى: ﴿ **وربُّك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾، نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ما كان لهم الخيرة** ﴾، قيل: ﴿ **ما** ﴾ للإثبات، معناه: ويختار الله ما كان لهم

قوله تعالى ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم لأنه المالك المطلق وله أن يخص ما يشاء بما يشاء لا اعتراض البتة ﴿**ما كان لهم الخيرة**﴾ أي ليس لهم الاختيار، أو ليس لهم أن يختاروا على الله. وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الأصلح والخير لهم فيه، ثم نزه الله تعالى نفسه فقال ﴿**سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن**﴾ أي تخفي ﴿**صدورهم وما يعلنون**﴾ أي يظهرون ﴿**وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة**﴾ أي يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة ﴿**وله الحكم**﴾ أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل المعصية بالشقاوة ﴿**وإليه ترجعون**﴾ قوله عز وجل ﴿**قل**﴾ أي قل يا محمد لأهل مكة ﴿**أرأيتم**﴾ يعني أخبروني ﴿**إن جعل الله عليكم الليل سرمداً**﴾ أي دائماً ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ لا نهار فيه ﴿**من إله غير الله يأتيكم بضياء**﴾ أي بنهار تطلبون فيه المعيشة ﴿**أفلا تسمعون**﴾ أي سماع فهم وقبول ﴿**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة**﴾ أي لا ليل فيه ﴿**من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون**﴾ أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل إن من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لأن المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى التعب ليحصل ما يحتاج إليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولأجله يحصل الاجتماع فتمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فأما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبداً فبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال ﴿**ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار**﴾ أي يتعاقبان بالظلمة والضياء

الخيرة، أي يختار ما هو الأصلح والخير. وقيل: هو للنفي أي ليس إليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، والخيرة اسم من الاختيار يُقام مقام المصدر، وهي اسم للمختار أيضاً كما يُقال: محمدٌ خيرةُ اللّهِ من خلقه، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿ سبحانَ الله وتعالى عمّا يشركون ﴾.

﴿ وربُّك يعلم ما تُكِنّ صدورهم وما يُعلنون ﴾، يُظهرون.

﴿ وهو الله لا إلَه إلاّ هو له الحمد في الأُولى والآخرة ﴾، يحمده أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة، ﴿ وله الحكم ﴾، فصل القضاء بين الخلق قال ابن عباس رضي الله عنهما: حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء، ﴿ وإليه ترجعون ﴾.

قوله: ﴿ قلْ أرأيتم ﴾، أخبروني يا أهل مكة، ﴿ إنْ جعل الله عليكم الليل سرمداً ﴾، دائماً، ﴿ إلى يوم القيامة ﴾، لا نهارَ معه، ﴿ مَنْ إلَهٌ غيرُ الله يأتيكم بضياء ﴾، بنهار تطلبون فيه المعيشة، ﴿ أفلا تسمعون ﴾، سماع فهم وقبول.

﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿ إنْ جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة ﴾، لا دليل فيه، ﴿ مَنْ إلَهٌ غيرُ الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه أفلا تُبصرون ﴾، ما أنتم عليه من الخطأ.

﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾، أي في الليل، ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾، بالنهار، ﴿ ولعلّكم تشكرون ﴾، نِعَم الله عزّ وجلّ.

﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾، كرّر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ.

﴿لتسكنوا فيه﴾ أي في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي بالنهار ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي نعم الله فيهما ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ﴿ونزعنا﴾ يعني أخرجنا وقيل ميزنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يعني رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم ﴿فقلنا﴾ يعني للأمم المكذبة لرسلهم ﴿هاتوا برهانكم﴾ أي حجتكم بأن معي شريكاً ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي التوحيد لله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله. قوله عز وجل:

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قيل كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث. وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري ﴿فبغى عليهم﴾ قيل كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبراً (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثيابه خيلاء». أخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه﴾ جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب وقيل مفاتحه يعني خزائنه ﴿لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ معناه لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لتثقلها. قيل

﴿ ونزعنا ﴾، أخرجنا، ﴿ من كل أمة شهيداً ﴾، يعني رسولهم الذي أرسل إليهم كما قال فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، ﴿ فقلنا هاتوا برهانكم ﴾، حجّتكم بأن معي شريكاً. ﴿ فعلموا أن الحق ﴾، التوحيد، ﴿ لله وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾، في الدنيا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ قارون كان من قوم موسى ﴾. كان ابن عمّه لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، وموسى بن عمران بن قاهث، وقال ابن إسحاق: كان قارون عمّ موسى كان أخا عمران، وهما ابنا يصهر، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، ولكنه نافق كما نافق السامري، ﴿ فبغى عليهم ﴾، قيل كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فكان يبغي عليهم ويظلمهم، وقال قتادة: بغى عليهم بكثرة المال. وقال الضحاك: بغى عليهم بالشرك، وقال شهر بن حوشب: زاد في طول ثيابه شبراً وروينا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مَن جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، وقيل: بغى عليهم بالكبر والعلو، ﴿ وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتِحه ﴾، هي جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب، هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة، وقيل: مفاتح خزائنه، كما قال: ﴿ وعنده مفاتح الغيب ﴾ [الأنعام: ٥٩] أي خزائنه، ﴿ لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولي القوّة ﴾، لتثقلهم أي وتميل بهم إذا حملوها لثقلها، قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب تقديره ما إن العصبة لتنوء بها، يقال ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلاً، واختلفوا في عدد العصبة، قال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال

العصبة ما بين العشرة إلى الخمسة عشر وقال ابن عباس: ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى الأربعين. وقيل إلى السبعين قال ابن عباس: كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينما ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً ﴿إذ قال له قومه لا تفرح﴾ يعني لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ يعني الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها فأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال:

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ يعني اطلب فيما أعطاك الله من الأموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ أي لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك

الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين. وقيل: أربعون رجلاً. وقيل: سبعون. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يحمل مفاتحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال. وقال جرير عن منصور عن خيثمة، قال وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستّين بغلاً ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز، ويقال: كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع وكانت تُحمَل معه إذا ركب على أربعين بغلاً، ﴿ إذْ قال له قومُه ﴾، قال لقارون قومه من بني إسرائيل، ﴿ لا تفرح ﴾، لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح، ﴿ إنّ الله لا يحبّ الفرحين ﴾، الأشرين البطرين الذين لايشكرون الله على ما أعطاهم.

﴿ وابتغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدارَ الآخرة ﴾، اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله، ﴿ ولا تنسَ نصيبك من الدنيا ﴾، قال مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة. وقال السدي: بالصدقة وصلة الرحم، وقال علي: لا تنسَ صحتك وشبابك وغِناك أن تطلب بها الآخرة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب الشامي أنا الحسن المروزي أنا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن برقان عن زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» الحديث صحيح مُرسَل، قال الحسن أمر أن يقدّم الفضل ويمسك ما يُغنيه، قال منصور بن زاذان في قوله: ﴿ ولا تنسَ نصيبك من الدنيا ﴾ قال قوتك وقوت أهلك، ﴿ وأحسنْ كما أحسنَ الله إليك ﴾، أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته وقيل: أحسنْ إلى الناس كما أحسنَ الله إليك، ﴿ ولا تبغِ ﴾، لا تطلب، ﴿ الفسادَ في الأرض ﴾، وكل مَن عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض، ﴿ إن الله لا يحبّ المفسدين ﴾.

﴿ قال ﴾، يعني قارون، ﴿ إنما أُوتيتهُ على علم عندي ﴾ أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك ففضّلني بهذا المال عليكم كما فضّلني بغيره، قيل: هو علم الكيمياء، قال سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله. وقيل: ﴿ على علم عندي ﴾ بالتصرّف في التجارات والزراعات

وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة. عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي ﷺ **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** أي أحسن بطاعة الله كما أحسن إليك بنعمته وقيل أحسن إلى الناس **﴿ولا تبغ﴾** أي ولا تطلب **﴿الفساد في الأرض﴾** وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض **﴿إن الله لا يحب المفسدين قال﴾** يعني قارون **﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾** أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره. وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل **﴿ألم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾** أي للأموال **﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾** قيل معناه أن الله تعالى إذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم لأنه عالم بحالهم وقيل لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم. قوله عز وجل **﴿فخرج على قومه في زينته﴾** قيل: خرج هو وقومه وهم سبعون ألفاً عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سرج الأرجوان. وقيل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلاثمائة جارية بيضاء عليهم الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب **﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾** أي من المال.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿الذين أوتوا العلم﴾ أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس: يعني الأحبار من بني إسرائيل للذين تمنوا مثل

وأنواع المكاسب. قوله تعالى: **﴿ أوَ لَمْ يعلم أن الله قد أهلكَ مِنْ قبله من القرون ﴾**، الكافرة، **﴿ مَنْ هو أشدّ منه قوة وأكثر جمعاً ﴾**، للأموال، **﴿ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾**، قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: يعني لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم. قال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾، قال إبراهيم النخعي خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر، قال ابن زيد: في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات. قال مجاهد: على براذين بيض عليها سرج الأرجوان. قال مقاتل: خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابّهم الأرجوان، ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهنّ الحلي والثياب الحمر وهنّ على البِغال الشُّهب، **﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون إنّه لذُة حظٍّ عظيم ﴾**، من المال.

﴿ وقال الذين أُوتوا العلم ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الأحْبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل:

ما أوتي قارون ﴿**ويلكم ثواب الله**﴾ أي ما عند الله من الثواب والخير ﴿**خير لمن آمن**﴾ أي صدق بتوحيد الله ﴿**وعمل صالحاً**﴾ أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا ﴿**ولا يلقاها إلا الصابرون**﴾ أي لا يؤتى الأعمال الصالحة إلا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ﴿ويلكم ثواب الله خير﴾ ﴿إلا الصابرون﴾ أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا. قوله تعالى ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾.

ذكر قصة قارون

قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم. وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي. فقال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإن بني إسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإذا لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى فقال إن الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطاً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعل بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال: إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون، وهي رئاسة المذبح

أُوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للّذين تمنّوا مثل ما أُوتي قارون في الدنيا. ﴿ **ويلكم ثواب الله خير** ﴾، يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿ **لمَن آمن** ﴾، وصدّق بتوحيد الله، ﴿ **وعمل صالحاً** ﴾، مما أُوتي قارون في الدنيا، ﴿ **ولا يلقاها إلاّ الصابرون** ﴾، قال مقاتل: لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة. وقال لكلبي لا يعطاها في الآخرة. وقيل: لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلاّ الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾، قال أهل العلم بالأخبار: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى، وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يؤمر قومه أن يعلّقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أنّ مُنزِل منها كلامي، فقال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإن بني إسرائيل تحقّر هذه الخيوط، فقال له ربّه: يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير، فدعاهم موسى عليه السلام وقال: إن الله يأمركم أن تعلّقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعلت بنوإسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يُطِعْه وقال إنما يفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يتميّزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رياسة المذبح فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله، فوجد قارون من ذلك من نفسه وأتى موسى فقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا، فقال له موسى: ما أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها له، فقال قارون: والله لا أصدقك حت تُريني بيانه فجمع موسى رؤوس بني إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبّته التي كان يعبد الله فيها، فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون قد اهتزّ لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل قارون موسى بأتباعه، وجعل

فكان بنو إسرائيل يأتون بقربانهم إلى هارون فيضعها على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى إلى موسى فقال له يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك، وأنا أقرأ التوراة لا صبر لي على هذا فقال أما أنا ما جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال له قارون: والله لا أصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل لها باباً من الذهب. وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار وعلى كل ألف درهم عنها درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم أن تجيئوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل فرفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم. وقيل طستاً من ذهب

موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلاّ عتوّاً وتجبّراً ومعاداةً لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدّثونه ويضاحكونه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء على شيء، ثم رجع إله بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل فقال لهم: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا فمُرْنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه، فدعاها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل ألف دينار، وقيل طستاً من ذهب، وقيل قال لها إني أموّلك وأخلطك بنسائي على أن تقـذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فقال: يا بني إسرائيل مَن سرق قطعنا يده ومَن افترى جلدناه ثمانين، ومَن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومَن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال لـه قارون: وإن كنت أنتَ؟ قال: وإن كنتُ أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال ادعوها فإن قالت فهو كما قالت، فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظّم عليها القَسَم وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلّا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي رسول الله ﷺ، فقالتْ لاّ كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول اللّهمّ إن كنتُ رسولك فاغضبْ لي، فأوحى الله تعالى: إني أمرتُ الأرض أن تطيعك، فمُرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمَن كان معه فليثبت مكانه ومَن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا ولم يبقَ مع قارون إلّا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم فأخذت الأرض بأقدامهم. وفي رواية: كان على سريره وفرشه

وقيل قال لها قارون أنزلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج إليهم موسى وهم في مرج من الأرض فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه إلى أن يموت فقال قارون وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي قال: ادعوها فلما جاءت قال لها موسى: بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا والله ولكن قارون جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي فخرّ موسى ساجداً يبكي. ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه أني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم بأقدامهم. وقيل كان على سريره وفرشه فأخذته الأرض حتى غيبت سريره ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم، حتى قيل إنه ناشده أربعين مرة. وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فأطبقت عليهم الأرض فأوحى الله إلى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته وفي بعض الآثار لا أجعل الأرض بعدك طوعاً لأحد.

قال قتادة خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قرارها إلى يوم القيامة وأصبح بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره

فأخذته حتى غيّبت سريره ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم، حتى رُوِيَ أنه ناشده سبعين مرة وموسى عليه السلام في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدّة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض فأوحى الله إلى موسى ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، أما وعزّتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثْته. وفي بعض الآثار: لا أجعل الأرض بعدك طوعاً لأحد. قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. قال: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبدّ بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾، ﴿ فما كان له من فئة ﴾، من جماعة، ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾، يمنعونه من الله، ﴿ وما كانوا من المتنصِرين ﴾ الممتنعين مما نزل به من الخسف.

﴿ وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس ﴾، صار أولئك الذين تمنّوا ما رزقه الله من المال والزينة يتندمون على على ذلك التمنّي، والعرب تعبّر عن الصيرورة بأضحى وأمسى وأصبح تقول أصبح فلان عالماً وأضحى معدماً وأمسى حزيناً، ﴿ يقولون ويْكأنّ الله ﴾، اختلفوا في معنى هذه اللفظة، قال مجاهد: ألم تعلم، وقال قتادة: ألم ترَ. قال الفرّاء: هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله وإحسانه. وذكر أنه أخبره مَن سمع أعرابية تقول لزوجها: أين ابنك؟ فقال: ويكأنه وراء البيت، يعني أما ترينه وراء البيت. وعن الحسن: أنه كلمة ابتداء تقديره أن

وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى ﴿فما كان له من فئة﴾ يعني جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ يعني يمنعونه من الله ﴿وما كان من المنتصرين﴾ من الممتنعين مما نزل به من الخسف ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾ يعني صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من الأموال والزينة يندمون على ذلك التمني ﴿يقولون ويكأن الله﴾ ألم تعلم وقيل ألم تر. وقيل هي كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله وإحسانه وقيل ويك، بمعنى ويلك اعلم أن الله. وروي أن وي مفصولة من كأن والمعنى أن القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم وي وكأن معناها أظن وأقدر أن الله ﴿يبسط الرزق لمن يشاء من عبادة ويقدر﴾ قال ابن عباس أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء ﴿لولا أن من الله علينا﴾ أي بالإيمان ﴿لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ قوله عز وجل:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ أي استكباراً عن الإيمان وقيل علواً واستطالة على الناس وتهاوناً بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿ولا فساداً﴾ قيل الذين يدعون إلى غير عبادة الله تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾

الله يبسط الرزق. وقيل: هو تنبيه بمنزلة إلّا وقال قطرب ويك بمعنى ويلك حذفت اللام منه كما قال عنترة:

ولقـد شفى وأبـرأ سقمهـا — قول الفوارس ويك عنتر أقدم

أي ويلك، وإن منصوب بإضمار، واعلم أن الله، وقال الخليل: وي مفصولة من كأن ومعناها التعجّب كما يقول وي لِمَ فعلت ذلك، وذلك أن القوم تندموا فقالوا: وي متندمين على ما سلف منهم وكأن معناه أظن ذلك وأُقدّره، كما تقول كان الفرج قد أتاك أي أظن ذلك وأُقدّره، ﴿ يبسط الرزق لمَن يشـاء من عباده ويقـدر ﴾، أي يوسـع ويضيق، ﴿ لولا أنْ منّ الله علينا لخسف بنا ﴾، قرأ حفص ويعقوب بفتح الخاء والسين وقرأ العامّة بضم الخاء وكسر السين، ﴿ ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ﴾، قال الكلبي ومقاتل: استكباراً عن الإيمان، وقال عطاء: علوّاً واستطالةً على الناس وتهاوناً بهم، وقال الحسن: لم تطلبوا الشرف والعزّ عند ذي سلطانها. وعن علي رضي الله عنه: أنها نزلت في أهل التواضع من الولادة وأهل القدرة، ﴿ ولا فساداً ﴾ قال الكلبي: هو الدعاء إلى عبادة غير الله. وقال عكرمة: أخذ أموال الناس بغير حق. قال ابن جريج ومقاتل: العمل

تقدم تفسيره. قوله تعالى ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال ابن عباس إلى مكة. أخرجه البخاري عنه قال القتيبي: معاد الرجل بلده لأنه ينصرف فيعود إلى بلده وذلك أن النبيّ ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن رجع في الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: أتشتاق إلى بلدك؟ قال نعم قال: فإن الله تعالى يقول الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية. وقال ابن عباس أيضاً لرادك إلى الموت وقيل إلى القيامة، وقيل إلى الجنة ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبيّ ﷺ إنك لفي ضلال مبين فقال الله تعالى لهم ﴿ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ يعني نفسه ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ يعني المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين. قوله عز وجل ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ أي يوحى إليك القرآن ﴿إلا رحمة من ربك﴾ فأعطاك القرآن ﴿فلا تكونن ظهيراً﴾ أي معيناً ﴿للكافرين﴾ على دينهم ذلك حين دعوه إلى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك﴾ إلى معرفته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ قال ابن عباس: الخطاب في الظاهر للنبيّ ﷺ والمراد به أهل دينه أي ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم ﴿ولا

بالمعاصي، ﴿ والعاقبة للمتّقين ﴾، أي العاقبة المحمودة لمَن اتقى عقاب الله بأداءِ أمرِهِ واجتناب معاصيه. قال قتادة: الجنّة للمتّقين.

﴿ مَن جاء بالحسنة فله خير منها ومَن جاء بالسيئة فلا يُجزى الذين عملوا السيئات إلّا ما كانوا يعملون ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إنّ الذي فرض عليك القرآن ﴾، أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسّرين، وقال عطاء: أوجب عليك العمل بالقرآن، ﴿ لرادّكَ إلى معاد ﴾، إلى مكة، وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول مجاهد، قال القتيبي: معاد الرجل بلده لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده، وذلك أن النبي ﷺ لمّا خرج من الغار مُهاجراً إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: «نعم»، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿ إنّ الذي فرضَ عليك القرآن لرادّك إلى معاد ﴾ وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكيّة ولا مدنية. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لرادّك إلى معاد إلى الموت. وقال الزهري وعكرمة: إلى القيامة. وقيل: إلى الجنة. ﴿ قلْ ربي أعلم مَن جاء بالهدى ﴾، أي يعلم مَن جاء بالهدى وهذا جواب لكفّار مكة لما قالوا للنبي ﷺ إنك لفي ضلال، فقال الله عزّ وجلّ: قل لهم ربّي أعلم من جاء بالهدى أي يعلم مَن جاء بالهدى يعني نفسه، ﴿ ومَن هو في ضلال مبين ﴾، يعني المشركين ومعناه أعلم بالفريقين.

قوله تعالى: ﴿وما كنت أرجوا أن يُلقى إليك الكتاب ﴾، أي يوحى إليك القرآن، ﴿ إلّا رحمةً من ربك ﴾، قال الفرّاء: هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن، ﴿ فلا تكونَنّ ظهيراً للكافرين ﴾، أي مُعيناً لهم على دينهم. وقال مقاتل: وذلك حين دعى إلى دين آبائه فذكر الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه.

﴿ ولا يصدّنّك عن آيات الله ﴾، يعني القرآن، ﴿ بعد إذ أنزلت إليك وادعُ إلى ربِّك ﴾، إلى معرفته وتوحيده، ﴿ ولا تكوننّ من المشركين ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد

تدع مع الله إلهاً آخر﴾ معناه أنه واجب على الكل إلا أنه خاطبه به مخصوصاً لأجل التعظيم. فإن قلت النبيّ ﷺ كان معصوماً من أن يدعو مع الله إلهاً آخر فما فائدة هذا النهي. قلت الخطاب معه والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلاً على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره ﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك﴾ أي فان ﴿إلا وجهه﴾ أي إلا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه إلا ما أريد به وجهه لأن عمل كل شيء أريد به غير الله فهو هالك ﴿له الحكم﴾ أي فصل القضاء بين الخلق ﴿وإليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم والله أعلم بمراده.

به أهل دينه أي لا تظاهروا الكفّار ولا توافقوهم.

﴿ ولا تدعُ مع الله إلَهاً آخر لا إلَه إلّا هو كل شيء هالك إلّا وجهه ﴾، أي إلّا هو، وقيل: إلّا مُلكه، قال أبو العالية: إلّا ما أُريد به وجهه، ﴿ له الحكم ﴾، أي فصل القضاء، ﴿ وإليه ترجعون ﴾، تردون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.



تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قوله عز وجل ﴿الم أحسب الناس﴾ أي أظن الناس ﴿أن يتركوا﴾ أي بغير اختبار وابتلاء ﴿أن﴾ أي بأن ﴿يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ أي لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب. قيل: نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب النبي ﷺ أنه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فأتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار، فمنهم من قتل ومنهم

سُوْرَة العَنْكَبُوت

مكيّة وهي تسع وستّون آية.

﴿ الۤم أَحسِبَ الناسُ ﴾، أظن الناس، ﴿ أن يُتركوا ﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء، ﴿ أنْ يقولوا ﴾، أي بأن يقولوا، ﴿ آمنّا وهم لا يفتنون ﴾، لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنّهم ليبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية قال الشعبي: نزلت في أُناس كانوا بمكة قد أقرّوا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ: أنه لا يُقبَل فيكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم مَن قتل ومنهم مَن نجا، فأنزل الله هاتين الآيتين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وأراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمّار بن ياسر وغيرهم. وقال ابن جريج: نزلت في عمّار بن ياسر كان يعذّب في الله عزّ وجلّ: وقال مقاتل: نزلت في مهجع بن عبد الله

من نجا فنزل الله هاتين الآيتين. وقال ابن عباس: أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم. وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبدالله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبيّ ﷺ: «سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة» فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم**﴾ يعني الأنبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب ﴿**فليعلمن الله الذين صدقوا**﴾ أي في قولهم ﴿**وليعلمن الكاذبين**﴾ والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه. وقيل إن آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع. قوله تعالى ﴿**أم حسب الذين يعملون السيئات**﴾ يعني الشرك ﴿**أن يسبقونا**﴾ أي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم ﴿**ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله**﴾ قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله ﴿**فإن أجل الله لآت**﴾ يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب. وقيل يوم القيامة لكائن والمعنى أن من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم ﴿**وهو السميع العليم**﴾ أي يعلم ما يعمل العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو.

قوله تعالى ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**﴾ أي له ثوابه وهذا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فإن الكريم إذا وعد وفى والجهاد هو الصبر على الأعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ﴿**إن الله لغني**

مولى عمر كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، فقال النبي ﷺ: «سيد الشهداء مهجع بن عبد الله، وهو أول مَن يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»، فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقيل: ﴿ **وهم لا يفتنون** ﴾ بالأوامر والنواهي، وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشقّ على بعضهم، فأنزل الله هذه الآية، ثم عزّاهم فقال:

﴿ **ولقد فتنّا الذين من قبلهم** ﴾، يعني الأنبياء والمؤمنون فمنهم مَن نشر بالمِنشار ومنهم مَن قتل، وابتلي بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب، ﴿ **فليعلمنّ الله الذين صدقوا**﴾، في قولهم آمنّا، ﴿ **وليعلمنّ الكاذبين** ﴾، والله أعلم بهم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرنّ الله الصادقين من الكاذبين حتى يُوجدَ معلومَه، وقال مقاتل: فليرينّ الله. وقيل: ليميِّز الله كقوله: ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ [الأنفال: ٣٧].

﴿ **أم حسب الذين يعملون السيئات** ﴾، يعني الشرك، ﴿ **أن يسبقونا** ﴾، يُعْجِزونا ويفوتونا فلا نقدر على الانتقام منهم، ﴿ **ساءَ ما يحكمون** ﴾، أي بئس ما حكموا حين ظنّوا ذلك.

﴿ **مَن كان يرجوا لقاءَ الله** ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل: مَن كان يخشى البعث والحساب، والرجاء بمعنى الخوف، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: مَن كان يطمع في ثواب الله، ﴿ **فإنّ أجل الله لآتٍ** ﴾. يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب. وقال مقاتل: يعني يوم القيامة لكائن. ومعنى الآية أن مَن يخشى الله أو يأمله فليستعدّ له وليعمل لذلك اليوم، كما قال: ﴿ فمَن كان يرجوا لقاء ربه فليعملْ عملاً صالحاً ﴾ [الكهف: ١١٠]، الآية، ﴿ **وهو السميع العليم** ﴾.

﴿ **ومَن جاهد فإنّما يجاهد لنفسه** ﴾، له ثوابه، والجهاد هو الصبر على الشدّة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس. ﴿ **إنّ الله لغنيٌّ عن العالمين** ﴾، عن أعمالهم وعباداتهم.

﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرنّ عنهم سيئاتهم** ﴾، لنبطلنّها يعني حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل،

عن العالمين﴾ أي عن أعمالهم وعبادتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة فلأنه إذا كان غنياً عن الأشياء فلو أعطي جميع ما خلقه لعبد من عبيده لا شيء عليه لاستغنائه عنه. وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلأن الله إذا كان غنياً عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾** أي لنطلبنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل والتكفير إذهاب السيئة بالحسنة **﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾** أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل يعطيهم أكثر مما عملوا. قوله عز وجل **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾** معناه براً بهما وعطفاً عليهم والمعنى ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بهما ما يحسن نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والأحقاف في سعد بن أبي وقاص. وقال ابن إسحاق: سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبدشمس لما أسلم وكان من السابقين الأولين وكان باراً بأبيه. قالت له أمه: ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوماً آخر وليلة فجاءها فقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمره بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى **﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾** وفي الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الله» ثم أوعد بالمصير إليه فقال تعالى **﴿إلي مرجعكم فأنبئكم﴾** أي فأخبركم **﴿بما كنتم تعملون﴾** أي بصالح أعمالكم وسيئاتها أي فأجازيكم عليها.

وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾

فالتكفير إذهاب السيئة بالحسنة، **﴿ولنجزينّهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾**، أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة، وقيل: نعطيهم أكثر مما عملوا وأحسن، كما قال: **﴿مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** [الأنعام: ١٦٠].

قوله عزّ وجلّ: **﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حُسْناً﴾**، أي برّاً بهما عطفاً عليهما معناه ووصّينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن، نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان [١٤] والأحزاب [٧٢] في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو سعد بن مالك وإسحاق الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لمّا أسلم، وكان من السابقين الأوّلين وكان بارّاً بأمه قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنتَ عليه أو أموت فتعيّر بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظلّ فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أمّاه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيِسَت منه أكلت وشربت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمره بالبرّ بوالديه والإحسان إليهما وأن لا تطعهما في الشرك، فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿وإنْ جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾**، جاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ثم أوعد بالمصير إليه فقال: **﴿إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**، أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين**﴾ أي في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة. قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي**﴾ يعني أصابه بلاء من الناس افتتن ﴿**في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**﴾ أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى أنه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه وهو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر ﴿**ولئن جاء نصر من ربك**﴾ أي فتح ودولة للمؤمنين ﴿**ليقولن**﴾ أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين ﴿**إنا كنا معكم**﴾ أي على عدوكم وكنا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأكذبهم الله تعالى فقال ﴿**أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين**﴾ أي من الإيمان والنفاق ﴿**وليعلمن الله الذين آمنوا**﴾ أي صدقوا فثبتوا على الإيمان والإسلام عند البلاء. ﴿**وليعلمن المنافقين**﴾ أي بترك الإسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا. وقال ابن عباس: نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر وهم

﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنّهم في الصالحين** ﴾، في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء، وقيل: في مدخل الصالحين، وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿ **ومِنَ الناس مَنْ يقول آمنّا بالله فإذا أُوذِيَ في الله** ﴾، أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿ **جعل فتنة الناس كعذاب الله** ﴾، أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله مَن يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالا هو المنافق إذا أُوذي في الله رجع عن الدين وكفر، ﴿ **ولئن جاء نصرٌ من ربك** ﴾، أي فتح ودولة للمؤمنين، ﴿ **لَيَقُولُنَّ** ﴾، يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين، ﴿ **إنّا كنّا معكم** ﴾، على عدوّكم وكنّا مسلمين وإنما أُكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذّبهم الله وقال: ﴿ **أوَ ليس الله بأعلمَ بما في صدور العالمين** ﴾، من الإيمان والنفاق.

﴿ **وليعلمنّ الله الذين آمنوا** ﴾، صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء، ﴿ **وليعلمنّ المنافقين** ﴾، بترك الإسلام عند نزول البلاء، واختلفوا في نزول هذه الآية، قال مجاهد: نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاءٌ من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا. وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في الذين أخرجهم المشركون فأصابهم البلاء معهم في بدر، وهم الذين نزلت فيهم: ﴿ إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ [النساء: ٩٧]، وقال قتادة: نزلت في القوم الذين ردّهم المشركون إلى مكة، قال الشعبي: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدنية وباقي السور مكيّة.

﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبعُوا سبيلنا** ﴾، قال مجاهد: هذا من قول كفّار مكة لمَن آمن منهم. وقال

الذين نزلت فيهم ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ها هنا مدنية وباقي السورة مكية ﴿**وقال الذين كفروا**﴾ يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان ﴿**للذين آمنوا**﴾ أي من قريش ﴿**اتبعوا سبيلنا**﴾ يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ﴿**ولنحمل خطاياكم**﴾ أي أوزاركم والمعنى إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فأكذبهم الله عز وجل بقوله ﴿**وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون**﴾ في قولهم نحمل خطاياكم ﴿**وليحملن أثقالهم**﴾ أي أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم ﴿**وأثقالاً مع أثقالهم**﴾ أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم. فإن قلت قد قال أولاً وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقال ها هنا وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فكيف الجمع بينهما. قلت: معناه إنهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزاراً بسبب إضلال غيرهم فهو كقوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم ﴿**وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون**﴾ أي سؤال توبيخ وتقريع لأنه تعالى عالم بأعمالهم وافترائهم. قوله تعالى ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث**﴾ أي فأقام ﴿**فيهم**﴾ يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ﴿**ألف سنة إلا خمسين عاماً**﴾ فإن قلت فما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان إحداهما: أن الاستثناء يدل على التحقيق. وتركه يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة فقد يتوهم السائل أنه يقول مائة سنة تقريباً لا تحقيقاً فإن قال مائة سنة إلا شهراً أو إلا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية: هي لبيان أن نوحاً صبر على أذى قومه صبراً كثيراً وأعلى مراتب العدد ألف سنة. وكان المراد التكثير فلذلك أتى بعقد الألف لأنه أعظم وأفخم هذه تسلية للنبي ﷺ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله وأن نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك.

الكلبي ومقاتل: قاله أبو سفيان لمَن آمن من قريش اتّبعوا سبيلنا ديننا وملّة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تَبِعَة من الله تصيبكم، فذلك قوله: ﴿ **ولنحملْ خطاياكم** ﴾ أوزاركم، قال الفرّاء: لفظه أمر معناه خبر، مجازه: إن اتّبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، كقوله: ﴿ فليلقه اليمّ بالساحل ﴾ [طه: ٣٩]، وقيل: هو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عزّ وجلّ فقال: ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ﴾، أي فيما قالوا من حمل خطاياهم.

﴿ **ولَيَحْمِلُنّ أثقالهم** ﴾، أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم، ﴿ **وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾، أي أوزار مَن أضلّوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، نظيره قولهُ عزّ وجلّ: ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ﴾ [النحل: ٢٥]. ﴿ **ولَيُسْئَلُنّ يوم القيامة عمّا كانوا يفترون** ﴾، سؤال توبيخ وتقريع.

قوله تعالى: ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان** ﴾، فغرقوا، ﴿ **وهم ظالمون** ﴾، قال ابن عباس: مشركون.

﴿ **فأنجيناه وأصحابَ السفينة** ﴾، يعني من الغرق، ﴿ **وجعلناها** ﴾، يعني السفينة ﴿ **آية** ﴾، أي عبرة، ﴿ **للعالمين** ﴾، فإنها كانت باقية على الجودي مدة مديدة. وقيل: جعلنا عقوبتهم للغرق عبرة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستّين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره ألفاً وخمسين سنة.

قال ابن عباس: بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره ألفاً وخمسين عاماً. وقيل في عمره غير ذلك. قوله تعالى ﴿**فأخذهم الطوفان**﴾ أي فأغرقهم ﴿**وهم ظالمون**﴾ قال ابن عباس مشركون ﴿**فأنجيناه وأصحاب السفينة**﴾ يعني من الغرق ﴿**وجعلناها**﴾ يعني السفينة ﴿**آية**﴾ أي عبرة ﴿**للعالمين**﴾ قيل إنها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة. قوله تعالى ﴿**وإبراهيم**﴾ أي وأرسلنا إبراهيم ﴿**إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه**﴾ أي أطيعوا الله وخافوه ﴿**ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ أي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم لا تعلمون ﴿**إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً**﴾ أي تقولون كذباً وقيل تصنعون أصناماً بأيديكم وتسمونها آلهة ﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً**﴾ أي لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿**فابتغوا**﴾ أي فاطلبوا ﴿**عند الله الرزق**﴾ فإنه القادر على ذلك ﴿**واعبدوه**﴾ أي وحدوه ﴿**واشكروا له**﴾ لأنه المنعم عليكم بالرزق ﴿**إليه ترجعون**﴾ أي في الآخرة ﴿**وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم**﴾ أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فأهلكهم الله ﴿**وما على الرسول إلا البلاغ المبين**﴾ قوله تعالى:

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتِنَا

قوله تعالى: ﴿ **وإبراهيم** ﴾، أي وأرسلنا إبراهيم، ﴿ **إذْ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه** ﴾، أطيعوه وخافوه، ﴿ **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾.

﴿ **إنما تعبدون من دون الله أوثاناً** ﴾ أصناماً، ﴿ **وتخلقون إفكاً** ﴾، تقولون كذباً، قال مقاتل: تصنعون أصناماً بأيديكم فتسمّونها آلهة، ﴿ **إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً** ﴾، لا يقدرون أن يرزقوكم، ﴿ **فابتغوا** ﴾، فاطلبوا، ﴿ **عند الله الرزق واعبدوه واشكروا إليه تُرجعون** ﴾.

﴿ **وإن تُكذبوا فقد كذب أُممٌ من قبلكم** ﴾، مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، ﴿ **وما على الرسول إلّا البلاغ المبين** ﴾.

بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾

﴿أو لم يروا﴾ قيل هذه الآيات إلى قوله فما كان جواب قومه يحتمل أن تكون من تمام قول إبراهيم لقومه وقيل إنها وقعت معترضة في قصة إبراهيم وهي في تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أو لم يروا أو لم يعلموا ﴿كيف يبدىء الله الخلق﴾ أي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ثم يعيده﴾ أي في الآخرة عند البعث ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي الخلق الأول والخلق الثاني ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أي انظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ﴿ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾ أي ثم إن الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه إحداثهم مبدئاً كذلك لا يتعذر عليه إنشاؤهم معيداً بعد الموت ثانياً ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي من البداءة والإعادة ﴿يعذب من يشاء﴾ عدلاً منه ﴿ويرحم من يشاء﴾ تفضلاً ﴿وإليه تقلبون﴾ أي تردون ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ قيل معناه ولا من في السماء بمعجزين والمعنى أنه لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء لو كنتم فيها ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ أي يمنعكم مني ﴿ولا نصير﴾ أي ينصركم من عذابي ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ يعني بالقرآن ﴿ولقائه﴾ أي البعث ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ يعني الجنة ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ فهذا آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد إلى قصة إبراهيم

﴿ أو لم يروا كيف يُبدىءُ الله الخلقَ ﴾، كيف يخلقهم ابتداء نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿ ثم يعيده ﴾ في الآخرة بعد البعث ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾.

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم، ﴿ ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ﴾، أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت، فكما لم يتعذّر عليه إحداثها مبدئاً لا يتعذر عليه إنشاؤها مُعيداً، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿ النشأة ﴾ بفتح الشين ممدودة حيث وقعت، وقرأ الآخرون بسكون الشين مقصورة نظيرها الرأفة والرآفة، ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾.

﴿ يعذب مَن يشاء ويرحم مَن يشاء وإليه تقلبون ﴾، تردون.

﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ﴾، فإن قيل ما وجه قوله: ﴿ ولا في السماء ﴾ والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفرّاء: معناه ولا مَن في السماء بمُعجِز كقول حسّان بن ثابت:

فمَن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

أراد مَن يمدحه ومَن ينصره فأضمر من، يريد لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء. وقال قطرب: معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها، كقول القائل: ما يفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها، ﴿ وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير ﴾، أي من وليّ يمنعكم منّي ولا نصير ينصركم من عذابي.

﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ بالقرآن وبالبعث، ﴿ أولئك يَئِسُوا من رحمتي ﴾، جنتي، ﴿ وأولئك لهم عذاب أليم ﴾، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال جلّ ذكره:

﴿ فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجاه الله من النار ﴾، وجعلها عليه برداً وسلاماً، ﴿ إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾، يصدقون.

عليه السلام فقال تعالى ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للأتباع ﴿اقتلوه أو حرقوه﴾ ﴿فأنجاه الله من النار﴾ أي بأن جعلها برداً وسلاماً قيل إن ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار ﴿إن في ذلك لآيات لقومم يؤمنون﴾ يصدقون ﴿وقال﴾ يعني إبراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه إنكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة ﴿ومأواكم النار﴾ يعني العابدين والمعبودين جميعاً ﴿وما لكم من ناصرين﴾ أي مانعين من عذابه ﴿فآمن له لوط﴾ أي صدقه برسالته لما رأى معجزاته وهو أول من صدق إبراهيم وأما في أصل التوحيد فإنه كان مؤمناً لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر ﴿وقال﴾ يعني إبراهيم ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ إلى حيث أمرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم هاجر إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر إلى الله تعالى وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه. قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ﴿إنه هو العزيز﴾ أي الذي لا يغلب والذي يمنعني من أعدائي ﴿الحكيم﴾ الذي لا يأمرني إلا بما يصلحني.

قوله تعالى ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ يقال إن الله تعالى لم يبعث نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ هو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه

﴿ وقال ﴾، يعني إبراهيم لقومه، ﴿ إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودَّةَ بينكم ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب: ﴿ مودّة ﴾ رفعاً بلا تنوين، ﴿ بينكم ﴾ خفضاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذتم من دون الله أوثاناً هي مودّة بينكم، ﴿ في الحياة الدنيا ﴾، ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة وحفص: ﴿ مودّة ﴾ نصباً بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الآخرون ﴿ مودّة ﴾ منصوبة منوّنة بينكم بالنصب، معناه إنكم اتخذتم هذه الأوثان مودّةً بينكم في الحياة الدنيا تتواردون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا، ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾، تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع وتلعن الأتباع القادة، ﴿ ومأواكم ﴾، جميعاً العابدون والمعبودون، ﴿ النار وما لكم من ناصرين ﴾.

﴿ فآمن له لوط ﴾، يعني صدّقه وهو أول مَن صدّق إبراهيم وكان ابن أخيه، ﴿ وقال ﴾ يعني إبراهيم ﴿ إني مهاجرٌ إلى ربّي ﴾، فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة إلى حرّان ثم إلى الشام، ومع لوط امرأته سارة وهو أول مَن هاجر، قال مقاتل: هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿ إنه هو العزيز الحكيم ﴾.

﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوّة والكتاب ﴾، يقال: إن الله لم يبعث نبيّاً بعد إبراهيم إلاّ من نسله، ﴿وآتيناه أجره في الدنيا ﴾، وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولّونه، وقال السدي: هو الولد الصالح، وقيل: هو أنه رأى مكانه في الجنة، ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾، أي في زمرة الصالحين. قال ابن عباس مثل آدم ونوح.

قوله تعالى: ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أئنكم ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿ أئنكم ﴾ بالاستفهام، وقرأ الباقون بلا استفهام، واتفقوا على استفهام الثانية، ﴿ لتأتون الفاحشة ﴾، وهي إتيان الرجال، ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾.

﴿ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ﴾، وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمَن يمرّ بهم من المسافرين.

والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له في الدنيا ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح. قوله عز وجل ﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ أي الفعلة القبيحة ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ أي لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ يعني أنكم تقضون الشهوة من الرجال ﴿وتقطعون السبيل﴾ وذلك أنهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لأجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ أي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هانىء بنت أبي طالب عن النبي ﷺ في قوله وتأتون في دنياكم المنكر قال «كانوا يحذفون أهل الأرض ويسخرون منهم» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمي الحصى بين الأصابع قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه قال: أنا أولى به وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل إنهم كانوا يجامعون بعضهم بعضاً في مجالسهم وقيل إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبدالله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض. وقيل كان أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح ﴿إلا أن قالوا﴾ أي استهزاء ﴿ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ أي إن العذاب نازل بنا فعند ذلك

قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا

فترك الناس الممر بهم. وقيل: تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء، ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾، النادي والندى والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو العباس بن سهل بن محمد المروزي أنا جدي لأمي أبو الحسن المحمودي أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة أن بشر بن معاذ حدّثهم أنا يزيد بن زريع أنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح مولد أُم هانىء بنت أبي طالب عن أُم هانىء قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾، قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتونه؟ قال: «كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون بهم»، ورُوِيَ أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيه حصى فإذا مرّ بهم عابر سبيل حذفوه فأيّهم أصابه كان أولى بهم. وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاضٍ بذلك، وقال القاسم بن محمد: كانوا يتضارطون في مجالسهم. وقال مجاهد: كان يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم. وعن عبد الله بن سلام قال: كان يبزق بعضهم على بعض. وعن مكحول قال: كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحنّاء وحلّ الإزار والصفير والحذف واللواطية، ﴿ فما كان جواب قومه ﴾، لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح، ﴿ إلاّ أن قالوا ﴾، له استهزاء ﴿ ائتنا بعذاب الله إن كنتَ من الصادقين ﴾، أن العذاب نازل بنا، فعند ذلك.

تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿**قال رب انصرني على القوم المفسدين**﴾ أي بتحقيق قولي إن العذاب نازل بهم. قوله عز وجل ﴿**ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**﴾ أي من الله بإسحاق ويعقوب ﴿**قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية**﴾ أي قوم لوط والقرية سدوم ﴿**إن أهلها كانوا ظالمين قال**﴾ يعني إبراهيم إشفاقاً على لوط وليعلم حاله ﴿**إن فيها لوطاً قالوا**﴾ أي قالت الملائكة ﴿**نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين**﴾ أي من الباقين في العذاب ﴿**ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم**﴾ أي ظنهم من الإنس فخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ما ساءه ﴿**وضاق بهم ذرعاً**﴾ أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك ﴿**وقالوا لا تخف**﴾ أي من قومك ﴿**ولا تحزن**﴾ علينا ﴿**إنا منجوك وأهلك**﴾ أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك ﴿**إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً**﴾ أي عذاباً ﴿**من السماء**﴾ قيل هو الخسف والحصب بالحجارة ﴿**بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها**﴾ أي من قريات لوط ﴿**آية بينة**﴾ أي عبرة ظاهرة

﴿ **قال** ﴾، لوط، ﴿ **ربِّ انصرني على القوم المفسدين** ﴾، بتحقيق قولي في العذاب.

﴿ **ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى** ﴾، من الله بإسحاق ويعقوب، ﴿ **قالوا إنَّا مُهلكوا أهلَ هذه القرية** ﴾، يعني قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿ **إن أهلها كانوا ظالمين** ﴾.

﴿ **قال** ﴾، إبراهيم للرسل، ﴿ **إن فيها لوطاً قالوا** ﴾، قالت الملائكة، ﴿ **نحن أعلم بمَن فيها لَنُنَجِّيَنَّه** ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (لننجيه) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ﴿ **وأهله إلَّا امرأَته كانتْ من الغابرين** ﴾، أي الباقين في العذاب.

﴿ **ولما أن جاءتْ رسلُنا لوطاً** ﴾، ظن أنهم من الإنس، ﴿ **سيء بهم** ﴾، حزن بهم، ﴿ **وضاق بهم** ﴾، بمجيئهم ﴿ **ذرعاً وقالوا لا تخفْ** ﴾، من قومك علينا، ﴿ **ولا تحزن** ﴾، بإهلاكنا إيّاهم، ﴿ **إنَّا مُنجُّوك وأهلك إلَّا امرأتك كانت من الغابرين** ﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: «منجـوك» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد.

﴿ **إنَّا منزلون** ﴾، قرأ ابن عامر بالتشديد، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿ **على أهل هذه القرية رِجْزاً** ﴾، عذاباً، ﴿ **من السماء** ﴾، قال مقاتل: الخسف والحصب، ﴿ **بما كانوا يفسقون** ﴾.

﴿ **ولقد تركنا منها** ﴾، من قريات لوط، ﴿ **آية بيِّنة** ﴾، عبرة ظاهرة، ﴿ **لقوم يعقلون** ﴾، يتدبرون الآيات تدبّر ذوي العقول، قال ابن عباس: الآية البيِّنة هي آثار منازلهم الخربة. وقال قتادة: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقال مجاهد: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض.

﴿لقوم يعقلون﴾ يعني أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض. قوله تعالى ﴿وإلى مدين﴾ أي وأرسلنا إلى مدين؛ ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة؛ فعلى القول الأول يكون المعنى وأرسلنا إلى ذرية مدين وأولاده؛ وعلى القول الثاني وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿أخاهم شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي افعلوا فعل من يرجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ أي الزلزلة وذلك أن جبريل صاح فرجفت الأرض رجفة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي باركين على الركب ميتين ﴿وعاداً وثمود﴾ أي وأهلكنا عاداً وثمود ﴿وقد تبين لكم﴾ يا أهل مكة ﴿من مساكنهم﴾ أي منازلهم بالحجر واليمن ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي عبادتهم لغير الله ﴿فصدهم عن السبيل﴾ أي عن سبيل الحق ﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي عقلاء ذوي بصائر. وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين ﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ أي أهلكنا هؤلاء ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ أي بالدلالات الواضحات ﴿فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ أي فائتين من عذابنا ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ يعني ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ أي بالهلاك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي بالإشراك. قوله تعالى:

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾، أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شُعيباً، ﴿ فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ﴾، أي واخشوا اليوم الآخر، ﴿ ولا تَعْثَوا في الأرض مفسدين ﴾.

﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾.

﴿ وعاداً وثموداً ﴾، أي وأهلكنا عاداً وثمود، ﴿ وقد تبيّن لكم ﴾، يا أهل مكة، ﴿ من مساكنهم ﴾، منازلهم بالحجر واليمن، ﴿ وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل ﴾، عن سبيل الحق ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾، قال مقاتل والكلبي وقتادة: كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى، وهم على الباطل، والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين، قال الفرّاء: كانوا عقلاء ذوي بصائر.

﴿ وقارون وفرعون وهامان ﴾، أي وأهلكنا هؤلاء، ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبيّنات ﴾، بالدلالات، ﴿ فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴾، أي فائتين من عذابنا.

﴿ فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم مَن أرسلنا عليه حاصباً ﴾، وهم قوم لوط، والحاصب الريح التي تحمل الحصا وهي الحصا الصغار، ﴿ ومنهم مَن أخذته الصيحة ﴾، يعني ثمود، ﴿ ومنهم مَن خسفنا به الأرض ﴾، يعني قارون وأصحابه، ﴿ ومنهم مَن أغرقنا ﴾، يعني قوم نوح وفرعون وقومه، ﴿ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني الأصنام يرجون نصرها ونفعها **﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾** لنفسها تأوي إليه وإن بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حراً ولا برداً فكذلك الأوثان لا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً. وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتاً من نسجها بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً بآجر وجص أو نحته من صخر فكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لأنها لا تضر ولا تنفع **﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾** أشار إلى ضعفه فإن الريح إذا هبت عليه أو لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا أثر فقد صح أن أوهن البيوت لبيت العنكبوت وقد تبين أن دينهم أوهن الأديان **﴿لو كانوا يعلمون﴾** أي أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن **﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾** هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني إن الذي يدعون من دونه ليس بشيء **﴿وهو العزيز الحكيم﴾** معناه كيف يجوز للعاقل أن يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة من ليس بشيء أصلاً **﴿وتلك الأمثال﴾** أي الأشباه يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار من هذه الأمة بأحوال كفار الأمم السابقة **﴿نضربها﴾** أي نبينها **﴿للناس﴾** أي لكفار مكة **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾** يعني ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ تلا هذه الآية. **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾** قال: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ﴾، أي الأصنام يرجون نصرها ونفعها، **﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾**، لنفسها تأوي إليه، وإن بيتها في غاية الضعف والوهن، لا يدفع عنها حرّاً ولا برداً، فكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرّاً. **﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾**.

﴿ إنّ الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ﴾، قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياء لذكر الأمم قبلها، وقرأ الآخرون بالتاء.

﴿ وتلك الأمثال ﴾ الأشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول يريد أمثال القرآن التي شبّه بها أحوال كفّار هذه الأمة بأحوال كفّار الأمم المتقدمة، **﴿ نضربها ﴾**، نبيّنها، **﴿ للناس ﴾**، قال عطاء ومقاتل لكفّار مكة، **﴿ وما يعقلها إلاّ العالمون ﴾**، أي ما يعقل الأمثال إلاّ العلماء الذين يعقلون عن الله، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن بردة أنا الحرب بن أبي أسامة أنا داود بن المحبر أنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: **﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون ﴾**، قال: العالم مَن عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ خلق الله السموات والأرض بالحق ﴾**، أي للحق وإظهار الحق، **﴿ إن في ذلك ﴾**، في خلقها، **﴿ لآية ﴾**، لدلالة **﴿ للمؤمنين ﴾**، على قدرته وتوحيده.

﴿ اتل ما أُوحي إليك من الكتاب ﴾، يعني القرآن، **﴿ وأقم الصلاةَ إنّ الصلاةَ تنهَى عن الفحشاء والمنكر ﴾**، الفحشاء ما قبح من الأعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع، قال ابن مسعود وابن عباس: في الصلاة منتهي ومزدجر عن معاصي الله فمَن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلاّ بُعداً.

واجتنب سخطه» ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي للحق وإظهار الحق ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي دلالة ﴿للمؤمنين﴾ على قدرته وتوحيده.

وقوله تعالى ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿وأقم الصلاة﴾ فإن قلت: لم أمر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط؟ قلت لأن العبادة المختصة بالعبد ثلاثة: قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح، لكن الاعتقاد لا يتكرر فإن اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمراً فبقي الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك أمر بهما ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء﴾ أي ما قبح من الأعمال ﴿والمنكر﴾ أي ما لا يعرف في الشرع. قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله إلا بعداً. وقال الحسن وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك إلى ترك المعاصي والسيئات كما روي عن أنس قال: «كان فتى من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله ﷺ ثم لم يدع من الفواحش شيئاً إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال إن صلاته ستنهاه يوماً فلم يلبث أن تاب وحسنت حاله» وقيل: معنى الآية أنه ما دام في صلاته فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله: «إن في الصلاة لشغلاً» وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه أن القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال: قال رجل لرسول الله ﷺ «إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق قال ستنهاه قراءته». وفي رواية «أنه قيل يا رسول الله إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه» وعلى كل حال فإن المراعي للصلاة لا بد وأن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي أنه أفضل الطاعات. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم

وقال الحسن وقتادة: مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وِبال عليه. ورُوِيَ عن أنس قال: كان فتىً من الأنصار يصلّي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلّا ركبه فوصف لرسول الله ﷺ حاله فقال: «إن صلاته تنهاه يوماً» فلم يلبث أن تاب وحسُنَ حاله، فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يوماً»، وقال ابن عون: معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها. وقيل: أراد بالصلاة القرآن، كما قال تعالى: ﴿ ولا تجهرْ بصلاتك ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي بقراءتك. وقيل: أراد أن يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا القيس بن الربيع عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رجل للنبي ﷺ: إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق، قال: «ستنهاه قراءته»، وفي رواية قيل: يا رسول الله إن فلاناً يصلّي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «إن صلاته لتردعه»، قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾، أي ذكر الله أفضل الطاعات، أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشر أن ببغداد أنا أبو علي الحسين بن صفوان البرادعي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا أنا هارون بن معروف أنا أبوعلي الضرير أنا أنس بن عياض ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس عن أبي مخرمة عن أبي الدرداء رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا منصور محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الأسود أنا أبو لهيعة عن دراج عن أبي

من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله». أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال: «إن رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال الذاكرون الله كثيراً قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله؟ فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة» (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» يروي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء إذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعياً للأمر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». وروي «أن أعرابياً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله» وقال ابن عباس: معنى ولذكر الله أكبر ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه ويروى ذلك مرفوعاً عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ وقال ابن عطاء ولذكر الله أكبر أي لن تبقى معه معصية ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ يعني لا يخفى عليه شيء من أمركم. قوله عز وجل:

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا

السمح عن الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سُئِلَ أيّ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، قيل: يا رسول الله والغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه في الكفّار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكر لله أفضل منه درجة»، وروينا أن أعرابياً قال: يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله»، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج القشيري أنا أميّة بن بسطام العبسي أنا يزيد بن زريع أنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا حمدان سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا خلّاد بن أسلم ثنا النضر أنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ، قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلّا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». وقال قوم: معنى قوله ولذكر الله أكبر أي ذكر الله إيّاكم أفضل من ذكركم إيّاه. ويُروَى ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، ويُروى ذلك مرفوعاً عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وقال عطاء في قوله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر»، قال: ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية. ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾، قال عطاء: يريد لا يخفى عليه شيء.

ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ أي ولا تخاصموهم **﴿إلا بالتي هي أحسن﴾** أي القرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم **﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾** يعني أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فافجؤوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية إلا الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له. وقيل الآية منسوخة بآية السيف **﴿وقولوا﴾** أي للذين قبلوا الجزية إذا حدثوكم بشيء مما في كتبكم **﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾** (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا» الآية.

قوله عز وجل **﴿وكذلك﴾** أي كما أنزلنا إليهم الكتاب **﴿أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾** يعني مؤمني أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه **﴿ومن هؤلاء﴾** يعني أهل مكة **﴿من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾** وذلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله ﷺ نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود إنما يكون بعد المعرفة **﴿وما كنت تتلو﴾** يا محمد **﴿من قبله من كتاب﴾** معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب **﴿ولا تخطه بيمينك﴾** يعني

قوله تعالى: **﴿ ولا تُجادِلُوا أهل الكتاب ﴾**، لا تخاصموهم، **﴿ إلاّ بالتي هي أحسن ﴾**، أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه، وأراد مَن قَبِلَ الجزية منهم، **﴿ إلاّ الذين ظلموا منهم ﴾**، أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ومجاز الآية إلاّ الذين ظلموكم لأن جميعهم ظالم بالكفر. وقال سعيد بن جبير هم: أهل الحرب ومَن لا عهد له. قال قتادة ومقاتل: صارت منسوخة بقوله: **﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ﴾** [التوبة: ٢٩]. **﴿ وقولوا آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم ﴾**، يريد إذا أخبركم واحد منهم مما قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، **وإلَهنا وإلَهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾**، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن يسار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم»، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحق بن إبراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أنا ابن أبي نملة الأنصاري أن أباه أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاء رجل من اليهود ومرّ بجنازة، فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنّا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه وإن كان حقّاً لم تكذبوه».

ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي ﴿إذاً لارتاب المبطلون﴾ معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي إليك لارتاب المشركون من أهل مكة، وقالوا إنه يقرأه من كتب الأولين أو ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه أنهم إذاً لشكوا فيه واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت **﴿بل هو آيات بينات﴾** يعني القرآن **﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾** يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمداً ﷺ ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدون نعته وصفته في كتبهم **﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾** يعني اليهود **﴿وقالوا﴾** يعني كفار مكة **﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾** أي كما أنزل على الأنبياء من قبل وقيل: أراد بالآيات معجزات الأنبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك **﴿قل إنما الآيات عند الله﴾** أي هو القادر على إنزالها إن شاء أنزلها **﴿وإنما أنا نذير مبين﴾** أي إنما كلفت الإنذار وليس إنزال الآيات بيدي **﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا﴾** هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم أنا أنزلنا **﴿عليك الكتاب يتلى عليهم﴾** معناه أن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها **﴿إن في ذلك﴾** يعني القرآن **﴿لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾** أي تذكيراً وعظة لمن آمن به وعمل صالحاً **﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا﴾** قال ابن عباس معناه يشهد لي أني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب، وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه **﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾** أي

قوله تعالى: **﴿ وكذلك ﴾** يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب، **﴿ أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ﴾**، يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، **﴿ ومن هؤلاء ﴾**، يعني أهل مكة، **﴿ مَن يؤمن به ﴾**، وهم مؤمنوا أهل مكة، **﴿ وما يجحد بآياتنا إلاّ الكافرون ﴾**، وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

﴿ وما كنت تتلوا﴾، يا محمد، **﴿ من قبله من كتاب ﴾**، يعني من قبل ما أُنزل إليك الكتاب، **﴿ ولا تخطّه بيمينك ﴾**، يعني ولا تكتبه يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، **﴿ إذاً لارتاب المبطلون ﴾**، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشكّ المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: المبطلون هم اليهود، ومعناه إذاً لشكّوا فيك واتّهموك، وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة أُمّي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت.

﴿ بل هو آيات بيّنات ﴾، قال الحسن يعني القرآن آيات بيّنات، **﴿ في صدور الذين أُوتوا العلم ﴾**، يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: بل هو يعني محمداً ﷺ ذو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم، **﴿ وما يجحد بآياتنا إلاّ الظالمون ﴾**.

﴿ وقالوا لولا أُنزل عليه آية من ربه ﴾، كما أنزل على الأنبياء من قبل، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر آية على التوحيد، وقرأ الآخرون آيات من ربه. قوله عزّ وجلّ: **﴿ قل إنما الآيات عند الله ﴾**، وهو القادر على إرسالها إذا شاء أرسلها، **﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾**، أنذر أهل المعصية بالنار، وليس إنزال الآيات بيدي.

﴿ أوَ لم يكفهم ﴾، هذا الجواب لقولهم: **﴿ لولا نزّل عليه آية من ربه ﴾** [الأنعام: ٣٧] قال: **﴿ أوَ لم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم ﴾**، يعني أوَ لم يكفهم من الآيات القرآن يُتلى عليهم، **﴿ إن في ذلك ﴾**، في إنزال القرآن، **﴿ لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾**، أي تذكيراً وعظة لمَن آمن وعمل به.

هو المطلع على أمري وأمركم ويعلم حقي وباطلكم لا تخفى عليه خافية ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ قال ابن عباس: بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لأن ما سوى الله باطل ﴿وكفروا بالله﴾. فإن قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد. قلت نعم فائدته أن ذكر الثاني لبيان قبح الأول فهو كقول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان أن الباطل قبيح ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.
قوله عز وجل ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ نزلت في النضر بن الحارث حيث قال «فأمطر علينا حجارة من السماء» ﴿ولولا أجل مسمى﴾ قال ابن عباس ما وعدتك أني لا أعذب قومك ولا استأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر ﴿لجاءهم العذاب وليأتينهم﴾ يعني العذاب، وقيل الأجل ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ بإتيانه.

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ أعاده تأكيداً ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ أي جامعة لهم لا يبقى منهم أحد إلا دخلها ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ أي يصيبهم ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملون. قوله تعالى ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة فإنها واسعة آمنة، وقيل

﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾، أني رسوله وهذا القرآن كتابه، ﴿ يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل ﴾، قال ابن عباس: بغير الله. وقال قتادة: بعبادة الشيطان، ﴿ وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾.

﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾، نزلت في النضر بن الحارث حين قال: فأمطر علينا حجارة من السماء، ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾، قال ابن عباس: ما وعدتك أني لا أُعذّب قومك ولا أستأصلهم وأُؤخّر عذابهم يعني لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب، وقيل: يوم بدر، ﴿ لجاءهم العذاب وليأتينّهم ﴾، يعني العذاب وقيل الأجل، ﴿ بغتة وهم لا يشعرون ﴾، بإتيانه.

﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾، أعاده تأكيداً، ﴿ وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين ﴾، جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلّا دخلها.

﴿ يوم يغشاهم ﴾، يصيبهم، ﴿ العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾، يعني إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، ﴿ ويقول ذوقوا ﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة: ﴿ ويقول ﴾ بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم ذوقوا، وقرأ الآخرون بالنون لأنه لما كان بأمره نسب إليه، ﴿ ما كنتم تعملون ﴾، أي جزاء ما كنتم تعملون.

نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل المعنى فهاجروا فيها أي فجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير: إذا عملوا في الأرض بالمعاصي فاهربوا منها فإن أرضي واسعة وقيل إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى بلد تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى إن أرضي واسعة يعني رزقي لكم واسع فاخرجوا ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ يعني كل أحد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿**ثم إلينا ترجعون**﴾ فنجزيكم بأعمالكم.

قوله تعالى ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً**﴾ أي علالي جمع غرفة وهي العلية ﴿**تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العالمين**﴾ أي لله بطاعته ﴿**الذين صبروا**﴾ على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ﴿**وعلى ربهم يتوكلون**﴾ أي يعتمدون على الله في جميع أمورهم. قوله عز وجل ﴿**وكأين من دابة لا تحمل رزقها**﴾ وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون «هاجروا إلى المدينة

﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعة فإياي فاعبدون** ﴾، قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة إن أرضي يعني المدينة واسعة آمنة، قال مجاهد: إنّ أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل مَن كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقيل: نزلت في قوم تخلّفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج. وقال مطرف بن عبد الله: أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا.

﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾، خوّفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، ﴿ **ثم إلينا ترجعون** ﴾، فنجزيكم بأعمالكم، وقرأ أبو بكر: (يرجعون) بالياء.

﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوِّئنهم** ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالثاء ساكنة من غير همز فقال: ثوى الرجل إذا أقام وأثوبته إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الآخرون بالباء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لننزلنّهم، ﴿ **من الجنة غرفاً** ﴾، علالي، ﴿ **تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين** ﴾.

﴿ **الذين صبروا** ﴾، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدّة لحقتهم، ﴿ **وعلى ربّهم يتوكلون** ﴾، يعتمدون.

﴿ **وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها** ﴾، وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمَن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله: ﴿ **وكأيّن من دابّة** ﴾ ذات حاجة إلى غذاء، ﴿ **لا تحمل رزقها** ﴾ أي لا ترفع رزقها معها ولا تدّخر شيئاً لغد مثل البهائم والطير، ﴿ **الله يرزقها وإيّاكم** ﴾، حيث كنتم، ﴿ **وهو السميع العليم** ﴾، السميع لأقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم، وقال سفيان عن علي بن الأقمر: وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها، قال: لا تدّخر شيئاً لغد. قال سفيان: ليس شيء من خلق الله يخبأ إلاّ الإنسان والفأرة والنملة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي أنا

فقالوا كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فأنزل الله: وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطير ﴿**الله يرزقها وإياكم**﴾ حيث كنتم ﴿**وهو السميع**﴾ أي لأقوالكم ﴿**العليم**﴾ بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً». أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه أنها تذهب أول النهار جياعاً ضامرة البطون وتروح آخر النهار إلى أوكارها شباعاً ممتلئة البطون ولا تدخر شيئاً قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة. عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ليس من شيء يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي» الروح: بضم الراء وبالعين المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى «فلما ذهب عن إبراهيم الروع» أي الخوف «أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته» قوله عز وجل:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق أنا محمد بن عبد العزيز أنا إسماعيل بن زرارة الرقي أنا أبو العطوف الجراح بن منهال عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله ﷺ حائطاً من حوائط الأنصار، فجعل رسول الله ﷺ يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال كلْ يا ابن عمر، قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاماً ولم أجده، فقلت إنّا لله، الله المستعان، قال: يا ابن عمر لو سألت ربّي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافاً مضاعفة، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فكيف بك يا ابن عمر إذا عمّرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين، فنزلت هذه الآية: ﴿**وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها**﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ: كان لا يدّخر شيئاً لغد. وروينا أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكّلون على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً». أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو نصر بن حمدونة المطوعي أنا أبو الموجّه محمد بن عمرو أنا عبدان عن أبي حمزة عن إسماعيل هو ابن أبي خالد عن رجلين أحدهما زبيد اليامي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ليس من شيء يقرّبكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلّا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقرّبكم إلى النار ويباعدكم من الجنة إلّا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين قد نفث في رُوعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنّكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته». وقال هشيم عن إسماعيل عن زبيد عمّن أخبره عن ابن مسعود.

ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿**ولئن سألتهم**﴾ يعني كفار مكة ﴿**من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر**﴾ ذكر أمرين أحدهما: إشارة إلى اتحاد الذات والثاني إشارة إلى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر ﴿**ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾ قيل معناه أنهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع إقرارهم أنه خلق السموات والأرض ﴿**الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده**﴾ لما ذكر الخلق ذكر الرزق لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والإحسان والطول والامتنان ﴿**ويقدر له**﴾ أي يضيق عليه إذا شاء ﴿**إن الله بكل شيء عليم**﴾ أي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الأرزاق ﴿**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله**﴾ ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد المسبب فالرزق من الله تعالى ﴿**قل الحمد لله**﴾ أي على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله تعالى: وقيل قل الحمد لله على إقرارهم ولزوم الحجة عليهم بأنه خالق لهم﴿**بل أكثرهم لا يعقلون**﴾ أي أنهم ينكرون التوحيد مع إقرارهم بأنه خالق هذه الأشياء. قوله تعالى ﴿**وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب**﴾ اللهو هو الاستمتاع بلذة الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب هو العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدراء بها ومعنى الآية أن سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**﴾ أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آثروا الفاني على الباقي. قوله عز وجل ﴿**فإذا ركبوا في الفلك**﴾ معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق ﴿**دعوا الله مخلصين له الدين**﴾ أي تركوا الأصنام ولجأوا إلى الله تعالى بالدعاء ﴿**فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾ أي عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والعناد. وقيل: كان أهل

قوله تعالى﴿ ولئن سألتهم ﴾، يعني كفّار مكة، ﴿ مَن خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنّى يُؤفكون ﴾.

﴿ الله يبسط الرزق لمَن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ﴾.

﴿ ولئن سألتهم مَن نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرضَ من بعد موتها ليقولنّ الله قلِ الحمد لله ﴾، على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله، **﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾**، وقيل: قل الحمد لله على إقرارهم لزوم الحجة عليهم، **﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾**، ينكرون التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الأشياء. قوله تعالى:

﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلّا لهوٌ ولعب ﴾، اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا، واللعب العبث سُمّيت بهما لأنها فانية. **﴿ وإنّ الدارَ الآخرةَ لهي الحيوان ﴾**، أي الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة، **﴿ لو كانوا يعلمون ﴾**، فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

قوله تعالى: **﴿ فإذا ركبوا في الفُلْكِ ﴾**، وخافوا الغرق، **﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾**، وتركوا الأصنام، **﴿ فلما نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون ﴾**، هذا إخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقرّون أن القادر على كشفها هو الله عزّ وجلّ وحده، فإذا زالت عادوا إلى كفرهم، قال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم

الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا الأصنام فإذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب يا رب ﴿**ليكفروا بما آتيناهم**﴾ أي ليجحدوا نعمة الله في إجابته إياهم ومعناه التهديد والوعيد ﴿**وليتمتعوا**﴾ معناه لا فائدة لهم في الإشراك إلا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة ﴿**فسوف يعلمون**﴾ يعني عاقبة أمرهم ففيه تهديد ووعيد. قوله عز وجل ﴿**أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم**﴾ يعني العرب يسبي بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿**أفبالباطل**﴾ يعني الشيطان والأصنام ﴿**يؤمنون وبنعمة الله يكفرون**﴾ أي بمحمد ﷺ والإسلام يكفرون ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾ أي فزعم أن له شريكاً فإنه منزه عن الشركاء ﴿**أو كذب بالحق**﴾ أي بمحمد ﷺ والقرآن ﴿**لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين**﴾ معناه أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم. قوله عز وجل ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ معناه جاهدوا المشركين لنصر ديننا ﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾ لنثبتنهم ما قاتلوا عليه. وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفينهم لإصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل إلى رضا الله تعالى. قال سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فإن الله تعالى يقول: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبدالله والذين جاهدوا فينا بإقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة. وقال ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ﴿**وإن الله لمع المحسنين**﴾ أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم.

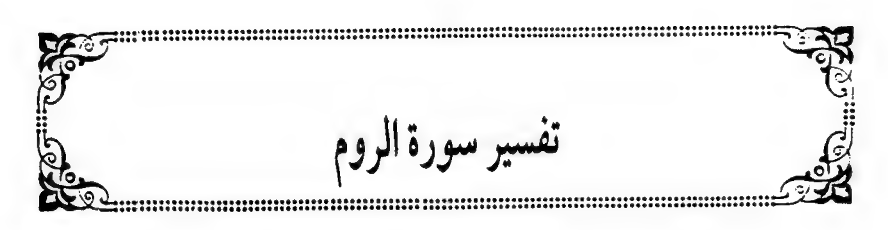
الأصنام فإذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر وقالوا يا رب يا رب.

﴿ **ليكفروا بما آتيناهم** ﴾، هذا لام الأمر ومعناه التهديد والوعيد، كقوله: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ [فصّلت: ٤٠]، أي ليجحدوا نعمة الله في إنجائه إيّاهم، ﴿ **ولِيَتمتّعُوا** ﴾، قرأ حمزة والكسائي ساكنة اللام، وقرأ الباقون بكسرها نسقاً على قوله ليكفروا، ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾، وقيل: مَنْ كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا، والمعنى لا فائدة لهم في الإشراك إلاّ الكفر والتمتّع بما يتمتعون به في العالجة من غير نصيب في الآخرة.

﴿ **أوَ لم يروا أنّا جعلنا حَرَماً آمناً ويُتخطّف الناسُ من حولهم** ﴾، يسبي بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون، ﴿ **أفبالباطل** ﴾، بالأصنام والشياطين، ﴿ **يؤمنون وبنعمة الله** ﴾، بمحمد والإسلام، ﴿ **يكفرون** ﴾.

﴿ **ومَن أظلم ممّن افترى على الله كذباً** ﴾، فزعم أن لله شريكاً وأنه أمر بالفواحش، ﴿ **أو كذّب بالحق** ﴾، بمحمد ﷺ والقرآن، ﴿ **لمّا جاءه أليس في جهنم مثوىً للكافرين** ﴾، استفهام بمعنى التقرير، معناه: أما لهذا الكافر المكذب مأوى في جهنم.

﴿ **والذين جاهدوا فينا** ﴾، الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، ﴿ **لنهدينّهم سُبلنا** ﴾، لنثبتهم على ما قاتلوا عليه، وقيل: لنزيدنّهم هدىً كما قال: ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً ﴾ [مريم: ٧٦]، وقيل: لنوفقنّهم لإصابة الطريق المستقيمة هي التي توصل بها إلى رضا الله عزّ وجلّ. قال سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور، موضع المخافة في بروج البلدان، فإن الله قال: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلنا** ﴾، وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينّهم سُبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السُّنّة لنهدينّهم سُبُل الجنة. ورُوِيَ عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينّهم سُبل ثوابنا. ﴿ **وإن الله لمع المحسنين** ﴾، بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عُقْباهم.



تفسير سورة الروم

مكية وهي ستون آية وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل ﴿الٓمٓ غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارساً كانوا مجوساً أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهرمان وبعث قيصر رجالاً وجيشاً وأمر عليهم رجلاً يدعى بخين فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس. أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال كذبت: فقال أنت أكذب يا عدو الله فقال: اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإذا ظهرت فارس على الروم غرمت وإذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك قبل تحريم القمار. فقال النبيّ ﷺ: ما

سُوْرَة الرُّوم

مكيّة وهي ستّون آية وقيل تسع وخمسون آية.

﴿ الٓمٓ غُلِبت الروم في أدنى الأرض ﴾، سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسّرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودّون أن تغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوساً أُمّيّين، والمسلمون يودّون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليها رجلاً يقال له شهرمان، وبعث قيصر جيشاً عليهم رجل يدعى بخين، فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارسُ الروم فبلغ ذلك المسلمون بمكة فشقّ عليهم، وفرح به كفّار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أُميّون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفّار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لنظهرنّ على فارس على ما أخبرنا بذلك نبيّنا، فقام إليه أُبيّ بن خلف الجمحي فقال: كذبت، فقال:

هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وmadده في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال لعلك ندمت فقال لا فتعال أزايدك في الخطر وأماددك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي ضامناً كفيلاً فكفله ابنه عبدالله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبدالله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد قال: ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبيّ ﷺ حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر أبو بكر أبياً وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به للنبي ﷺ وذلك قبل أن يحرم القمار فقال النبيّ ﷺ: تصدق به. وكان سبب غلبة الروم فارساً على ما قال عكرمة وغيره: أن شهرمان لما غلب الروم لم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب قال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهرمان إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس أخيك فرحان فكتب إليه أيها الملك إنك لم تجد مثل فرحان إن له لنكاية وصولة في العدو، فلا تفعل فكتب إليه إن في رجال فارس خلفاً عنه فعجل إليّ برأسه فراجعه فغضب كسرى

أنت أكذب يا عدوّ الله، فقال: اجعل بيننا أجلاً أُناحِبْك عليه، والمناحبة المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت، ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، وذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاثة إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل» فخرج أبو بكر ولقي أُبيّاً، فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا، فقال: لا فتعال أُزايدك في الخطر وأمادّك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، قال قد فعلت، فلما خشي أُبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أُبيّ بن خلف أن يخرج إلى أُحُد أتاه عبدالله بن أبي بكر فلزمه فقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أُحُد ثم رجع أُبيّ بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم. وقيل: كان يوم بدر. قال الشعبي: لم تمضِ تلك المدة التي عقدوا المناحبة بين أهل مكة وفيها صاحب قمارهم أُبيّ بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر، وذلك قبل تحريم القمار، حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر أبو بكر أُبيّاً وأخذ مال الخطر من ورثته، فجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «تصدّق به» وكان سبب غلبة الروم فارساً على ما قال عكرمة وغيره: أن شهرمان بعدما غلبت الروم لم يزل يطأهم ويخرّب مدائنهم حتى بلغ الخليج، فبينا أخوه فرحان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهرمان إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرحان، فكتب إليه أيها الملك إنك لن تجد مثل فرحان إن له نكاية وصوتاً في العدو، فلا تفعل البتّة، فكتب إليه إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجّلْ عليّ برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يُجِبْه، وبعث بريد إلى أهل فارس أني قد نزعت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان الملك، ثم رفع إلى البريد صحيفة صغيرة أمره فيها بقتل شهرمان، وقال إذا ولّى فرحان الملك وانقاد له أخوه فأعطه فلما قرأ شهرمان الكتاب قال سمعاً وطاعةً، ونزل عن سريره وجلس فرحان ورفع إليه الصحيفة، فقال ائتوني بشهرمان فقدّمه ليضرب عنقه، فقال لا تعجل عليّ حتى أكتب وصيتي، قال: نعم فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا رجعت فيك كسرى

ولم يجبه وبعث بريداً إلى أهل فارس إني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان. وقال إذا ولي فرحان الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة، فلما وصل البريد إلى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال: سمعاً وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة إلى فرحان فلما قرأها: استدعى بأخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك إلى أخيه شهرمان فكتب إلى قيصر ملك الروم؛ أما بعد إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين رومياً حتى ألقاك في خمسين فارسياً فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد أن يمكر به حتى أتاه عيونه فأخبروا أنه ليس معه إلا خمسون فارسياً، فلما التقيا ضربت لهما فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعوا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان: إن الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد بأن يقتل أخي فأبيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه، وقد خلعناه جميعاً ونحن نقاتله معك فقال: قد أصبتما وأشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزهما فشا. فقتلا الترجمان معاً بسكينيهما فأديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل ﴿**الٓمٓ غلبت الروم في أدنى الأرض**﴾ يعني أقرب أرض الشام إلى فارس وقيل هي أذرعات وقيل الأردن وقيل الجزيرة ﴿**وهم من بعد غلبهم**﴾ أي فارس لهم ﴿**سيغلبون**﴾ أي الروم لفارس.

﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿**في بضع سنين**﴾ البضع ما بين الثلاث إلى السبع وقيل إلى التسع وقيل ما دون العشر ﴿**لله الأمر من قبل ومن**

وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد، فردَّ الملك إلى أخيه وكتب شهرمان إلى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني ولا تلقني إلّا في خمسين رومياً فإني ألقاك في خمسين فارسياً، فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلّا خمسون رجلاً ثم بسط لهم فالتقيا في قبة ديباج ضُرِبت لهما ومع كل واحد منهم سكّين فدعوا بترجمان بينهما فقال شهرمان إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً فنحن نقاتله معك، قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان معاً بسكينهما فأُديلت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم، ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح ومَن معه فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **الٓمٓ غُلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾، أي أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿ **وهم من بعد غَلَبهم** ﴾، أي الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿ **سيغلِبُون** ﴾، فارس.

﴿ **في بضع سنين** ﴾، والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، وقيل: ما بين الثلاث إلى التسع: وقيل: ما دون العشرة. وقرأ عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر: ﴿ **غلبت** ﴾ بفتح الغين واللام،

بعد﴾ أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره ﴿**ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**﴾ أي الروم على فارس وقيل فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك ﴿**ينصر من يشاء**﴾ أي بيده النصر ينصر من يشاء ﴿**وهو العزيز**﴾ الغالب ﴿**الرحيم**﴾ أي بالمؤمنين قوله تعالى ﴿**وعد الله**﴾ أي وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس ﴿**لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ أي أن الله لا يخلف وعده؛ ثم قال تعالى ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا**﴾ يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطىء وهو لا يحسن يصلي. وقيل: لا يعلمون الدنيا بحقيقتها إنما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها. وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها ﴿**وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها. قوله عز وجل:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

﴿ **سيغلبون** ﴾ بضم الياء وفتح اللام، وقالوا نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: آلم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم. والأول أصحّ وهو قول أكثر المفسّرين. ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾، من بعد دولة الروم على فارس ومن بعدها فأيّ الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره. ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون** ﴾.

﴿ **بنصر الله** ﴾، الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك، ﴿ **ينصر مَن يشاء وهو العزيز** ﴾، الغالب، ﴿ **الرحيم** ﴾، بالمؤمنين.

﴿ **وَعْدَ الله** ﴾، نصب على المصدر أي وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس، ﴿ **لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾.

﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا** ﴾، يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون، وقال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطىء وهو لا يحسن أن يصلّي ﴿ **وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾، ساهون عنها جاهلون لا يتفكّرون فيها ولا يعملون لها.

تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ يعني لإقامة الحق ﴿وأجل مسمى﴾ أي لوقت معلوم إذا انتهت إليه فنيت وهو يوم القيامة ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الأرض﴾ أي يسافروا فيها ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي ينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا ﴿كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض﴾ أي حرثوها وقلبوها للزراعة ﴿وعمروها﴾ يعني الأمم الخالية ﴿أكثر مما عمروها﴾ يعني أهل مكة ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أي بنقص حقوقهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي ببخس حقوقهم ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أي أساءوا العمل فاستحقوا ﴿السوأى﴾ يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوء اسم لجهنم، ومعنى الآية أن عاقبة الذين عملوا السوء النار ﴿أن كذبوا﴾ أي لأنهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين أن حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا ﴿بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ قوله تعالى ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء ﴿ثم إليه يرجعون﴾ أي فيجزيهم بأعمالهم ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ قيل: معناه أنهم ييأسون من كل خير وقيل: ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ يعني أصنامهم التي عبدوها ﴿شفعاء﴾ أي يشفون لهم ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ أي جاحدين متبرئين يتبرؤون منها وتتبرأ منهم ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ أي يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقيل يتفرقون بعد الحساب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلا يجتمعون أبداً فهو قوله تعالى ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة﴾ أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة ﴿يحبرون﴾ قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون

﴿ أوَ لم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السمٰوات والأرض وما بينهما إلّا بالحق ﴾، أي للحق، وقيل: لإقامة الحق، ﴿ وأجل مسمى ﴾، أي لوقت معلوم إذ انتهت إليه فنيت وهو القيامة، ﴿ وإنّ كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾.

﴿ أوَ لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾، أوَ لم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا، ﴿ كانوا أشدّ منهم قوة وأثاروا الأرض ﴾، حرثوها وقلبوها للزراعة، ﴿ وعَمَرُوها أكثرَ ممّا عَمَروها ﴾، أي أكثر مما عمّرها أهل مكة، قيل: قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث، ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبيّنات ﴾، فلم يؤمنوا فأهلكهم الله، ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾، بنقص حقوقهم، ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾، ببخس حقوقهم.

﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا ﴾ أي أساءوا العمل، ﴿ السُّوأَى ﴾، يعني الخلّة التي تسوءهم وهي النار، وقيل: السوء اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة، ﴿ أن كذبوا ﴾، أي لأن كذبوا، وقيل تفسير السوء ما بعده وهو قوله أن كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملهم تلك السيئات على أن كذبوا، ﴿ بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون ﴾، قرأ أهل الحجاز والبصرة: ﴿ عاقبة ﴾ بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم السوء، وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين أساءوا.

قوله تعالى: ﴿ اللّهُ يبدأ الخلق ثم يُعيده ﴾، أي يخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم بعد الموت أحياءً، ولم يقل يعيدهم، ردّه إلى الخلق، ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾، فيجزيهم بأعمالهم، قرأ أبو عمرو وأبو بكر: (يرجعون) بالياء والآخرون بالتاء.

والحبرة السرور. وقيل في معنى يحبرون: هو السماع في الجنة. قال الأوزاعي: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال: إذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة إلا وردته، وسأل أبا هريرة رجل: هل لأهل الجنة من سماع؟ فقال: نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحاً فيجاوب بعضها بعضاً فما يسمع أحد أحسن منه **﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾** أي البعث يوم القيامة **﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾** قوله تعالى **﴿فسبحان الله﴾** أي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله **﴿حين تمسون﴾** أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء **﴿وحين تصبحون﴾** أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح **﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾** قال ابن عباس يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له **﴿وعشيّاً﴾** أي وصلوا لله عشياً يعني صلاة العصر **﴿وحين تظهرون﴾** أي تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر. قال نافع ابن الأزرق لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال: جمعتا الصلوات الخمس ومواقيتها. واعلم أنه إنما خص هذه الأوقات بالتسبيح لأن أفضل الأعمال أدومها والإنسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لأنه محتاج إلى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الأوقات وأمره بها في أول النهار وفي أول الليل وآخره فإذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة.

﴿ ويوم تقوم الساعة يُبْلِسُ المجرمون ﴾، قال قتادة والكلبي: ييأس المشركون من كل خير. وقال الفرّاء: ينقطع كلامهم وحجّتهم. وقال مجاهد: يفتضحون.

﴿ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاءُ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾، جاحدين متبرئين يتبرؤون منها وتتبرأ منهم.

﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴾، أي يتميز أهل الجنة من أهل النار. وقال مقاتل: يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً.

﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ﴾، وهي البستان الذي في غاية النضارة، **﴿ يُحْبَرُون ﴾**، قال ابن عباس: يكرمون. وقال مجاهد وقتادة: ينعمون. وقال أبو عبيدة يسرّون، والحبرة السرور، وقيل: الحبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين، وقال الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير: تحبرون هو السماع في الجنة. وقال الأوزاعي إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلّا وردت، وقال: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سمٰوات صلاتهم وتسبيحهم.

﴿ وأمّا الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾، أي البعث يوم القيامة، **﴿ فأولـئك في العذاب مُحضَرُون ﴾**.

قوله تعالى: **﴿ فسبحانَ اللّهِ ﴾**، أي سبّحوا الله ومعناه صلّوا لله، **﴿ حين تُمسون ﴾**، أي تدخوا في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء، **﴿ وحين تُصبحون ﴾**، أي تدخلون في الصباح، وهو صلاة الصبح.

﴿ وله الحمد في السمٰوات والأرض ﴾، قال ابن عباس: يحمده أهل السمٰوات والأرض ويصلّون له، **﴿ وعشياً ﴾**، أي صلّوا لله عشياً يعني صلاة العصر، **﴿ وحين تُظْهِرُون ﴾**، تدخلون في الظهيرة وهو الظهر، قال نافع بن الأزرق لابن عباس: هل تجد صلاة الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين، وقال: جمعت

فصل في فضل التسبيح

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». وعنه عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه». أخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». وهذا الحديث أخرجه في صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع بعدما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا مذ خرجت بعد؟ قالت نعم فقال: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» (م) عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال «أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتسب ألف حسنة؟ قال: يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة». وفي رواية غير مسلم «يحط عنه أربعين ألفاً» قوله تعالى:

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

الآية صلاة الخمس ومواقيتها، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سُمَيّ مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قال سبحان الله وبحمده في أول النهار وآخره مائة مرة حطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا السري بن خزيمة البيرودي ثنا المعلى بن أسعد أنا عبد العزيز بن المختار عن سهيل عن سُميّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال حين يصبح وحين يُمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلاّ أحد قال مثل ما قال أو زاد». أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا علي بن المديني أنا ابن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال: سمعت كريباً أبا رشدين يحدّث عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار أن النبي ﷺ خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برّة فحوّله رسول الله ﷺ وسمّاها جويرية، وكره أن يقال خرج من عند برّة، فخرج وهو في مسجدها ورجع بعدما تعالى النهار فقال: ما زلتِ في مجلسِكِ هذا منذ خرجتُ بعد؟ قالت نعم، فقال: «لقد قلتُ بعدكِ أربع كلمات ثلاث مرات لو وزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهنّ: سبحان الله وبحمده عددَ خلقه، ورضاءَ نفسهِ، وزِنَةَ عرشهِ، ومدادَ كلماتِه».

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**﴾ أي يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة. وقيل: يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة. وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ﴿**ويحيي الأرض بعد موتها**﴾ أي بالمطر وإخراج النبات منها ﴿**وكذلك تخرجون**﴾ أي مثل إخراج النبات من الأرض تخرجون من القبور للبعث والحساب ﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب**﴾ أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب ﴿**ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾ أي تنبسطون في الأرض ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾ أي جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم ﴿**لتسكنوا إليها**﴾ أي لتميلوا للأزواج وتألفوهن ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما إلا الزوجان ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ أي في عظمة الله وقدرته ﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم**﴾ أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينهما حتى لا تكاد تسمع منطقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف

قوله تعالى: ﴿ **يُخرج الحيّ من الميت ويُخرج الميت من الحيّ ويحيي الأرضَ بعد موتها وكذلك تُخرَجُون** ﴾، قرأ حمزة والكسائي﴿ **تَخرجون** ﴾بفتح التاء وضمّ الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء.

﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب** ﴾، أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب، ﴿ **ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾، تنبسطون في الأرض.

﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾، قيل من جنسكم من بني آدم، وقيل: خلق حوّاء من ضلع آدم، ﴿ **لتسكنُوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة** ﴾، جعل بين الزوجين المودّة والرحمة فهما يتوادّان ويتراحمان وما شيء أحبّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما، ﴿ **إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون** ﴾، في عظمة الله وقدرته.

﴿ **ومن آياته خَلْقُ السمٰواتِ والأرض واختلافُ ألسنتكم** ﴾، يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما، ﴿ **وألوانكم** ﴾، أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة، ﴿ **إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾، قرأ حفص: ﴿ **للعالمين** ﴾ بكسر اللام.

﴿ **ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله** ﴾، أي منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** ﴾، سماع تدبّر واعتبار.

﴿ **ومن آياته يُريكم البرق خوفاً** ﴾، للمسافر من الصواعق، ﴿ **وطمعاً** ﴾، للمقيم في المطر، ﴿ **وينزّل من**

كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر ﴿وألوانكم﴾ أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الألوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام. والحكمة في اختلاف الأشكال والأصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصوته وصورته فلو اتفقت الأصوات والصور وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد. وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة ﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ أي لعموم العلم فيهم ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ أي منامكم الليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أي سماع تدبر واعتبار ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ أي للمسافر ليستعد للمطر ﴿وطمعاً﴾ أي للمقيم ليستعد المحتاج إليه من أجل الزرع وتسوية طرق المصانع ﴿وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ أي قدرة الله وأنه القادر عليه ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بأمره ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض﴾ قال ابن عباس من القبور ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ أي منها وقيل معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون من الأرض ﴿وله من في السموات والأرض كل له قانتون﴾ مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث ﴿وهو أهون عليه﴾ أي هو هين عليه وما من شيء عليه بعزيز وقيل معناه وهو أيسر عليه فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء وقيل: هو أهون على الخلق وذلك لأنهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء. وهو رواية عن ابن عباس ﴿وله المثل الأعلى﴾ أي الصفة العليا قال ابن عباس:

السماء ماءً فيُحيي به ﴾، يعني بالمطر، **﴿ الأرض بعد موتها ﴾**، أي بعد يبسها وجدوبتها، **﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾**.

﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾. قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد بأمره. وقيل: يدوم قيامهما بأمره، **﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض ﴾**، قال ابن عباس: من القبور، **﴿ إذا أنتم تخرجون ﴾**، منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من الأرض.

﴿ وله مَن في السموات والأرض كلٌّ له قانتون ﴾، مطيعون، قال الكلبي: هذا خاصّ لمَن كان منهم مطيعاً. عن ابن عباس: كلٌّ له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

﴿ وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده ﴾، يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث، **﴿ وهو أهون عليه ﴾**، قال الربيع بن خيثم وقتادة والكلبي: أي هو هيِّن عليه وما شيء عليه بعزيز، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وقد يجيء أفعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعزّ وأطول

أي عزيزة طويلة. وقال مجاهد وعكرمة: وهو أهون عليه أي أيسر ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم، فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء، أي الابتداء، وقيل: هو أهون عليه عندكم. وقيل: هو أهون عليه أي على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً، ثم علقاً ثم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساءً، وهذا معنى رواية ابن حيان عن الكلبي عن أبي صالح

ليس كمثله شيء وقيل هو الذي لا إله إلا هو ﴿في السموات والأرض وهو العزيز﴾ أي في ملكه ﴿الحكيم﴾ في خلقه.
قوله عز وجل:

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

﴿ضرب لكم مثلاً﴾ أي بين لكم شبهاً بحالكم ذلك المثل ﴿من أنفسكم﴾ ثم بين المثل فقال تعالى ﴿هل لكم من ما ملكت أيمانكم﴾ أي عبيدكم وإمائكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ أي من المال ﴿فأنتم فيه سواء﴾ يعني هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمره دون شريكه ويخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب أن ينفرد به. وقال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً فإذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضوه لأنفسكم فكيف ترضون أن تكون آلهتكم التي تبعدونها شركائي وهم عبيدي ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي الدلالات والبراهين والأمثال ﴿لقوم يعقلون﴾ أي ينظرون في هذه الدلائل والأمثال

عن ابن عباس، ﴿وله المثل الأعلى﴾، أي الصفة العليا ﴿في السموات والأرض﴾، قال ابن عباس: هي أنه ليس كمثله شيء، وقال قتادة هي أنه لا إله إلّا هو، ﴿ وهو العزيز ﴾، في ملكه، ﴿ الحكيم ﴾، في خلقه.

﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ﴾، أي بيّن لكم شبهاً بحالكم، وذلك المثل من أنفسكم ثم بيّن المثل فقال: ﴿ هل لكم من ما ملكت أيمانكم ﴾، أي عبيدكم وإمائكم، ﴿ من شركاء فيما رزقناكم ﴾، من المال، ﴿ فأنتم ﴾، وهم، ﴿ فيه سواء ﴾، أي شرع أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم، ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾، أي تخافون أن يشاركوكم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دونه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث، وهو يحبّ أن ينفرد به، قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً فإذا لم تخافوا هذا من ماليككم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي، ومعنى قوله: ﴿ أنفسكم ﴾ أي أمثالكم من الأحرار كقوله: ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ [النور: ١٢] أي بأمثالهم، ﴿ وكذلك نُفصِّل الآيات لقوم يعقلون ﴾، ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

﴿ بل اتّبع الذين ظلموا ﴾، أشركوا بالله، ﴿ أهواءهم ﴾، في الشرك، ﴿ بغير علم ﴾، جهلاً بما يجب عليهم، ﴿ فمَن يهدي مَن أضلّ الله ﴾، أي أضلّه الله، ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾، مانعين يمنعونهم من عذاب الله عزّ وجلّ.

بعقولهم ﴿**بل اتبع الذين ظلموا**﴾ يعني أشركوا بالله ﴿**أهواءهم**﴾ أي في الشرك ﴿**بغير علم**﴾ جهلاً بما يجب عليهم ﴿**فمن يهدي من أضل الله**﴾ أي عن طريق الهدى ﴿**وما لهم من ناصرين**﴾ أي مانعين يمنعونهم عن عذاب الله. قوله تعالى ﴿**فأقم وجهك للدين**﴾ يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه إلى الله تعالى به الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه ليسدده قوله تعالى ﴿**حنيفاً**﴾ أي مائلاً إليه مستقيماً عليه ﴿**فطرة الله**﴾ أي دين الله والمعنى الزموا فطرة ﴿**الله التي فطر الناس عليها**﴾ قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ثم قال ﴿اقرؤوا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾». زاد البخاري «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمحسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا فطرة الله الآية ولهما في رواية «قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيراً قال الله أعلم بما كانوا عاملين». قوله: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة» يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾ فكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وإن عبد غير الله قال الله تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة

قوله تعالى: ﴿ **فأقِمْ وجهكَ للدِّين** ﴾، أي أخلص دينك لله، قاله سعيد بن جبير، وإقامة الوجه إقامة الدين، وقال غيره: سدّد عملك، والوجه ما يتوجّه إليه الإنسان ودينه وعمله مما يتوجّه إليه لتسديده، ﴿ **حنيفاً** ﴾ مائلاً مستقيماً عليه، ﴿ **فطرةَ الله** ﴾، دين الله وهو نصب على الإغراء أي إلزمْ فطرة الله، ﴿ **التي فطر الناس عليها** ﴾، أي خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسّرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام وذهب قوم إلى أن الآية خاصّة في المؤمنين هم الذين فطرهم الله على الإسلام أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه قال: ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن يُولد يُولد على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه كما تنتج البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»، قالوا: يا رسول الله أفرأيت مَن يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، ورواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة من غير ذكر مَن يموت وهو صغير وزاد ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿ **فطرةَ الله التي فطر الناس عليها** ﴾، قوله: «مَن يولد يولد على الفطرة» يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله: ﴿ **ألستُ بربكم قالوا بلى** ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وكلّ مولود في العالم على ذلك الإقرار وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره كما قال تعالى: ﴿ ولئن سألتهم مَن خلقهم ليقولنّ الله ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقالوا: ﴿ ما نعبدهم إلَّا ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر: ٣]، ولكن لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألَا ترى أنه يقول: «فأبواه يهوّدانه»، فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين، وهذا معنى قوله ﷺ: «يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم»، ويُحكى هذا عن الأوزاعي وحمّاد بن سلمة وحُكِيَ عن عبد الله بن المبارك أنه قال معنى الحديث إن كل مولود يولد على فطرته أي على خلقته التي جُبِلَ عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكلٌ منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يُولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما، وقيل: معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيء لقبول الدين فلو تُرِكَ عليها لاستمر على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول وإنما يعدل

والفعل ألا ترى إلى قوله: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه» فهو مع وجود الإيمان الفطري فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبيّ ﷺ في حديث آخر «يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم» وحكي عن عبدالله بن المبارك أنه قال: معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أي خلقته التي خلقه الله عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملانه على اعتقاد دينهما. وقيل معناه أن كل مولود في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمرت على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة وإنما يعدل عنه من عدل إلى غيره لأنه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره. ثم تمثل لأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء». أي كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء وقوله «هل تحسون فيها من جدعاء يعني هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الأذن والأنف. قوله عز وجل ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ أي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك. وقيل معنى لا تبديل **لخلق الله** هو جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً. وقيل الآية في تحريم إخصاء البهائم ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ أي المستقيم ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ قوله عز وجل ﴿**منيبين إليه**﴾ أي فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لأن خطاب النبيّ ﷺ يدخل فيه الأمة والمعنى راجعين إلى الله تعالى بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة ﴿**واتقوه**﴾ أي ومع ذلك خافوه ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ أي داوموا على أدائها في أوقاتها ﴿**ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً**﴾ أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الأمة ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ أي راضون بما عندهم. قوله تعالى ﴿**وإذا مس الناس ضر**﴾ أي قحط وشدة ﴿**دعوا ربهم منيبين إليه**﴾ أي مقبلين إليه بالدعاء ﴿**ثم إذا أذاقهم منه رحمة**﴾ أي خصباً ونعمة ﴿**إذا فريق منهم بربهم يشركون**﴾

عنه مَن يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد فلو سَلِمَ من تلك الآفات لم يعتقد غيره، ثم يتمثّل بأولاد اليهود والنصارى وأتباعهم لإبائهم والميل إلى أديانهم فيزلّون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة، ذكر أبو سليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه. قوله: ﴿ **لا تبديلَ لخلق الله** ﴾ فمَن حمل الفطرة على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله، قال مجاهد وإبراهيم: معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتّبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك، ﴿ **ذلك الدِّين القيِّم** ﴾، المستقيم، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾، وقيل لا تبديل لخلق الله أي ما جُبِلَ عليه الإنسان من السعادة والشقاء لا يبدل فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقيّ سعيداً. وقال عكرمة ومجاهد: معناه تحريم إخصاء البهائم.

﴿ **منيبين** ﴾ أي فأقم وجهك أنت وأُمتك منيبين إليه لأن المخاطبة للنبي ﷺ ويدخل معه فيها الأمة كما قال: ﴿ **يا أيها النبي إذا طلّقتم النساء** ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿ **منيبين إليه** ﴾، أي راجعين إليه بالتوبة مُقبِلين إليه بالطاعة، ﴿ **واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين** ﴾.

﴿ **من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً** ﴾ أي صاروا فِرَقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى. وقيل: هم أهل البِدَع من هذه الأمة، ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾، أي راضون بما عندهم.

قوله تعالى: ﴿ **وإذا مسَّ الناسَ ضُرٌّ** ﴾، قحط وشدّة، ﴿ **دَعَوْا ربَّهم مُنيبين إليه** ﴾، مُقبِلين إليه بالدعاء، ﴿ **ثم إذا أذاقهم منه رحمة** ﴾، خصباً ونعمةً، ﴿ **إذا فريق منهم بربِّهم يُشركون** ﴾.

لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي ليجحدوا نعمة الله عليهم ﴿فتمتعوا﴾ فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار ﴿فسوف تعلمون﴾ أي حالكم هذه في الآخرة ﴿أم أنزلنا عليهم سلطاناً﴾ قال ابن عباس حجة وعذراً وقيل كتاباً ﴿فهو يتكلم﴾ أي ينطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي بشركهم ويأمرهم به ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أي الخصب وكثرة المطر ﴿فرحوا بها﴾ أي فرحوا وبطروا ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من السيئات إذا ﴿هم يقنطون﴾ أي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة ﴿أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ تقدم تفسيره. قوله عز وجل ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ أي من البر والصلة ﴿والمسكين﴾ أي حقه وهو التصدق عليه ﴿وابن السبيل﴾ أي المسافر

﴿ **ليكفروا بما آتيناهم** ﴾، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا، هذا خطاب تهديد فقال: ﴿ **فتمتعوا فسوف تعلمون** ﴾، حالكم في الآخرة.

﴿ **أم أنزلنا عليهم سلطاناً** ﴾، قال ابن عباس: حجّةً وعذراً، وقال قتادة: كتاباً، ﴿ **فهو يتكلم** ﴾، ينطق، ﴿ **بما كانوا به يشركون** ﴾، أي ينطق بشركهم ويأمرهم به.

﴿ **وإذا أذقنا الناس رحمة** ﴾، أي الخصب وكثرة المطر، ﴿ **فرحوا بها** ﴾، يعني فرح البطر، ﴿ **وإن تصبهم سيئة** ﴾، أي الجدب وقلّة المطر ويقال الخوف والبلاء ﴿ **بما قدّمت أيديهم** ﴾، من السيئات، ﴿ **إذا هم يَقْنُطون** ﴾، ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربّه عند الشدّة.

﴿ **أوَ لم يروا أن الله يبسط الرزق لمَن يشاء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **فآتِ ذَا القُربَى حقّه** ﴾، من البرّ والصلة، ﴿ **والمسكين** ﴾، وحقّه أن يتصدق عليه، ﴿ **وابن السبيل** ﴾، يعني المسافر، وقيل: هو الضعيف، ﴿ **ذلك خير للذين يريدون وجه الله** ﴾، يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وما آتيتم من ربا** ﴾، قرأ ابن كثير: (أتيتم) مقصوراً وقرأ الآخرون بالمدّ أي أعطيتم، ومَن قصر فمعناه ما جئتم من ربا ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء كما يقول أتيت خطئاً وأتيت صواباً فهو يؤول في معنى إلى قول مَنْ مدّ. ﴿ **ليربوا في أموال الناس** ﴾، قرأ أهل المدينة ويعقوب لتربوا بالتاء وضمّها وسكون الواو على

وقيل الضيف ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ أي يطلبون ثواب الله بما كانوا يعملون ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ قوله عز وجل ﴿وما آتيتم﴾ أي أعطيتم ﴿من ربا ليربو في أموال الناس﴾ أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله ﴿فلا يربو عند الله﴾ وكان هذا حراماً على النبي خاصة لقوله تعالى ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله. وقيل: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لأنه لم يرد بعمله وجه الله ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ أي أعطيتم من صدقة ﴿تريدون وجه الله﴾ أي بتلك الصدقة ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أي يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات.

قوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ تقدم تفسيره. قوله تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ أي بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر. قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحراً تقول: أجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر بخلو أجواف الأصداف من اللؤلؤ وذلك لأن الصدف إذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواهها فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤاً ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي

الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة في أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿ فلا يربُوا عند الله ﴾، في أموال الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابها، واختلفوا في معنى الآية، فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسّرين: هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال لكن لا ثواب عليها في القيامة، وهو معنى قوله عزّ وجلّ فلا يربوا عند الله، وكان هذا حراماً على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى: ﴿ ولا تمننْ تستكثرْ ﴾ [المدّثر: ٦]، أي لا تُعطِ وتطلب أكثر مما أعطيت، وقال النخعي: هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليُكثِر ماله ولا يريد به وجه الله. وقال الشعبي: هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لوجه الله فلا يربوا عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى، ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾، أعطيتم من صدقة ﴿ تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾، فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها، فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات، تقول العرب: القوم مهزولون ومسمونون إذا هزلت أو سمنت إبلهم.

﴿ الله الـذي خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم هل من شركائكم مَن يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عمّا يشركون ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ظهر الفساد في البرّ والبحر ﴾، يعني قحط المطر وقلّة النبات وأراد بالبرّ البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية. قال عكرمة: العرب تسمّي المصر بحراً يقال أجدب البرّ وانقطعت مادة البحر، ﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾، أي بشؤم ذنوبهم، وقال عطية وغيره: البرّ ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو البحر المعروف وقلّة المطر كما تؤثّر في البرّ تؤثّر في البحر فتخلو أجواف الأصداف إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فِيه من المطر صار لؤلؤاً، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: الفساد في البرّ قتل أحد بني آدم أخاه، وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة، قال الضحاك: كانت الأرض خضرة مونقة لا

بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة. قيل كانت الأرض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان البحر عذباً وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحاً زعافاً وقصد الحيوان بعضها بعضاً. وقيل: إن الأرض امتلأت ظلماً وضلالة قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة ﴿**ليذيقهم بعض الذي عملوا**﴾ يعني عقوبة الذي عملوا من الذنوب ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ يعني عن الكفر وأعمالهم الخبيثة ﴿**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل**﴾ أي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿**كان أكثرهم مشركين**﴾ يعني فأهلكوا بكفرهم قوله عز وجل:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

﴿**فأقم وجهك للدين القيم**﴾ يعني لدين الإسلام ﴿**من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله**﴾ يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق ﴿**يومئذ يصدعون**﴾ يعني يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى ﴿**من كفر فعليه كفره**﴾ يعني وبال كفره ﴿**ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون**﴾ أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور ﴿**ليجزي الذين**

يأتي ابن آدم شجرة إلّا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذباً وكان يقصد الأسد البقر والغنم، فلما قتل قابيل هابيل اقشعرّت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحاً زعافاً وقصد الحيوان بعضها بعضاً، قال قتادة هذا قبل مبعث النبي ﷺ امتلأت الأرض ظلماً وضلالةً، فلما بعث الله محمد ﷺ رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي، يعني كفّار مكة ﴿ **لِيُذيقهم بعض الذي عملوا** ﴾، أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب، ﴿ **لعلّهم يرجعون** ﴾، عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.

﴿ **قلْ سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل** ﴾، لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية، ﴿ **كان أكثرهم مشركين** ﴾، فأهلكوا بكفرهم.

﴿ **فأقم وجهك للدين القيّم** ﴾، المستقيم وهو دين الإسلام ﴿ **من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله** ﴾،

آمنوا وعلموا الصالحات من فضله﴾ قال ابن عباس: ليثيبهم الله ثواباً أكثر من أعمالهم ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ فيه تهديد ووعيد لهم. قوله تعالى ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ أي تبشر بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أي بالمطر وهو الخصب ﴿ولتجري الفلك﴾ أي بهذه الرياح ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي هذه النعم. قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ أي بالدلالات الواضحات على صدقهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ يعني أنا عذبنا الذين كذبوهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ أي مع إنجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا من كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة؛ ثم تلا هذه الآية: وكان حقاً علينا نصر المؤمنين». أخرجه الترمذي ولفظه: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». وقال حديث حسن. قوله عز وجل ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ يعني تنشره ﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾ يعني مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء ﴿ويجعله كسفاً﴾ أي قطعاً متفرقة ﴿فترى الودق﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من وسطه ﴿فإذا أصاب به﴾ يعني بالودق ﴿من يشاء من عباده إذاهم

يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على ردّه من الله، ﴿ يومئذ يَصَّدَّعُون ﴾، أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿ مَن كفر فعليه كفره ﴾، أي وِبال كفره، ﴿ ومَن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾، يوطئون المضاجع ويسوّونها في القبور.

﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴾، قال ابن عباس: لِيُثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم، ﴿ إنه لا يحبّ الكافرين ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات ﴾، تبشّر بالمطر، ﴿ وليذيقكم من رحمته ﴾، نعمة المطر وهي الخصب، ﴿ ولتجري الفُلْكُ ﴾ في البحر، بهذه الرياح، ﴿ بأمره ولتبتغوا من فضله ﴾، لتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر، ﴿ ولعلّكم تشكرون ﴾، ربّ هذه النِّعَم.

قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رُسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبيّنات ﴾، بالدلالات الواضحات على صدقهم، ﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾، عذّبنا الذين كذّبوهم، ﴿ وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين ﴾، إنجاؤهم من العذاب ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء، قال الحسن: أنجاهم مع الرسول من عذاب الأمم، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني أنا أحمد بن زنجويه أنا أبو شيخ الحرّاني أنا أبو موسى بن أعين عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يردّ عن عِرض أخيه إلّا كان حقّاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة»، ثم تلا هذه الآية ﴿ وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين ﴾.

﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً ﴾، أي ينشره، ﴿ فيبسطه في السماء كيف يشاء ﴾، مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على مَن يشاء، ﴿ ويجعله كِسَفاً ﴾، قطعاً متفرقة، ﴿ فترى الوَدْقَ ﴾، المطر، ﴿ يخرج من خلاله ﴾، وسطه، ﴿ فإذا أصاب به مَن يشاء ﴾، أي بالودق، ﴿ من عباده إذا هم يستبشرون ﴾، يفرحون بالمطر.

﴿ وإن كانوا ﴾، وقد كانوا، ﴿ من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾، أي آيسين، وقيل: وإن كانوا أي

يستبشرون﴾ يعني يفرحون بالمطر ﴿وإن كانوا﴾ أي وقد كانوا ﴿من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ يعني آيسين ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ يعني المطر والمعنى انظر حسن تأثيره في الأرض وهو قوله تعالى ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى﴾ يعني إن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى ﴿وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحاً فرآه مصفراً﴾ أي الزرع بعد الخضرة ﴿لظلوا من بعده﴾ أي من بعد اصفرار الزرع ﴿يكفرون﴾ أي يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ تقدم تفسيره. قوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو إشارة إلى أحوال الإنسان كان جنيناً ثم طفلاً مولوداً ومفطوماً فهذه أحوال الضعف ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ يعني من بعد ضعف الصغر شباباً وهو وقت القوة ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً﴾ يعني هرماً ﴿وشيبة﴾ وهو تمام النقصان ﴿يخلق ما يشاء﴾ أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته ﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء. قوله تعالى:

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ

وما كانوا إلّا مبلسين، وأعاد قوله من قبله تأكيداً، وقيل: الأولى ترجع إلى إنزال المطر والثانية إلى إنشاء السّحاب، وفي حرف عبد الله بن مسعود: وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين، غير مكرر.

﴿ فانظرْ إلى آثارِ رحمة الله ﴾، هكذا قرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر، وقرأ الآخرون: ﴿ إلى آثار رحمة الله ﴾، على الجمع أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حُسْن تأثيره في الأرض، قال مقاتل: أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبت، ﴿ كيف يُحيي الأرضَ بعد موتها إنّ ذلك لمُحيي الموتى ﴾، يعني أن ذلك الذي يُحيي الأرض لمُحيي الموتى، ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾.

﴿ ولئن أرسلنا ريحاً ﴾ باردة مُضِرّة فأفسدت الزرع، ﴿ فرأوه مصفرّاً ﴾ أي والنبت والزرع مصفرّاً بعد الخُضرة، ﴿ لظلّوا ﴾، لصاروا، ﴿ من بعده ﴾ أي من بعد اصفرار الزرع، ﴿ يكفرون ﴾، يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم جحدوا سالف نعمتي.

﴿ فإنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمِع الصُمَّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين ﴾.

﴿ وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم إنْ تُسمِع إلاّ مَن يُؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾.

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ﴾، قرىء بضم الضاد وفتحها، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم، ومعنى من ضعف أي من نطفة يريد من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ [المرسلات: ٢٠]، ﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾، من بعد ضعف الطفولية شباباً وهو وقت القوة، ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً ﴾، ﴿ وشيبة يخلق ما يشاء ﴾، من الضعف والقوة والشباب والشيبة، ﴿ وهو العليم ﴾، بتدبير خلقه، ﴿ القدير ﴾، على ما يشاء.

مَثَلٍ وَلَبِن جِئْتَهُم بِئَايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون**﴾ أي يحلف المشركون ﴿**ما لبثوا**﴾ أي في الدنيا ﴿**غير ساعة**﴾ معناه أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة ﴿**كذلك كانوا يؤفكون**﴾ يعني يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك أنهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا يبعثوا. والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر إنكار المؤمن عليهم كذبتهم فقال تعالى ﴿**وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث**﴾ أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان يعني الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم إلى يوم البعث أي في قبوركم ﴿**فهذا يوم البعث**﴾ أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ﴿**ولكنكم كنتم لا تعلمون**﴾ أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى ﴿**فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون**﴾ أي لا تطلب منهم العتبى والرجوع في الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لأنها لا تقبل منهم. قوله تعالى ﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ فيه إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار ﴿**ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون**﴾ يعني ما أنتم إلا على باطل وذلك على سبيل العناد. فإن قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله: ولئن جئتهم والجمع في قوله: إن أنتم إلا

﴿ **ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون** ﴾، يحلف المشركون، ﴿ **ما لبثوا** ﴾، في الدنيا، ﴿ **غيرَ ساعة** ﴾، إلّا **ساعة** استقلّوا أجل الدنيا لمّا عاينوا الآخرة، وقال مقاتل والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال: ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. ﴿ **كذلك كانوا يُؤفكون** ﴾، يصرفون عن الحق في الدنيا، قال الكلبي ومقاتل: كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث، والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبيّن لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه، وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله: ﴿ **يؤفكون** ﴾ أي يصرفون عن الحق، ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال:

﴿ **وقال الذين أُوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله** ﴾، أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور، وقيل: في كتاب الله أي في حكم الله، وقال قتادة ومقاتل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله، وقرأوا قوله تعالى: ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، أي قالوا للمتكبرين لقد لبثتم، ﴿ **إلى يوم البعث فهذا يوم البعث** ﴾، الذي كنتم تنكرونه في الدنيا، ﴿ **ولكنكم كنتم لا تعلمون** ﴾، وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل.

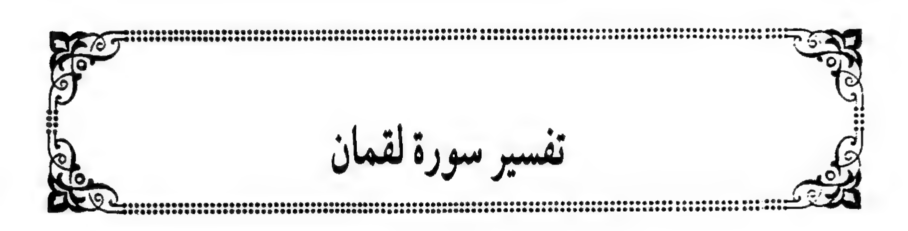
قوله تعالى: ﴿ **فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم** ﴾، يعني عذرهم، ﴿ **ولا هم يُستعتبون** ﴾، لا يطلب منهم العُتبى والرجوع إلى الدنيا، قرأ أهل الكوفة: ﴿ **لا ينفع** ﴾ بالياء ههنا وفي حمّ المؤمن [٥٢]، وقرأ الباقون بالتـــاء فيهما.

﴿ **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتم بآية ليقُولَنّ الذين كفروا إنْ أنتم إلّا مبطلون** ﴾، ما أنتم إلّا على باطل.

﴿ **كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون** ﴾ توحيد الله.

مبطلون. قلت فيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه أنكم كلكم أيها الرسل مبطلون ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**﴾ أي توحيد الله ﴿**فاصبر إن وعد الله حق**﴾ أي في نصرك وإظهارك على عدوك ﴿**ولا يستخفنك**﴾ يعني لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك ﴿**الذين لا يوقنون**﴾ يعني بالبعث والحساب؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

﴿ **فاصبر إن وعد الله حق** ﴾، في نصرتك وإظهارك على عدوّك ﴿ **ولا يستخفنّك** ﴾، لا يستجهلنّك معناه لا يحملنّك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي وقيل لا يستخفنّ رأيك وحلمك، ﴿ **الذين لا يوقنون** ﴾، بالبعث والحساب.



تفسير سورة لقمان

مكية وهي أربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

قوله عز وجل ﴿**الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين**﴾ يعني الذين يعملون الحسنات، ثم ذكرهم فقال ﴿**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾. قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث**﴾ الآية قيل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشاً ويقول إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن. فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء القينات والمغنين، ومعنى الآية ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث؛ وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام» وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي

سُورَة لقْمَان

مكيّة وهي أربع وثلاثون آية.

﴿ **الٓمٓ تلك آياتُ الكتاب الحكيم هدىً ورحمةٌ** ﴾، قرأ حمزة ورحمة بالرفع على الابتداء أي هو هدىً ورحمةٌ، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال ﴿ **للمحسنين** ﴾.

﴿ **الذين يقيمون الصلاة ويُؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يُوقنون * أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾.

﴿ **ومن الناس مَن يشتري لَهْوَ الحديث** ﴾، الآية. قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم فيحدث بها قريشاً ويقول: إن محمداً يحدّثكم بحديث عاد وثمود وأنا أُحدّثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملِحُون حديثه ويتركون استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية

يسكت أخرجه الترمذي وهذا لفظه عن أبي أسامة أن رسول الله ﷺ قال «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام» وفي مثل هذا نزلت ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث**﴾ الآية وعن أبي هريرة «أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار» وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله تعالى يقول: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث**﴾ الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن. وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق وقيل: هو كل لهو ولعب وقيل: هو الشرك ﴿**ليضل عن سبيل الله**﴾ يعني عن دين الإسلام وسماع القرآن ﴿**بغير علم**﴾ يعني يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ﴿**ويتخذها هزواً**﴾ أي يتخذ آيات الله مزحاً ﴿**أولئك**﴾ يعني الذين هذه صفتهم ﴿**لهم عذاب مهين**﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا

وقال مجاهد يعني شراء القِيان والمغنِّين، ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات لَهْو أو ذَا لَهْو الحديث، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي أنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحق المزني ثنا جدّي محمد بن إسحق بن خزيمة أنا علي بن حجر أنا مشمعل بن ملحان الطائي عن مطرح بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ تعليم المغنيات ولا بيعهنّ وأثمانهنّ حرام»، وفي مثل هذا أُنزلت هذه الآية ﴿ **ومن الناس مَن يشتري لَهْوَ الحديث لِيُضلّ عن سبيل الله** ﴾، وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلّا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالاَنِ يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد القفّال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجُردي أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن غالب بن تمام أنا خالد بن مرثد أنا حمّاد بن زيد عن هشام هو ابن حسان عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة» قال مكحول: مَن اشترى جارية ضرّابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أُصلِّ عليه إن الله يقول: ﴿ **ومن الناس مَن يشتري لهو الحديث** ﴾ الآية، وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه، ومعنى قوله: ﴿ **يشتري لهو الحديث** ﴾ أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، قال أبو الصباء البكري سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إلّه إلّا هو، يردّدها ثلاث مرات. وقال إبراهيم النخعي الغناء يُنبِت النفاق في القلب وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف. وقيل: الغناء رُقيةُ الزنا. وقال ابن جريج: هو الطبل. وعن الضحاك قال: هو الشرك. وقال قتادة: هو كل لهو ولعب، ﴿ **ليضلّ عن سبيل الله بغير علم** ﴾، يعني يفعله عن جهل قال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق. قوله تعالى: ﴿ **ويتخذها هُزُواً** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: ﴿ **ويتخذها** ﴾ بنصب الذال عطفاً على قوله: ﴿ **ليضلّ** ﴾ وقرأ الآخرون بالرفع نسقاً على قوله: ﴿ **يشتري** ﴾، ﴿ **أولئك لهم عذاب مهين** ﴾.

فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً**﴾ أي لا يعبأ بها ولا يرفع لها رأساً ﴿**كأن لم يسمعها**﴾ أي يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿**كأن في أذنيه وقراً**﴾ أي ثقلاً ولا وقر فيهما ﴿**فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقاً**﴾ يعني وعدهم الله ذلك وعداً حقاً وهو لا يخلف الميعاد ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ قوله تعالى ﴿**خلق السموات بغير عمد**﴾ قيل إن السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس ذلك إلا بقدرة قادر مختار وإليه الإشارة بقوله بغير عمد ﴿**ترونها**﴾ أي ليس لها شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك إلا بقدرة الله تعالى. وفي قوله ترونها وجهان: أحدهما أنه راجع إلى السموات أي ليست هي بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد. الوجه الثاني أنه راجع إلى العمد ومعناه بغير عمد مرئية ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾ أي لئلا تتحرك بكم ﴿**وبث فيها**﴾ أي في الأرض ﴿**من كل دابة**﴾ أي يسكنون فيها ﴿**وأنزلنا من السماء ماء**﴾ يعني المطر وهو من إنعام الله على عبادة وفضله ﴿**فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**﴾ أي من كل صنف حسن ﴿**هذا**﴾ يعني الذي ذكرت مما تعاينون ﴿**خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾ أي آلهتكم التي تعبدونها ﴿**بل الظالمون في ضلال مبين**﴾ قوله عز وجل ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر. وقيل كان ابن أخت أيوب. وقيل كان ابن خالته. وقيل إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود وقيل إنه كان قاضياً في بني إسرائيل. واتفقت العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال: كان نبياً وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة.

﴿ **وإذا تتلى عليه آياتُنا ولّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنّ في أُذنيه وقراً فبشّره بعذاب أليم** ﴾.

﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّات النعيم** ﴾.

﴿ **خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم** ﴾.

﴿ **خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾، ﴿ **وبثّ فيها من كل دابّة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾، حسن.

﴿ **هذا** ﴾، يعني الذي ذكرت مما تعاينون، ﴿ **خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ﴾. من آلهتكم التي تعبدونها، ﴿ **بل الظالمون في ضلال مبين** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾، يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور، وقال محمد بن إسحاق، وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر. وقال وهب: إنه كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل ذكر أنه كان ابن خالة أيوب. قال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل. واتفق العلماء على أنه كان حكيماً

وروي أنه كان نائماً نصف الليل فنودي يا لقمان هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض فتحكم بين الناس فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعاً وطاعة وإني أعلم أن الله إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان؟ قال إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان إن عدل فبالحرى أن ينجو وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده، فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً وقيل كان خياطاً وقيل كان راعي غنم فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلاناً الراعي قال: بلى قال فبم بلغت ما بلغت؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني، وقيل كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل: خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعها وقيل الحكمة المعرفة والإصابة في الأمور وقيل: الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر. وقوله ﴿**أن اشكر لله**﴾ وذلك لأن المراد من العلم العمل به والشكر عليه ﴿**ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه**﴾ أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ﴿**ومن كفر**﴾ عليه يعود وبال كفره ﴿**فإن الله غني**﴾ أي غير محتاج إلى شكر الشاكرين ﴿**حميد**﴾ أي هو حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد. وقوله تعالى ﴿**وإذ قال لقمان لابنه**﴾ قيل اسمه أنعم وقيل أشكم ﴿**وهو يعظه**﴾ وذلك لأن أعلى مراتب الإنسان أن يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره فقوله ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله**﴾ إشارة إلى الكمال وقوله وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه إشارة إلى التكميل لغيره وبدأ بالأقرب إليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالأهم وهو المنع من الشرك وهو قوله ﴿**يا بني لا تشرك بالله**

ولم يكن نبيّا إلاّ عكرمة فإنه قال كان لقمان نبياً وتفرّد بهذا القول. وقال بعضهم: خيّر لقمان بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة. ورُوِيَ أنه كان نائماً نصف النهار فنُودي يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض لتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال: إن خيّرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم عليّ فسمعاً وطاعة فإني أعلم إن فعل ذلك بي أعانني وعصمني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لما يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان أن يعن فبالأحرى أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومَن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً، ومَن تخيّر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة، فعجبت الملائكة من حُسْن منطقه، فنام نومة أُعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نُودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان، فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو عنه، وكان لقمان يؤازره بحكمته. وعن خالد الربعي قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجّاراً. وقال سعيد بن المسيب: كان خيّاطاً. وقيل: كان راعي غنم. فرُوِيَ أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلاناً الراعي فبِمَ بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني. وقال مجاهد: كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقّق القدمين. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أن اشكر الله ومَنْ يشكرْ فإنّما يشكر لنفسه ومَن كفر فإن الله غنيٌّ حميد** ﴾.

﴿ **وإذْ قال لقمان لابنه** ﴾، واسمه أنعم ويقال مشكم، ﴿ **وهو يعظه يا بني لا تشركْ بالله إنّ الشرك لظلم عظيم** ﴾، قرأ ابن كثير: ﴿ **يا بني لا تشرك بالله** ﴾ بإسكان الياء، وفتحها حفص، والباقون بالكسر، ﴿ **يا بني** ﴾ إنها بفتح الياء حفص، والباقون بالكسر، ﴿ **يا بني أقم الصلاة** ﴾ [لقمان: ١٧] بفتح الياء البزّي عن ابن كثير وحفص، وبإسكانها القوّاس، والباقون بكسرها.

إن الشرك لظلم عظيم﴾ لأن التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لأنه وضع العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾** قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل إن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لأن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف **﴿وفصاله في عامين﴾** أي فطامه في سنتين **﴿أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾** لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال إلي المصير يعني أن نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء علي وقت المصير إلي، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾** قال النخعي: يعني أن طاعتهما واجبة فان أفضى ذلك إلى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لأن لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق **﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾** أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة **﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾** أي اتبع دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه وقيل من أناب إلي يعني أبا بكر الصديق قال ابن عباس: وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم إنه صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر **﴿ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**.

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ

﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ﴾، قال ابن عباس: شدّة بعد شدّة. وقال الضحاك: ضعفاً على ضعف. قال مجاهد: مشقّة على مشقّة. وقال الزجّاج: المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقّة. ويقال: الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف. **﴿ وفصاله ﴾**، أي فطامه، **﴿ في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾**، المرجع، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: مَن صلّى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومَن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين.

﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾، أي بالمعروف، وهو البرّ والصلة والعِشرة الجميلة، **﴿ واتّبعْ سَبيلَ مَن أنابَ إليّ ﴾**، أي دين مَن أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه، قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فقالوا له: قد صدّقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فهؤلاء لهم سابقة الإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر، قال الله تعالى: **﴿ واتّبعْ سبيل مَن أناب إليّ ﴾**، يعني أبا بكر، **﴿ ثم إليّ مرجعكم فأُنبئكم بما كنتم تعملون ﴾**، وقيل: نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه، وقد مضت القصة وقيل: الآية عامّة في حق كافّة الناس.

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

﴿**يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل**﴾ وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ قال يا بني إنها أي الخطيئة إن تك مثقال حبة من خردل أي في الصغر ﴿**فتكن**﴾ أي مع صغرها ﴿**في صخرة**﴾ قال ابن عباس: صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الأرض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الأرض ولا في السماء فلذلك قال ﴿**أو في السموات أو في الأرض**﴾ والصخرة على متن الريح والريح على القدرة ﴿**يأت بها الله**﴾ معناه الله عالم بها قادر على استخراجها وهو قوله ﴿**إن الله لطيف**﴾ أي باستخراجها ﴿**خبير**﴾ أي بمكانها ومعنى الآية الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات ﴿**يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك**﴾ من الأذى ﴿**إن ذلك من عزم الأمور**﴾ يعني إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى من الأمور الواجبة التي أمر الله بها ﴿**ولا تصعر**﴾ وقرىء تصاعر ﴿**خدك للناس**﴾ قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك

﴿ **يا بُنَيَّ إنها إن تكُ مثقالَ حبةٍ من خردل** ﴾، الكناية في قوله: ﴿ **إنها** ﴾ راجعة إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿ **يا بنيّ إن تكُ مثقالَ حبة من خردل فتكن في صخرة** ﴾، قال قتادة تكن في جبل. وقال ابن عباس: في صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجّار وخضرة السماء منها. قال السدي: خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذي ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن نٓ والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، والصخرة على الريح. ﴿ **أو في السموٰت أو في الأرض يأتِ بها الله إنّ الله لطيف** ﴾، باستخراجها، ﴿ **خبير** ﴾، عالم بمكانها، قال الحسن: معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها وفي بعض الكتُب إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلّم بها لقمان فانشقّت مرارته من هيبتها فمات رحمه الله.

﴿ **يا بُنَيَّ أقم الصلاةَ وأمرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبرْ على ما أصابك** ﴾، يعني من الأذى، ﴿ **إن ذلك من عزم الأمور** ﴾، يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فيهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها.

﴿ **ولا تُصعِّرْ خَدَّكَ للناس** ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿ **ولا تصعّر** ﴾ بتشديد العين من غير ألف وقرأ الآخرون (تصاعر) بالألف يقال صعّر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبّراً ورجل أصعر أي مائل العنق. قال ابن عباس: يقول لا تتكبر فتحقِّر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلّموك. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه. وقال عكرمة: هو الذي إذا سُلِّم عليه لَوَى عنقه تكبراً. وقال الربيع بن أنس وقتادة: ولا تحتقرنّ الفقراء ليكن الفقر والغنى عندك سواء، ﴿ **ولا تمشِ في الأرض مرحاً** ﴾، خيلاء تكبراً، ﴿ **إن الله لا يحبّ كلّ مختال** ﴾، في مشيه ﴿ **فخور** ﴾، على الناس.

﴿ **واقصد في مشيك** ﴾، أي ليكن مشيك قصداً لا تخيّلاً ولا إسراعاً. وقال عطاء: امشِ بالوقار والسكينة، كقوله: ﴿ يَمشون على الأرض هوناً ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿ **واغضض من صوتك** ﴾، وقال مقاتل: اخفض صوتك،

وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبراً وقيل معناه لا تحتقر الفقراء فليكن الفقير والغني عندك سواء **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾** أي خيلاء **﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾** في مشيه **﴿فخور﴾** أي على الناس **﴿واقصد في مشيك﴾** أي ليكن في مشيتك قصد بين الإسراع والتأني أما الإسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف تزهداً وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار **﴿واغضض﴾** أي اخفض وقيل وانقص **﴿من صوتك إن أنكر﴾** أي أقبح **﴿الأصوات لصوت الحمير﴾** لأن أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل: إنه كان عبداً حبشياً فدفع إليه مولاه شاة وقال له: اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع إليه أخرى وقال له اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس. وقيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً. قوله عز وجل **﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ﴾** أي أتم وأكمل **﴿عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾** قال ابن عباس النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة؛ وقيل الظاهرة تسوية الأعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته **﴿ومن الناس من يجادل في**

﴿ إن أنكر الأصوات ﴾، أقبح الأصوات، **﴿ لصوت الحمير ﴾**، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوتا أهل النار، وقال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله: **﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾**، قال صياح كل شيء تسبيح لله إلّا الحمار. وقال جعفر الصادق في قوله: **﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾** قال: هي العطسة القبيحة المنكرة. قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم، وحكمه قال خالد الربيعي: كان لقمان عبداً حبشياً فدفع مولاه إليه شاة وقال: اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها، فأتاه باللسان والقلب، ثم دفع إليه شاة أخرى، وقال: اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب، فسأله مولاه، فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا.

قوله تعالى: **﴿ ألم تَرَوْا أنّ الله سخّر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض وأسبغ عليكم ﴾**، أتمّ وأكمل، **﴿ نعمه ﴾**، قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص **﴿ نعمه ﴾** بفتح العين وضمّ الهاء على الجمع، وقرأ الآخرون منوّنة على الواحد ومعناها الجمع أيضاً كقوله: **﴿ وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها ﴾** [إبراهيم: ٣٤]، **﴿ ظاهرة وباطنة ﴾**، قال عكرمة عن ابن عباس: النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجّل عليك بالنقمة. وقال الضحّاك: الظاهرة حسن الصورة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة. وقال مقاتل: الظاهرة تسوية الخلق والرزق والإسلام، والباطنة الإيمان. وقال الربيع: الظاهرة الجوارح والباطنة القلب، وقيل الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب. وقيل: الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق. وقال عطاء: الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة. وقال مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة. وقيل: الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفّار. وقال سهل بن عبد الله: الظاهرة اتّباع الرسول والباطنة محبته. **﴿ ومن الناس مَن يجادل في الله بغير علم ﴾**، نزلت في النضر بن الحارث

الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم ﴿ولا هدى ولا كتاب منير﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه أباءنا﴾ قال الله تعالى ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم﴾ معناه أفيتبعونهم وإن كان الشيطان يدعوهم ﴿إلى عذاب السعير﴾ قوله عز وجل ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ أي يخلص لله دينه ويفوض إليه أمره ﴿وهو محسن﴾ أي في عمله ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتقي بسببه إلى أعلى المراتب والغايات ﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾ أي مصير جميع الأشياء إليه ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات

وأُبيّ بن خلف وأُميّة بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم، ﴿ **ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾.

﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا** ﴾، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **أوَ لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير** ﴾، وجواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير.

قوله تعالى: ﴿ **ومَنْ يُسلم وجهَهُ إلى الله** ﴾، يعني لله أي يخلص دينه لله ويفوّض أمره إلى الله، ﴿ **وهو مُحسنٌ** ﴾، في عمله، ﴿ **فقدِ استمسك بالعروة الوثقى** ﴾، أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، ﴿ **وإلى الله عاقبة الأمور** ﴾.

﴿ **ومَن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبِّئُهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور** ﴾.

﴿ **نُمتّعهم قليلاً** ﴾، أي: نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم، ﴿ **ثم نضطرهم** ﴾، ثم

الصدور﴾ أي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم. قوله تعالى **﴿نمتعهم قليلاً﴾** أي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا إلى انقضاء آجالهم **﴿ثم نضطرهم﴾** أي نلجئهم ونردهم **﴿إلى عذاب غليظ﴾** إلي النار في الآخرة **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد﴾** تقدم تفسيره. قوله تعالى **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾** قال المفسرون لما نزلت بمكة ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ أتعنينا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا أوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله ﷺ هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله بما إن علمتم به انتفعتم به قالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون هذه الآية مدنية وقيل إن اليهود أمروا وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل إن المشركين قالوا إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع فأنزل الله تعالى ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ أي بريت أقلاماً وقيل بعدد كل شجرة قلم **﴿والبحر يمده﴾** أي يزيده وينصب إليه **﴿من بعده سبعة أبحر﴾** أي مداداً والخلائق يكتبون به كلام الله **﴿ما نفدت كلمات الله﴾** لأنها لا نهاية لها **﴿إن الله عزيز حكيم﴾**.

قوله تعالى **﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾** أي إلا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء **﴿إن الله سميع﴾** أي لأقوالكم **﴿بصير﴾** بأعمالكم **﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس**

نلجئهم ونردّهم في الآخرة، **﴿ إلى عذاب غليظ ﴾**، وهو عذاب النار.

﴿ ولئن سألتهم مَن خلق السمٰوات والأرض لَيَقُولَنَّ الله قلِ الحمد لله بلْ أكثرهم لا يعلمون ﴾.

﴿ لله مـا في السمٰوات والأرض إن الله هو الغني الحميد ﴾. قوله سبحانه وتعالى.

﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾، الآية. قال المفسّرون: نزلت بمكة، قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ويسئلونك عن الروح ﴾ إلى قوله: ﴿ وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] فلما هاجر رسول الله ﷺ إلي المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا عنك أنك تقول وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً أفعنيتنا أم قومك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «كلاّ قد عنيت»، قالوا ألست تتلوا فيما جاءك أنّا أُوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم»، قالوا: يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول: ﴿ ومَن يُؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ﴾ [البقرة: ٢٦٩] فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير؟ فأنزل الله هذه الآية. قال قتادة: إن المشركين قالوا إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفد فينقطع، فنزلت: **﴿ ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾** أيّ بُرِيَت أقلاماً، **﴿ والبحر يمدّه ﴾**، قرأ أبو عمرو ويعقوب: **﴿ والبحر ﴾** بالنصب عطفاً على **﴿ ما ﴾**، والباقون بالرفع على الاستئناف **﴿ يمدّه ﴾** أي يزيده، وينصب فيه **﴿ من بعده ﴾** من خلفه، **﴿ سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾**، وفي الآية اختصار تقديره: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفذت كلمات الله. **﴿ إن الله عزيز حكيم ﴾**، وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنيّة وعلى قول غيره مكيّة، وقالوا: إنما أمر اليهود وفد قريش أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بعدُ بمكة والله أعلم.

﴿ وما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة ﴾، أي كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذّر عليه شيء، **﴿ إن الله سميع بصير ﴾**.

والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق﴾ يعني ذلك الذي هو قادر على هذه الأشياء التي ذكرت هو الحق المستحق للعبادة ﴿وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ يعني لا يستحق العبادة ﴿وأن الله هو العلي﴾ يعني في صفاته له الصفات العليا والأسماء الحسنى ﴿الكبير﴾ في ذاته أنه أكبر من كل كبير. قوله تعالى ﴿ألم تر أن الفلك﴾ يعني السفن والمراكب ﴿تجري في البحر بنعمة الله﴾ يعني ذلك من نعمة الله عليكم ﴿فيريكم من آياته﴾ يعني من عجائب صنائعه ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ يعين على ما أمر الله ﴿شكور﴾ لإنعامه ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ يعني كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ معناه أن الإنسان إذا وقع في شدة ابتهل إلى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى ﴿فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾ يعني عدل موفٍ في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يده في يدي فسكت الريح ورجع عكرمة إلى مكة وأسلم وحسن إسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ يعني غدار ﴿كفور﴾ يعني جحود لأنعمنا عليه. قوله تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ يعني خافوا ربكم ﴿واخشوا﴾ يعني وخافوا ﴿يوماً لا يجزي﴾ يعني لا يقضي ولا

﴿ ألم تَرَ أنّ الله يُولج الليل في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ﴾.

﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾، أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق، ﴿ وأنّ ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العليّ الكبير ﴾.

﴿ ألم ترَ أنّ الفُلْكَ تجري في البحر بنعمة الله ﴾، إن ذلك من نعمة الله عليكم، ﴿ لِيُريكم من آياته ﴾، عجائبه، ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبّار ﴾، على أمر الله، ﴿ شكور ﴾، لِنعمه.

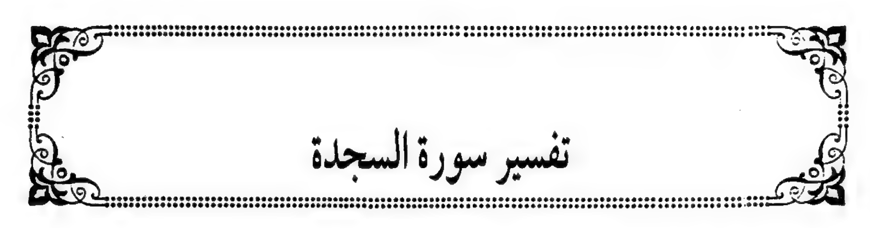
﴿ وإذا غشيهم موج كالظل ﴾، قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبي: كالسحاب. والظل جمع الظلة شبّه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظل وهي جمع، لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء، ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد ﴾، أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني ثبت على إيمانه قيل، نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا لأرجعنّ إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحَسُنَ إسلامه. وقال مجاهد: فمنهم مقتصد في القول مضمر للكفر. وقال الكلبي: مقتصد في القول أي من الكفّار لأن بعضهم كان أشدّ قولاً وأغلى في الافتراء من بعض، ﴿ وما يجحد بآياتنا إلاّ كل ختّارٍ كفور ﴾، والختر أسوأ الغدر.

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي ﴾، لا يقضي ولا يُغني، ﴿ والدٌ عن ولده ولا مولود هو

يغني ﴿والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ قيل معنى الآية إن الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فنبه بالأعلى على الأدنى وبالأدنى على الأعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد يجزي عن والده لما له من حق التربية وغيرها فإذا كان يوم القيامة فكل إنسان يقول نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرىء تهمه نفسه ﴿إن وعد الله حق﴾ قيل إنه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوماً هذا شأنه وهو كائن بوعد الله به ووعده حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الأول أحسن وأظهر ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ يعني لأنها فانية ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يعني الشيطان. قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة. قوله تعالى ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن حفصة من أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجدبت فقل لي متى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فمتى تلد ولقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير» ومعنى الآية إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو أي يوم ليلاً أو نهاراً ﴿وينزل الغيث﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً إلا الله ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلقة أم ناقص ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ من خير أو شر ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ يعني ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الأرض في بر أو بحر في سهل أو جبل ﴿إن الله عليم﴾ يعني بهذه الأشياء وبغيرها ﴿خبير﴾ أي ببواطن الأشياء كلها ليس علمه محيطاً بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس: هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فإنه كفر بالقرآن لأنه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

جازٍ ﴾، مُغْنٍ، **﴿ عن والده شيئاً ﴾**، قال ابن عباس: كل امرىء تهمّه نفسه، **﴿ إنّ وعد الله حقٌّ فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور ﴾**، يعني الشيطان. قال سعيد بن جبير: هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة. **قوله:**

﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾، الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث وتركتُ امرأتي حبلى، فمتى تلد، وقد علمتُ أين ولدتُ فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله هذه الآية: **﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت ﴾**، وقرأ أُبيّ بن كعب «بآية أرض» والمشهور «بأيّ أرض» لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شيء، وقيل: أراد بالأرض المكان، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد أنا ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت». **﴿ إن الله عليم خبير ﴾**.



تفسير سورة السجدة

وهي مكية قال عطاء إلا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمناً وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل ﴿**الم تنزل الكتاب لا ريب فيه**﴾ يعني لا شك في أنه ﴿**من رب العالمين أم يقولون**﴾ يعني بل يقولون يعني المشركين ﴿**افتراه**﴾ يعني اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه ﴿**بل هو الحق**﴾ يعني القرآن ﴿**من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك**﴾ يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ﷺ. فإن قلت إذا لم يأتهم رسول لم تقم عليهم حجة. قلت: أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعم لأن معهم أدلة العقل الموصلة إلى ذلك في كل زمان ﴿**لعلهم يهتدون**﴾ يعني تنذرهم راجياً اهتداءهم ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون**﴾ تقدم تفسيره. قوله تعالى ﴿**يدبر الأمر**﴾ يعني يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه

سُوْرَةُ السَّجْدَةِ

مكيّة وهي ثلاثون آية.

قال عطاء: إلاّ ثلاث آيات من قوله: ﴿ أفمن كان مؤمناً ﴾ [١٨] إلى آخر ثلاث آيات.

﴿ **الٓمٓ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين** ﴾، قال مقاتل: لا شك فيه أنه تنزيل من ربّ العالمين.

﴿ **أم يقولون** ﴾، بل يقولون: ﴿ **افتراه** ﴾، وقيل الميم صلة أي أيقولون افتراه، استفهام توبيخ، وقيل: أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه، وقيل: فيه إضمار مجاز فهم يؤمنون، أم يقولون افتراه، ثم قال: ﴿ **بل هو** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **الحق من ربك لتُنذر قوماً ما أتاهم** ﴾، يعني لم يأتهم، ﴿ **من نذير من قبلك** ﴾، قال قتادة: كانوا أمة أُمّيّة لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ. وقال ابن عباس ومقاتل: ذاك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ، ﴿ **لعلّهم يهتدون** ﴾.

السلام ﴿من السماء إلى الأرض ثم يعرج﴾ يعني يصعد ﴿إليه﴾ جبريل بالأمر ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ يعني مسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله إلى الأرض ثم صعوده إلى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية أنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج إليه أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الآمر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة. فإن قلت قد قال في موضع آخر: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما. قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الأرض وسدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث: «إنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا». قال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمنين إلا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل أن يكون هذا إخباراً عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة: دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة. فقال ابن عباس: رضي الله عنهما أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم.

﴿ الله الذي خلق السمٰوات والأرضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من وليّ ولا شفيع أفلا تتذكّرون ﴾.

﴿ **يدبر الأمر** ﴾ أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر، ﴿ **من السماء إلى الأرض** ﴾، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض، ﴿ **ثم يعرج** ﴾، يصعد، ﴿ **إليه** ﴾، جبريل بالأمر، ﴿ **في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون** ﴾، أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، يقول: لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه إلاّ في ألف سنة، والملائكة يقطعون في يوم واحد، هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء، وأما قوله: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج: ٤]، أراد مدة المسافة من الأرض إلى السماء إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا، هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك. وقوله إليه أي إلى الله. وقيل: هذا على التأويل إلى مكان الملك الذي أمره الله عزّ وجلّ أن يعرج إليه. وقال بعضهم: ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر، معناه يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا، ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا، وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكّام في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة، وأما قوله خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة، وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث «أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاّها في الدنيا». وقال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمن إلاّ كما بين الظهر والعصر، ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدّته وهوله ومشقّته، وقال ابن أبي مليكة: دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفّان على ابن عباس وسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة، فقال له ابن عباس: أيام سمّاها الله لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم.

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿**ذلك عالم الغيب والشهادة**﴾ يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر ﴿**العزيز**﴾ أي الممتنع المنتقم من أعدائه ﴿**الرحيم**﴾ بأوليائه وأهل طاعته. قوله تعالى ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾ قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه وعلمهم إياه. وقيل معناه أحسن إلى كل خلقه ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ يعني آدم ﴿**ثم جعل نسله**﴾ يعني ذريته ﴿**من سلالة**﴾ أي من نطفة تنسل من الإنسان ﴿**من ماء مهين**﴾ أي ضعيف ﴿**ثم سواه**﴾ أي سوى خلقه ﴿**ونفخ فيه من روحه**﴾ أضاف إليه الروح إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال ﴿**وجعل**

﴿ **ذلك عالم الغيب والشهادة** ﴾، معنى ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السمٰوات والأرض عالم مَا غابَ عن عيان الخلق وما حضر، ﴿ **العزيز الرحيم** ﴾.

﴿ **الذي أحسن كل شيء خلقه** ﴾، قرأ نافع وأهل الكوفة ﴿ **خلقه** ﴾ بفتح اللام على الفعل وقرأ الآخرون بسكونها، أي أحسنَ خلقَ كل شيء، قال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. قال قتادة: حسّنه. وقال مقاتل: علم كيف يخلق كل شيء، من قولك فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه. وقيل: خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدّر بما يصلح به معاشه. ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾، يعني آدم.

﴿ **ثم جعل نسله** ﴾، يعني ذريته، ﴿ **من سلالة** ﴾، نطفة سُمّيت سلالة لأنها تسلّ من الإنسان ﴿ **من ماء مهين** ﴾، أي ضعف وهو نطفة الرجل.

﴿ **ثم سوّاه** ﴾، ثم سوّى خلقه، ﴿ **ونفخ فيه من روحه** ﴾، ثم عاد إلى ذريته، فقال: ﴿ **وجعل لكم** ﴾، بعد أن كنتم نطفاً، ﴿ **السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون** ﴾، يعني لا تشكرون ربَّ هذه النِّعم فتوحّدونه.

﴿ **وقالوا** ﴾، يعني مُنكِري البعث، ﴿ **أئذا ضللنا** ﴾، هلكنا، ﴿ **في الأرض** ﴾، وصرنا تراباً وأصله من قولهم ضلّ الماء في اللبن إذا ذهب، ﴿ **أئنّا لفي خلق جديد** ﴾، استفهام إنكار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **بل هم بلقاء ربهم كافرون** ﴾، أي بالبعث بعد الموت.

لكم﴾ أي خلق بعد أن كنتم نطفاً مواتاً ﴿السمع والأبصار والأفئدة﴾ قيل قدم السمع لأن الإنسان يسمع أوّلا كلاماً فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لأن الإنسان يسمع الكلام من أي جهة كان ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ يعني أنكم لا تشكرون رب هذه النعمة فتوحدوه إلا قليلا. قوله تعالى ﴿وقالوا﴾ يعني منكري البعث ﴿أئذا ضللنا﴾ هلكنا ﴿في الأرض﴾ والمعنى صرنا تراباً ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ استفهام إنكاري قال الله تعالى: ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ أي بالبعث بعد الموت ﴿قل يتوفاكم﴾ أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت ﴿ملك الموت﴾ وهو عزرائيل عليه السلام ﴿الذي وكل بكم﴾ أي أنه لا يغفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له إلا ذلك. روي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة، فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. وقال ابن عباس إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب، وقال مجاهد: جعلت له الأرض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء، وقيل إن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فتنزع أعوانه روح الإنسان، فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت. عن معاذ بن جبل قال: إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت. وقوله﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي تصيرون إلى ربكم أحياء فيجزيكم بأعمالكم. قوله عز وجل ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾ أي المشركون ﴿ناكسو رؤوسهم عند ربهم﴾ أي يطأطئونها حياء من ربهم وندماً على ما فعلوا عند ربهم يقولون ﴿ربنا أبصرنا﴾ أي ما كنا به مكذبين ﴿وسمعنا﴾ يعني منك تصديق ما أتتنا به رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها ﴿فارجعنا﴾ أي فارددنا إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ أي في الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الإيمان ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ أي

﴿ قل يتوفاكم ﴾، يقبض أرواحكم، ﴿ ملك الموت الذي وُكّل بكم ﴾، أي وكل بقبض أرواحكم وهو عزرائيل، والتوفّي استيفاء العدد المضروب للخلق في الأزل، معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت. ورُوِيَ أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحبّ من غير مشقّة، فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين وقال ابن عباس: إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب. وقال مجاهد: جعلت له الأرض مثل طست يتناول منها حيث يشاء. وفي بعض الأخبار: أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فينزع أعوانه روح الإنسان فإذا بلغ ثغره نحره قبضه ملك الموت. وروى خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال إن لملك الموت حِربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفّح وجوه الناس فما من أهل بيت إلّا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربَة، وقال الآن تنزل بك سكرات الموت. قوله: ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾، أي تصيرون إليه أحياءً فيجزيكم بأعمالكم.

﴿ ولو ترى إذِ المجرمون ﴾، المشركون، ﴿ ناكسوا رؤوسهم ﴾، مطأطئوا رؤوسهم، ﴿ عند ربهم ﴾، حياءً منه وندماً، ﴿ ربنا ﴾، أي يقولون ربنا، ﴿ أبصرنا ﴾، ما كنّا به مكذبين، ﴿ وسمعنا ﴾، منك تصديق ما آتتنا به رسلك. وقيل: أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فينا، ﴿ فارجعنا ﴾، فأرددنا إلى الدنيا، ﴿ نعمل صالحاً إنّا موقنون ﴾، وجواب لو مضمر مجازه لرأيت العجب.

﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾، رشدها وتوفيقها للإيمان، ﴿ ولكن حق ﴾، وجب، ﴿ القول منّي

رشدها وتوفيقها للإيمان ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي وجب القول مني ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي من كفار الجن والإنس ﴿فذوقوا﴾ يعني فإذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا ﴿بما نسيتم لقاء يومكم﴾ أي تركتم الإيمان في الدنيا ﴿هذا إنا نسيناكم﴾ يعني تركناكم بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناس قطعاً لرجائكم ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ أي من الكفر والتكذيب. قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾

﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ أي وعظوا بها ﴿خروا سجداً﴾ يعني سقطوا على وجوههم ساجدين ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ يعني صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يعني عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال «كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدنا مكاناً لوضع جبهته في غير وقت الصلاة». (م) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار». وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارىء وللمستمع. قوله تعالى ﴿تتجافى جنوبهم﴾ يعني ترتفع وتنبو ﴿عن المضاجع﴾ جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش، وهم المتهجدون بالليل الذي يقيمون الصلاة، وقال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله ﷺ. عن أنس في قوله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب صحيح. وفي رواية أبي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون، وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الأوابين. روي عن ابن عباس قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاء: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء

لأملأنّ جهنّم من الجنّة والناس أجمعين ﴾، وهو قوله لإبليس: ﴿ لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين ﴾ [صٓ: ٨٥]، ثم يقال لأهل النار، وقال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخَزَنَة:

﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾، أي تركتم الإيمان به في الدنيا، **﴿ إنّا نسيناكم ﴾**، تركناكم، **﴿ وذوقوا عذابَ الخلْدِ بما كنتم تعملون ﴾**، من الكفر والتكذيب. قوله عزّ وجلّ:

﴿ إنّما يُؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها ﴾، وعظوا بها، **﴿ خرّوا سُجّداً ﴾**، سقطوا على وجوههم ساجدين، **﴿ وسبّحوا بحمد ربّهم ﴾**، قيل صلّوا بأمر ربهم، وقيل: قالوا سبحان الله وبحمده، **﴿ وهم لا يستكبرون ﴾**، عن الإيمان والسجود له.

﴿ تتجافى ﴾، ترتفع وتنبوا، **﴿ جنوبهم عن المضاجع ﴾**، جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل، الذين يقومون للصلاة، واختلفوا في المراد بهذه الآية، قال أنس: **نزلت فينا معشر الأنصار كنّا نصلّي المغرب فلا نرجع إلى رِحالنا حتى نصلّي العشاء مع النبي ﷺ**، وعن أنس أيضاً قال: **نزلت في أُناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلّون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء**، وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر، وقالا: هي صلاة الأوّابين. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: **إن الملائكة لتحفّ بالذين يصلّون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوّابين**، وقال عطاء: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة. وعن أبي الدرداء وأبي ذرّ وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم: هم الذين يصلّون العشاء الآخرة والفجر

الأخيرة والفجر في جماعة بدليل قوله ﷺ «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله» أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا». وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة.

فصل في فضل قيام الليل والحث عليه

عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير، فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾، ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت بلى يا رسول الله. قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامة الجهاد، ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله؛ قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا. فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي

في جماعة. وروينا أن النبي ﷺ قال: «مَن صلّى العشاء في جماعة كان كمَن قام نصف ليلة، ومَن صلّ الفجر في جماعة كان كقيام ليلة». أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سميّ مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن ابن صالح السمان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصفّ الأول ثم لم يجدوا إلّا أن يستهمُوا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»، وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل، وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفرنا فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على مَن يسّره الله عليه، تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً وتقيمُ الصلاةَ وتُؤتي الزكاةَ وتصوم رمضانَ وتحجُّ البيتَ»، ثم قال: «ألا أدلّك على أبواب الخير: الصوم جنّة، والصدقة تطفىء الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ حتى بلغ ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾، ثم قال: «ألا أدلّك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه»: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»؟ قلت: بلى يا نبيّ الله، قال: «فأخذ بلسانه فقال: اكفف عليك هذا»، فقلت: يا نبيّ الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «ثكلتك أُمك يا معاذ وهل يُكبّ الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم». حدّثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد المخلدي أنا محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو عبد الله بن صالح، حدّثني معاوية بن صالح حدّثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُربة لكم إلى ربكم، وتكفير للسيئات، ومنها عن الإثم»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أبو جعفر محمد بن أحمد بن

عن رسول الله ﷺ قال «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم وتكفير السيئات ومنهاة عن الآثام ومطردة الداء عن الجسد» أخرجه الترمذي. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه. فيقول الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». (ق) عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً». عن علي قال قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة غرفاً يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام». أخرجه الترمذي. (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة يذكر النبي ﷺ يقول «إن أخاً لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال:

وفينــــا رســـــول الله يتلـــو كتـــابـــه	إذا انشـــق معـــروف مـــن الفجـــر ســـاطـــع
أرانـــا الهـــدى بعـــد العمـــى فقلـــوبنـــا	بـــه مـــوقنـــات مـــا إذا قـــال واقـــع
يبيـــت يجـــافـــي جنبـــه عـــن فـــراشـــه	إذا استثقلـــت بـــالكـــافـــريـــن المضـــاجـــع»

عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا روح بن أسلم أنا حمّاد بن سلمة أنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربُّنا من رجلين ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته»، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندي وشفقاً مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم معه أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزام وما له فى الرجوع، فرجع فقاتل حتى أُهريق دمه، فيقول الله لملائكته: «انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أُهريق دمه»، أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراح أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو عوانة عن أبي بشر عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها أعدّها الله لمَن ألان الكلام وأطعم الطعام، وتابع الصيام وصلّى بالليل والناس نيام» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إصبغ أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أنا الهيثم بن أبي سنان أخبرني أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن أخاً لكم لا يقول الرفث» يعني بذلك عبد الله بن رواحة، قال:

وفينـا رسـول الله يـتلو كـتـابـه	إذا انشقّ معروف من الفجر ساطع
أرانـا الهدى بعد العمى فقلوبنا	بـه موقنـات أن مـا قـال واقـع
يبيت يجـافي جنبه عن فـراشـه	إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان. عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث. وقوله تعالى ﴿**يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**﴾ قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع. قوله عز وجل:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾ أي مما تقربه أعينهم فلا يلتفتون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾ أي من الطاعات في دار الدنيا (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين». قوله تعالى ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾ نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان بينهما تنازع وكلام في شيء، فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وأنا شيخ وإني أبسط منك لسانا، وأحد منك سناناً وأشجع منك جناناً وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال له علي اسكت فانك فاسق، فأنزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً ﴿**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى**﴾ أي التي يأوي إليها المؤمنون ﴿**نزلاً**﴾ هو ما يهيأ للضيف عند نزوله ﴿**بما كانوا يعملون**﴾ يعني من الطاعات في دار الدنيا ﴿**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يدعون ربَّهم خوفاً وطمعاً** ﴾ قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة، ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾، قيل أراد به الصدقة المفروضة. وقيل: في الواجب والتطوّع.

﴿ **فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم** ﴾، قرأ حمزة ويعقوب ﴿ **أخفيْ لهم** ﴾ ساكنة الياء أي أنا أخفي لهم، ومن حجّته قراءة ابن مسعود «نخفــي» بالنون، وقرأ الآخرون بفتحها، ﴿ **من قُرّةِ أعين** ﴾، مما تقرّ به أعينهم، ﴿ **جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر أنا أبو أُسامة عن الأعمش أنا أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله** تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما اطّلعتم عليه»، ثم قرأ ﴿ **فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ قال ابن عباس: هذا مما لا تفسير له. وعن بعضهم قال: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ أي سوى العذاب الأكبر، قال ابن عباس العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها، وعنه أنه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين، وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر ﴿ومن أظلم﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ أي بدلائل وحدانيته وإنعامه عليه ﴿ثم أعرض عنها﴾ أي ترك الإيمان بها ﴿إنا من المجرمين﴾ يعني المشركين ﴿منتقمون﴾ معناه أنهم لما لم يرجعوا بالعذاب الأدنى فانا منهم منتقمون بالعذاب الأكبر. قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة ﴿فلا تكن في مرية﴾ أي في شك ﴿من لقائه﴾ أي من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلاً موبوعاً مربوع الخلق إلى الحمرة وإلى البياض سبط الشعر، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه (م) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره». فإن قلت قد صح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين. قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر، كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس، ثم لما صعد إلى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير. فإن قلت كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو

قوله عزّ وجلّ: ﴿ أفمن كان مؤمناً كمَن كان فاسقاً لا يستوون ﴾، نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي مُعيط أخي عثمان لأمه، وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء، فقال الوليد بن عقبة لعلّي أسكت فإنك صبي وأنا والله أنشط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأشجع منك جناناً وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال له علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله تعالى: **﴿ أفمن كان مؤمناً كمَن كان فاسقاً لا يستوون ﴾**، ولم يقل لا يستويان لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى ﴾، التي يأوي إليها المؤمنون، **﴿ نزلاً بما كانوا يعملون ﴾**.

﴿ وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾.

﴿ ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾، أي سوى العذاب الأكبر، **﴿ لعلّهم يرجعون ﴾**، قال أُبيّ بن كعب والضحاك والحسن وإبراهيم: العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها، وهو رواية الوالبي عن ابن عباس. وقال عكرمة عنه: الحدود. وقال مقاتل: الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب. وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر، وهو قول قتادة والسدي، **﴿ دون العذاب الأكبر ﴾** يعني عذاب الآخرة، **﴿ لعلّهم يرجعون ﴾**، إلى الإيمان، يعني مَن بقي منهم بعد بدر وبعد القحط.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومَن أظلم ممّن ذُكّر بآياتِ ربّه ثم أعرض عنها إنّا من المجرمين ﴾، يعني المشركين، **﴿ منتقمون ﴾**.

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مِرية من لقائه ﴾، يعني فلا تكن في شكٍّ من لقاء موسى ليلة المعراج، قاله ابن عباس وغيره، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر عن شعبة عن قتادة رحمهما الله قال: وقال لي خليفة أنا

في دار الآخرة وليست دار عمل، وكذلك رأى النبي ﷺ جماعة من الأنبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا؟ قلت يجاب عنه بأجوبة أحدها: أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وأن يتقربوا إلى الله بما استطاعوا وإن كانوا قد ماتوا لأنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار العمل، إلى أن تفنى ثم يرحلون إلى دار الجزاء التي هي الجنة. الجواب الثاني: أنه ﷺ رأى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم. الجواب الثالث: أن التكليف وإن ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع، قال الله تعالى ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾ وقال ﷺ «يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس» فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم، وقيل في قوله ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول ﴿**وجعلناه**﴾ أي الكتاب ﴿**هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم**﴾ أي من بني إسرائيل ﴿**أئمة**﴾ أي قادة للخير يقتدى بهم وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل وقيل هم أتباع الأنبياء ﴿**يهدون بأمرنا**﴾ يعني يدعون الناس إلى طاعتنا ﴿**لما صبروا**﴾ يعني على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر ﴿**وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ يعني أنها من الله تعالى ﴿**إن ربك هو يفصل**﴾ أي يقضي ويحكم ﴿**بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ قيل هم الأنبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى ﴿**أو لم يهد لهم**﴾ أي نبين لهم ﴿**كم أهلكنا**﴾ يعني كثرة من أهلكنا ﴿**من قبلهم من القرون**﴾ يعني الأمم الخالية ﴿**يمشون في مساكنهم**﴾ يعني أهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم إذا سافروا ﴿**إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون**﴾ يعني آيات الله ومواعظه فيتعظون بها. قوله عز وجل:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا

يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قال أنا ابن عمّ نبيّكم يعني ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أُسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجال في آيات أراهنّ الله إيّاه فلا تكن في مِرية من لقائه». أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله المحاملي أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البزار أنا محمد بن يونس أنا عمر بن حبيب القاضي أنا سليمان التيمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا سُرِيَ بي إلى السماء رأيت موسى يصلّي في قبره»، وروينا في المعراج أنه رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلاة، قال السدي: فلا تكن في مِرية من لقائه أي من تلقّي موسى كتاب الله بالرضا والقبول، ﴿ **وجعلناه** ﴾، يعني الكتاب وهو التوراة، وقال قتادة: موسى، ﴿ **هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم** ﴾، يعني من بني إسرائيل، ﴿ **أئمة** ﴾، قادة في الخير يقتدى بهم، يعني الأنبياء الذين كانوا فيهم. وقال قتادة: أتباع الأنبياء، ﴿ **يهدون** ﴾، يدعون، ﴿ **بأمرنا لمّا صبروا** ﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم، أي حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوّهم بمصر، ﴿ **وكانوا بآياتنا يُوقنون** ﴾.

﴿ **إنّ ربّك هو يَفْصِلُ** ﴾، يقضي، ﴿ **بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾.

﴿ **أوَ لم يهدِ** ﴾، لم يتبيّن، ﴿ **لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات أفلا يسمعون** ﴾، آيات الله وعظاته فيتّعظون بها.

يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

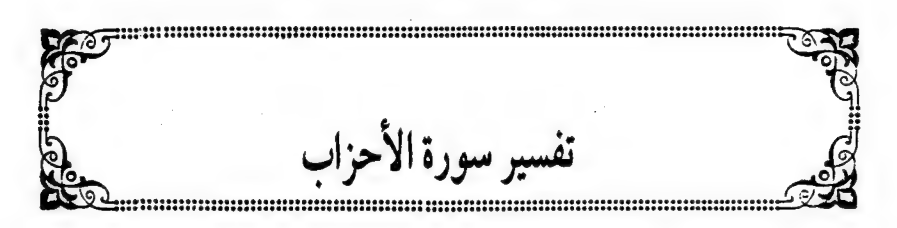
﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ أي الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقيل هي أبين ﴿فنخرج به﴾ أي بذلك الماء ﴿زرعاً تأكل منه أنعامهم﴾ يعني العشب والتبن ﴿وأنفسهم﴾ أي من الحبوب والأقوات ﴿أفلا يبصرون﴾ يعني فيعتبروا. قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للكفار إن لنا يوماً ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم. فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح أي القضاء والحكم، وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون للكفار إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح ﴿قل يوم الفتح﴾ يعني يوم القيامة ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ يعني لا يقبل منهم الإيمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر، قال معناهم لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا ﴿ولا هم ينظرون﴾ يعني يمهلون ليتوبوا ويعتذروا ﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس نسختها آية السيف ﴿وانتظر﴾ يعني موعدي لك بالنصر عليهم ﴿إنهم منتظرون﴾ أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا إياهم فهم منتظرون ذلك. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان». عن جابر أن النبي ﷺ «كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك» أخرجه الترمذي. وقال طاوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي. والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ أوَ لم يرَوا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرز ﴾، أي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، قال ابن عباس: هي أرض باليمن. وقال مجاهد: هي أرض أبين، **﴿ فنُخرِج به زرعاً تأكل منه أنعامُهم ﴾**، من العشب والتبن، **﴿ وأنفسُهم ﴾**، من الحبوب والأقوات، **﴿ أفلا يبصرون ﴾**.

﴿ ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين ﴾، قيل: أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد، قال قتادة: قال أصحاب النبي ﷺ للكفّار: إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم، فقالوا استهزاء: متى هذا الفتح؟ أي القضاء والحكم، وقال الكلبي: يعني فتح مكة. وقال السدي: يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم: إن الله ناصرنا ومُظهِرنا عليكم، فيقولون متى هذا الفتح؟.

﴿ قلْ يوم الفتح ﴾، يوم القيامة، **﴿ لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ﴾**، ومَن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا، **﴿ ولا هم ينظرون ﴾**، لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا.

﴿ فأعرضْ عنهم ﴾، قال ابن عباس: نسختها آية السيف، **﴿ وانتظر إنهم منتظرون ﴾**، قيل: انتظر موعدي لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان. وقيل: انتظر عذابنا فيهم فإنهم منتظرون ذلك، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة أنه قال كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ تنزيل ﴾ [السجدة: ١ و٢] و﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ [الإنسان: ١] أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو نعيم أنا سفيان عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ تنزيل ﴾ [السجدة: ١ و٢] و﴿ تبارك الذي بيده المُلك ﴾ [الملك: ١].



تفسير سورة الأحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسون آلاف وسبعمائة وتسعون حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل ﴿**يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**﴾ نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي، وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم. فقال إني أعطيتهم الأمان. فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة. فأنزل الله تعالى ﴿**يا أيها النبي** ﷺ **اتق الله**﴾ أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به أمته ولا ﴿**تطع الكافرين**﴾ يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين يعني من أهل

سُورَة الأحْزَاب

مدنيّة وهي ثلاث وسبعون آية.

﴿ **يا أيها النبي اتقِ الله** ﴾، نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور وعمرو بن سفيان السلمي، وذلك أنهم قَدِموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أُبيّ بن سلُول رأس المنافقين بعد قتال أُحُد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان أن يكلّموه، فقام معهم عبد اللهبن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللّات والعزّى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمَن عبدها، وندعك وربك، فشقّ ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم، فقال: «إني قد أعطيتهم الأمان»، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يُخرجهم من المدينة فأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيّها النبي اتّقِ الله** ﴾ أي دُمْ على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ههنا أي اثبت قائماً. وقيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة. وقال الضحاك: معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم. ﴿ **ولا تطع الكافرين** ﴾ من أهل مكة

المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة ﴿إن الله كان عليماً﴾ أي بخلقه قبل أن يخلقهم ﴿حكيماً﴾ أي فيما دبره لهم ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ يعني من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين ﴿إن الله كان بما يعملون خبيراً وتوكل على الله﴾ أي ثق بالله وكل أمرك إليه ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ يعني حافظاً لك وقيل كفيلاً برزقك. قوله تعالى ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال له يا أبا معمر ما حال الناس. فقال انهزموا فقال له فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك. فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي. فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده. وعن أبي ظبيان قال: قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ما عنى بذلك؟ قال «قام نبي الله ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة. فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون أن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم فأنزل الله ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ «أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للإنسان في صلاة. قيل في معنى الآية أنه لما قال الله تعالى ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ فكان ذلك أمراً بالتقوى. فكأنه قال ومن حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله، فإن المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله بأحدهما وبالآخر غيره، وقيل إن هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره، فكما لا يكون لرجل قلبان لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب، فالآخر فضله عليه محتاج إليه، وإما أن يفعل

يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور، ﴿ والمنافقين ﴾، من أهل المدينة عبد الله بن أُبيّ وعبد الله بن سعد وطعمة ﴿ إن الله كان عليماً ﴾، لخلقه، قبل أن يخلقهم، ﴿ حكيماً ﴾ فيما دبّره لهم.

﴿ واتّبع ما يُوحى إليك من ربك إنّ الله كان بما تعملون خبيراً ﴾، قرأ أبو عمرو «يعملون خبيراً» و«يعملون بصيراً» بالياء فيهما وقرأ غيره بالتاء.

﴿ وتوكلْ على الله ﴾ ثق بالله، ﴿ وكَفى بالله وكيلاً ﴾، حافظاً لك، وقيل كفيلاً برزقك، قوله عزّ وجلّ:

﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾، نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلّا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله، فقال له يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال انهزموا، قال: فما لك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر ما شعرت إلّا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده. وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ للمظاهر من امرأته وللمتبنّي ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمّه حتى تكون له أمان، ولا يكون له ولد واحد ابن رجلين. ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تُظاهرون منهنّ أُمّهاتكم ﴾، قرأ أهل الشام والكوفة (اللاتي) ههنا وسورة الطلاق [٤] بياء بعد الهمزة، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ الآخرون بتليين الهمزة، وكلها لغات معروفة، ﴿ تظاهرون ﴾ وقرأ عاصم بالألف وضمّ التاء وكسر الهاء مخفّفاً، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخفّفاً، وقرأ ابن عامر بفتحها وتشديد الظاء، وقرأ الآخرون بفتحها وتشديد الظاء والهاء من غير ألف بينهما، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أُمي، يقول الله تعالى: ما جعل نساءكم اللائي تقولون لهنّ هذا في التحريم كأُمّهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفّارة نذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة [٣ و٤]. ﴿ وما

بهذا ما لا يفعل بذاك، فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً جاهلاً موقناً شاكاً في حالة واحدة، وهما حالتان متنافيتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين. قوله تعالى ﴿**وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم**﴾ وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، يقول الله وما جعل نساءكم التي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في سورة المجادلة. قوله تعالى ﴿**وما جعل أدعياءكم**﴾ يعني الذين تتبنونهم ﴿**أبناءكم**﴾ وفيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه إليه الناس ويرث ميراثه، وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي، وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل الله هذه الآية ونسخ بها التبني ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم**﴾ أي لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب لا حقيقة له ﴿**والله يقول الحق**﴾ يعني قوله الحق ﴿**وهو يهدي السبيل**﴾ يعني يرشد إلى سبيل الحق.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾

﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾ يعني الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة ﴿**هو أقسط عند الله**﴾ يعني أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال: إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل ﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾ الآية ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين**﴾ يعني فهم إخوانكم ﴿**ومواليكم**﴾ أي كانوا محررين

جعل أدعياءكم ﴾، يعني مَن تبنيتموه ﴿ **أبناءكم** ﴾، فيه نسخ التبنّي، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس إليه ويرث ميراثه، وكان النبي ﷺ أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبنّاه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبنّي، ﴿ **ذلكم قولكم بأفواهكم** ﴾، لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ نسب لا حقيقة له، ﴿ **والله يقول الحق** ﴾، يعني قوله الحق، ﴿ **وهو يهدي السبيل** ﴾، أي يرشدهم إلى سبيل الحق.

﴿ **ادعوهم لآبائهم** ﴾، الذين ولدوهم، ﴿ **هو أقسط** ﴾، أعدل، ﴿ **عند الله** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معلى بن أسد أنا عبد العزيز بن المختار أنا موسى بن عقبة حدّثني سالم عن عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال: ما كنّا ندعو إلّا زيد بن محمد حتى نزل القرآن.

﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**﴾، ﴿ **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم** ﴾، يعني فهم إخوانكم، ﴿ **في الدين ومواليكم** ﴾، إن كانوا محرّرين وليسوا بَنِيْكُم، أي سمّوهم بأسماء إخوانكم في الدين. وقيل: مواليكم أي أولياءكم في الدين، ﴿ **وليس عليكم جُناح فيما أخطأتم به** ﴾، قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه، ﴿**ولكن ما**

وليسوا ببنيكم أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين، وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**﴾ أي قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه ﴿**ولكن ما تعمدت قلوبكم**﴾ أي من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن تدعوه إلى غير أبيه وهو يظن أنه كذلك ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾. (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة أن النبي ﷺ قال «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» قوله عز وجل ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه، عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعة أنفسهم، وهذا صحيح لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، ورسول الله ﷺ يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم، وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه، وقيل كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية. (ق) عن أبي هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، واقرؤوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فلترثه عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه». عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعاً أي عيالاً وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً، وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع.

قوله تعالى ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في

تعمدتْ قلوبُكم ﴾، ومن دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي. وقال قتادة: فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك ومحل ﴿ **ما** ﴾ في قوله تعالى: ﴿ **ما تعمدت** ﴾ خفض ردّاً على ﴿ **ما** ﴾ التي في قوله: ﴿ **فيما أخطأتم به** ﴾ مجازه ولكن فيما تعمدت قلوبكم، ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر أنا شعبة عن عاصم قال سمعت أبا عثمان قال سمعت سعداً وهو أول مَن رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرة وكان قد تسوّر حصن الطائف في أُناس فجاء إلى النبي ﷺ فقالا سمعنا النبي ﷺ يقول: «مَن ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾، يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم. وقال ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي ﷺ ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من أنفسهم. قال ابن زيد: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم، كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليه. وقيل: هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه. وقيل: كان النبي ﷺ يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا، فنزلت الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا أبو عامر أنا فليح عن هلال بن علي بن عبد الرحمن بن أبي عمرو عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلاّ أنا أولى به في الدنيا والآخرة»، اقرأوا إن شئتم «﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته مَنْ كانوا، ومَن ترك دَيناً أو ضَيَاعاً فليأتني فأنا مولاه». قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وأزواجه أُمهاتهم** ﴾، وفي حرف أبي (وأزواجه وأُمهاتهم)، وهو لهم وهنّ أُمهات المؤمنين في تعظيم حقّهنّ وتحريم نكاحهنّ على التأبيد، لا في النظر إليهنّ والخلوة بهنّ، فإنه حرام في حقّهنّ كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: ﴿ وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولا يقال لبناتهنّ هنّ أخوات المؤمنين ولا لأخوانهم وأخواتهنّ، هم أخوال المؤمنين وخالاتهم، قال الشافعي: تزوّج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أُخت أُم المؤمنين، ولم يقل هي خالة

النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن هن أخوال المؤمنين وخالاتهم. قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين، وقيل إن أزواج النبي ﷺ كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء، بدليل ما روي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة يا أمه. فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم. فبان بذلك أن معنى الأمومة إنما هو تحريم نكاحهن ﴿**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض**﴾ يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وقيل آخى رسول الله ﷺ بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت ﴿وأولي الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر ﴿**في كتاب الله**﴾ أي في حكم الله ﴿**من المؤمنين**﴾ الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم ﴿**والمهاجرين**﴾ يعني أن ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة ﴿**إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً**﴾ يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين، وذلك أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالخلف والإخاء والهجرة، أباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله، وقيل أراد بالمعروف النصر وحفظ الحرمة بحق الإيمان والهجرة، وقيل معناه إلا أن توصوا إلى قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة ﴿**كان ذلك**﴾ أي الذي ذكر من أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴿**في الكتاب**﴾ أي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة ﴿**مسطوراً**﴾ أي مكتوباً مثبتاً. قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ

المؤمنين، واختلفوا في أنهنّ هل كنّ أُمهات النساء المؤمنات؟ قيل: كنّ أُمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً. وقيل: كنّ أُمهات المؤمنين دون النساء، وروى الشعبي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها قالت: يا أُمّه فقالت لست لك بأُم إنما أنا أُم رجالكم، فبان بهذا أن معنى هـذه الأمـومة تحريم نكاحهنّ. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾، يعني في الميراث، قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يؤاخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت هذه الآية ﴿ **وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ في حكم الله، ﴿ **من المؤمنين** ﴾، الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم، ﴿ **والمهاجرين** ﴾، يعني ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرث بالإيمان والهجرة، نسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت بالقرابة. قوله: ﴿ **إلّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً** ﴾، أراد بالمعروف الوصية للذين يتولّونه من المعاقدين، وذلك أن الله لمّا نسخ التوارث بالحلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمَن يتولّاه بما أحبّ من ثلثه. وقال مجاهد: أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الإيمان والهجرة. وقيل: أراد بالآية: إثبات الميراث بالإيمان والهجرة، يعني وأُولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض، أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلّا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً يعني إلّا أن توصوا لذوي قراباتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة، وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة. ﴿ **كان ذلك في الكتاب مسطوراً** ﴾، أي كان الذي ذكرت من أن أُولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً. وقال القرظي: في التوراة. قوله عزّ وجلّ:

عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾ أي على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً ويبشر بعضهم ببعض، وقيل على أن يعبدوا الله ويدعوا الناس إلى عبادته وينصحوا لقومهم ﴿**ومنك**﴾ يعني يا محمد ﴿**ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم**﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل، وقدم النبي ﷺ في الذكر تشريفاً له وتفضيلاً. ولما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث». قال قتادة وذلك قول الله ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ فبدأ به ﷺ ﴿**وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**﴾ أي عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا من تبليغ الرسالة ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾ يعني أخذ ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى صادقون تبكيت من أرسلوا إليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم ﴿**وأعد للكافرين عذاباً أليماً**﴾ قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم**﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي ﷺ بالمدينة أيام الخندق ﴿**إذ جاءتكم جنود**﴾ يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً**﴾ يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي ننصر رسول الله ﷺ. فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل. فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور». وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون إلا ذهب حزنه. قوله تعالى ﴿**وجنوداً لم تروها**﴾ يعني الملائكة، ولم

﴿ **وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم** ﴾، على الوفاء بما حملوا وأن يُصدّق بعضهم بعضاً ويبشّر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدّق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم: ﴿ **ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم** ﴾، خصّ هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل وقدّم النبي ﷺ بالذكر لِما أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الحديثي أنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرىء أنا محمد بن محمد بن سليمان الساعدي أنا هارون بن محمد بن بكّار بن بلال أنا أبي أنا سعيد يعني ابن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كنتُ أول النبيّين في الخلق وآخرهم في البعث»، قال قتادة: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح** ﴾، فبدأ به ﷺ قبلهم ﴿ **وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً** ﴾، عهداً شديداً على الوفاء بما حمّلُوا.

﴿ **ليسألَ الصادقين عن صدقهم** ﴾، يقول أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون تبكيت مَن أرسلوا إليهم. وقيل: ليسأل الصادقين عن عملهم لله عزّ وجلّ. وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم. ﴿ **وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** ﴾، وذلك حين حُوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق، ﴿ **إذْ جاءتكم جنود** ﴾، يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير، ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحاً** ﴾، وهي الصبا، قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقي ننصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرّة لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أُرسلت عليهم الصبا، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن

تقاتل ملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحاً باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان النجاء النجاء هلموا إلي فإذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب ﴿ **وكان الله بما تعملون بصيراً**﴾.

ذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب

قال: البخاري قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع من الهجرة. وروى محمد بن إسحاق عن مشايخه قال: دخل حديث بعضهم في بعض أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، فديننا خير أم دينه؟ قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ إلى قوله ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾. قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ. فاجتمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان وقيساً وغيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب

ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصرت بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور». قوله تعالى: ﴿ **وجنوداً لم تروها** ﴾، وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ، فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحاً باردةً فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، حتى كان سيد كل حيٍّ يقول يا بني فلان هلمّ إليّ فإذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء، لِما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال. ﴿ **وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾، قال محمد بن إسحاق حدّثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومَن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا، دخل حديث بعضهم في بعض: أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وَحُيَي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبي عمّار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قَدِموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنّا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، فديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منهم، قال فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ [النساء: ٥١]، إلى قوله: ﴿ وكفى بجهنّم سعيراً ﴾ [النساء: ٥٥]، فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ما قالوا ونشطوا لِما دَعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك ثم خرج أُولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو

الخندق على المدينة، وكان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر. فقال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا ضربنا خندقاً علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه. وروي «أن رسول الله ﷺ خط الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال النبي ﷺ سلمان منا أهل البيت».

قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا، حتى إذا كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر هذه الصخرة، فإما أن يعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها أمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه، قال فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا منها شيء قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه الصلاة والسلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعني المدينة، حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون معه، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية فبرق منها برق حتى أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر

سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومِسعَر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع، فلما سمع رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حرّ، فقال: يا رسول الله إنّا كنّا بفارس إذا حصرنا خندقنا عليه، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أنا محمد بن جعفر الطبري ثنا حماد بن الحسن ثنا محمد بن خالد بن عثمة ثنا كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف حدّثني أبي عن أبيه قال: خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، قال: فاحتجّ المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منّا، وقال الأنصار: سلمان منّا، فقال النبي ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»، قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المازني وستّة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا كنّا بجنب ذي باب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقّت علينا، فقلنا: يا سلمان إرقَ إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة، فأما أن يعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيه بأمره فإنّا لا نحب أن نجاوز خطّه، قال: فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبّة تركية، فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتى ما يجيبك فيها قليل ولا كثير، فمُرنا فيها بأمرك فإنّا لا نحبّ أن نتجاوز خطّك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المِعوَل من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيراً فكبّر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية وبرق عنها برقٌ أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبّر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول

المسلمون معه ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون معه وأخذ بيد سلمان ورقي فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: أرأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال: ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور قيصر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال: فنزل القرآن: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً**﴾. وأنزل الله: ﴿**قل اللهم مالك الملك الآية**﴾ (ق) عن أنس قال «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال «اللهم إن العيش عيش الآخرة؛ فاغفر للأنصار والمهاجرة» فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما حيينا أبدا

الله ﷺ تكبير فتح، وكبّر المسلمون معه، فأخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قطّ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: «أرأيتم ما يقول سلمان»؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أُمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أُمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا». فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنّيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ قال فنزل القرآن: ﴿ وإذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً ﴾ [الأحزاب: ١٢]، وأنزل الله في هذه القصة: ﴿ قلِ اللّهمَّ مالك الملك ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا معاوية بن عمرو أنا أبو إسحاق عن حميد قال سمعت أنساً يقول: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكون لهم عبيد يعملون ذلك عنهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: «اللّهمّ إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرّ بطنه أو اغبرّ صدره وهو يقول:

عن البراء بن عازب قال «رأيت النبي ﷺ ينقل معنا التراب وهو يقول:

والله لــــولا الله مــــا اهتــــدينــــا ولا تصـــــدقنـــــا ولا صلينـــــــا
فــــأنـــــزلــــن سكينـــــة علينـــــا وثبـــــت الأقـــــدام إن لاقينـــــا
والمشــــركــــون قــــد بغــــوا علينــــا إذا أرادوا فتنـــــــة أبينـــــــا

ويرفع بها صوته. «وفي رواية قد وارى التراب بياض إبطيه» رجعنا إلى حديث ابن إسحاق قال «فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نعمى إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا إلى الآطام، وخرج عدو الله حييّ بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد واعد رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حييّ يا كعب افتح لنا فقال: ويحك يا حييّ إنك امرؤ مشؤوم إني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً فقال: ويحك افتح أكلمك قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً أن آكل معك فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. فقال: له كعب جئتني والله بذلّ الدهر وبجام قد يهرق ماؤه ويرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمداً وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل حييّ بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمداً

والله لــولا الله مــا اهـتـدينـا ولا تـصـدقـنـا ولا صـلّـيـنـا
فـأنـزلـنْ سـكـيـنـةً عـلـيـنـا وثـبّـت الأقـدام إنْ لاقـيـنـا
إن الألـى قـد بـغَـوا عـلـيـنـا إذا أرادوا فـتـنـة أبـيـنـا

ورفع بها صوته أبينا أبينا. رجعنا إلىَ حديث ابن إسحاق قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومَن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نعمى إلى جانب أُحُد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالنساء والذراري فرُفعوا في الآطام، وخرج عدّو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهـم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلما سمع كعب بِحُيَي بن أخطب أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه حُيي فأبى أن يفتح له فناداه حُيي: يا كعب افتح لي، فقال: وَيْحَكَ يا حُيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أُكلّمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغفلت دوني إلاّ على حشيشتك أن آكل معك منها فاحفظ الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعزّ الدهر وبحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة، بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نعمى إلى جانب أُحُد، وقد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومَن معه، قال له كعب بن

أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد العهد وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ. فلما انتهى الخبر إلي رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف. فقال: انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحق أم لا فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلاً عنده حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا وقالوا: عضل والقارة لغدر، عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه. فقال: رسول الله ﷺ الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً. وقال: أوس بن قيظي أحد بني حارثة يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو، وذلك على ملأ من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ، وأقام المشركون عليها بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى، فلما اشتد البلاء على الناس بعث

أشدّ: جئتني والله بذلّ الدهر وبجام قد هراق ماؤه برعد وبرق، وليس فيه شيء، فدعني ومحمداً وما أنا عليه فإني لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاءً، فلم يزل حُيَي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه من الله عهداً وميثاقاً ووفاءً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهراً للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم منهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدَّة، فقال له سعد بن معاذ: دعْ عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومَن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا عليه وقالوا: عضل والقارة لغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض للمنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً، وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن قيظي: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك على ملأ من رجال قومه، فائذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلّا الرمي بالنبل والحصى، فلما اشتدّ البلاء

رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه. فقالا: يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بدلنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا. قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال: له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ أنت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم، فمروا على بني كنانة فقالوا تهيؤوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد

على الناس بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن، وإلى الحرث بن عمر وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمَن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح على ذلك، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به أم أمر تحبه فتصنعه، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلاّ أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم»، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأخذوا منّا تمرةً واحدةً، إلاّ قرىً أو بيعاً فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا، ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلاّ السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: «فأنت وذاك» فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة، ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوّهم مُحاصروهم، ولم يكن بينهم قتال إلاّ أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر، قف تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومرّوا على بني كنانة فقالوا: تهيئوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمّموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ودٍّ قاتل يوم بدر حتى أثبته الجراحة فلم يشهد أُحُداً فلما كان يوم الخندق خرج مُعلّماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال له عليّ: يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلّتين إلاّ أخذت منه إحداهما، قال: أجل، فقال له علي بن أبي طالب: فإني أدعوك

أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله، قال علي يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداهما. قال: أجل قال له علي: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك. قال: إني أدعوك إلى النزال قال: ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال علي: لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل علي علي فتناولا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة، وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة. فقال: يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده فقال رسول الله ﷺ لا حاجة لنا في جسدهم وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين: كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول:

لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت: له أمه الحق يا بني فقد والله أجزت. قالت عائشة: يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي وخفت عليه حيث أصاب السهم منه. قالت: فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الأكحل رماه خباب بن قيس بن

إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، قال: ولِمَ يا ابن أخي فوالله ما أُحب أن أقتلك، قال علي: ولكني والله أُحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا، فقتله علي فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة، وقتل مع عمرو رجلان منبّه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم، فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، وكان اقتحم الخندق فتورّط فيه فرموه بالحجارة، فقال: يا معشر العرب قتله أحسن من هذا، فنزل إليه عليّ فقتله، فغلب المسلمون على جسده، فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في جسد وثمنه فشأنكم به» فخلّى بينهم وبينه، قالت عائشة أُم المؤمنين: كنّا يوم الخندق في حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أُم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فمرّ سعد بن معاذ وعليه درع مقلّصة، قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة وهو يقول شعر:

لبث قليلاً ندرك الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أُمه: الحق يا بني فقدْ والله أجزت، قالت عائشة فقلت لها: يا أُم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت: وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه، قالت: فأرمي سعد يومئذ بسهم وقُطع منه الأكحل، رماه خبّاب بن قيس العرقة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عرّق الله وجهك في النار، ثم قال سعد: اللّهمَّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحبّ إليّ من أن أُجاهدهم من قوم هو آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمِتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة وكانوا خلفاءه ومواليه في الجاهلية، وقال محمد بن إسحاق عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفيّة بنت عبد المطلب في قارع حصن حسان بن

العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة. قال سعد: عرق الله وجهك في النار، ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها فإنه لا قوم أحب لي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية. قال محمد بن إسحاق: فيما بلغه أن صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا أتانا آتٍ، قالت: فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله. فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً اعتجرت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن. فقلت يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فأمرني بما شئت. فقال رسول الله ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

ثابت، قالت: وكان حسّان معني فيه مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمرّ بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، فقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبين أحد يدفع عنّا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذا أتانا آتٍ، قالت: فقلت يا حسّان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله لم آمنه بأن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شُغل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانزلْ إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطّلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً اعتجرت، ثم أخذتُ عموداً ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان انزلْ إليه فاسلبه فإنهم لم يمنعون من سلبه لأنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب، قالوا: أقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدّة لتظاهرِ عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر من بني غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد فخذلْ عنّا إنِ استطعتَ فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قريظة قد عرفتم وُدّي إيّاكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتّهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم فيه أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحوّلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأولادهم ونساؤهم بعيدة إن رأوا نهزةً وغنيمةً أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم حتى تكون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً، حتى تناجزوه، قالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومَن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم وُدّي إيّاكم وفراقي محمداً وقد بلغني أمرٌ رأيت أن حقّاً عليّ أن أُبلغكم نصحاً لكم فاكتموا عليّ قالوا:

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية. فقال لهم: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به، إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تناجزوه، قالوا لقد أشرت برأي ونصح ثم خرج حتّى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً فقد بلغني أمر رأيت حقاً على أن أبلغكم نصحاً لكم فاكتموا علي. قالوا نفعل. قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمناعلى ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فنضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم. فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعث إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهمونني. قالوا: صدقت قال فاكتموا علي. قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثلما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان. فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً. وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم

نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد نَدِمُوا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد نَدِمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على مَن بقي منهم، فأرسلَ إليهم أنْ نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحبّ الناس إليّ ولا أراكم تتّهموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوّال سنة خمس وكان مما صنع لرسول الله ﷺ أرسل أبو سفيان رؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنّا لسنا بدار مقام قد هلك الخفّ والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجزوا محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فقالوا لهم: إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث بعضنا فيه حدثاً فأصابه ما لم يخفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنّا نخشى إن ضَرَسَتْكم الحربُ واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بذلك الذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة وإنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا وإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك استمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنّا والله لا نسائل معكم حتى تأتونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم دعا

ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحقّ فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك شمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم. وخذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن إبراهيم التيمي عن أبيه قالا قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه قال نعم يا ابن أخي. قال: كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد. قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه وفعلنا فقال حذيفة: يا ابن أخي لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ فقال من يذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ هوناً من الليل ثم التفت إلينا فقال: هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال يا حذيفة

حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن إبراهيم التميمي عن أبيه قالا: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه، قال نعم يا ابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد، فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله ﷺ، فقال: «مَن يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة»، فما قام منّا رجل، ثم صلّى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم، وما قام منّا رجل ثم صلّى رسول الله ﷺ هوناً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة»؟ فما قام رجل من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال: «يا حذيفة» فلم يكن لي بدّاً من المقام إليه حين دعاني، فقلت: إليك يا رسول الله وقمت حتى أتيته، وإن جنبيّ ليضطربانِ فمسح رأسي ووجهي، ثم قال: «إئت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تُحدثنّ شيئاً حتى ترجع إليّ»، ثم قال: «اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته»، فأخذت سهمي وشددت عليّ سلاحي ثم انطلقتُ أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً وأبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي فأردت أن أرميه ولو رميتُه لأصبته، فذكرتُ قول النبي ﷺ: «لا تحدثنّ حدثاً حتى ترجع إليّ» فرددت سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء قام فقال: يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر مَن هو، فأخذت بيد جليسي فقلت مَن أنت، فقال: سبحان الله أما تعرفني أنا فلان ابن فلان، فإذا هو رجل من هوازن، فقال

ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله ﷺ فقلت: لبيك يا رسول الله، وقمت حتى أتيته فأخذني بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي. ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته. فأخذت سهمي وشددت على أسلابي انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يصطلي فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن حدثاً حتى ترجع، فرددت سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو؟ فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟؟ فقال سبحان الله أما تعرفني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام: إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم. وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفء فأدفأني النبي ﷺ فأنامني عند رجليه وألقى عليَّ طرف ثوبه وألصق صدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت، قال: قم يا نومان فذلك قوله عز وجل:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾ أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب

أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلكنا وهلك الكراع والخفّ وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلّا وهو قائم، وسمعتْ غطفان بما فعلتْ قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم، قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم يصلّي، فلما سلم أخبرته الخبر فضحك حتى بَدَت أنيابه في سواد الليل، قال: فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنّي الدفاء فأدناني النبي ﷺ منه وأنامني عند رجليه وألقى عليّ طرف ثوبه وألزق صدري ببطن قدميه فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: «قمْ يا نومان».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إذْ جاؤوكم من فوقكم** ﴾، أي من فوق الوادي من قِبَل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النصري وعُيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد وحيي بن أخطب في يهود بني قريظة، ﴿ **ومن أسفل منكم** ﴾، يعني من بطن الوادي من قبل المغرب، وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومَن تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق، وكان السبب الذي جرّ غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم، ﴿ **وإذْ زاغتِ الأبصار** ﴾، مالت وشخصت من الرعب، وقيل: مالت عن كل شيء فلم تنظر إلى غدوها، ﴿ **وبلغتِ القلوبِ الحناجر** ﴾،

في يهود قريظة ﴿ومن أسفل منكم﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه، وأبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير من ديارهم ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر إلى عدوها ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم، وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف، وقيل معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته وإذا انتفخت رئته رفعت القلب إلى الحنجرة فلهذا يقال: للجبان انتفخ سحره ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أي اختلفت الظنون بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأٓتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةًۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي حركوا حركة شديدة ﴿وإذ يقول المنافقون﴾ يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك وضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا هو الغرور. قوله تعالى ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه ﴿يا أهل يثرب﴾ يعني يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض

فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبّر به عن شدة الخوف، قال الفرّاء: معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتدّ خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره، ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾، أي اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر: الظنونا والرسولا والسبيلا بإثبات الألف وصلاً ووقفاً لأنها مثبتة في المصاحف بالألف، وقرأ أهل البصرة وحمزة بغير الألف في الحالين على الأصل، وقرأ الآخرون بالألف في الوقف دون الوصل لموافقة رؤوس الآي.

﴿ هنالك ابْتُلي ﴾، أي عند ذلك اختبر، ﴿ المؤمنون ﴾، بالحصر والقتال ليتبيّن المخلص من المنافق، ﴿ وزُلزلوا زلزالاً شديداً ﴾، حرّكوا حركة شديدة.

﴿ وإذْ يقول المنافقون ﴾، معتب بن قشير، وقيل: عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ شك وضعف اعتقاد، ﴿ ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً ﴾، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوزَ رحله، هذا والله الغرور.

ومدينة الرسول ﷺ في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العماليق كان قد نزلها في قديم الزمان. وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال هي طيبة كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ ﴿**لا مقام لكم**﴾ أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ﴿**فارجعوا**﴾ أي إلى منازلكم وقيل عن اتباع محمد ﷺ وقيل عن القتال ﴿**ويستأذن فريق منهم النبي**﴾ يعني بني حارثة وبني سلمة ﴿**يقولون إن بيوتنا عورة**﴾ أي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله ﴿**وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً**﴾ أي أنهم لا يخافون ذلك إنما يريدون الفرار من القتال ﴿**ولو دخلت عليهم من أقطارها**﴾ يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب من نواحي المدينة وجوانبها ﴿**ثم سئلوا الفتنة**﴾ أي الشرك ﴿**لأتوها**﴾ أي لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام ﴿**وما تلبثوا بها**﴾ أي ما احتبسوا عن الفتنة ﴿**إلا يسيرا**﴾ أي لأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به نفوسهم، وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا. قوله عز وجل ﴿**ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل**﴾ أي من قبل غزوة الخندق ﴿**لا يولون الأدبار**﴾ أي لا ينهزمون، قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها، وقيل هم أناس غابوا عن وقعة بدر

﴿ **وإذْ قالت طائفة منهم** ﴾، أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه، ﴿ **يا أهل يثرب** ﴾، يعني المدينة، قال أبو عبيدة: يثرب، وقال: هي مدينة الرسول ﷺ في ناحية منها، وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: «هي طابة»، كأنه كره هذا اللفظ ﴿ **لا مقام لكم** ﴾، قرأ العامّة بفتح الميم أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص بضم الميم أي لا إقامة لكم، ﴿ **فارجعوا** ﴾ إلى منازلكم عن اتّباع محمد ﷺ، وقيل: عن القتال إلى مساكنكم، ﴿ **ويستأذن فريق منهم النبي** ﴾، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿ **يقولون إنّ بيوتنا عورة** ﴾، أي خالية ضائعة، وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السرّاق، وقرأ أبو رجاء العطاردي ﴿ **عورة** ﴾ بكسر الواو، أي قصيرة الجدران يسهل دخول السرّاق عليها، فكذّبهم الله فقال: ﴿ **وما هي بعورة إنْ يريدون إلّا فراراً** ﴾، أي ما يريدون إلّا الفرار.

﴿ **ولو دخلت عليهم** ﴾ أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب، ﴿ **من أقطارها** ﴾، جوانبها ونواحيها جمع قطر، ﴿ **ثم سئلوا الفتنة** ﴾، أي الشرك، ﴿ **لأتوها** ﴾، لأعطوها، وقرأ أهل الحجاز لأتوها مقصوراً، أي لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام، ﴿ **وما تلبثوا بها** ﴾، أي ما احتبسوا عن الفتنة، ﴿ **إلّا يسيراً** ﴾، ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيّبة به أنفسهم، هذا قول أكثر المفسّرين. وقال الحسن والفرّاء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلّا قليلاً حتى يهلكوا.

﴿ **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل** ﴾، أي من قبلِ غزوة الخندق، ﴿ **لَا يُوَلُّونَ الأدبارَ** ﴾، من عدوهم أي لا ينهزمون، قال يزيد بن رومان: هم بنو حارثة همّوا يوم أُحُد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها. وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة، قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ فساق الله إليهم ذلك، وقال مقاتل والكلبي: هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: «أشترطُ لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة»، قالوا: قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم. وهذا القول ليس بمرضي لأن الذين بايعوا محمداً ﷺ ليلة العقبة كانوا سبعين نفراً لم يكن فيهم شاكٌّ ولا مَن يقول مثل

فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك ﴿**وكان عهد الله مسؤولاً**﴾ أي عنده في الآخرة ﴿**قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل**﴾ أي الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك ﴿**وإذاً لا تمتعون**﴾ أي بعد الفرار ﴿**إلا قليلاً**﴾ أي مدة آجالكم وهي قليل ﴿**قل من ذا الذي يعصمكم**﴾ أي يمنعكم ﴿**من الله إن أراد بكم سوءاً**﴾ أي هزيمة ﴿**أو أراد بكم رحمة**﴾ أي نصراً ﴿**ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً**﴾ أي ناصراً يمنعهم ﴿**قد يعلم الله المعوقين منكم**﴾ أي المثبطين الناس عن رسول الله ﷺ ﴿**والقائلين لإخوانهم هلم إلينا**﴾ أي ارجعوا إلينا ودعوا محمداً ﷺ فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك، قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ ويقولون لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك. وقيل نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلت إليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً وإنا نشفق عليكم فأنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا فأقبل عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منك أحداً أما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا ها هنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود، فلم يزدد المؤمنين بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً وقوله تعالى ﴿**ولا يأتون البأس**﴾ يعني الحرب ﴿**إلا قليلاً**﴾ أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً.

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ

هذا القول، وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يفرّوا فنقضوا العهد، ﴿ **وكان عهد الله مسؤولاً** ﴾، أي مسؤولاً عنه.

﴿ **قلْ** ﴾، لهم ﴿ **لنْ ينفعكم الفرار إنْ فررتم من الموت أو القتل** ﴾، الذي كتب عليكم لأن مَن حضر أجله مات أو قتل، ﴿ **وإذاً لا تُمتَّعُون إلّا قليلاً** ﴾، أي لا تمتعون بعد هذا الفرار إلّا مدّة آجالكم وهي قليل.

﴿ **قلْ مَن ذَا الذي يعصمكم من الله** ﴾، أي يمنعكم من عذابه، ﴿ **إن أراد بكم سوءاً** ﴾، هزيمة، ﴿ **أو أراد بكم رحمةً** ﴾، نصرة، ﴿ **ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً** ﴾، أي قريباً ينفعهم، ﴿ **ولا نصيراً** ﴾، أي ناصراً يمنعهم.

﴿ **قد يعلم الله المعوّقين منكم** ﴾، أي المثبطين للناس عن رسول الله ﷺ ﴿ **والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا** ﴾، أي ارجعوا إلينا ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإنّا نخاف عليكم الهلاك، قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ ويقولون لإخوانهم ما محمد وأصحابه إلّا أكَلَة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلت إلى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومَن معه، فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرّة لم يَسْتَبْقُوا منكم أحداً وإنّا نشفق عليكم أنتم إخواننا وجيراننا هلمُّوا إلينا، فأقبل عبد الله بن أُبيّ وأصحابه على المؤمنين يعوّقونهم ويخوّفونهم بأبي سفيان ومَن معه، وقالوا: لئن قدروا عليكم لم يَسْتَبْقُوا منكم أحداً ما ترجون من محمد؟ ما عنده خير، ما هو إلّا أن يقتلنا ههنا، انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود، فلم يزدد المؤمنين بقول المنافقين إلّا إيماناً واحتساباً. قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولا يأتون البأسَ** ﴾، الحرب، ﴿ **إلّا قليلاً** ﴾، رياءً وسمعةً من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً.

ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

﴿**أشحة عليكم**﴾ أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن ﴿**فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم**﴾ أي في رؤوسهم من الخوف والجبن ﴿**كالذي يغشى عليه من الموت**﴾ أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فإنه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف ﴿**فإذا ذهب الخوف**﴾ أي زال ﴿**سلقوكم**﴾ أي آذوكم. ورموكم في حالة الأمن ﴿**بألسنة حداد**﴾ أي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة، وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فإنا شهدنا معكم القتال فلستم بأحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشجع قوم وعند الحرب أجبن قوم ﴿**أشحة على الخير**﴾ أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال ﴿**أولئك لم يؤمنوا**﴾ أي لم يؤمنوا حقيقة الإيمان وإن

﴿ **أشحّة عليكم** ﴾، بخلاء بالنفقة في سبيل الله، وقال قتادة: بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن، فقال: ﴿ **فإذا جاء الخوفُ رأيتَهم ينظرون إليك تدور أعينهم** ﴾، في الرؤوس من الخوف والجبن، ﴿ **كالذي يُغشَى عليه من الموت** ﴾، أي كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت، وذلك أن مَن قَرُبَ من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، ﴿ **فإذا ذهب الخوف سلقوكم** ﴾، آذوكم ورموكم في حال الأمن، ﴿ **بألسنة حِداد** ﴾، ذربة، جمع حديد، يقال للخطيب الفصيح: الذرب اللسان مسلق ومصلق وسلاق وصلاق، قال ابن عباس: سلقوكم أي عضدوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة. وقال قتادة: بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإنّا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحقّ بالغنيمة منّا، فهم عند الغنيمة أشحّ قوم وعند البأس أجبن قوم، ﴿ **أشحّة على الخير** ﴾، أي عند الغنيمة يشاحّون المؤمنين، ﴿ **أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم** ﴾، قال مقاتل: أبطل الله جهادهم، ﴿ **وكان ذلك على الله يسيراً** ﴾.

﴿ **يحسبون** ﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿ **الأحزاب** ﴾، يعني قريشاً وغطفان اليهود، ﴿ **لم يذهبوا** ﴾، لم ينصرفوا عن قتالهم جبناً وفرقاً وقد انصرفوا، ﴿ **وإنْ يأتِ الأحزاب** ﴾، أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب، ﴿ **يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب** ﴾، أي يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب من الخوف والجبن، يقال: بدا يبدو بداوةً إذا خرج إلى البادية، ﴿ **يسألون عن أنبائكم** ﴾، أخبـاركم وما آل إليـه أمركم، وقـرأ يعقوب: «يسّـاءلون» مشدّدة ممدودة أي يتساءلون، ﴿ **ولو كانوا** ﴾، يعني هؤلاء المنافقين، ﴿ **فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلاً** ﴾، تعذيراً، أي يقاتلون قليلاً يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا. قال الكلبي: إلاّ قليلاً أي رمياً بالحجارة. وقال مقاتل: إلاّ رياءً وسمعةً من غير احتساب. قوله عزّ وجلّ:

﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة** ﴾، قرأ عاصم: ﴿ **أُسوة** ﴾حيث كانت بضم الهمزة والباقون

أظهروا الإيمان لفظاً ﴿**فأحبط الله أعمالهم**﴾ أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هي الجهاد وغيره ﴿**وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ أي إحباط أعمالهم مع أن كل شيء على الله يسير. قوله تعالى ﴿**يحسبون**﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿**الأحزاب**﴾ يعني قريشاً وغطفان واليهود ﴿**لم يذهبوا**﴾ أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبناً وفرقاً وقد انصرفوا عنهم ﴿**وإن يأت الأحزاب**﴾ أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب ﴿**يودوا لو أنهم بادون في الأعراب**﴾ أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الأعراب من الجبن والخوف ﴿**يسألون عن أنبائكم**﴾ أي عن أخباركم وما آل إليه أمركم ﴿**ولو كانوا فيكم**﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿**ما قاتلوا إلا قليلاً**﴾ يعني يقاتلون قليلاً يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب.

قوله عز وجل ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسناً وهو أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضاً واستنوا بسنته ﴿**لمن كان يرجو الله**﴾ يعني أن الأسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله ﴿**واليوم الآخر**﴾ يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء ﴿**وذكر الله كثيراً**﴾ أي في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال تعالى ﴿**ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله**﴾ أي قالوا ذلك تسليماً لأمر الله وتصديقاً بوعده ﴿**وصدق الله ورسوله**﴾ أي فيما وعدا وهو في مقابلة قول المنافقين «ما وعدنا الله

بكسرها، وهما لغتان، أي قدوة صالحة، وهي فعلة من الإئتساء، كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر، أي به اقتداء حسن إن تنصروا دين الله وتؤازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه، وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذْ كُسِرَتْ رُباعيتُه وجُرح وجهه، وقُتل عمّه وأُوذي بضروب من الأذى فَوَاسَاكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم كذلك أيضاً واستَنّوا بسُنّته، ﴿ **لمَن كان يرجوا الله** ﴾، بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسولِ الله ﷺ لمَن كان يرجو الله، قال ابن عباس: يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله، ﴿ **واليومَ الآخر** ﴾، أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿ **وذكر الله كثيراً** ﴾ في جميع المواطن على السرّاء والضرّاء، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال:

﴿ **ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا** ﴾، تسليماً لأمر الله وتصديقاً لوعده، ﴿ **هذا ما وعدَنا الله ورسولُه وصدقَ الله ورسوله** ﴾، وعد الله إيّاهم ما ذكر في سورة [البقرة: ٢١٤]: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾، إلى قوله: ﴿ ألا إنَّ نصر الله قريب ﴾، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدّة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، ﴿ **وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً** ﴾، أي تصديقاً لله وتسليماً لأمر الله. قوله عزّ وجلّ:

﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾، أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به، ﴿ **فمنهم مَن قضى نحبه** ﴾، أي فرغ من نذره ووفّى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب: النذر، والنحب: الموت أيضاً، قال مقاتل: قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه. وقيل: قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب: نحب فلان في سَيْره يومه وليله أجمع إذا مدّ فلم ينزل، ﴿ **ومنهم مَن ينتظر** ﴾، الشهادة، وقال محمد بن إسحاق: فمنهم مَن قضى نحبه مَن استشهد يوم بدر وأُحُد ومنهم مَن ينتظر يعني مَن بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إمّا الشهادة أو النصر، ﴿ **وما بدّلوا** ﴾، عهدهم، ﴿ **تبديلاً** ﴾، أخبرنا

ورسوله إلا غروراً» وقولهم «وصدق الله ورسوله» ليس إشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع، وإنما هو إشارة إلى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس، وقيل إنهم وعدوا أن تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله **﴿وما زادهم إلا إيماناً﴾** أي تصديقاً لله **﴿وتسليماً﴾** أي لأمره. قوله تعالى **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾** أي قاموا بما جاهدوا الله عليه ووفوا به **﴿فمنهم من قضى نحبه﴾** أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتّى استشهد، وقيل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه، وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد **﴿ومنهم من ينتظر﴾** يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء **﴿وما بدلوا﴾** يعني عهدهم **﴿تبديلاً﴾** (ق) عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون قال اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وابرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحاً من دون أحد فقال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية. (ق) عن خباب بن الأرت قال «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله. فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة وكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدت رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الأذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو

عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن سعيد الخزاعي أنا عبد الأعلى عن حميد قال: سألت انساح وحدّثني عمرو بن زرارة أنا زياد حدّثني حميد الطويل عن أنس قال: غاب عمّي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليَرَيَنَّ اللَّهُ ما أصنع، فلما كان يوم أُحُد وانكشف المسلمون فقال: اللّهمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة وربِّ النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلاّ أُخته ببنانه، قال أنس: كنّا نظن أو نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ إلى آخر الآية، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا معاوية عن الأعمش عن سفيان عن شقيق عن خبّاب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنّا مَن مضى لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير قتل يوم أُحُد، فلم أجد له شيء يكفّن فيه إلاّ نمرة، فكنّا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه شيئاً من الإذخر، قال: ومَن أينعت له ثمرته فهو يهد بها». أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعيمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر أنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي أنا محمد بن سليمان الجوهري بأنطاكية أنا مسلم بن إبراهيم أنا الصلت بن دينار عن أبي نصرة

يهدبها» النمرة كساء ملون من صوف، وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته، وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا، وقوله يهدبها أي يجتنيها ويقطعها. عن أبي موسى بن طلحة قال «دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول: طلحة ممن قضى نحبه». أخرجه الترمذي. وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال «رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد». قوله عز وجل:

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد ﴿ويعذب المنافقين إن شاء أو

عن جابر بن عبد الله قال: نظر النبي ﷺ إلى طلحة بن عبد الله فقال: «مَن أحبَّ أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى هذا»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن أبي شيبة أنا وكيع بن إسماعيل عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أُحُد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ﴾، أي جزاء صدقهم، وصدقهم هو الوفاء بالعهد، ﴿ ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ﴾، فيهديهم إلى الإيمان، ﴿ إنّ الله كان غفوراً رحيماً ﴾.

﴿ وردّ الله الذين كفروا ﴾، من قريش وغطفان، ﴿ بغيظهم ﴾، لم يشفِ صدورهم بنيل ما أرادوا، ﴿ لم ينالوا خيراً ﴾، ظفراً، ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾، بالملائكة والريح، ﴿ وكان الله قوياً عزيزاً ﴾، قوياً في ملكه عزيزاً في انتقامه.

﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴾، أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم بنو قريظة، ﴿من صياصيهم﴾، حصونهم ومعاقلهم، واحدها صيصية، ومنه قيل للقرن ولشوكة الديك والحاكة صيصية، وذلك أن رسول الله ﷺ لمّا أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب فيها راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة، ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسولَ الله ﷺ معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة وعليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقّه، فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم»، فقال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلاّ من طلب القوم، ورُوِيَ أنه كان الغبار علس وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي ﷺيمسح الغبار عن وجهه وعن فرسه، فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهز إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال، فأمر النبي ﷺ منادياً فأذّن أن مَن كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلاّ في بني قريظة، وقَدِمَ رسول الله ﷺ على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إليهم، وابتدرها الناس فسار عليٌّ رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «لِمَ، أظنك سمعتَ لي منهم أذىً»؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: «لو

يتوب عليهم﴾ أي فيهديهم إلى الإيمان ويشرح له صدورهم ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً ورد الله الذين كفروا﴾ يعني من

قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً»، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: «يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، ومرّ رسول الله ﷺ على أصحابه بالصور من قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال هل مرّ بكم أحد؟ فقالوا: نعم يا رسول الله مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحّالة عليها قطيفة ديباج، فقال عليه السلام: ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم، فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم، فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلّوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلّينّ أحد العصر إلاّ في بني قريظة»، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنّفهم به رسول الله ﷺ، قال وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حُيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم، قالوا: وما هنّ؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله إنه لقد تبيّن لكم أنه مُرسَل وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال كعب: فإذا أبيتم هذه فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك ولم نترك وراءنا شيء نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذنّ النساء والأبناء، فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم، قال: فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها فانْزِلُوا لعلّنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرّة، قالوا: أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَن كان قبلنا إلاّ مَن قد عملت فأصابهم من المسخ ما لم يخفَ عليك، فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أُمه ليلة واحدة من الدهر حازماً؟ قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعثْ إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وهشّ إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم، فقالوا: يا أبا لبابة أترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، قالوا: ماذا يفعل بنا إذا نزلنا؟ فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأتِ رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه، قال: «أما لو قد جاءني لاستغفرتُ له فأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه»، ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أُم سلمة، قالت أُم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ يضحك فقلت: مما تضحك يا رسول الله أضحك الله سنّك؟ قال: «تِيبَ على أبي لبابة»، فقلت: ألا أُبشّره بذلك يا رسول الله؟ فقال: «بلى إن شئت»، فقامتْ على باب حجرتها وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب، فقالت يا با لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال فثار الناس عليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى الصبح أطلقه، قال: ثم إن ثعلبة بن سعيد وأُسيد بن سعيد وأُسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عمّ القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها

قريش وغطفان ﴿بغيظهم﴾ أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ﴿لم ينالوا خيراً﴾ أي ظفراً ﴿وكفى الله المؤمنين

بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمرّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن سلمة الأنصاري تلك الليلة، فلما رآه قال: مَن هذا؟ قال: عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، فقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللّهمَّ لا تحرمني من عثرات الكِرام ثم خلّى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل قد أنجاه الله بوفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برمّة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمّته ملقاة لا يدري أين ذهب، فقال فيه رسول الله ﷺ تلك المقالة، والله أعلم. فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه فسألهم إيّاه عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فوهبهم إيّاه فلما كلّمه الأوس قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم؟» قالوا: بلى، قال: «فذاك إلى سعد بن معاذ»، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة في مسجده وكانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة مَن كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب، فلما حكّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنّما ولاّك ذلك لتُحسِن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض مَن كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة من قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيّدكم فأنزلوه، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاّك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى مَن ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو مُعرِض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتُسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»، ثم استُنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خندقاً ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً أرسالاً وفيهم عدوّ الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رئيسا القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة إلى تسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون أما ترون الداعي لا ينزع وإن مَن يذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي ﷺ وأتي حُيي بن أخطب عدوّ الله عليه حلّة تفاحيّة قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه مَن يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه. وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلاّ امرأة واحدة قالت والله إنها عندي تتحدث معي

﴿القتال﴾ أي بالملائكة والريح **﴿وكان الله قوياً﴾** أي في ملكه **﴿عزيزاً﴾** أي في انتقامه. قوله تعالى **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾** أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين وهم بنو

وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ لم يزل يقتل رجالهم بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة قالت: أنا والله هي، قالت: قلت ويلك ما لك؟ قالت: أقتل، قلت: ولِمَ؟ قالت: حدثٌ أحدثته، قالتْ: فانطلق بها فضُربت عنقُها، وكانت عائشة تقول: ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل. قال الواقدي: وكان اسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلّاد بن سويد، رمتْ عليه رحىً فدعا رسول الله ﷺ بها فضربت عنقها بخلاد بن سويد، قال وكان عليّ والزبير يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هنالك. وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي وكان يكنّى أبا عبد الرحمن، كان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بُعاث أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، قال: ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها فهَبْ لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك» فأتاه فقال له إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة، فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أهله وماله؟ قال: «هم لك» فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك وولدك فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك، فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: ماله يا رسول الله؟ قال: «هو لك»، قال: فأتاه فقال إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك، فقال: أيْ ثابت ما فعل الله بمَن كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى فيها عذارى الحيّ كعب بن أسد، قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحامينا إذ كررنا عزال بن شموال؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلّا ما ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر حتى ألقى الأحبّة فقدمه ثابت فضرب عنقه، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأحبّة، قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً. قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل مَن أنبت منهم، ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعزل في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منهما الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان وللفارس سهم وللراجل ممّن ليس له فرس سهم، وكانت الخيل ستّة وثلاثين فرساً وكان أول فيء وقع فيه السهمان، ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم بهم خيلاً وسلاحاً، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص علبها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخفّ عليّ وعليك. فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلّا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: «إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشّرني بإسلام ريحانة»، فجاء فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فبشّره بذلك فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال: اللّهمّ إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحبّ إليّ أن أُجاهدهم من قوم كذّبوا رسولك، اللّهمَّ إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني

قريظة ﴿من صياصيهم﴾ أي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصية ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ أي الخوف ﴿فريقاً تقتلون﴾ يعني الرجال يقال كانوا ستمائة ﴿وتأسرون فريقاً﴾ يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة قيل وخمسين.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها﴾ يعني بعد قيل هي خيبر ويقال إنها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل أرض تفتح على المسلمين إلى يوم القيامة ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾.

قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس. وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع. قال العلماء بالسير إن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف ﷺ والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح، فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ متعمماً بعمامة من إستبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها من قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح؟ قال: نعم قال: جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. وروى أنه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي ﷺ يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال إن الله تعالى يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهز إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال، فأمر النبي ﷺ منادياً فأذن أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إليهم وابتدرها الناس، وسار علي حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة

إليك، فانفجر كَلْمُهُ فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضُربت عليه في المسجد، قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿ رحماء بينهم ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا يحيىٰ بن آدم أنا إسرائيل سمعت أبا إسحاق يقول سمعت سليمان بن صرد يقول سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة أنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إلَه إلّا الله وحده أعزّ جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده»، قال الله تعالى في قصة بني قريظة: ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون ﴾، وهم الرجال يقال كانوا ستمائة، ﴿ وتأسرون فريقاً ﴾، وهم النساء والذراري، يقال: كانوا سبعمائة وخمسين، ويقال: سبعمائة.

﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها ﴾، بعد، قال ابن زيد ومقاتل: يعني خيبر، قال قتادة: كنّا نحدّث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾.

لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث. قال: أظنك سمعت لي منهم أذى قال: نعم يا رسول الله قال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال «يا إخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته». قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً؛ ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال «هل مر بكم أحد؟» فقالوا: يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج. فقال ﷺ «ذاك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم» فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجال بعد صلاة العشاء الأخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبي ﷺ «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فصلوا العصر بها بعد العشاء الأخيرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله ﷺ قال العلماء: حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود إنكم قد نزل من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هن؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتؤمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ولا نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما في العيش بعدهم خير. قال: فإن أبيتم هذه الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا فلعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا إلا ما قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك. قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازماً ليلة من الدهر ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا. فأرسله رسول الله ﷺ إليهم. فلما رأوه قام إليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم. فقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبي ﷺ حتى ربط في

قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إنْ كنتنّ تردْنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالينَ أُمتّعكنّ ﴾، متعة الطلاق، ﴿ وأُسرّحكنّ سراحاً جميلاً ﴾.

﴿ وإن كنتنّ تردنَ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ فإنّ الله أعدّ للمحسناتِ منكنّ أجراً عظيماً ﴾، سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألته شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهنّ على بعض، فهجرهنّ رسول الله ﷺ وآلى أن لا يقربهنّ شهراً ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا ما شأنه؟ وكانوا يقولون طلّق رسول الله ﷺ نساءه، فقال عمر لأعلمنّ لكم شأنه، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أطلقتهنّ؟ قال: «لا»، قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلّق رسول الله ﷺ نساءه، أفأنزل فأُخبرهم أنك لم تطلقهنّ؟ قال: «نعم إن شئت»، قال فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلّق رسول الله ﷺ نسائه، فنزلت هذه الآية: ﴿ وإذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسولِ وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [النساء: ٨٣]، قال فكنت أنا استنبطت ذاك الأمر، وأنزل الله آية التخيير،

المسجد إلى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، ثم إن الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله ﷺ يضحك فقلت: مم ضحكت يا رسول الله أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة. فقلت: ألا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى إن شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب. فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. قال: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجاً إلى الصبح أطلقه. قال: ثم إن ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ. وخرج في تلك الليلة عمرو بن السعدي القرظي فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة، فلما رآه قال: من هذا قال: عمرو بن السعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال لا أغدر بمحمد ﷺ أبداً فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام، فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه؛ وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأصبحت برمته ملقاة ولا يدري أين ذهب. فقال: فيه رسول الله ﷺ تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثب الأوس وقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت.

وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه. فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له. فلما كلمه الأوس قال رسول الله ﷺ ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى. قال: فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله ﷺ في مسجده في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب، فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له وسادة من أدم وكان رجلاً جسيماً ثم أقبلوا معه

وكانت تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمرو، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حُيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقيّة رضوان الله عليهنّ، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهنّ إليه فخيّرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرُؤِيَ الفرح في وجه رسول الله ﷺ وتابعتها على ذلك. قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهنّ الله على ذلك فقال: ﴿لا يحلّ لك النساء من بعد﴾ [الأحزاب: ٥٢]، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفّار بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا زهير بن حرب أنا روح بن عُبادة أنا زكريا بن إسحق أنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه ولم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، فقال: لأقولنّ شيئاً أُضحِك به النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «هنّ حولي

إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه. قال: قد آن لسعد أن تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه وقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك فتحكم فيهم. فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت. قالوا: نعم قال وعلى من ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له فقال رسول الله ﷺ نعم. قال سعد: فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء. فقال رسول الله ﷺ لسعد «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم أرسالاً وفيهم عدو الله ورسوله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة إلى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع وأن من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي ﷺ وأتى بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهراً وبطناً ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسيف إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال إني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال إن الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله عليَّ منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله ﷺ «هولك» فأتاه فقال له إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال «هم لك» فأتاه فقال إن

كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول لا تسألي رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت هذه الآية: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك** ﴾، حتى بلغ: ﴿ **للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً** ﴾، قال فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أُحبّ أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك»، قالت: وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يارسول الله أستشير أبويّ؟ بل أختار اللّهَ ورسولَه وأختار الدارَ الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأةٌ منهنّ إلاّ أخبرتُها أن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلّماً مبشّراً»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور

رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال ما له يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى يلقى الأحبة قال يلقاهم والله في نار جهنّم خالداً مخلداً أبداً قال وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهماً للرجال فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفرس ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زَيد الأنصاري أخا بني الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحاً وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب. فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها، وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك من أمرها. فبينما هو بين أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضي شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم إنك علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني له وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد. قالت: عائشة فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فو الذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي. قالت: وكانوا كما قال الله تعالى فيهم ﴿رحماء بينهم﴾.

(خ) عن سلمان بن صرد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم». (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده».

قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن**﴾ أي متعة الطلاق ﴿**وأسرحكن سراحاً جميلاً**﴾ أي من غير ضرر ﴿**وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً**﴾ سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سألنه من عرض الدنيا شيئاً وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله ﷺ وآلى أن لا يقربهن شهراً، ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه

الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أنْ لا يدخل على أزواجه شهراً، قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدهنّ دخل عليّ رسول الله ﷺ فقلت حين بدأ بي: يا رسول الله إنك أقسمت ألاّ تدخل علينا شهراً وإنك دخلت في تسع وعشرين أعدهنّ؟ فقال: «إن الشهر تسع وعشرون»، واختلف العلماء في هذا الخيار أنه هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهنّ حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيّرهنّ على أنهنّ إذا اخترن الدنيا فارقهنّ، لقوله تعالى: ﴿ **فتعالين أمتعكنّ وأسرّحكنّ سراحاً جميلاً** ﴾، بدليل أنه لم يكن جوابهنّ على الفور فإنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك»، وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب

وكانوا يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه. فقال عمر: لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أطلقتهن قال: «لا» قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن. قال: «نعم إن شئت» فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت هذه الآية ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ فكنت أنا استنبطت هذا الأمر. وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله ﷺ يومئذ تسع نسوة خمسة من قريش وهن: عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة، وأربع من غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ، وتابعتها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ (م) عن جابر بن عبد الله قال «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله ﷺ جالساً وحوله نساؤه واجماً ساكتاً. فقال: لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ فقال «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده قلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين حتى نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن﴾ حتى بلغ: ﴿للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت: وما هو يا رسول ﷺ فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت: قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً مبشراً» قوله واجماً أي مهتماً، والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن. قولهم فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتاً العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت: لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله ﷺ بدأ بي فقلت: يا رسول الله، أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين؛ أعدهن قال: إن الشهر تسع وعشرون.

فصل في حكم الآية

اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن، حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم، إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذ اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى ﴿**فتعالين أمتعكن وأسرحكن**﴾ بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور، وأنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك» وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقاً. التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير، فقال عمر وابن مسعود، وابن عباس: إذا

قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهنّ كان طلاقها، واختلف أهل العلم في حكم التخيير، فقال عمر وابن مسعود وابن عباس: إذا خيّر الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلقة واحدة، وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي، إلّا أن عند أصحاب الرأي تقع طلقة

خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلقة واحدة، وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي يقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك. وروي عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة، وإذا اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال: ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفاً بعد أن تختارني، ولقد سألت عائشة رضي الله عنها، فقالت خيرنا رسول الله ﷺ فما كان طلاقاً وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك شيئاً. قوله تعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة**﴾ أي بمعصية ظاهرة قيل: هو كقوله ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك**﴾ أي لأن منهن من أتت بفاحشة، فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق ﴿**يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾ أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة، لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وذلك لأن نسبة النبي ﷺ إلى غيره من الرجال كنسبة الحرة إلى الأمة ﴿**وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ أي عذابها ﴿**ومن يقنت منكن لله ورسوله**﴾ أي تطع الله ورسوله ﴿**وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين**﴾ أي مثلي أجر غيرها قيل: الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين ﴿**وأعتدنا لها رزقاً كريماً**﴾ أي الجنة. قوله تعالى ﴿**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**﴾ قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي

بائنة إذا اختارت نفسها، وعند الآخرين رجعية، وقال زيد بن ثابت: إذا اختارت الزوج تقع طلقة واحدة، وإذا اختارت نفسها فثلاث، وهو قول الحسن وبه قال مالك، ورُوِيَ عن علي أيضاً إذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها فطلقة بائنة، وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الأعمش أنا مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترنا اللَّهَ ورسولَه فلم يعدّ ذلك علينا شيئاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا نساء النبي مَن يأت منكنّ بفاحشةٍ مُبيِّنَةٍ** ﴾، بمعصية ظاهرة، قيل: هي كقوله عزّ وجلّ: ﴿ **لئن أشركت ليحبطنّ عملك** ﴾ [الزّمر: ٦٥] لا أن منهنّ مَن أتت بفاحشة. وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق. ﴿ **يضاعفْ لها العذاب ضعفين** ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر: «نضعـف» بالنون وكسر العين وتشديدها. ﴿ **العذاب** ﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين ﴿ **العذاب** ﴾ رفع ويشدّدها أبو جعفر وأهل البصرة، وشدّد أبو عمرو هذه وحدها لقوله: ﴿ **ضعفين** ﴾، وقرأ الآخرون: ﴿ **يضاعف** ﴾ بالألف وفتح العين، ﴿ **العذاب** ﴾ رفع، وهما لغتان مثل بعد وباعد، قال أبو عمرو وأبو عبيدة: ضعفت الشيء إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله. ﴿ **وكان ذلك على الله يسيراً** ﴾، قال مقاتل: كان عذابها على الله ههنا وتضعيف عقوبتهنّ على المعصية لشرفهنّ كتضعيف عقوبة الحرّة على الأمة وتضعيف ثوابهنّ لرفع منزلتهنّ، وفيه إشارة إلى أنهنّ أشرف نساء العالمين.

مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ﴿إن اتقيتن﴾ أي الله فأطعتنه فإن الأكرم عند الله هو الأتقى ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولاً يجد المنافق والفاجر به سبيلا إلى الطمع فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ أي يوجبه الدين والإسلام عند الحاجة إليه، ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى. قوله عز وجل:

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿وقرن في بيوتكن﴾ أي إلزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون ﴿ولا تبرجن تبرج﴾ قيل: هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال ﴿الجاهلية الأولى﴾ قيل الجاهلية الأولى هو ما بين عيسى ومحمد ﷺ وقيل: هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر

﴿ومَن يقنتْ﴾، يطع، ﴿منكنّ لله ورسوله﴾، قرأ يعقوب: «من تأت منكنّ، وتقنت» بالتاء فيهما، وقرأ العامّة بالياء لأن ﴿من﴾ أداةٌ تقوم مقام الاسم يعبّر به عن الواحد والجمع والمذكّر والمؤنث، ﴿وتعمل صالحاً نؤتِها أجرَها مرتين﴾، أي مثل أجر غيرها، قال مقاتل: مكان كل حسنة عشرين حسنة. وقرأ حمزة والكسائي: «يعمل يؤتها» بالياء فيهما نسقاً على قوله: ﴿ومَن يأتِ، ويقنت﴾ قرأ الآخرون «تعمل» بالتاء، ﴿وأعتدنا لها رِزْقاً كريماً﴾، حسناً يعني الجنة.

﴿يا نساء النبي لستنّ كأحدٍ من النساء﴾، قال ابن عباس: يريد ليس قَدْرُكنّ عندي مثل قدر غيركنّ النساء الصالحات أنتنّ أكرم عليّ وثوابكنّ أعظم لديّ ولم يقل كواحدة لأن الأحد عامّ يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكّر والمؤنث، قال الله تعالى: ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقّة: ٤٧]، ﴿إنِ اتّقيتنّ﴾، الله أطعنه، ﴿فلا تخضعنَ بالقول﴾، لا تلن بالقول للرجال ولا ترقّقن الكلام، ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾، أي فجور وشهوة، وقيل نفاق، والمعنى لا تقلن قولاً يجد منافق أو فاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكنّ، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع، ﴿وقلنَ قولاً مَعْرُوفاً﴾، ما يوجبه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع.

﴿وقرنَ في بيوتكنّ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿وقرن﴾ بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرها فمَن فتح القاف فمعناه: أقررن أي الزمن بيوتكنّ من قولهم قررت بالمكان أقرّ قرّاً ويقال قررت أقَرّ وقررت أقِرّ وهما لغتان، فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقلت حركتها إلى القاف كقولهم: في ظللت ظلْت، قال الله تعالى: ﴿فظلتم تفكهون﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿ظلت عليه عاكفاً﴾ [طه: ٩٧]، ومَن كسر القاف فقد قيل هو من قررت أقِرّ معناه أقررن بكسر الراء فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل: هو الأصح أنه أمر

غير مخيط الجانبين، فيرى خلفها منه وقيل كان في زمن نمرود الجبار كانت المرأة، تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس: الجاهلية الأولى ما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة وقيل: إن بطنين من ولد آدم عليه السلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن، وإن رجلاً من أهل الجبل، هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية الأخرى، قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى وإن لم تكن لها أخرى **﴿وأقمن الصلاة﴾** أي الواجبة **﴿وآتين الزكاة﴾** أي المفروضة **﴿وأطعن الله ورسوله﴾** أي فيما أمر وفيما نهى **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾** أي الإثم الذي نهى الله النساء عنه.

وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا، وقيل: الرجس الشك وقيل السوء **﴿أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** هم نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى **﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، يدل عليه ما روي من عائشة أم المؤمنين قالت «خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه، ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم**

من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي أهل وقار وسكون، من قولهم وقر فلان يقرّ وقوراً إذا سكن واطمأن، **﴿ ولا تبرجنَ ﴾** قال مجاهد وقتادة: التبرّج هو التكسّر والتغنّج، وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر. وقيل: هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال، **﴿ تبرّجَ الجاهلية الأولى ﴾**، اختلفوا في الجاهلية الأولى. قال الشعبي: هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ. وقال أبو العالية: هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصاً من الدرّ غير مَخيط من الجانبين فيُرى حلقها فيه. وقال الكلبي: كان ذلك في زمن نمرود الجبّار، كانت المرأة تتّخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال. ورُوِيَ عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الجاهلية الأولى بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة وأن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صَباحاً وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجر نفسه منه، فكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزمّر به الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله، فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم يستمعون إليه فاتخذوا عيداً يجتمعون إليه فيه في السنة فتتبرج النساء للرجال ويتزينّ الرجال لهنّ، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهنّ فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحوّلوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم، فذلك قوله تعالى: **﴿ ولا تبرجنَ تبرُّجَ الجاهلية الأولى ﴾**، وقال قتادة: هي ما قبل الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان. وقيل: قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى، كقوله تعالى: **﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾** [النجم: ٥٠]، ولم يكن لها أخرى. قوله تعالى: **﴿ وأقمنَ الصلاةَ وآتينَ الزكاة وأطعنَ اللَّهَ ورسولَه إنّما يُريد اللَّهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ﴾**، أراد بالرجس الإثم الذي نهى الله

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أخرجه مسلم. المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال، وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال، عن أم سلمة قالت: إن هذه الآية نزلت في بيتها، ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال: إنك إلى خير أنت من أزواج النبي ﷺ قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيراً» أخرجه الترمذي. وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر، إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قوله تعالى ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿والحكمة﴾ قيل هي السنة وقيل هي أحكام القرآن ومواعظه ﴿إن الله كان لطيفاً﴾ يعني بأوليائه وأهل طاعته ﴿خبيراً﴾ أي بجميع خلقه. قوله عز وجل ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأنزل الله هذه الآية عن أم عمارة الأنصارية قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت مالي أرى كل شيء إلى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾

النساء عنه، قال مقاتل، وقال ابن عباس: يعني عمل الشيطان وما ليس لله في رضاً، وقال قتادة: يعني السوء. وقال مجاهد: الرجس الشك، وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهنّ في بيته، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، وتلا قوله: ﴿ واذكرنَ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله ﴾، وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما إلى أنهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري أنا أبو محمد يحيىٰ بن محمد بن صاعدي أنا أبو همّام الوليد بن شجاع أنا يحيىٰ بن زكريا بن زائدة أنا أبي عن مصعب بن شيبة عن صفيّة بنت شيبة الحجبية عن عائشة أُم المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء عليّ فأدخله فيه، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، ثم قال: ﴿ إنّما يريد الله ليُذهبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّرَكم تطهيراً ﴾، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحميدي أنا عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الحسن بن مكرم أنا عثمان بن عمر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أُم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿ إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فقال: «هؤلاء أهل بيتي»، قالت: فقلت يا رسول الله أمَا أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله»، قال زيد بن أرقم: أهل بيته مَنْ حَرُمَ الصدقةُ عليه بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قوله تعالى: ﴿ واذكرنَ ما يُتلى في بيوتِكُنَّ من آياتِ الله ﴾، أي القرآن، ﴿ والحكمة ﴾، قال قتادة: يعني السُّنّة. وقال مقاتل: أحكام القرآن ومواعظه. ﴿ إنّ الله كان لطيفاً خبيراً ﴾، أي لطيفاً بأوليائه خبيراً بجميع خلقه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ المسلمين والمسلمات ﴾، الآية. وذلك أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نُذكر به، إنّا نخاف أن لا يقبل الله منّا طاعةً، فأنزل الله هذه الآية. قال مقاتل: قالت أُم سلمة بنت أبي أُمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية للنبي ﷺ: ما بال ربّنا يذكر الرجال

أخرجه الترمذي. وقال حديث غريب وقيل إن أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت كعب الأنصارية قالتا للنبي ﷺ ما بال ربنا يذكر الرجال، ولا يذكر النساء في شيء في كتابه ونخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله: إن النساء لفي خيبة وخسار قال «ومم ذلك» قالت: لأنهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فأنزل الله إن المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب مع الرجال، فمدحهن بها معهم الأولى الإسلام وهو الانقياد لأمر الله تعالى وهو قوله: إن المسلمين والمسلمات، الثانية الإيمان بما يراد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن، وهو قوله ﴿**والمؤمنين والمؤمنات**﴾ الثالثة الطاعة وهو قوله ﴿**والقانتين والقانتات**﴾ الرابعة الصدق في الأقوال والأفعال وهو قوله﴿**والصادقين والصادقات**﴾ الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله ﴿**والصابرين والصابرات**﴾ السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل: هو التواضع وهو قوله ﴿**والخاشعين والخاشعات**﴾ السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله ﴿**والمتصدقين والمتصدقات**﴾ الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله ﴿**والصائمين والصائمات**﴾ التاسعة العفة وهو قوله ﴿**والحافظين فروجهم**﴾ يعني عما لا يحل ﴿**والحافظات**﴾ العاشرة كثرة الذكر وهو قوله ﴿**والذاكرين الله كثيراً والذكرات**﴾ وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وروي عن النبي ﷺ أنه قال «سبق المفردون قالوا: يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذكرات» وقال عطاء بن أبي رباح من فوّض أمره إلى الله، فهو داخل في قوله إن المسلمين والمسلمات ومن أقر بأن الله ربه ومحمداً رسوله، ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة، فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات، ومن صان قوله عن الكذب، فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية، فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى، فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله،

ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى أن لا يكون فيهنّ خير. فنزلت هذه الآية. ورُوِيَ أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: «ومِمَّ ذلك»؟ قالت: لأنهنّ لا يُذكَرن بخير كما يُذكَر الرجال، فأنزل الله هذه الآية ﴿ **إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين** ﴾، المطيعين ﴿ **والقانتات والصادقين** ﴾، في إيمانهم وفيما ساءهم وسَرّهم، ﴿ **والصادقات والصابرين** ﴾، على ما أمر الله به، ﴿ **والصابرات والخاشعين** ﴾، المتواضعين، ﴿ **والخاشعات** ﴾، وقيل: أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت، ﴿ **والمتصدقين** ﴾، ممّا رزقهم الله، ﴿ **والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم** ﴾، عمّا لا يحلّ، ﴿ **والحافظات والذاكرين لله كثيراً والذاكرات** ﴾، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وروينا أن النبي ﷺ قال: «قد سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»، قال عطاء بن أبي رباح مَن فوّض أمره إلى الله عزّ وجلّ فهو داخل في قوله: ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾، ومَن أقرّ بأن الله ربُّه ومحمداً رسولُه ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله: ﴿ **والمؤمنين والمؤمنات** ﴾، ومَن أطاع الله في الفرض والرسول في السُّنّة فهو داخل في قوله: ﴿ **والقانتين والقانتات** ﴾، ومَن صان نفسه عن الكذب فهو داخل في قوله: ﴿ **والصادقين والصادقات** ﴾، ومَن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزيّة فهو داخل في قوله: ﴿**والصابرين والصابرات** ﴾، ومَن صلّى فلم يعرف مَن عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله: ﴿ **والخاشعين والخاشعات** ﴾،

فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل آسبوع بدرهم، فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين والصائمات، ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴿**أعد الله لهم مغفرة**﴾ أي بمحو ذنوبهم ﴿**وأجراً عظيماً**﴾ يعني الجنة. قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش، وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وذلك أن النبي ﷺ خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ وأعتقه، وتبناه فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأنزل الله تعالى ﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني عبد الله بن جحش ﴿ولا مؤمنة﴾ يعني أخته زينب ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ يعني نكاح زيد لزينب ﴿أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أي الاختيار على ما قضى، والمعنى أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به ﴿**ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾ أي أخطأ خطأ ظاهراً فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيا وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ، فأنكحها زيداً ودخل بها وساق رسول الله ﷺ إليهما عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً، ودرعاً وملحفة وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر. قوله عز وجل ﴿**وإذ تقول للذي أنعم**

ومَن تصدّق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله: ﴿ **والمتصدقين والمتصدقات** ﴾، ومَن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله: ﴿ **والصائمين والصائمات** ﴾، ومَن حفظ فرجه عمّا لا يحلّ فهو داخل في قوله: ﴿ **والحافظين فروجهم والحافظات** ﴾، ومَن صلّى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله: ﴿ **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات** ﴾، ﴿ **أعدّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّهُ ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾، الآية نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأُمهما أُميّة بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ، خطب رسول الله ﷺ زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبنّاه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنّت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمّتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدّة، وكذلك كره أخوها ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **وما كان لمؤمن** ﴾، يعني عبد الله بن جحش، ﴿ **ولا مؤمنة** ﴾ يعني أُخته زينب، ﴿ **إذا قضى الله ورسوله أمراً** ﴾، أي إذا أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح زينب لزيد، ﴿**أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾، قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من أمرهم، والخيرة الاختيار، والمعنى أن يريد غير

الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ الآية نزلت في زينب، وذلك أن رسول الله ﷺ لما زوجها من زيد مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة، ذات خلق من أتم نساء قريش وقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال «سبحان الله مقلب القلوب» وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقى في نفسه كراهيتها في الوقت وأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له «مالك أرابك منها شيء» قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها» ثم إن زيداً طلقها فذلك قوله عز وجل ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ أي بالإسلام ﴿وأنعمت عليه﴾ أي بالإعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه ﴿أمسك عليك زوجك﴾ يعني زينب بنت جحش ﴿واتق الله﴾ أي فيها ولا تفارقها ﴿وتخفي في نفسك﴾ أي تسر وتضمر في نفسك ﴿ما الله مبديه﴾ أي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس: حبها وقيل ود أنه طلقها ﴿وتخشى الناس﴾ قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ قال عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد من هذه الآية، وعن عائشة قالت: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن غريب.

فصل:

فإن قلت: ما ذكروه في تفسير هذه الآية، وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي ﷺ عندما رآها وإرادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج، وما لا يليق بمنصبه ﷺ من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا. قلت: هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ

ما أراد الله أو يمتنع ممّا أمر الله ورسوله به، ﴿ وَمَن يعصِ اللَّهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً ﴾، أي أخطأ خطأً ظاهراً فلما سمعا ذلك رضيا بذلك وسلّما، وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها وساق رسول الله ﷺ إليها عشرة دنانير وستّين درهماً وخماراً ودرعاً وإزاراً وملحفة وخمسين مـدّاً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر.

قوله تعالى: ﴿ وإذْ تقول للذي أنعمَ الله عليه وأنعمتَ عليه أمسك عليك زوجك ﴾، الآية نزلت في زينب وذلك أن رسول الله ﷺ لمّا زوّج زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم إن رسول الله ﷺ أتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتمّ نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حُسْنها، فقال: «سبحان الله مقلّب القلوب وانصرف»، فلما جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنـي أُريد أن أُفارق صاحبي، قال: «ما لك أَرَابَكَ منها شيء»؟ قال: لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلاّ خيراً، ولكنها تتعظّم عليّ لشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك»، ﴿ واتقِ الله ﴾، في أمرها، ثم طلّقها زيد، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذْ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾، بالإسلام ﴿ وأنعمتَ عليه ﴾ بالتربية والإعتاق وهو زيد بن حارثة ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾، يعني زينب بنت جحش، ﴿ واتّقِ الله ﴾ فيها ولا تفارقها، ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مُبديه ﴾، أي تسرّ في نفسك ما الله مُظهِره، أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجهـا، وقال ابن عباس: حبّها. وقال قتادة: ودَّ أنه طلّقها. ﴿ وتخشى الناس ﴾، قال ابن عباس والحسن: تستحييهم. وقيل: تخشى لائمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم

ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ وهو زوجها لزيد، فلا يشك في تنزيه النبي ﷺ عن أن يأمر زيداً بإمساكها، وهو يحب تطليقه إياها ذكر عن جماعة من المفسرين. وأصح ما في هذا الباب ما روي عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني زين العابدين بن علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قلت: يقول لما جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أريد أن أطلق زينب أعجبه ذلك، وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك فإن الله عز وجل، قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها فلما جاء زيد قال: إني أريد أن أطلقها قال له: أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى «زوجناكها» فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه، ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيداً أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي، وكم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلماً إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو إنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويج النبي ﷺ إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال الله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ وقال ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي ﷺ زيداً بإمساكها. قلت: هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي ﷺ، عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها

نكحها. ﴿ والله أحقُّ أن تخشاه ﴾، قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشدّ عليه من هذه الآية. ورُوِيَ عن مسروق قال: قالت عائشة: لو كتم النبي ﷺ شيئاً مما أُوحي إليه لكتم هذه الآية: ﴿ وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه ﴾، وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين زيد العابدين ما يقول الحسن في قوله: ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مُبديه وتخشَى الناس واللّهُ أحق أن تخشاه ﴾؟ قلت: يقول لمّا جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبيّ الله إني أُريد أن أُطلّق زينب فأعجبه ذلك، فقال: «أمسك عليك زوجك واتّقِ الله»، فقال عليّ بن الحسين: ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلّقها، فلما جاء زيد وقال إني أُريد أن أُطلّقها قال له: «أمسك عليك زوجك»، فعاتبه الله وقال لِمَ قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتُك أنها ستكون من أزواجك، وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله علـم أنه يُبدي ويُظهِر ما أخفاه ولم يُظهِر غير تزويجها منه فقال: ﴿ زوّجناكها ﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يُظهِره ثم يكتمه فلا يُظهِره، فدلّ على أنه إنما عُوتِب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياءَ أن يقول لزيد التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي، وهذا قول حسن مُرضٍ، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلّقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العبد غير معلوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المآثم، لأن الودّ وميل النفس من طبع البشر. وقوله: ﴿ أمسك عليك زوجك واتقِ الله ﴾ أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه، قوله تعالى: ﴿ والله أحقّ أن تخشاه ﴾، لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه السلام قد قال: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم»، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحقّ بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله عزّ وجلّ: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾، أي حاجة من نكاحها، ﴿ زوّجناكَهَا ﴾، وذكر قضاء الوطر

زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، وقيل: كان في أمره بإمساكها قمعاً للشهوة ورداً للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد، ومثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء، مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء، وأنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن، ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مأثماً لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم.

وقوله ﴿**أمسك عليك زوجك واتق الله**﴾ أمر بالمعروف، وهو حسن لا إثم فيه وقوله ﴿**والله أحق أن تخشاه**﴾ لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام، قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس، ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء. قوله عز وجل ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً**﴾ أي حاجته منها، ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها، وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها ﴿**زوجناكها**﴾ قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، وقال الشعبي: «كانت زينب تقول للنبي ﷺ إني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام» (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ، لزيد: اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن قال: فلقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس، وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال: فما أدري أنا أخبرته أن

ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها، قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجَكُنَّ أهالِيكُنّ وزوّجني الله من فوق سبع سمٰوات. وقال الشعبي: كانت زينب تقول للنبي ﷺ: إنه لأدلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلي بهنّ: جدّي وجدّك واحد، إني أنكحنيك الله في السماء، وإن السفير لجبريل عليه السلام.
أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفّار بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج حدّثني محمد بن حاتم بن ميمون أنا بهز أنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لمّا انقضت عدّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكرها عليّ»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمّر عجينها، قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فولّيتُها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسلني رسول الله ﷺ إليك يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا وأن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم عليهنّ، حتى امتدّ النهار، فخرج الناس وبقي الرجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ فاتبعته فجعل يتتبع حُجُرَ نسائه يسلّم عليهنّ، ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا حماد عن ثابت عن أنس قال: ما أَوْلَمَ النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أَوْلَم على زينب، أولَمَ بشاة. أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن

القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت، وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بيني وبينهم ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه، ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل، ما أولم على زينب قال ثابت: بم أولم قال أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه. قوله عز وجل ﴿**لكيلا يكون على المؤمنين حرج**﴾ أي إثم ﴿**في أزواج أدعيائهم**﴾ جمع الدعي وهو المتبني ﴿**إذا قضوا منهن وطراً**﴾يقول: يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته، ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب ﴿**وكان أمر الله مفعولاً**﴾ أي قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ. قوله تعالى:

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له**﴾ أي فيما أحل الله له من النكاح، وغيره ﴿**سنة الله في الذين خلوا من قبل**﴾ معناه سن الله سنة في الأنبياء، وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح، وغيره فإنه كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة، ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد ﷺ في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم ﴿**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**﴾ يعني قضاء مقضياً أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله ﴿**الذين يبلغون رسالات الله**﴾ يعني فرائض

هشام بن ملاس النمري أنا مَرْوَان الفزاري أنا حميد عن أنس قال: أَوْلَمَ رسول الله ﷺ حين ابتنى بزينب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً، قوله تعالى: ﴿ **لكيلا يكون على المؤمنين حرج** ﴾، إثم، ﴿ **في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً** ﴾، والأدعياء جميع الدعي وهو المتبنى، يقول: زوّجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنّيته ليتعلّم أن زوجة المتبنى حلال للمتبنّي، وإن كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحلّ للأب. ﴿ **وكان أمرُ الله مفعولاً** ﴾، أي كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له** ﴾، أي فيما أحلّ الله له، ﴿ **سُنّةَ الله** ﴾، أي كسُنّة الله، نصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء أي ألزموا سُنّة الله، ﴿ **في الذين خلوا من قبل** ﴾، أي في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحلّ لهم. قال الكلبي ومقاتل: أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هو بها فكذلك جمع بين محمد ﷺ وبين زينب. وقيل: أراد بالسُّنّة إلى النكاح فإنه من سُنّة الأنبياء عليهم السلام. وقيل: إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام، ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾، قضاءً مقضيّاً كائناً ماضياً.

﴿ **الذين يُبلّغون رسالاتِ الله** ﴾، يعني سُنّة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، ﴿ **ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله** ﴾، أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحلّ الله لهم وفرض عليهم، ﴿ **وكفى بالله**

الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم ﴿ويخشونه﴾ يعني يخافونه ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ يعني لا يخافون قالت: الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ أي حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. قوله عز وجل ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال: الناس إن محمداً تزوج امرأة ابنه فأنزل الله ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ يعني زيد بن حارثة والمعنى أنه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح. فإن قلت: قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقال للحسن: إن ابني هذا سيد. قلت: قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل: أراد بالرجال الذي لم يلدهم ﴿ولكن رسول الله﴾ أي إن كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ﴿وخاتم النبيين﴾ ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً ويكون بعده نبياً وعنه قال: إن الله لما حكم أن لا نبي بعده، لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده. فإن قلت: قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت إن عيسى عليه السلام ممن نبيء قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ ومصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة، وأنا

حسيباً ﴾، حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم، ثم إن رسول الله ﷺ لمّا تزوج زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه.

فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿ ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ﴾**، يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إيّاها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين، فإن النبي ﷺ قال للحسن: «إن ابني هذا سيد»؟ قيل: هؤلاء كانوا صغاراً لم يكونوا رجالاً. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم، **﴿ ولكنْ رسولَ اللّهِ وخاتَم النبيين ﴾**، ختم الله به النبوّة، وقرأ ابن عامر وابن عاصم: **﴿ خاتم ﴾** بفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيِّين لجعلت له ابناً يكون بعده نبيّاً. ورُوِيَ عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً، **﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾**، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الخداشاهي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبكر الجوريدي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لَبِنَةٍ فطاف به النظّار يتعجبون من حُسْن بنيانه إلاّ موضع تلك اللَّبِنَة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع اللَّبِنَة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل». أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا علي بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كلب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي».

قوله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾**، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على

خاتم النبيين» وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الأنبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله ﷺ «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً (م) عن أبي موسى قال: كان النبي ﷺ يسمي، لنا نفسه أسماء فقال «أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة» المقفي هو المولى الذاهب، يعني آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفي فلا نبي بعده.

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ قال ابن عباس: لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ وقال تعالى ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية، وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبداً ﴿وسبحوه﴾ معناه إذا ذكرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتنزية عن كل سوء ﴿بكرة وأصيلاً﴾ فيه إشارة إلى المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضاً وقيل: معناه صلوا له بكرة صلاة الصبح وأصيلاً يعني صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقيل: معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته والمراد بقوله: كثيراً هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والحائض والمحدث ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده والثناء عليه قال أنس: لما نزلت ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال أبو بكر: ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله هذه الآية ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني أنه برحمته

عباده إلّا جعل لها حدّاً معلوماً وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدّاً يُنتهَى إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلّا مغلوباً على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: ﴿ فاذكروا الله قياماً وقعواً وعلى جنوبكم ﴾ [النساء: ١٠٣]. وقال: ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ أي بالليل والنهار، في البرّ والبحر وفي الصحة والسَّقم، وفي السرّ والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبداً.

﴿ وسبّحوه ﴾، أي صَلُّوا له، ﴿ بكرة ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿ وأصيلاً ﴾، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلاً صلاة الظهر والعصر والعشائين. وقال مجاهد: يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، فعبّر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ذكراً كثيراً هذه الكلمات يقولها الطاهر والجُنُب والمُحدِث.

﴿ هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ﴾، فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين قال السدي قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلّي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قلْ لهم إني أُصلّي وأن صلاتي رحمتي، وقد وسِعَت رحمتي كلَّ شيء، وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه. قال أنس: لمّا نزلت: ﴿ إن الله وملائكته يصلّون على النبي ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر ما خصّك الله يا رسول الله بشرف إلّا وقد أشركنا فيه، فأنزل الله هذه الآية. قوله: ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾.

وهدايته، ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ فيه بشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين، وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين ﴿تحيتهم﴾ يعني تحية المؤمنين ﴿يوم يلقونه﴾ أي يرون الله يوم القيامة ﴿سلام﴾ أي يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلا يسلم عليه عن ابن مسعود قال إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل: تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ يعني الجنة. قوله عز وجل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾ أي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ﴿ومبشراً﴾ أي لمن آمن بالجنة ﴿ونذيراً﴾ أي لمن كذب بالنار ﴿وداعياً إلى الله﴾ أي إلى توحيده وطاعته ﴿بإذنه﴾ أي بأمره ﴿وسراجاً منيراً﴾ سماه سراجاً منيراً لأنه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير، وقيل معناه أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء. فإن

﴿ تحيتهم ﴾، أي تحية المؤمنين، ﴿ يوم يلقونه ﴾، أي يرون الله، ﴿ سلام ﴾، أي يسلّم الله عليهم، ويسلّمهم من جميع الآفات. ورُوِيَ عن البراء بن عازب قال: ﴿ تحيتهم يوم يلقونه ﴾ يعني يلقون ملك الموت، لا يقبض روح مؤمن إلّا يسلّم عليه. وعن ابن مسعود قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: إن ربك يقرئك السلام. وقيل: تسلّم عليهم الملائكة وتبشّرهم حين يخرجون من قبورهم، ﴿ وأعدّ لهم أجْراً كريماً ﴾، يعني الجنة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً ﴾، أي شاهداً للرسل بالتبليغ ومبشّراً لِمَن آمن بالجنة ونذيراً لِمَن كذب بآياتنا بالنار.

﴿ وداعياً إلى الله ﴾، إلى توحيده وطاعته، ﴿ بإذنه ﴾، بأمره، ﴿ وسراجاً منيراً ﴾، سمّاه سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يُستضاء به في الظلمة.

﴿ وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾.

﴿ ولا تُطعِ الكافرين والمنافقين ﴾، ذكرنا تفسيره في أول السورة، ﴿ ودعْ أذاهم ﴾، قال ابن عباس وقتادة:

قلت لم سماه سراجاً، ولم يسمه شمساً والشمس أشد إضاءة من السرج وأنور. قلت: نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة ﴿**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً**﴾ أي ما تفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل: الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم ﴿**ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم**﴾ قال ابن عباس: اصبر على أذاهم لا تجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال ﴿**وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً**﴾ أي حافظاً. قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن**﴾ أي تجامعوهن، ففي الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق، أو قال: كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق، وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس، الحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار، ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم، وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق، وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والأوزاعي: إن عين امرأة وقع وإن عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود، وإن كان قالها فزلة من عالم الرجل يقول إن تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن، روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال «لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك» أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال: جعل الله الطلاق

اصبر على أذاهم. وقال الزجّاج: لا تُجازِهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال. ﴿ **وتوكّلْ على الله وكفَى بالله وكيلاً** ﴾، حافظاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلّقتموهنّ** ﴾، فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتّب الطلاق على النكاح، حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق، وقال كل امرأة أنكِحُها فهي طالق، فنكح لا يقع الطلاق. وهو قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة، وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة، وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم، وبه قال الشافعي، ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق، وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي، وقال ربيعة ومالك والأوزاعي: إن عيّن امرأة يقع، وإن عمّ فلا يقع. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود، إن كان قالها فزلّة من عالِم في الرجل يقول إن تزوجت فلانة فهي طالق، يقول الله تعالى: ﴿ **إذا نكحتم المؤمنات ثم طلّقتموهنّ** ﴾، ولم يقل إذا طلّقتموهنّ ثم نكحتموهنّ، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الديموري أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة أنا الربيع بن سليمان أنا أيوب بن سويد أنا ابن أبي ذئب عن عطاء عن جابر قال رسول الله ﷺ: «لا طلاق قبل النكاح». قوله عزّ وجلّ: ﴿ **من قبل أن تمسّوهنّ** ﴾، تجامعوهنّ، ﴿ **لما لكم عليهنّ من عدّة تعتدّونها** ﴾، تحصونها بالأقراء والأشهر، ﴿ **فمتّعوهنّ** ﴾، أي أعطوهنّ ما يستمتعن به، قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمّى لها صداقاً فلها المتعة فإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق ولا متعة لها. وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقيل: هذا أمر ندب فالمتعة مستحبّة لها مع نصف المهر. وذهب بعضهم إلى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية، ﴿ **وسرّحوهنّ سراحاً جميلاً** ﴾، خلّوا سبيلهنّ بالمعروف من غير ضرار.

بعد النكاح آخرجه البخاري في ترجمة باب بغير إسناد عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا طلاق قبل النكاح» ﴿**فما لكم عليهم من عدة تعتدونها**﴾ أي تحصونها بالأقراء والأشهر، أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة، فلا عدة وذهب أحمدإلى أن الخلوة توجب العدة والصداق ﴿**فمتعوهن**﴾ أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة وإن كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق، ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله «فنصف ما فرضتم» وقيل: هذا أمر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل: إنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية ﴿**وسرحوهن سراحاً جميلاً**﴾ أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير إضرار بهن.

قوله عز وجل ﴿**يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن**﴾ أي مهورهن ﴿**وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك**﴾ أي من السبي فتملكها مثل صفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له إبراهيم ﴿**وبنات عمك وبنات عماتك**﴾ يعني نساء قريش ﴿**وبنات خالك وبنات خالاتك**﴾ يعني نساء بني زهرة ﴿**اللاتي هاجرن معك**﴾ إلى المدينة فمن لم تهاجر، منهن لم يجز له نكاحها عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله ﴿**إنا أحللنا لك أزواجك**﴾ الآية قالت: فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين**﴾ أي أحللنا لك امرأة مؤمنة، وهبت نفسها لك بغير صداق

قوله تعالى: ﴿ **يا أيها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أُجورهنّ** ﴾، أي مهورهنّ، ﴿ **وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك** ﴾، ردّ عليك من الكفّار بأن تسبي فتملك مثل صفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له، ﴿ **وبنات عمّك وبنات عمّاتك** ﴾، يعني نساء قريش، ﴿ **وبنات خالك وبنات خالاتك** ﴾، يعني نساء بني زهرة، ﴿ **اللاتي هاجرنَ معك** ﴾، إلى المدينة فمَن لم تهاجر منهنّ معه لم يجز له نكاحها. وروى أبو صالح عن أُم هانىء أن رسول الله ﷺ لمّا فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحلّ له لأني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل، ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبتْ نفسَها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾، أي أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، فأما غير المؤمنة فلا تحلّ له إذا وهبت نفسها منه، واختلفوا في أنه هل كان يحلّ للنبي ﷺ نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة إلى أنه كان لا يحلّ له ذلك، لقوله: ﴿ **وامرأة مؤمنة** ﴾، وأوّل بعضهم الهجرة في قوله: ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾ على الإسلام أي أسلمن معك، فيدلّ ذلك على أنه لا يحلّ له نكاح غير المسلمة وكان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير وليّ ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه ﷺ في النكاح لقوله تعالى: ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ كالزيادة على الأربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة لأحد معه فيه، واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلّا بلفظ الإنكاح أو التزويج، وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء، وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، وذهب قوم إلى أنه ينعقد بلفظ الهبة والتمليك، وهو قول إبراهيم النخعي وأهل الكوفة، ومَن قال لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي ﷺ، فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه بلفظ الهبة، لقوله تعالى: ﴿ **خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾، وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد إلّا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق الأمة لقوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنْ أراد النبي أن يستنكحها** ﴾، وكان اختصاصه ﷺ في ترك المهر لا في لفظ النكاح، واختلفوا في التي وهبتْ نفسَها لرسول الله ﷺ وهل كانت عنده امرأة منهنّ، فقال عبد الله بن عباس

فأما غير المؤمنة، فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه وهل تحل الكتابية بالمهر، فذهب جماعة إلى أنها لا تحل له لقوله ﴿وامرأة مؤمنة﴾ فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة، وكان من خصائصه ﷺ أن النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله ﴿**خالصة لك من دون المؤمنين**﴾ والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج، وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي: وقال إبراهيم النخعي وأهل الكوفة، ينعقد بلفظ التمليك والهبة، ومن قال بالقول الأول اختلفوا في نكاح النبي ﷺ فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه ﷺ بلفظ الهبة، لقوله تعالى ﴿**خالصة لك** من دون المؤمنين﴾ وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج، كما في حق سائر الأمة لقوله تعالى ﴿**إن أراد النبي أن يستنكحها**﴾ وكان اختصاصه في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد: لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد النكاح، أو بملك يمين وقوله ﴿**إن وهبت نفسها**﴾ على سبيل الفرض والتقدير، وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة، واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الأنصارية الهلالية أم المساكين، وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر: من بني أسد وقال عروة بن الزبير: هي خولة بنت حكيم من بني سليم. وقوله تعالى ﴿**قد علمنا ما فرضنا عليهم**﴾ أي أوجبنا على المؤمنين ﴿**في أزواجهم**﴾ أي من الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿**وما ملكت أيمانهم**﴾ أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين ﴿**لكيلا يكون عليك حرج**﴾ وهذا يرجع إلى أول الآية معناه أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق ﴿**وكان الله غفوراً**﴾ أي للواقع في الحرج ﴿**رحيماً**﴾ أي بالتوسعة على عبادة.

۞ **تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾**

قوله تعالى ﴿**ترجي**﴾ يعني تؤخر ﴿**من تشاء منهن وتؤوي إليك**﴾ أي تضم إليك ﴿**من تشاء**﴾ قيل هذا للقسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه ﷺ، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار

ومجاهد: لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده امرأة إلّا بعقد نكاح أو ملك يمين، وقوله: ﴿ **إن وهبت نفسها** ﴾ على طريق الشرط والجزاء، وقال آخرون: بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الهلالية، يقال لها أُم المساكين. وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحرث. وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل: هي أُم شريك بنت جابر من بني أسد. وقال عروة بن الزبيرة: هي خولة بنت حكيم من بني سليم. قوله تعالى: ﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم** ﴾، أي أوجبنا على المؤمنين، ﴿ **في أزواجهم** ﴾، من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلّا بوليّ وشهود ومهر، ﴿ **وما ملكت أيمانهم** ﴾، أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين، ﴿ **لكيلا يكون عليك حرج** ﴾، وهذا يرجع إلى أول الآية أي أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق، ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾.

﴿ **تُرْجِي** ﴾، أي تؤخر، ﴿ **مَن تشاء منهنّ وتُؤوي** ﴾، أي تضمّ، ﴿ **إليك مَن تشاء** ﴾، اختلف المفسّرون

إليه فيهن، وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها، ويمسك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين، لا ينكحن أبداً وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن، دون بعض، أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط. واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً منهن من القسم فقال بعضهم: لم يخرج أحداً بل كان ﷺ مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم، إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم، وجلت يومها لعائشة وقيل: أخرج بعضهن. روي عن أبي رزين، قال: لما نزل التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، ودعنا على حالنا فأرجى رسول الله ﷺ بعضهن، وآوى إليه بعضهن فكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب، وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمساً أم حبيبة وميمونة وسودة وجويرة وصفية، فكان يقسم لهن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء وقال الحسن: تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من النساء قال وكان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله ﷺ وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن فتؤويها إليك وتترك من تشاء فلا تقبلها (ق) عن عروة قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي، وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك **﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾** أي طلبت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسمة **﴿فلا جناح عليك﴾** أي لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم، لهن، حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطأ من يشاء منهن في

في معنى الآية فأشهر الأقاويل أنه في القسم بينهنّ وذلك أن التسوية بينهنّ في القسم كانت واجبة عليه، فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهنّ، قال أبو رزين وابن زيد: نزلت هذه الآية حين غار بعض أُمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهنّ زيادة النفقة فهجرهنّ النبي ﷺ شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عزّ وجلّ أن يخيّرهنّ بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل مَن اختارت الدنيا ويمسك مَن اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، على أنهنّ أُمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً وعلى أنه يؤوي إليه مَن يشاء منهنّ ويرجي مَن يشاء فيرضين به قسم لهنّ أو لم يقسم، أو قسم لبعضهنّ دون بعض أو فضل بعضهنّ في النفقة والقسمة، فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء، وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط، واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً منهم عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحداً بل كان رسول الله ﷺ مع ما جعله الله له من ذلك يسوّي بينهنّ في القسم إلّا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم، وجعلت يومها لعائشة، وقيل: أخرج بعضهنّ. روى جرير عن منصور عن أبي رزين قال: لمّا نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهنّ فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا، فنزلت هذه الآية، فأرجى رسول الله ﷺ بعضهنّ وآوى إليه بعضهنّ، وكان ممّن آوى إليه عائشة وحفصة وزينب وأُم سلمة، فكان يقسم بينهنّ سواء، وأرجى منهنّ خمساً أُم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية، فكان يقسم لهنّ ما شاء، وقال مجاهد: ترجي مَن تشاء منهنّ يعني تعزل مَن تشاء منهنّ بغير طلاق وتردّ إليك مَن تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد. وقال ابن عباس: تطلّق منهنّ وتمسك مَن تشاء. وقال الحسن: تترك نكاح مَن شئت وتنكح مَن شئت من نساء أُمتك، قال: وكان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله ﷺ. وقيل: تقبل مَن تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهنّ لك فتؤويها إليك وتترك مَن تشاء فلا تقبلها، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا

غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزل منهن، تفضيلاً له على سائر الرجال ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن﴾ أي ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن، وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى ﴿ويرضين بما آتيتهن﴾ أي أعطيتهن ﴿كلهن﴾ من تقريب وإرجاء وعزل وإيواء ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي من أمر النساء والميل إلى بعضهن ﴿وكان الله عليماً﴾ أي مما في ضمائركم ﴿حليماً﴾ أي عنكم.

قوله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ أي من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن، قاله ابن عباس: واختلفوا هل أبيح له النساء بعد ذلك فروي عن عائشة أنها قالت «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح، وللنسائي عنها «حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما يشاء» وقال أنس «مات رسول الله ﷺ على التحريم» وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي ﷺ أكان يحل له أن يتزوج قال: وما يمنعه من ذلك قيل له قوله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ قال: إنما أحل له ضرباً من النساء فقال تعالى ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ الآية ثم قال ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾ وقيل معنى الآية لا تحل لك اليهوديات ولا

محمد بن سلام أنا ابن فضيل أنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهنّ للنبي ﷺ فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فلما نزلت: ﴿ ترجي مَن تشاء منهنّ ﴾، قلت: يا رسول الله ما أرى ربّك إلّا يسارع في هواك قوله تعالى: ﴿ ومَن ابتغيت ممّن عزلت ﴾، أي طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممّن عزلتهنّ عن القسم، ﴿ فلا جُناح عليك ﴾، لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم لهنّ حتى إنه ليؤخر مَن يشاء منهنّ في نوبتها ويطأ مَن يشاء منهنّ في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال، ﴿ ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزن ﴾، أي التخيير الذي خيّرتك في صحبتهنّ أقرب إلى رضاهنّ وأطيب لأنفسهنّ وأقل لحزنهنّ إذا علمن أن ذلك من الله عزّ وجلّ، ﴿ ويَرْضَيْنَ بما آتيتهنّ ﴾، أعطيتهنّ، ﴿ كلّهنّ ﴾، من تقرير وإرجاء وعزل وإيواء، ﴿ والله يعلم ما في قلوبهم ﴾، من أمر النساء والميل إلى بعضهنّ، ﴿ وكان الله عليماً حكيماً ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب (لا تحلّ) بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء من بعد يعني من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيّرتهنّ فاخترنك، وذلك أن النبي ﷺ لمّا خيّرهنّ فاخترن الله ورسوله شكر لهنّ وحرّم عليه النساء سواهنّ ونهاه عن تطليقهنّ وعن الاستبدال بهنّ، هذا قول ابن عباس وقتادة، واختلفوا في أنه هل أُبيح له النساء من بعد؟ قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أُحلّ له النساء سواهنّ. وقال أنس: مات على التحريم. وقال عكرمة والضحاك: معنى الآية لا يحلّ لك النساء إلّا اللاتي أحللنا لك وهو قوله: ﴿ إنّا أحللنا لك أزواجك ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية، ثم قال: ﴿ لا يحلّ لك النساء من بعد ﴾ إلّا التي أحللنا لك بالصفة التي تقدّم ذكرها. وقيل لأُبيّ بن كعب: لو مات نساء النبي ﷺ أكان يحلّ له أن يتزوج؟ قال: وما يمنعه من ذلك؟ قيل: قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا يحلّ لك النساء من بعد ﴾، قال: إنما أحلّ الله له ضرباً من النساء، فقال: ﴿ يا أيها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ثم قال: ﴿ لا يحلّ لك النساء من بعد ﴾، قال أبو صالح: أُمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية، ويتزوج من نساء قومه من بنات العمّ والعمّة والخالة إن شاء ثلثمائة: وقال مجاهد: معناه لا يحلّ لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهنّ، يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهنّ من اليهود والنصارى، يقول لا تكون أُم المؤمنين يهودية ولا نصرانية، إلّا ما ملكت يمينك، أحلّ له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهنّ. ورُوِيَ عن الضحاك: يعني ولا أن تبدل بهنّ ولا أن

النصرانيات بعد المسلمات ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ أي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات، لأنه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ما ملكت يمينك أي من الكتابيات فتسري بهن وقيل في قوله ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل عن امرأتي فأنزل الله تعالى ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ أي تبادل بهن من أزواج أي تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطية زوجتك وتأخذ زوجته فحرم ذلك ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ أي لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت، فأما الحرائر فلا ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ يعني ليس لك أن تطلق أحد من نسائك، وتنكح بدلها أخرى، ولو أعجبك جمالها، قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنهي عن ذلك ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ قال ابن عباس: ملك بعد هؤلاء مارية ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ أي حافظاً وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء، ويدل عليه ما روى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع آن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» أخرجه أبو داود. (م) عن أبي هريرة «أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً» قال الحميدي: يعني هو الصغر عن المغيرة بن شعبة قال: «خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ هل نظرت إليها قلت: لا قال

تبدل بأزواجك اللاتي هنّ في حيالك أزواجاً غيرهنّ بأن تطلقهن فتنكح غيرهنّ فحرّم عليه طلاق النساء اللواتي كنّ عنده إذ جعلهنّ أُمهات المؤمنين، وحرّمهنّ على غيره حين اخترنه، فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع عنه. وقال ابن زيد في قوله: ﴿ ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ﴾، كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم، يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأُبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي، فأنزل الله: ﴿ ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ﴾، يعني لا تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته، إلّا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبدل بجاريتك ما شئت، فأما الحرائر فلا، ورُوِيَ عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ بغير إذن وعنده عائشة فقال له النبي ﷺ: «يا عيينة فأين الاستئذان»؟ قال: يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت، ثم قال: مَن هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال: «هذه عائشة أُم المؤمنين». فقال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل لي عن هذه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرّم ذلك»، فلما خرج قالت عائشة: مَن هذا يا رسول الله؟ فقال: «هذا أحمق مطاوع وإنه على ما ترين لسيد قومه». قوله تعالى: ﴿ ولو أعجبك حسنهنّ ﴾، يعني ليس لك أن تطلّق أحداً من نسائك وتنكح بدلها أُخرى ولو أعجبك جمالها. قال ابن عباس: يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فنُهِيَ عن ذلك، ﴿ إلّا ما ملكت يمينك ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملك بعد هؤلاء مارية، ﴿ وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾، حافظاً. وفي الآية دليل على جواز النظر إلى مَن يريد نكاحها من النساء. رُوِيَ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»، أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجورندي قال: أنا أحمد بن حرب أنا أبو معاوية عن عاصم هو ابن سليمان عن بكر بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال: خطبتُ امرأةً، فقال لي النبي ﷺ: «هل نظرتَ إليها؟» قلت: لا، قال: «فانظرْ إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا حامد بن محمد أنا بشر بن موسى أنا الحميدي أنا سعيد أنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «انظرْ إليها فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً»، قال الحميدي: يعني الصغر.

فانظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما» أخرجه الترمذي: وقال حديث حسن. قوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ (ق) عن أنس بن مالك: أنه كان ابن عشر سنين مقدم النبي ﷺ المدينة، قال فكانت أم هانىء تواظبني على خدمة رسول الله ﷺ، فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشرين سنة، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي ﷺ فأطالوا المكث فقام النبي ﷺ فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي ﷺ ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي ﷺ ورجعت، حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يُؤذن لكم ﴾، الآية. قال أكثر المفسِّرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيىٰ بن بكير أنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة، قال: وكانت أُم هانىء تواظبني على خدمة النبي ﷺ، فخدمته عشر سنين وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشرين سنة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، أصبح النبي ﷺ بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام النبي ﷺ فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيت حتى جاء حجرة عائشة، ثم ظن أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ، ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب. وقال أبو عثمان، واسمه الجعد عن أنس قال: فدخل رسول الله ﷺ البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة، وهو يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يُؤذن لكم ﴾ إلى قوله: ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾. ورُوِيَ عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذّى بهم، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تـدخلوا بيوت النبي إلّا أن يؤذن لكم ﴾ يقول إلّا أن تُدْعَوْا، ﴿ إلى طعام ﴾، فيؤذن لكم فتأكلونه، ﴿ غير ناظرين إناه ﴾، غير منتظرين إدراكه ووقت نضجه، يقال أَنَى الحميم إذا انتهى حرّه، وإِنَى أن يفعل ذلك إذا حان، إِنَى بكسر الهمزة مقصورة، فإذا فتحتها مددت فقلت الإِناء، وفيه لغتان إنى يأنى وآن يئين مثل حان يحين، ﴿ ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا

النبي ﷺ بيني وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي ﷺ البيت وأرخى الستر، وإني لفي الحجرة وهو يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ إلى قوله ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ (ق) عن عائشة «أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل، إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ، احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب» المناصع المواضع الخالية، لقضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الأرض والأفيح الواسع (ق)، عن أنس وابن عمر أن عمر قال «وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي﴾ وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت الآية الحجاب واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك. وقال ابن عباس: إنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون، ولا يخرجون وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ يعني إلا أن تدعوا ﴿إلى طعام﴾ فيؤذن لكم فتأكلون ﴿غير ناظرين إناه﴾ يعنى منتظرين نضجه ووقت إدراكه ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم﴾ أي أكلتم الطعام ﴿فانتشروا﴾ أي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم﴾ أي فيستحيي من إخراجكم ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال، قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء، وقيل: بحسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم ﴿وإذا سألتموهن متاعا﴾ أي وإذا سألتم نساء النبي ﷺ حاجة ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ أي من وراء

طعمتم ﴾، أكلتم الطعام، **﴿ فانتشروا ﴾**، تفرقوا واخرجوا من منزله، **﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾**، ولا طالبين الأنس للحديث، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلاً فنُهوا عن ذلك، **﴿ إن ذلكم كان يُؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحي من الحق ﴾**، أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياءً، **﴿ وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسئلوهنّ من وراء حجاب ﴾**، أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة رسول الله ﷺ متنقّبة كانت أو غير متنقّبة، **﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ ﴾** من الريب، وقد صحّ في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيىٰ بن بكير أنا الليث حدّثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كنّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الحجاب. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر محمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن مُنيب أنا يزيد بن هارون أنا حميد عن أنس قال: قال عمر: وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول الله إنه يدخل عليك البَرُّ والفاجر فلو أمرت أُمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما آذى به رسولَ الله ﷺ نساؤُه، قال: فدخلتُ عليهنّ فجعلت أستقرّ بهنّ واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهُنّ أو ليبدّلنّه الله أزواجاً خيراً منكنّ، حتى أتيت على زينب فقالت: يا عمر ما كان في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت، قال: فخرجت فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿ عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ ﴾** [التحريم: ٥]، إلى آخر الآية. قوله عزّ

ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة ﴿**ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**﴾ أي من الريب ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**﴾ أي ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء ﴿**ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾ نزلت في رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال إذا: قبض رسول الله ﷺ فلأنكحن عائشة. قيل هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله أن ذلك محرم، وقال ﴿**إن ذلكم كان عند الله عظيماً**﴾ أي ذنباً عظيماً وهذا من إعلام تعظيم الله لرسوله الله ﷺ، وإيجاب حرمته حياً وميتاً وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فإن من الناس من تفرط غيرته على حرمه حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده.

إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

﴿**إن تبدو شيئاً**﴾ أي من أمر نكاحهن على ألسنتكم ﴿**أو تخفوه**﴾ أي في صدوركم ﴿**فإن الله كان بكل شيء عليماً**﴾ أي يعلم سركم وعلانيتكم، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله ﷺ وقيل: قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فنزلت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله، ونحن أيضاً يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله عز وجل ﴿**لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن**﴾ أي لا إثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الأصناف من الأقارب ﴿**ولا نسائهن**﴾ قيل أراد به النساء المسلمات، حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله ﷺ وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وإنما قال ولا نسائهن لأنهن من أجناسهن ﴿**ولا ما ملكت أيمانهن**﴾ اختلفوا

وجلّ: ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله** ﴾، ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء، ﴿ **ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً** ﴾، نزلت في رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحنّ عائشة، **قال مقاتل بن سليمان**: هو طلحة بن عبيد الله فأخبره الله عزّ وجلّ أن ذلك محرّم، وقال: ﴿ **إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً** ﴾، أي ذنباً عظيماً. وروى معمر عن الزهري أن العالية بنت ظبيان التي طلّقها النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي ﷺ على الناس.

﴿**إنْ تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً** ﴾، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله ﷺ، وقيل: **قال** رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فنزلت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: ونحن أيضاً نكلّمهنّ من وراء الحجاب؟

فأنزل الله: ﴿ **لا جُناح عليهنّ في آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ ولا أبناء أخواتهنّ** ﴾، أي لا إثم عليهنّ في ترك الاحتجاب من هؤلاء، ﴿ **ولا نسائهنّ** ﴾، قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابيات الدخول عليهنّ، وقيل: هو عامّ في المسلمات والكتابيات، وإنما قال: ﴿ **ولا نسائهنّ** ﴾، لأنهنّ بين أجناسهنّ، ﴿ **ولا ما ملكت أيمانهنّ** ﴾، واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرّماً لها أم لا؟ فقال قوم يكون محرّماً لقوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولا ما ملكت أيمانهنّ** ﴾، وقال قوم: هو كالأجانب، والمراد من الآية الإماء دون العبيد، ﴿ **واتّقين الله** ﴾ أن يراكنّ غير هؤلاء، ﴿ **إن الله كان على كل شيء** ﴾، من أعمال العباد ﴿ **شهيداً** ﴾.

في أن عبد المرأة هل يكون محرماً لها أم لا فقال قوم بل يكون محرماً لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن، وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية الإماء دون العبيد ﴿واتقين الله﴾ أي أن يراكن أحد غير هؤلاء ﴿إن الله كان على كل شيء﴾ أي من أعمال العباد ﴿شهيداً﴾ قوله عز وجل ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال ابن عباس: أراد أن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له وعنه أيضاً يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة الملائكة الدعاء ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ أي ادعوا له بالرحمة ﴿وسلموا تسليماً﴾ أي حيوه بتحية الإسلام.

فصل في صفة الصلاة على النبي ﷺ وفضلها

اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي ﷺ ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر، وقيل: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل: تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» (ق) عن أبي حميد الساعدي قال: قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال «قولوا اللهم صل على محمد

قوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلّون على النبي ﴾، قال ابن عباس أراد إن الله يرحم النبي، والملائكة يدعون له. وعن ابن عباس أيضاً: يصلّون يتبرّكون. وقيل: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار، ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه ﴾، أي ادعوا له بالرحمة، ﴿ وسلّموا تسليماً ﴾، أي حيّوه بتحية الإسلام. وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء. أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا عبد الله بن محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه ببغداد أنا أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب أنا موسى بن إسماعيل أنا أبو سلمة أنا عبد الواحد بن زياد أنا أبو فروة حدّثني عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى فاهدوها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علّمنا كيف نسلّم عليك؟ قال: «قولوا اللّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي، قال: قالوا: يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «قولوا اللّهمَّ صلِّ على محمد وأزواجه وذرّيّته كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذرّيّته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، أخبرنا أبو عمرو ومحمد بن عبد الرحمن النسوي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن يعقوب أنا العباس بن محمد الدورقي أنا خالد بن مخلد القطواني أنا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله بن كيسان أخبرني عبد الله بن شداد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»، أخبرنا أبو عبد الله بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن

وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد» (م) عن أبي مسعود البدري؛ قال أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك، فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم» (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً» عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات» أخرجه الترمذي وله عن أبي طلحة«أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت إنا لنرى البشر في وجهك قال: أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً» وله عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن أمتي السلام» عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. وله عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي» أخرجه الترمذي: وقال حديث حسن غريب صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صلي على محمد النبي الأمي، وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد» أخرجه أبو داود. قوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا

عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً»، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحرث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن حمّاد بن سلمة عن ثابت البناني عن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه جاء ذات يوم والبشر في وجهه، فقال: «إنه جاءني جبريل فقال إن ربك يقول أما يرضيك يا محمد أن لا يصلِّ عليك أحد من أمتك إلاّ صلّيت عليه عشراً ولا يسلّم عليك أحد من أُمتك إلاّ سلّمت عليه عشراً»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح القاضي أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عاصم هو ابن عبيد قال: سمعت عبد الله بن ربيعة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَن صلّى عليّ صلاة صلّتْ عليه الملائكة ما صلّى عليّ فليقللِ العبد من ذلك أو ليكثر»، حدّثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا ابن يزيد المحاربي بالكوفة أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشبستاني أنا أحمد بن حازم أنا عبد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغوني من أُمتي السلام».

يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾ قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا: عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي، فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» (ق) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقلب الليل والنهار» معنى هذا الحديث: أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل، لاعتقادهم أن الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل، وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه إلى الدهر في زعمكم، وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل: هم أصحاب التصاوير (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ. يقول «قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة أو شعيرة» وقيل: يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله، كما روي عن النبي ﷺ قال «قال الله تعالى من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» وقال تعالى: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه، ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لأن الله تعالى منزه

قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً ﴾، قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة، وقالوا إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة، وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه. وروينا أن النبي ﷺ قال: «يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أُولد ولم يكن لي كفواً أحد وروينا عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أُقلّب الليل والنهار»، وقيل: معنى يؤذون الله أي يلحدون في أسمائه وصفاته، وقال عكرمة هم أصحاب التصاوير، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن العلاء أنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى ومَن أظلم ممّن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرّة أو ليخلقوا حبّة أو شعيرة»، وقال بعضهم: يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله، كقوله تعالى: ﴿ واسئلِ القرية ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي أهلَ القرية. وروينا عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «مَن عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وقال مَن أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة»، ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه، ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم، والله عزّ وجلّ منزّه عن أن يلحقه أذىً من أحد، وإيذاء الرسول قال ابن عباس: هو أنه شجّ في وجهه وكسرت رباعيته. وقيل: شاعر ساحر معلّم مجنون.

عن أن يلحقه أذى من أحد، وأما إيذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**﴾ أي من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم ﴿**فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ قيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه، ويشتمونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء، إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فإن سكتت تبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحداً تخرج الحرة والأمة في درع وخمار فشكوا ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات**﴾ الآية، ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء، فقال تعالى، ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين**﴾ أي يرخين ويغطين ﴿**عليهن من جلابيبهن**﴾ جمع جلباب وهو الملاءة التي تشمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء، وغيره.

قال ابن عباس: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ﴿**ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾ أي لا يتعرض لهن ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾ أي لما سلف منهن قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة، وقال يالكاع اتتشبهين بالحرائر ألق القناع. لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس. قوله تعالى ﴿**لئن لم ينته المنافقون**﴾ أي عن نفاقهم ﴿**والذين في قلوبهم مرض**﴾ أي فجور وهم الزناة ﴿**والمرجفون في المدينة**﴾ أي بالكذب

﴿ **والذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا** ﴾، من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم، ﴿ **فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مُبيناً** ﴾، وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه. وقيل: نزلت في شأن عائشة. وقال الضحاك والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهنّ، فيغمزون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الأمة لأن زيّ الكل كان واحد، يخرجن في درع وخمارة الحرّة والأمة كذلك فشكون ذلك إلى أزواجهـن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات** ﴾ الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبّهن بالإماء.

فقال جلّ ذكره: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ** ﴾، جمع الجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطّين رؤوسهنّ ووجوههنّ بالجلابيب إلاّ عيناً واحدة ليُعلَم أنهنّ حرائر، ﴿ **ذلك أدنى أن يعرفن** ﴾، أنهنّ حرائر، ﴿ **فلا يُؤْذَيْنَ** ﴾، فلا يتعرّض لهنّ، ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾، قال أنس: مرّت بعمر بن الخطاب جارية متقنّعة فعلاها بالدرة، وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر، ألقي القناع.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **لئن لم ينته المنافقون** ﴾، عن نفاقهم، ﴿ **والذين في قلوبهم مرض** ﴾، فجور، يعني الزنا، ﴿ **والمرجفون في المدينة** ﴾، بالكذب وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجتْ سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولّوا وانهزموا، ويقولون قد أتاكم العدو ونحوها. وقال الكلبي: كانوا يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الأخبار ﴿ **لَنُغرينّك بهم** ﴾، لنحرشنّك بهم ولنسلطنّك عليهم، ﴿ **ثم لا يجاورونك فيها** ﴾، لا يساكنوك في المدينة ﴿ **إلاّ قليلاً** ﴾، حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلّطنّك عليهم حتى تقتلهم وتُخلي منهم المدينة.

وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون: قد أتاكم العدو ونحو هذا من الأراجيف، وقيل: كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وتفشو الأخبار ﴿**لنغرينك بهم**﴾ يعني لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم ﴿**ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً**﴾ أي لا يساكنونك في المدينة إلا قليلاً أي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ﴿**ملعونين**﴾ أي مطرودين ﴿**أينما ثقفوا**﴾ أي وجدوا وأدركوا ﴿**أخذوا وقتلوا تقتيلاً**﴾ أي الحكم فيهم هذا على الأمر به ﴿**سنة الله**﴾ أي كسنة الله ﴿**في الذين خلوا من قبل**﴾ أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حيثما ثقفوا ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلاً**﴾ قوله عز وجل ﴿**يسألك الناس عن الساعة**﴾ قيل إن المشركين كانوا يسألون رسول الله ﷺ، عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحاناً، لأن الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يجيبهم بقوله ﴿**قل إنما علمها عند الله**﴾ يعني إن الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبياً ولا ملكاً ﴿**وما يدريك**﴾ أي أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها ﴿**لعل الساعة تكون قريباً**﴾ أي إنها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين، وإسكات للممتحنين ﴿**إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً يوم تقلب وجوههم في النار**﴾ أي تتقلب ظهر البطن حين يسحبون عليها ﴿**يقولون يا ليتنا أطعنا الرسولا**﴾ أي في الدنيا ﴿**وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا**﴾ يعني رؤوس الكفر الذين لقنوهم الكفر، وزينوه لهم ﴿**فأضلونا السبيلا**﴾ يعني عن سبيل الهدى.

رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

﴿**ربنا آتهم**﴾ يعنون السادة والكبراء ﴿**ضعفين من العذاب**﴾ يعني ضعفي عذاب غيرهم ﴿**والعنهم لعناً كبيراً**﴾ يعني لعنا متتابعاً.

﴿ **ملعونين** ﴾، مطرودين، نصب على الحال، ﴿ **أينما ثقفوا** ﴾، وجدوا وأدركوا، ﴿ **أخذوا وقتلوا تقتيلاً** ﴾، أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

﴿ **سُنّة الله** ﴾، أي كسُنّة الله، ﴿ **في الذين خلوا من قبل** ﴾، من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء، ﴿ **ولنْ تجدَ لسُنّة الله تبديلاً** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **يسئلك الناس عن الساعة قلْ إنما علمها عند الله وما يدريك** ﴾، أي: أيُّ شيء يعلمك أمر الساعة، ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه، ﴿ **لعلّ الساعة تكون قريباً** ﴾.

﴿ **إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون وليّاً ولا نصيراً يوم تقلب وجوههم في النار** ﴾، ظهراً لبطن حين يسحبون عليها، ﴿ **يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾، في الدنيا.

﴿ **وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا** ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع، وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها، ﴿ **وكبراءنا فأضلّونا السبيلا** ﴾.

﴿ **ربنا آتهم ضعفين من العذاب** ﴾، أي ضعفي عذاب غيرهم. قوله تعالى: ﴿ **والعنهم لعناً كبيراً** ﴾ قرأ

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين أذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ يعني فطهره الله مما قالوه فيه ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ يعني كريماً ذا جاه وقد قال ابن عباس كان حظياً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولاً واختلفوا فيما أوذي به موسى، فروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال «كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل، وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمع موسى، بأثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس فقام الحجر حتى نظر إليه قال فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً» قال أبو هريرة والله إن بالحجر ندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر أخرجه البخاري ومسلم وللبخاري، قال قال رسول الله ﷺ «إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى شيء من جسده استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة وأن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، ورأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه ولبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر الضرب ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً» فذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾ الأدرة عظم الخصية لنفخة فيها، وقوله فجمح أي أسرع وقوله ثوبي حجر أي دع ثوبي يا حجر قوله وطفق أي جعل يضرب الحجر، وقوله ندباً هو بفتح

عاصم كبيراً بالباء قال الكلبي أي عذاباً كثيراً، وقرأ الآخرون بالثاء كقوله تعالى: ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [البقرة: ١٦١]، وهذا يشهد للكثرة أي مرة بعد مرة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا ﴾، فطهّره الله مما قالوا، ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾، أي كريماً ذَا جاهٍ، يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه، إذا كان ذا جاه وقدر. قال ابن عباس: كان حظيّاً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه. وقال الحسن: كان مُستجاب الدعوة. وقيل: كان محبّباً مقبولاً. واختلفوا فيما أُوذي به موسى فأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن إبراهيم أنا روح بن عبادة أنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حييّاً ستّيراً لا يُرى من جلده شيء استحياءً فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما تستّر موسى هذا التستّر إلاّ من عيب بجلده، إمّا برص أو أدرة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده ليغتسل فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجرَ عَدَا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وبرّأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً». فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً ﴾، وقال قوم: أذاهـم إيّاه أنه لمّا مات هارون في التيه ادّعوا على موسى أنه قتله فأمر الله الملائكة حتى مرّوا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله، فبرّأ الله مما قالوا وقال أبو العالية: هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملإ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد أنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت أبا وائل قال: سمعت عبد الله قال: قسَمَ

النون والدال وهو الأصح وأصله أثر الجرح، إذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب، بالحجر، والمحدثون يقولون ندبا بسكون الدال وقيل في معنى الآية أن أذاهم إياه، أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فأمر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا: وقيل إن قارون استأجر بغياً لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله، وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال «لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك وأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله فقلت والله لأخبرن رسول الله ﷺ قال فأتيته فأخبرته بما قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال: يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر» الصرف بكسر الصاد صبغ أحمر يصبغ به الأديم. قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾**.

قال ابن عباس صواباً وقيل عدلاً وقيل صدقاً وقيل: قول هو لا إله إلا الله **﴿يصلح لكم أعمالكم﴾** قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم **﴿ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** أي ظفر بالخير العظيم. قوله عز وجل **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾** الآية قال ابن عباس: أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إذا أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث، وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل: جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفي من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الإنسان الفرج وقال: هذه الأمانة

النبي ﷺ قَسْماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أُريدَ بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: «رحم الله موسى لقد أُوذي أكثر من هذا فصبر».

قوله تعالى: **﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾**، قال ابن عباس: صواباً. وقال قتادة: عدلاً. وقال الحسن: صدقاً. وقيل: مستقيماً. وقال عكرمة هو: قول لا إلَه إلاّ الله.

﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾، قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم. وقال مقاتل: يُزَكِّ أعمالكم، **﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ومَن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾**، أي ظفر بالخير كله.

قوله تعالى: **﴿ إنّا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرضِ والجبال ﴾**، الآية. أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السمٰوات والأرض والجبال على أنهم إن أدّوها أثابهم وإن ضيّعوها عذّبهم، وهذا قول ابن عباس، وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المِكيال والميزان، وأشدّ من هذا كله الودائع، وقال مجاهد: الأمانة الفرائض. وحدود الدِّين. وقال أبو العالية: ما أُمِروا به ونُهوا عنه. وقال زيد بن أسلم: هو الصوم والغسل من الجنابة، وما يُخفى من الشرائع. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة أستودعتكها، فالفرج أمانة والأُذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرِّجل أمانة ولا إيمان لمَن لا أمانة له. وقال بعضهم: هي أمانات الناس والوفاء بالعهد، فحقٌّ على كل مؤمن أن لا يغشّ مؤمناً ولا مُعاهِداً في شيء قليل ولا كثير، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السمٰوات والأرض والجبال، هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف، فقال لهنّ أتحملن هذه الأمانة بما فيها: قلن: وما فيها: قال: إن

استودعكها فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له، وفي رواية عن ابن عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً، ولا معاهداً في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يا رب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله تعالى: أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهم تخييراً لا إلزماً، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل، مطيعة لأمره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الأمانة، حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والأرض، هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها، والقول الأول أصح وهو قول العلماء ﴿**فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾ أي خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب ﴿**وحملها الإنسان**﴾ يعني آدم قال الله عز وجل لآدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها، فهل أنت آخذها بما فيها قال يا رب، وما فيها قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فتحملها آدم فقال: بين أذني وعاتقي قال الله أما إذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن لا تنظر إلى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقاً فإذا خشيت فأغلقه، واجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها، وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل إن ما كلف الإنسان حمله بلغ من عظمه، وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الإجرام، وأقواه وأشده أن يحتمله ويستقل به فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه وضعف قوته ﴿**إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾.

قال ابن عباس: إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه وما تحمل من الأمانة وقيل ظلوماً حين عصى ربه جهولاً أي لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة وقيل ظلوماً جهولاً حيث حمل الأمانة، ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها

أحسنتنّ جُوزِيتنّ وإن عصيتنّ عُوقبتنّ، فقلن: لا يا رب نحن مسخّرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشيةً وتعظيماً لدين الله أن لا يقيمنّ بها لا معصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهنّ تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهنّ لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عزّ وجلّ مطيعة ساجدة له كما قال جلّ ذكره في السمٰوات والأرض: ﴿ ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ [فصّلت: ١١]، وقال للحجارة وإن منها لمّا يهبط من خشية الله وقال تعالى: ﴿ ألم ترَ أن الله يسجد له مَن في السمٰواتِ ومَن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ [الحج: ١٨] الآية. وقال بعض أهل العلم: ركّب الله عزّ وجلّ فيهنّ العقل والفهم حين عرض الأمانة عليهنّ حتى عقلن الخطاب وأجبنَ بما أجبنَ، وقال بعضهم: المراد من العرض على السمٰوات والأرض هو العرض على أهل السمٰوات والأرض، عرضها على مَن فيها من الملائكة. وقيل: على أهلها كلها دون أعيانها، كقوله تعالى: ﴿ واسئل القرية ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية. والأول أصحّ، وهو قول العلماء ﴿ **فأبينَ أن يحملنَها وأشفقنَ منها** ﴾، أي خفـن من الأمانة أن لا يؤدّينهافيلحقهن العقاب،﴿ **وحملها الإنسان** ﴾، يعني آدم عليه السلام، فقال الله لآدم: إنّا عرضنا الأمانة على السمٰواتِ والأرض والجبال فلم تُطِقْها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا ربِّ وما فيها؟ قال: إن أحسنت جُوزِيت، وإن أسأت عُوقبت، فتحمّلها آدم، وقال: بين أُذني وعاتقي، قال الله تعالى أمّا إذا تحمّلت فسأُعينك أجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحلّ لك فأرخِ عليه حجابه، وأجعل للسانك لحيين وغلاقاً فإذا غشيت فأغلق، وأجعل لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرّمت

وقيل في تفسير الآية أقوال أخر، وهو أن الله تعالى ائتمن السموات والأرض والجبال على كل شيء، وائتمن آدم وأولاده على شيء فالأمانة في حق الأجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقهن له، وقوله فأبين أن يحملنها أي أدين الأمانة ولم يخن فيها وأما الأمانة في حق بني آدم، فهي ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض وقوله وحملها الإنسان أي خان فيها، وعلى هذا القول حكي عن الحسن أنه قال الإنسان هو الكافر والمنافق حملا الأمانة وخانا فيها، والقول الأول هو قول السلف وهو الأولى.

فصل

في الأمانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر حدثنا «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة» ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال: للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً» قوله: نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوكت الأثر اليسير، كالنقطة في الشيء من غير لونه، والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل إنما هو النفطات في الجلد، وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء (خ) عن أبي هريرة قال «بينما رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم فجاء أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة قال: ها أنا يا رسول الله قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها يا رسول الله قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» وعنه قال قال النبي ﷺ «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا

عليك. قال مجاهد: فما كان بين أن تحمّلها وبين أن خرج من الجنة إلاّ مقدار ما بين الظهر والعصر. وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مُثِّلَتِ الأمانة كصخرة ملقاة، ودُعيت السمٰواتُ والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها، وقالوا: لا نطيق حملها، وجاء آدم من غير أن يُدعى، وحرّكَ الصخرة، وقال: لو أُمِرت بحملها لحملتُها، فقيل له: احملها، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها، وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت، فقيل له: احملها فحملها إلى حقوه، ثم وضعها، وقال: والله لو أردت أن أزداد لزدت، قيل له: احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه، فأراد أن يضعها فقال الله: مكانك فإنها في عنقك وعنق ذرّيتك إلى يوم القيامة. ﴿ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾، قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً لأمر الله وما احتمل من الأمانة. وقال الكلبي: ظلوماً حين عصى ربّه، جهُولاً لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة. وقال مقاتل: ظلوماً لنفسه جهولاً بعاقبة ما تحمّل. وذكر الزجّاج وغيره من أهل المعاني في قوله وحملها الإنسان قولان، فقالوا: إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السمٰوات والأرض والجبال على شيء، فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض، والأمانة في حقّ السمٰوات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن له. وقيل: قوله: ﴿ فأبينَ أن يحملنَها ﴾، أي أدّينَ الأمانة، يقال: فلان لم يحتمل الأمانة أي لم يخن فيها وحملها الإنسان أي خان فيها، يقال: فلان حمل الأمانة أي أثِمَ فيها بالخيانة. قال الله تعالى: ﴿ وليحملُنَّ أثقالهم ﴾ [العنكبوت: ١٣]، إنه كان ظلوماً جهولاً، حُكِيَ عن الحسن على

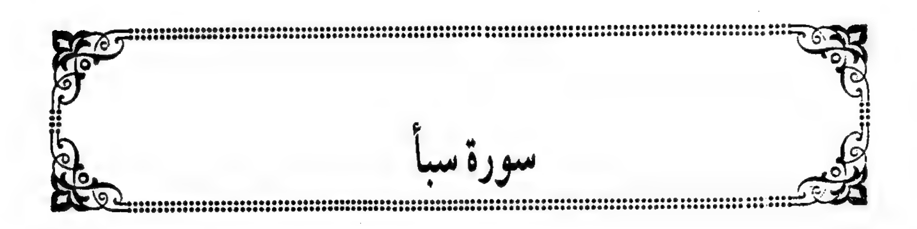
تخن من خانك» أخرجه أبو داود والترمذي. وقال حديث حسن غريب. قوله تعالى:

﴿لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾

﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ أي بما خانوا الأمانة ونقضوا العهد **﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾** أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة. وقيل: عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويظهر إيمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات **﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾** والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

هذا التأويل: إنه قال وحملها الإنسان يعني الكافر والمنافق، حملاً الأمانة أي خانا. وقول السلف ما ذكرنا.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ ليعذّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾**، قال مقاتل ليعذّبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، **﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾**، يهديهم ويرحمهم بما أدُّوا من الأمانة. وقال ابن قتيبة أي عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله، ويُظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات.



سورة سبأ

مكية وهي أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاثة وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قوله عز وجل ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ معناه أن كل نعمة من الله، فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجلها، ولما قال: الحمد لله وصف ملكه فقال: الذي له ما في السموات وما في الأرض أي ملكاً وخلقاً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ أي كما هو له في الدنيا لأن النعم في الدارين كلها منه، فكما أنه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل: الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد ﴿يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس﴾ ﴿وهو الحكيم﴾ أي الذي أحكم أمور الدارين ﴿الخبير﴾ أي بكل ما كان وما يكون ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ أي من المطر والكنوز والأموات ﴿وما يخرج منها﴾ أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والأموات

سُورَة سَبَأ

مكيّة وهي أربع وخمسون آية.

﴿ **الحمد لله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض** ﴾، ملكاً وخلقاً، ﴿ **وله الحمد في الآخرة** ﴾ كما هو له في الدنيا، لأن النِّعَم في الدارين كلها منه، وقيل الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن ﴾ [فاطر: ٣٤]، و﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ [الزّمر: ٧٤]. ﴿ **وهو الحكيم الخبير** ﴾.

﴿ **يعلم ما يلج في الأرض** ﴾، أي يدخل فيها من الماء والأموات، ﴿ **وما يخرج منها** ﴾، من النبات والأموات إذا حُشروا، ﴿ **وما ينزل من السماء** ﴾، من الأمطار، ﴿ **وما يعرج** ﴾، يصعد، ﴿ **فيها** ﴾، من الملائكة وأعمال العباد، ﴿ **وهو الرحيمُ الغفور** ﴾.

إذا بعثوا ﴿وما ينزل من السماء﴾ أي من المطر والثلج والبرد، وأنواع البركات والملائكة ﴿وما يعرج فيها﴾ أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ معناه أنهم أنكروا البعث وقيل: استبطؤوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية ﴿قل بلى وربي لتأتينكم﴾ يعني الساعة ﴿عالم الغيب﴾ أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات وإذا كان كذلك اندرج في علمه، وقت قيام الساعة وأنها آتية ﴿لا يعزب عنه﴾ أي لا يغيب عنه ﴿مثقال ذرة﴾ يعني وزن ذرة ﴿في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك﴾ أي من الذرة ﴿ولا أكبر إلا من كتاب مبين﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعني الجنة.

وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾

﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ يعني في ابطال أدلتنا معجزين يعني يحسبون أنهم يفوتوننا ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ قيل الرجز سوء العذاب ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل هم أصحاب النبي ﷺ ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ يعني القرآن ﴿هو الحق﴾ يعني أنه من عند الله ﴿ويهدي﴾ أي القرآن ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي إلى دين الإسلام ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي المنكرين للبعث المتعجبين منه ﴿هل ندلكم﴾ أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم ﴿على رجل ينبئكم﴾ يعنون محمداً ﷺ معناه يحدثكم بأعجوبة من

﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ قلْ بلى وربّي لتأتينّكم ﴾، الساعة، ﴿ عالمِ الغيبِ ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿ عالم ﴾ بالرفع على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالجرّ على نعت الرب، أي وربّي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي: «عـلاّم» على وزن فعّال، وجرّ الميم، ﴿ لا يعزب ﴾، لا يغيب، ﴿ عنه مثقال ذرّة في السمٰوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ﴾، أي من الذرّة، ﴿ ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين ﴾.

﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك ﴾، يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾، حسن يعني في الجنة.

﴿ والذين سَعَوْا في آياتنا ﴾، في إبطال أدلّتنا، ﴿ معاجزين ﴾، يحسبون أنهم يفوتوننا، ﴿ أولئك لهم عذاب من رِجْزٍ أليم ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب: ﴿أليم﴾ بـالرفـع ههُنا وفي الجـاثية [١١] على نعت العـذاب، وقـرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز، وقال قتادة الرجز سوء العذاب.

الأعاجيب وهي أنكم ﴿إذا مزقتم كل ممزق﴾ أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق، وصرتم تراباً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي يقول إنكم تبعثون وتنشئون خلقاً جديداً بعد أن تكونوا رفاتاً وتراباً ﴿أفترى على الله كذباً﴾ أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك؟ ﴿أم به جنة﴾ أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى: رداً عليهم ليس بمحمد ﷺ من الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهما ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعني منكري البعث ﴿في العذاب والضلال البعيد﴾ أي عن الحق في الدنيا ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ أي فيعلموا أنهم حيث كانوا في أرضي وتحت سمائي، فإن أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها، وأنا قادر عليهم ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ أي كما خسفنا بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ أي كما فعلنا بأصحاب الأيكة ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ترون في السماء والأرض ﴿لآية﴾ أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت ﴿لكل عبد منيب﴾ أي تائب راجع إلى الله تعالى بقلبه. قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ يعني النبوة والكتاب. وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتي من حسن الصوت، وغير ذلك مما خص به ﴿يا جبال أوبي معه﴾ أي وقلنا يا جبال سبحي معه إذا سبح وقيل: رجعي معه إذا رجع ونوحي معه إذا ناح ﴿والطير﴾ أي وأمرنا الطير أن تسبح

﴿ ويَرَى الذين ﴾، أي ويرى الذين، ﴿ أُوتوا العلم ﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، ﴿ الذي أُنزل إليك من ربّك ﴾، يعني القرآن، ﴿ هو الحق ﴾، يعني أنه من عند الله، ﴿ ويهدي ﴾، يعني القرآن، ﴿ إلى صراط العزيز الحميد ﴾، وهو الإسلام.

﴿ وقال الذين كفروا ﴾، منكرين للبعث متعجبين منه، ﴿ هل ندلّكم على رجل ينبئكم ﴾، أي يخبركم يعنون محمداً ﷺ، ﴿ إذا مُزِّقتُم كلَّ ممزَّقٍ ﴾، قُطّعتم كل تقطيع وفُرِّقْتُم كل تفريق وصرتم تراباً ﴿ إنكم لفي خلق جديد ﴾، يقول لكم إنكم لفي خلق جديد.

﴿ أَفْتَرَى ﴾، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصبت، ﴿ على الله كذباً أم به جِنَّة ﴾، يقولون أزعم كذباً أم به جنون، قال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿ بلِ الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾، من الحق في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴾، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم، ﴿ إنْ نشأ نخسِفْ بهم الأرض ﴾، قرأ الكسائي ﴿ نخسف بهم ﴾ بإدغام الفاء في الباء، ﴿ أو نُسْقِطْ عليهم كِسَفاً من السماء ﴾، قرأ حمزة والكسائي. (إن يشأ يخسف أو يسقط)، بالياء فيهنّ لذكر الله من قبل، وقرأ الآخرون بالنون فيهنّ، ﴿ إن في ذلك ﴾، أي فيما ترون من السماء والأرض، ﴿ لآيةً ﴾، تدلّ على قدرتنا على البعث، ﴿ لكل عبدٍ مُنِيب ﴾، تائب راجع إلى الله بقلبه.

قوله تعالى: ﴿ ولقد آتينا داود منّا فضلاً ﴾، يعني النبوّة والكتاب، وقيل: الملك. وقيل: جميع ما أُوتي من حُسْن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خُصّ به، ﴿ يا جبال ﴾، أي وقلنا يا جبال، ﴿ أوّبي ﴾، أي سبّحي، ﴿ معه ﴾، إذا سبّح، وقال القتيبي: أصله من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله فينزل ليلاً بالتسبيح معه. وقال وهب: نوحي معه، ﴿ والطير ﴾، عطف على موضع الجبال، لأن كلّ منادًى في موضع النصب. وقيل: معناه وسخّرنا وأمرنا الطير أن تسبّح معه. وقرأ يعقوب: ﴿ والطير ﴾ بالرفع ردّاً على الجبال أي أوّبي أنت والطير. وكان داود إذا نادى بالناحية أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه، فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم

معه فكان داود إذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها، وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود إذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له ﴿**وألنا له الحديد**﴾ يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكراً فإذا رأى إنسانا لا يعرفه تقدم إليه، وسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود وإليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة آدمي، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله فقال الملك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام، ذلك، وقال ما هي يا عبد الله قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وأنه أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك صفائح وقيل إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها، ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله ﷺ «قال كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده» ﴿**أن اعمل سابغات**﴾ أي دروعاً كوامل واسعات طوالاً تسحب في الأرض قيل: كان يعمل كل يوم درعاً ﴿**وقدر في السرد**﴾ أي ضيق في نسخ الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا تثبت، ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة ﴿**واعملوا صالحاً**﴾ يريد داود وآله ﴿**إني بما تعملون بصير**﴾.

قوله تعالى ﴿**ولسليمان الريح**﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح ﴿**غدوها شهر ورواحها شهر**﴾ معناه أن مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين، قيل كان

من ذلك. وقيل: كان داود إذا تخلّل الجبال فسبّح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبّح. وقيل: كان داود عليه السلام إذا لحقه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال تنشيطاً له. ﴿ **وألنّا له الحديد** ﴾، حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مِطرقة، وكان سبب ذلك على ما رُوِيَ من الأخبار أن داود عليه السلام لمّا ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكّراً فإذا رأى رجلاً لا يعرفه يقدم إليه ويسأله عن داود ويقول له: ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه، ويقولون خيراً فقيّض الله له ملكاً في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله، فقال الملك نِعْمَ الرجل هو لولا خصلة فيه، فراعَ داود ذلك وقال: ما هي يا عبد الله؟ قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، قال فتنبّه لذلك وسأل الله أن يسبّب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فيتقوّت منه ويطعم عياله، فألان الله تعالى له الحديد وعلّمه صنعة الدرع، وإنه أول مَن اتخذها. ويقال: إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم. فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدّق منها على الفقراء والمساكين. ويقال إنه كان يعمل كل يوم درعاً يبيعها بستّة آلاف درهم، فينفق ألفين منها على نفسه وعياله، ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني إسرائيل، قال رسول الله ﷺ: «كان داود عليه السلام لا يأكل إلاّ من عمل يده».

﴿ **أنِ اعملْ سابغَاتٍ** ﴾، دروعاً كوامل واسعات طِوالاً تسحب في الأرض، ﴿ **وقدرْ في السرد** ﴾، والسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السراد والزراد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاقاً فتفلت ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ويقال السرّ المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصدِ وقدرِ الحاجة، ﴿ **واعملوا صالحاً** ﴾، يريد داود وآله، ﴿ **إني بما تعملون بصير** ﴾.

﴿ **ولسليمان الريح** ﴾، أي وسخّرنا لسليمان الريح، وقرأ أبو بكر عن عاصم الريح بالرفع أي سخّر له الريح، ﴿ **غدوها شهرٌ ورواحها شهرٌ** ﴾، أي سير غُدوٍّ تلك الريح المسخّرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر،

يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل إنه كان يتغذى بالري ويتعشى بسمرقندى ﴿**وأسلنا له عين القطر**﴾ أي أذبنا له عين النحاس قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد ﴿**ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه**﴾ أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام، وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴿**ومن يزغ**﴾ أي يعدل ﴿**منهم**﴾ من الجن ﴿**عن أمرنا**﴾ أي الذي أمرناه به من طاعة سليمان ﴿**نذقه من عذاب السعير**﴾ قيل هذا في الآخرة وقيل: في الدنيا وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته.

يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب**﴾ أي مساجد وقيل: هي الأبنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال، وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفعه قامة رجل، فأوحى الله إليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي إتمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال، وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنهما وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا وأنزل على كل ربض منها سبطاً من الأسباط، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنهما، ومنهم من يستخرج

وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين. قال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقبل بإصطخر وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل: إنه كان يتغذى بالريّ ويتعشى بسمرقند، ﴿ **وأسَلْنَا له عينَ القِطْرِ** ﴾، أي أذَبْنَا له عين النحاس، والقِطْرُ النحاس، قال أهل التفسير: أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهنّ كجري الماء، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان، ﴿ **ومن الجن مَن يعمل بين يديه بإذن ربّه** ﴾، بأمر ربّه قال ابن عباس سخّر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، ﴿ **ومَن يزغ** ﴾، أي يعدل، ﴿ **منهم** ﴾، من الجن، ﴿ **عن أمرنا** ﴾، الذي أمرنا به من طاعة سليمان، ﴿ **نُذِقْه من عذاب السعير** ﴾، في الآخرة، وقال بعضهم: في الدنيا وذلك أن الله عزّ وجلّ وكّل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمَن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته.

﴿ **يعملون له ما يشاء من محاريب** ﴾، أي مساجد والأبنية المرتفعة وكان مما عملوا في بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قدر قامة رجل، فأوحى الله إليه إني لم أقضِ ذلك على يدك ولكن ابن لك أُملّكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده، فلما توفّاه الله استخلف سليمان فأحبّ إتمام بناء بيت المقدس، فجمع الجنّ والشياطين وقسّم عليهم الأعمال فخصّ كل طائفة منهم بعمل يستصلحه لهم، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والميها الأبيض من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط، وكانوا اثني عشر سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجد الشياطين فرقاً فرقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدرّ الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والحجارة من

الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أماكنها فأتى من ذلك بشيء كثير لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلىء فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة، وفصص سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة، كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل، وأعلمهم أنه بناه لله تعالى وأن كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيداً. روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ «أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل، حكماً يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه» أخرجه النسائي ولغير النسائي، «سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين، وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة» وذكر نحوه قوله لا ينهزه أي لا ينهضه إلا الصلاة قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة، وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمله إلى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصوراً وحصوناً عجيبة من الصخر.

وقوله عز وجل ﴿وتماثيل﴾ أي ويعملون له تماثيل أي صوراً من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا يصورون

أماكنها، وفرقاً يأتونه بالمِسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها، فأتى من ذلك بشيء لا يُحصيه إلّا الله عزّ وجلّ، ثم أحضر الصنّاعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحاً وإصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلىء، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمّده بأساطين الميها الصافي وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصّص سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه لله عزّ وجلّ، وأن كل شيء فيه خالص لله، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «لمّا فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة، سأل حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إيّاه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إيّاه وسأله أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلّا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك»، قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصّر فخرّب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدرّ والياقوت وسائر الجواهر فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق، وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر. قوله: ﴿ وتماثيل ﴾ أي كانوا يعملون له تماثيل أي صوراً من نحاس وصفر وشبّة وزجاج ورخام. وقيل: كانوا يصوّرون السِّباع والطيور. وقيل: كانوا يتّخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المسجد ليراها لناس فيزدادوا عبادة، ولعلّها كانت مُباحة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله. ﴿ وجفانٍ ﴾، أي قِصاع واحدتها جفنة، ﴿ كالجَوَابِ ﴾، كالحياض التي يُجبى فيها الماء أي يُجمَع واحدتها جابية، يقال: كان يعقد على الجفنة الواحد ألف رجل يأكلون ثابتات لها قوائم لا تحرّكن عن أماكنها لعظمهنّ ولا ينزلن ولا يقلعن، وكان يصعد عليها بالسلالم، جمع السلّم وكانت باليمن، ﴿ اعملوا آلَ داودَ شكراً ﴾، أي وقلنا اعملوا آل داود شكراً، مجازه: اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمه، ﴿ وقليلٌ من عبادي الشكور ﴾،

السباع والطيور وغيرها، وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل: يحتمل أن اتخاذ الصور كان مباحاً في شريعتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع، لأنه ليس من الأمور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب، ونحوها مما يقبح في كل الشرائع قيل: عملوا له أسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط له الأسدان ذراعيهما، وإذا جلس أظله النسران بأجنحتهما وقيل: عملوا له الطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من أراد الدنو منه ﴿**وجفان**﴾ أي قصاع ﴿**كالجواب**﴾ أي كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجتمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها ﴿**وقدور راسيات**﴾ أي ثابتات على أثافيها لا تحرك، ولا تنزل عن أماكنها لعظمهن وكان يصعد إليها بالسلالم وكان باليمن ﴿**اعملوا آل داود شكراً**﴾ أي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكراً على نعمه قيل: المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ أي قليل العامل بطاعتي شكراً لنعمتي. قوله تعالى ﴿**فلما قضينا عليه الموت**﴾ أي على سليمان قال: العلماء: كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابهم فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا وقد نبتت في محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: كذا وكذا فيقول لأي شيء خلقت؟ فتقول: لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع.

أي العامل بطاعتي شكراً لنعمتي قيل: المراد من آل داود هو داود نفسه. وقيل: داود وسليمان وأهل بيته. وقال جعفر بن سليمان: سمعت ثابتاً يقول: كان داود نبيّ عليه السلام قد جزّأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلاّ وإنسان من آل داود قائم يصلّي.

﴿ **فلما قضينا عليه الموت** ﴾، أي على سليمان، قال أهل العلم: كان سليمان عليه السلام يتجرّد في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقلّ من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه، فأدخل في المرة التي مات فيها وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلاّ نبتت في محراب بيت المقدس شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا، فيقول: لأيّ شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتُقطَع، فإن كانت نبتت لغرس غرسها وإن كانت لدواء كتب، حتى نبتت الخرّوبة، فقال لها: ما أنت؟ قالت: الخرّوبة، قال: لأيّ شيء نبت؟ قالت: لخراب مسجدك، فقال سليمان: ما كان الله ليخرّبه وأنا حيّ أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له، ثم قال: اللّهمّ عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد، ثم دخل المحراب فقام يصلّي متكئاً على عصاه فمات قائماً وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقّة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حيّ ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبّون له بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأَرَضَةُ عصا سليمان، فخرّ ميتاً فعلموا بموته. قال ابن عباس: فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب، فذلك قوله: ﴿ **ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض** ﴾، وهي الأرضة التي، ﴿ **تأكل منسأته** ﴾، يعني عصاه، قرأ أهل المدينة وأبو عمر ﴿**منسأته**﴾ بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان، ويسكّن ابن عامر الهمز، وأصلها من نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها ومنه نسأ الله في أجله أي أخّره، ﴿ **فلما خرّ** ﴾، أي سقط على الأرض، ﴿ **تبيّنت الجن** ﴾، أي علمت الجن وأيقنت، ﴿ **أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** ﴾، أي في التعب والشقاء مسخّرين لسليمان وهو ميت يظنونه

فإن كانت لغرس أمر بها فغرست وإن كانت لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها: ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولأي شيء نبت قالت لخراب مسجدك، قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال: اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب شيئاً، ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئاً على عصاه فمات قائماً، وكان للمحراب كوى من بين يديه، ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان، وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته، وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدأبون بعد موته حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضة عصا سليمان، فخر ميتاً فعلموا بموته قال ابن عباس: فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى **﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾** يعني الأرضة **﴿تأكل منسأته﴾** قال البخاري يعني عصاه **﴿فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾** معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان، وهو ميت ويظنونه حياً أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية أنه ظهر أمر الجن وانكشف للانس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وبقي في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه، وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين.

وقوله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾ عن فروة بن مسيك المرادي قال: «لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل يا رسول الله: وما سبأ أرض أو امرأة قال: ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة

حيّاً، أراد الله بذلك أن يُعلِم الجن أنهم لا يعلمون الغيب، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم. وذكر الأزهري: أن معناه تبيّنت الجن، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس، أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون لأنهم كانوا قد شبّهوا على الإنس ذلك، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس تبيّنت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي علمت الإنس وأيقنت ذلك، وقرأ يعقوب: (تُبيِّنت) بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الإنس الجن، ذكر بلفظ ما لم يُسَمَّ فاعله، وتبيّن لازم ومتعدٍّ، وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة ملكه أربعون سنة، وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشر سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من مُلْكه.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ لقد كان لسبإ ﴾**، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ قال: كان رجلاً من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستّة وتشاءم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون، والأرض ومذحج وإنمار وحمير، فقال رجل: وما إنمار؟ فقال: الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان، وسبأ هو ابن يشحب بن يعرب بن قحطان. **﴿ في مسكنهم ﴾**، قرأ حمزة وحفص **﴿ مسكنهم ﴾** بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون «مساكنهم» على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن، **﴿ آية ﴾**، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ثم فسّر الآية فقال:

وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله وما أنمار؟ قال الذين منهم خثعم وبجيلة» أخرجه الترمذي مع زيادة. وقال حديث حسن غريب وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي بمأرب من أرض اليمن، آية أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى ﴿**جنتان**﴾ أي بستانان ﴿**عن يمين وشمال**﴾ يعني عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وقيل كان لهم واد قد أحاطت به الجنتان ﴿**كلوا**﴾ أي قيل لهم كلوا ﴿**من رزق ربكم**﴾ أي من ثمار الجنتين قيل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلىء المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً ﴿**واشكروا له**﴾ أي على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته ﴿**بلدة طيبة**﴾ أي أرض مأرب، وهي سبأ بلدة طيبة فسيحة، ليست بسبخة وقيل: لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية، ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم، وفي ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهواء ﴿**ورب غفور**﴾ قال وهب أي وربكم إن شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره. قوله عز وجل: ﴿**فأعرضوا**﴾ قال وهب: أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع فذلك إعراضهم ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾ العرم الذي لا يطاق قيل: كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل: العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل: العرم الوادي.

﴿ **جنّتان** ﴾، أي هي جنّتان بستانان، ﴿ **عن يمين وشمال** ﴾، أي عن يمين الوادي وشماله. وقيل عن يمين مَن أتاهما وشماله، وكان لهما وادٍ قد أحاطت الجنّتان بذلك الوادي ﴿ **كلوا** ﴾، أي وقيل لهم كلوا، ﴿ **من رزق ربكم** ﴾، يعني من ثمار الجنّتين، قال السديّ ومقاتل: كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمرّ بالجنّتين فيمتلىء مكتلها من أنواع الفواكه من غير أن تمسّ شيئاً بيدها، ﴿ **واشكرُوا له** ﴾، أي على ما رزقكم من النّعمة والمعنى اعملوا بطاعته، ﴿ **بلدة طيبة** ﴾، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة، قال ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذُباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حيّة، وكان الرجل يمرّ ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء، فذلك قوله تعالى: ﴿ **بلدة طيبة** ﴾، أي طيبة الهواء، ﴿ **وربٌّ غفور** ﴾، قال مقاتل: وربُّكم إنْ شكرتموه فيما رزقكم ربٌّ غفور للذنوب.

﴿ **فأعرضوا** ﴾، قال وهب: أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيّاً فدعوهم إلى الله وذكّروهم نِعَمَه عليهم وأنذروهم عقابه فكذّبوهم، وقالوا: ما نعرف لله عزّ وجلّ علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النِّعَم عنّا إن استطاع، فذلك قوله تعالى: ﴿ **فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم** ﴾، والعَرِم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء، وقال ابن الإعرابي العَرِم السيل الذي لا يُطاق، وقيل كان ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء، وقيل العَرِم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدّة والقوّة، وقال ابن عباس ووهب وغيرهما: كان ذلك السدّ بَنَتْه بلقيس، وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسُدّ بالعَرِم وهو المسنّاة بلغة حمير، فسدّت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدّوها، فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن، فاحتبس السيل من وراء السدّ فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك، فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلّط الله عليهم جرذاً يسمى الخُلْد فنقب السدّ من

قال ابن عباس ووهب وغيرهما، كان لهم سد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم، فأمرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين وجعلت لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهار هم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاءهم المطر اجتمع إليهم ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه إلى البركة، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة، فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة، فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيما يزعمون ويجدون في علمهم أن الذي يخرب سدهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك الهرار فساورتها، حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد، وحفرت حتى أوهنت المسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل منه حتى اقتلع السد، وفاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق، حتى صاروا مثلاً عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سبا، وتفرقوا أيادي سبا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم **﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾** قيل هو شجر الأراك وثمرة البربر وقيل: كل نبت أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، فهو خمط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صور الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به **﴿وأثل﴾** قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه **﴿وشيء من سدر قليل﴾** هو شجر معروف ينتفع بورقة في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما ينتفع به بل كان سدراً برياً لا يصلح لشيء قيل: كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى﴾

أسفله فغرّق الماء جنّاتهم وخرّب أرضهم. قال وهب: وكان مما يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم أنه يخرّب سدّهم فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلّا ربطوا عندها هرّة فلما جاء زمانه وما أراد الله عزّ وجلّ بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء كبيرة إلى هرّة من تلك الهِرَر فساورتها حتى استأخرت منها الهرّة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فثقبت وحفرت حتى أوهنته للسيل، وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللاً فدخل فيه حتى قطع السدّ، وفاض على أموالهم فغرّقها ودفن بيوتهم الرمل، فتفرّقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب، يقولون صار بنو فلان أيدي سبأ وأيادي سبأ أي تفرّقوا وتبدّدوا، فذلك قوله تعالى: **﴿فأرسلنا عليهم سيل العَرِم﴾**، **﴿وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أُكل خَمْطٍ﴾**، وقرأ العامّة بالتنوين، وقرأ أهل البصرة: **﴿أكل خمط﴾** بالإضافة، الأُكل الثمر، والخمط الأراك وثمره يقال له البرير، هذا قول أكثر المفسّرين، وقال المبرد والزجّاج: كل نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط. وقال ابن الأعرابي: الخمط ثمر شجرة يقال له فسوة الضبع، على صورة الخشخاش يتفرّك ولا يُنتَفع به، فمَن جعل الخمط اسماً للمأكول فالتنوين في أُكل حسن، ومَن جعله أصلاً وجعل الأُكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة، والتنوين سائغ تقول العرب: في بستان فلان أعناب كرم، يترجم عن الأعناب بالكرم لأنها منه، **﴿وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل﴾**، فالأثل هو الطرفاء، وقيل: هو شجر يشبه الطرفاء إلّا أنه أعظم منه، والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدراً بريّاً لا يُنتَفع به ولا يصلح ورقه لشيء، قال قتادة: كان شجر القوم من خير الشجر فصيّره الله من شرّ الشجر بأعمالهم.

ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ أي ذلك فعلنا بهم جزاء كفرهم ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ أي هل يكافأ بعمله إلا الكفور لله في نعمه، قيل المؤمن يجزي ولا يجزى يجازى بحسناته، ولا يكافأ بسيئاته ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ أي بالماء والشجر، وهي قرى الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها قيل: كان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام، وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى القرية ذات مياه وأشجار، فكان ما بين اليمن والشام كذلك ﴿سيروا﴾ أي وقلنا لهم سيروا ﴿فيها ليالي وأياماً﴾ أي في أي

﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾، أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم، ﴿ وهل نجازي إلّا الكفور ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب، ﴿ وهل نجازي ﴾ بالنون وكسر الزاي، ﴿ الكفور ﴾ نصب لقوله: ﴿ ذلك جزيناهم ﴾ وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي، ﴿ الكفور ﴾ رفع أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلّا الكفور، وقال مجاهد: يجازي أي يعاقب. ويقال في العقوبة: يجازي، وفي المثوبة يجزي. قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيىء إلّا الكفور لله في نِعَمه. قال الفرّاء: المؤمن يُجزى ولا يُجازى أي يُجزى للثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته.

﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾، بالماء والشجر هي قرى الشام، ﴿ قرىً ظاهرة ﴾، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام. وقيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متّصلة من سبأ إلى الشام، ﴿ وقدّرنا فيها السير ﴾، أي قدّرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار، وقال قتادة: كانت المرأة تخرج ومعها مِغزَلها وعلى رأسها مِكتلها فتمتهن بمِغزلها فلا تأتي بيتهـا حتى يمتلىء مِكتلها من الثمار، وكان ما بين اليمن والشام كذلك، ﴿ سيروا فيها ﴾، أي وقلنا لهم سيروا فيها، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر أي مكّنّاهم من السير فكانوا يسيرون فيها، ﴿ ليالي وأياماً ﴾، أي بالليالي والأيام أيّ وقت شئتم، ﴿ آمنين ﴾، لا تخافون عدوّاً ولا جوعاً ولا عطشاً، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية، وقالوا: لو كانت جنّاتنا أبعد مما هي كان أجدر أن تشتهيه.

﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزوّد الأزواد، فعجّل الله لهم الإجابة. وقال مجاهد: بطروا النعمة وسئموا الراحة، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بعد التشديد من التبعيد وقرأ الآخرون باعد بالألف وكلٌّ على وجه الدعاء والسؤال، وقرأ يعقوب: ﴿ ربّنا ﴾ برفع الباء، ﴿ باعد ﴾ بفتح العين والدال على الخبر كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة بطروا وأشِروا، ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾، بالبطر

وقت شئتم ﴿آمنين﴾ أي لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً فبطروا النعمة، وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا: لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيها وطلبوا الكد والتعب في الأسفار ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ وقرىء باعد بين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل، ونتزود الأزواد فلما تمنوا ذلك عجل الله لهم الإجابة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ أي بالبطر والطغيان ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قيل: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فأما غسان فلحقوا بالشام ومر الأزد إلى عمان وخزاعة إلى تهامة ومر الأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر، وهو جد الأوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي لعبراً ودلالات ﴿لكل صبار﴾ أي عن المعاصي ﴿شكور﴾ أي لله على نعمه قيل، المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل: المؤمن إذا أعطى شكر وإذا ابتلي صبر. قوله عز وجل ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ قيل على أهل سبأ وقيل على الناس كلهم ﴿فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لأنهم لم يتبعوه في أصل الدين، وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه، قال ابن قتيبة: إن إبليس لما سأل النظرة فأنظره الله قال لأغوينهم ولأضلنهم ولم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن إنه لم يسل عليهم سيفاً، ولا ضربهم بسوط إنما وعدهم ومناهم فاغتروا ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ يعني ما كان تسليطنا إياه عليهم ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ يعني لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع، والظهور إذ كان

والطغيان. قوله تعالى: ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾، عبرة لمَن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، ﴿ ومزّقناهم كل ممزّق﴾، فرّقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق. قال الشعبي: لمّا غرقت قراهم تفرّقوا في البلاد، أما غسان فلحقوا بالشام ومرَّ الأزد إلى عمّان، وخزاعة إلى تهامة، ومرَّ آل خزيمة إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قَدِمَ منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جدّ الأوس والخزرج. ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾، لعِبَراً ودلالات، ﴿ لكل صبّار ﴾، عن معاصي الله، ﴿ شكور ﴾، لأنعمه، قال مقاتل: يعني المؤمن من هذه الأمة صبورٌ على البلاء شاكرٌ للنعماء. قال مطرف: هو المؤمن إذا أُعْطِيَ شكر وإذا ابْتُلِيَ صبر.

قوله تعالى: ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿ صدق ﴾ بالتشديد أي ظن فيهم ظنّاً حيث قال: ﴿ فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين ﴾ [صۤ: ٨٢] ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [الأعراف: ١٧] فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ. وقال مجاهد: على الناس كلهم إلّا مَن أطاع الله، ﴿ فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين ﴾، قال السدي عن ابن عباس: يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتّبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥]، يعني المؤمنين. وقيل: هو خاصّ بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه. قال ابن قتيبة: إن إبليس لمّا سأل النظرة فأنظره الله، قال لأغوينّهم أجمعين ولأضلنّهم، لم يكن مستيقناً وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظنّاً فيهم، فلما اتّبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه. قال الحسن: إنه لم يسلَّ عليهم سيفاً ولا ضربهم بسوط وإنما وعدهم ومنّاهم فاغترّوا.

قال الله تعالى: ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾، أي ما كان تسليطنا إياه عليهم، ﴿ إلّا لنعلم مَن يؤمن بالآخرة ممّن هو منها في شكٍّ ﴾، أي إلّا لنعلم أي لنرى ونميّز المؤمن من الكافر، وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيب، ﴿ وربّك على كل شيء حفيظ ﴾، رقيب.

معلوماً عنده لأنه عالم الغيب ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ يعني رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ. قوله تعالى ﴿قل﴾ يعني قل يا محمد لكفار مكة ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ يعني أنهم آلهة ﴿من دون الله﴾ والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ يعني من خير وشر ونفع وضر ﴿وما لهم﴾ يعني للآلهة ﴿فيهما﴾ يعني في السموات، الأرض ﴿من شرك﴾ يعني من شركة ﴿وما له﴾ يعني لله ﴿منهم﴾ يعني من الآلهة ﴿من ظهير﴾ عون.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ يعني أذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل: يجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها» فإذا فزع عن قلوبهم ﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا﴾ الذي قال ﴿الحق وهو العلي الكبير﴾ وللترمذي «إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت

﴿ قل ﴾، يا محمد لكفّار مكة، ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾، أنهم آلهة، ﴿ من دون الله ﴾، وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضُرّ الذي نزل بكم في سِنِي الجوع، ثم وصفها فقال: ﴿ لا يملكون مثقال ذرّة في السمٰوات ولا في الأرض ﴾، من خير وشر ونفع وضرّ ﴿ وما لهم ﴾، أي للآلهة، ﴿ فيهما ﴾، في السمٰوات والأرض، ﴿ من شرك ﴾، من شركة، ﴿ وما له ﴾، أي وما لله، ﴿ منهم من ظهير ﴾، عون.

﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلّا لمَن أذِن له ﴾، الله في الشفاعة، قاله تكذيباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويجوز أن يكون المعنى إلّا لمَن أذِنَ الله له أن يشفع له، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿ أُذن ﴾ بضم الهمزة، ﴿ حتى إذا فُزِّعَ عن قلوبهم ﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وكسر الزاي أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفزيع إزالة الفزع كالتمريض والتفريد، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة، فقال قوم: هم الملائكة، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم: إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عزّ وجلّ. وروينا عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله

الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير» قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله: خضعاً جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان الحجر الأملس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفاة، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول الحق فيقولون الحق» أخرجه أبو داود. الصلصلة صوت الأجراس الصلبة بعضها على بعض، وقيل: إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة، قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة، لم تسمع الملائكة فيها صوت وحي فلما بعث الله محمداً ﷺ كلم جبريل بالرسالة إلى محمد ﷺ فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة، لأن محمداً ﷺ، عند أهل السموات من أشراط الساعة، فصعقوا مما سمعوا خوفاً من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء، فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم: قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل: الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل إذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لإقامة الحجة عليهم؟ قالوا: الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار وهو العلي الكبير أي ذو العلو والكبرياء.

قوله عز وجل ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض﴾ يعني المطر والنبات ﴿قل الله﴾ يعني إن لم يقولوا إن رزاقنا هو الله فقل: أنت إن رازقكم هو الله ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال، وهذا ليس على طريق الشك بل جهة الإلزام والإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان:

أتهجـوه ولسـت لـه بكـفء فشـركمـا لخيـركمـا الفـداء

كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم ﴿ قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليّ الكبير ﴾»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد أنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أنا زكريا بن يحيىٰ بن أبَان المصري أنا نعيم بن حمّاد أنا أبو الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السمٰوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السمٰوات صعقوا وخرّوا لله سُجّداً فيكون أول مَن يرفع رأسه جبريل فيكلّمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة كلما مرّ على سماء سأله ملائكتها ماذا قال ربّنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العليّ الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله» وقال بعضهم إنما يفزعون حذراً من قيام الساعة. قال مقاتل والكلبي والسدي: كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحياً فلما بعث الله محمداً ﷺ كُلِّم جبريل عليه السلام بالرسالة إلى محمد ﷺ فلما سمعت الملائكة ظنّوا أنها الساعة لأن محمداً ﷺ عند أهل السمٰوات بعثته من أشراطِ الساعة فصُعِقوا مما سمعوا خوفاً من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمرّ بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربّكم؟ قالوا: قال الحق، يعني الوحي وهو العليّ الكبير وقال جماعة الموصوفون بذلك المشركين. قال الحسن وابن زيد حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجّة عليهم قالت الملائكة ماذا قال ربّكم في الدنيا قالوا الحق فأقرّوا به حين لا ينفعهم الإقرار.

وقيل أو بمعنى الواو، ومعنى الآية إنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين ﴿**قل لا تسألون عما أجرمنا**﴾ أي لا تؤاخذون به ﴿**ولا نسأل عما تعملون**﴾ أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالإجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام ﴿**قل يجمع بيننا ربنا**﴾ أي يوم القيامة ﴿**ثم يفتح**﴾ يعني يقضي ويحكم ﴿**بيننا بالحق**﴾ يعني بالعدل ﴿**وهو الفتاح**﴾ يعني القاضي ﴿**العليم**﴾ يعني بما يقضي ﴿**قل أروني**﴾ أعلموني ﴿**الذين ألحقتم به**﴾ يعني بالله ﴿**شركاء**﴾ يعني الأصنام التي أشركوها معه في العبادة هل يخلقون أو يرزقون وأراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله ﴿**كلا**﴾ كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فإنهم لا يخلقون ولا يرزقون ﴿**بل هو الله العزيز**﴾ أي الغالب على أمره ﴿**الحكيم**﴾ أي في تدبير خلقه فأنى يكون له شريك في ملكه. قوله عز وجل ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾ يعني للناس كلهم عامة أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم وقيل الرسالة عامة لهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهور، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبينا محمداً ﷺ دون سائر الأنبياء، وأن هذه الخمسة لم تكن لأحد ممن كان قبله من الأنبياء، وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الإنس والجن وكان النبي قبله يبعث إلى قومه أو إلى أهل بلده فعمت رسالة نبينا ﷺ، جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وقيل في معنى كافة أي كافاًتكفهم عماهم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة ﴿**بشيراً**﴾ أي لمن آمن بالجنة ﴿**ونذيراً**﴾ أي لمن كفر بالنار ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد إن**

قوله تعالى: ﴿ **قلْ مَن يرزقكم من السمٰوات والأرض** ﴾، فالرزق من السمٰوات المطر ومن الأرض النبات، ﴿ **قل الله** ﴾، أي إن لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت إن رازقكم هو الله، ﴿ **وإنّا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين** ﴾، ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب، ومعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مُهتدٍ والآخر ضالّ، فالنبي ﷺ ومَن اتّبعه على الهدى، ومَن خالفه في ضلال، فكذّبهم من غير أن يصرّح بالتكذيب. وقال بعضهم: أو بمعنى الواو والألف فيه صلة، كأنه قال: وإنّا وإيّاكم لعلى هدىً أو في ضلالٍ مبين يعني نحن على الهدى وأنتم في الضلال.

﴿ **قلْ لا تُسئلون عمّا أجرمنا ولا نُسئل عمّا تعملون** ﴾.

﴿ **قل يجمع بيننا ربنا** ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿ **ثم يفتح** ﴾، يقضي، ﴿ **بيننا بالحق وهو الفتّاح العليم** ﴾.

﴿ **قل أروني الذين ألحقتم به شركاء** ﴾، أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون، ﴿ **كلا** ﴾، لا يخلقون ولا يرزقون، ﴿ **بل هو الله العزيز** ﴾، الغالب على أمره، ﴿ **الحكيم** ﴾ في تدبيره لخلقه فأنّى يكون له شريك في مُلكه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وما أرسلناك إلاّ كافّة للناس** ﴾، يعني للناس أحمرهم وأسودهم، ﴿ **بشيراً ونذيراً** ﴾، أي مبشّراً ومنذراً، ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾، وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصّة وبُعِثتُ إلى الناس عامّة»، وقيل: كافّة أي كافّاً يكفّهم عمّا هم عليه من الكفر، والهاء للمبالغة.

﴿ **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾، يعني القيامة.

كنتم صادقين﴾ يعني يوم القيامة ﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل: عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بأن يزاد في آجالهم أو ينقص منها ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿ولو ترى﴾ أي يا محمد ﴿إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهو القادة والأشراف ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ يعني أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿قال الذين استكبروا﴾ أي أجاب المتبوعون في الكفر ﴿للذين استضعفوا أنحن صددناكم﴾ أي منعناكم ﴿عن الهدى﴾ أي عن الإيمان ﴿بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ أي بترك الإيمان ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الأمل فيها ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ أي هو قول القادة للأتباع إن ديننا الحق وإن محمد كذاب ساحر وهذا

﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخِرُون عنه ساعةً ولا تستقدمون ﴾، أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة، وقال الضحّاك: يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون بأن يُزاد في أجلكم أو ينقص منه.

﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾، يعني التوراة والإنجيل، ﴿ ولو ترى ﴾، يا محمد، ﴿ إذ الظالمون موقوفون ﴾، محبوسون، ﴿ عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾، يردّ بعضهم إلى بعض القول في الجدال، ﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾، استحقروا وهم الأتباع، ﴿ للذين استكبروا ﴾، وهم القادة والأشراف، ﴿ لولا أنتم لكنّا مؤمنين ﴾، أي أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله.

﴿ قال الذين استكبروا ﴾، أجابهم المتبوعون في الكفر، ﴿ للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذْ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾، بترك الإيمان.

﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ﴾، أي مكركم بِنَا في الليل والنهار، والعرب تضيف الفعلَ إلى الليل والنهار على توسّع الكلام كما قال الشاعر:

ونمـت ومـا ليـل المطـى بنـائـم

تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة ﴿وأسروا الندامة﴾ أي أظهروها وقيل: أخفوها وهو من الأضداد ﴿لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي في النار الأتباع والمتبوعين جميعاً ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي من الكفر والمعاصي في الدنيا. قوله عز وجل ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ أي رؤساؤها وأغنياؤها ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا﴾ يعني المترفين والأغنياء للفقراء الذين آمنوا ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ يعني لو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالاً ولا أولاداً ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي إن الله قد أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يعني أنه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحاناً ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي إنها كذلك ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ أي بالتي تقربكم عندنا تقريباً ﴿إلا﴾ أي لكن ﴿من آمن وعمل صالحاً﴾ قال ابن عباس يريد إيمانه وعلمه يقربه مني ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما علموا﴾ أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعمائة

وقيل: مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الأمل فيهما، كقوله تعالى: ﴿ فطال عليهم الأمد فقَسَت قلوبهم ﴾ [الحديد: ١٦]. ﴿ إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسرّوا ﴾، وأظهروا ﴿ الندامة ﴾، وقيل: أخفوا، وهو من الأضداد، ﴿ لمّا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾، في النار الأتباع والمتبوعين جميعاً، ﴿ هل يُجزَون إلّا ما كانوا يعملون ﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا.

﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلّا قال مُترَفوها ﴾، رؤساؤها وأغنياؤها، ﴿ إنّا بما أرسلتم به كافرون ﴾.

﴿ وقالوا ﴾، يعني قال مترفوها للفقراء الذين آمنوا، ﴿ نحن أكثر أموالاً وأولاداً ﴾، ولو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخوّلنا الأموال والأولاد، ﴿ وما نحن بمعذَّبين ﴾، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا.

﴿ قل إن ربّي يبسط الرزق لمَن يشاء ويقدر﴾، يعني أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاءً وامتحاناً لا يدلّ البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه، ﴿ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾، أنها كذلك.

﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلفى ﴾، أي قُربى، قال الأخفش قُربى اسم مصدر كأنه قال بالتي تقرّبكم عندنا تقريباً، ﴿ إلاّ مَن آمن ﴾، يعني مَن آمن، ﴿ وعمل صالحاً ﴾، قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقرّبه منّي، ﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ﴾، أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعمائة قرأ يعقوب: ﴿ جزاء ﴾ منصوباً منوّناً و﴿ الضعف ﴾ رفع تقديره لهم الضعف جزاء وقرأ العامّة بالإضافة، ﴿ وهم في الغُرفات آمِنُون ﴾، قرأ حمزة: (في الغُرفة) على واحدة، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: ﴿ لنبوأنّهم من الجنة غُرفاً ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

﴿ والذين يسعون ﴾، يعملون، ﴿ في آياتنا ﴾، في إبطال حجّتنا، ﴿ معاجزين ﴾، معاندين يحسبون أنهم يُعجزوننا ويفوتوننا، ﴿ أولئك في العذاب محضرون ﴾.

﴿ قلْ إن ربي يبسط الرزق لمَن يشاء من عباده ويقدر لـه وما أنفقتم من شيء فهو يُخلفه ﴾، يعطي خَلَفَه، قال سعيد بن جبير: ما كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه. وقال الكلبي: ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق، إمّا أن يعجّله في الدنيا وإمّا أن يدّخره له في الآخرة، ﴿ وهو خير

﴿وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا﴾ أي يعملون في إبطال حججنا ﴿معاجزين﴾ أي معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتنا ﴿أولئك في العذاب محضرون﴾. قوله عز وجل ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ أي يعطي خلفه إذا كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه إما عاجلاً بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه، وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق. قال مجاهد: من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد، فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل، وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقره، ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن ابن هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنفق ينفق عليك» ولمسلم «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» (ق) عنه أن رسول الله ﷺ قال «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (م) عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي خير من يعطي ويرزق لأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذي لا رازق سواه. قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٤٢ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ

الرازقين ﴾، خير مَن يعطي ويرزق. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا إسماعيل ثنا أبي عن سليمان هو ابن بلال عن معاوية بن أبي مزرد عن أبي الحبحاب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلّا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللّهمَّ أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللّهمَّ أعطِ ممسكاً تلفاً»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبّار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أُويس أنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصتْ صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلّا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلّا رفعه الله». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الربيع أنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي أنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كُتب له صدقة، وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة»، قلت: ما يعني وقى الرجل عرضه؟ قال: «ما أعطى الشاعر وذا اللسان للتقى، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خَلَفُها ضامناً إلّا ما كان من نفقة في بنيان أو في معصية الله عزّ وجلّ». قوله: «قلت ما يعني» يقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر قال مجاهد: إذا كان في يَدِ أحدكم شيء فليقتصد، ولا يتأوّل هذه الآية: ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ [سبأ: ٣٩]، فإن الرزق مقسوم لعلّ رزقه قليل، وهو ينفق نفقة الموسع عليه. ومعنى الآية: وما كان من خلف فهو منه.

أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

﴿**ويوم نحشرهم جميعاً**﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿**ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**﴾ أي في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار فتتبرأ الملائكة منهم من ذلك وهو قوله تعالى ﴿**قالوا سبحانك**﴾ أي تنزيها لك ﴿**أنت ولينا من دونهم**﴾ أي نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم ﴿**بل كانوا يعبدون الجن**﴾ يعني الشياطين. فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن. قلت أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوراً وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيعبدون بعبادتها ﴿**أكثرهم بهم مؤمنون**﴾ يعني مصدقون للشياطين قال الله تعالى ﴿**فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً**﴾ أي شفاعة ﴿**ولا ضراً**﴾ أي بالعذاب يريد أنهم عاجزون ولا نفع عندهم ولا ضر ﴿**ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل**﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿**يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى**﴾ يعنون القرآن ﴿**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم**﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿**من كتب يدرسونها**﴾ أي يقرؤونها ﴿**وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير**﴾ أي لم يأت

قوله تعالى: ﴿ **ويوم يحشرهم** ﴾، قرأ يعقوب وحفص (يحشرهم)، ويقول بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ **جميعاً** ﴾، يعني هؤلاء الكفّار، ﴿ **ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون** ﴾، في الدنيا، قال قتادة: هذا استفهام تقرير: كقوله تعالى لعيسى: ﴿ **أأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأُمّي إلَٰهين من دون الله** ﴾ [المائدة: ١١٦]، فتتبرأ منهم الملائكة.

﴿ **قالوا سبحانك** ﴾، تنزيهاً لك، ﴿ **أنت وليّنا من دونهم** ﴾، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم، ﴿ **بل كانوا يعبدون الجن** ﴾، يعني الشياطين، فإن قيل لهم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: ﴿ **يعبدون الجن** ﴾، قيل: أراد الشياطين زيّنوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة، فقوله: ﴿ **يعبدون** ﴾ أي يطيعون الجن، ﴿ **أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾، يعني مصدقون للشياطين.

ثم يقول الله: ﴿ **فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً** ﴾، بالشفاعة، ﴿ **ولا ضرّاً** ﴾ بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر، ﴿ **ونقول للذين ظلموا ذُوقُوا عذابَ النار التي كنتم بها تكذبون** ﴾.

﴿ **وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا** ﴾، يعنون محمد ﷺ، ﴿ **إلّا رجل يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلّا إفْكٌ مُفترى** ﴾، يعنون القرآن، ﴿ **وقال الذين كفروا للحق لمّا جاءهم إنْ هذا إلّا سحر مبين** ﴾، أي بيّن.

العرب قبلك نبي ولا أنزل إليهم كتاب ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ أي من الأمم السالفة رسلنا ﴿وما بلغوا﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿معشار﴾ أي عشر ﴿ما آتيناهم﴾ أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول الأعمار ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية. قوله عز وجل ﴿قل إنما أعظكم﴾ أي آمركم وأوصيكم ﴿بواحدة﴾ أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال تعالى ﴿أن تقوموا لله﴾ أي لأجل الله ﴿مثنى﴾ أي اثنين ﴿وفرادى﴾ أي واحداً واحداً ﴿ثم تتفكروا﴾ أي تجتمعوا جميعاً فتنظروا وتتحاوروا وتتفكروا في حال محمد ﷺ فتعلموا أن ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ ومعنى الآية إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصاً ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ وما جاء به أما الاثنان فيتفكران، ويعرض كل منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضاً بعدل ونصفة هل رأينا في هذا الرجل جنوناً قط أو جربنا عليه كذباً قط وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من جنة بل قد علمتم أنه من أرجح قريش عقلاً وأوزنهم حلماً وأحدهم ذهناً وأرصنهم رأياً وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحونه به وإذا علمتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بآية وإذا جاء بها تبين أنه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل: تم الكلام عند قوله: ثم تتفكروا أي في السموات والأرض فتعلموا أنه خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جنة ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم﴾ أي على تبليغ

﴿ وما أتيناهم ﴾، يعني هؤلاء المشركين، ﴿ من كتب يدرسونها ﴾، يقرؤونها، ﴿ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾، أي لم يأتِ العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب.

﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾، من الأمم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم، ﴿ وما بلغوا ﴾ يعني هؤلاء المشركين، ﴿ معشار ﴾، أي عشر، ﴿ ما آتيناهم ﴾، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر، ﴿ فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾، أي إنكاري وتغييري عليهم، يُحذّر كفّار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية.

﴿ قلْ إنما أعظكم بواحدة ﴾، أي بخصلة واحدة، ثم بيّن تلك الخصلة فقال: ﴿ أن تقوموا لله ﴾، أي لأجل الله، ﴿ مثنى ﴾، أي اثنين اثنين، ﴿ وفُرادى ﴾، أي واحداً واحداً، ﴿ ثم تتفكروا ﴾، جميعاً أي تجتمعون فتنظرون وتتحاورون وتنفردون، فتفكّرون في حال محمد ﷺ فتعلموا، ﴿ ما بصاحبكم من جِنّة ﴾، أي جنون، وليس المراد من القيام القيام الـذي هو ضدّ الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق، كقوله: ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ [النساء: ١٢٧]. ﴿ إنْ هو ﴾، ما هو، ﴿ إلاّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾، قال مقاتل: تمّ الكلام عند قوله ثم تتفكّروا أي في خلق السمٰوات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال ما بصاحبكم من جِنّة.

﴿ قلْ ما سألتكم عليه ﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿ من أجر ﴾، جعل ﴿ فهو لكم ﴾، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتفهموني، ومعنى قوله: ﴿ فهو لكم ﴾ أي لم أسألكم شيئاً كقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء، ﴿ إنْ أجري ﴾، ما ثوابي، ﴿ إلاّ على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾.

﴿ قلْ إنّ ربي يقذف بالحق ﴾، والقذف الرمي بالسهم والحصى، والكلام، ومعناه أتى بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه إلى الأنبياء، ﴿ علاّم الغيوب ﴾، رفع بخبر أن أي وهو علاّم الغيوب.

الرسالة ﴿من أجر﴾ أي جعل ﴿فهو لكم﴾ أي لم أسألكم شيئاً ﴿إن أجري﴾ أي ثوابي ﴿إلا على الله وهو على كل شيء شهيد قل إن ربي يقذف بالحق﴾ أي يأتي بالوحي من السماء فيقذفه إلى الأنبياء ﴿علام الغيوب﴾ أي خفيات الأمور ﴿قل جاء الحق﴾ أي القرآن والإسلام ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي ذهب الباطل وزهق فلم تبق منه بقية تبدىء شيئاً أو تعيده وقيل الباطل هو إبليس والمعنى لا يخلق إبليس أحداً ابتداء ولا يبعثه إذا مات وقيل الباطل الأصنام.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤﴾

﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل إن ضللت فيما تزعمون أنتم فإنما أضل على نفسي أي إثم ضلالتى على نفسي ﴿وإن اهتديت فبما يوحي إليَّ ربي﴾ أي في القرآن والحكمة ﴿إنه سميع قريب﴾ قوله عز وجل ﴿ولو ترى﴾ أي يا محمد ﴿إذ فزعوا﴾ أي عند البعث أي حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت ﴿فلا فوت﴾ أي لا يفوتوننا ولا نجاة لهم ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ قيل من تحت أقدامهم، وقيل أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها وحيثما كانوا فإنهم من الله قريب لا يفوتونه، ولا يعجزونه وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل: هو خسف بالبيداء ومعنى

﴿ قلْ جاء الحق ﴾، يعني القرآن والإسلام، ﴿ وما يُبدىء الباطل وما يُعيد ﴾، أي ذهب الباطل وزهق فلم يبقَ منه بقية يبدىء شيئاً أو يُعيد، كما قال تعالى: ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال قتادة: الباطل هو إبليس، وهو قول مقاتل والكلبي، وقيل: الباطل الأصنام.

﴿ قلْ إنْ ضللت فإنّما أضلّ على نفسي ﴾، وذلك أن كفّار مكة يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، قال الله تعالى: ﴿ قل إن ضللت فإنما أضلّ على نفسي ﴾ أي إثم ضلالتي على نفسي، ﴿ وإنِ اهتديتُ فبما يُوحي إليّ ربّي ﴾، منَ القرآن والحكمة، ﴿ إنه سميع قريب ﴾.

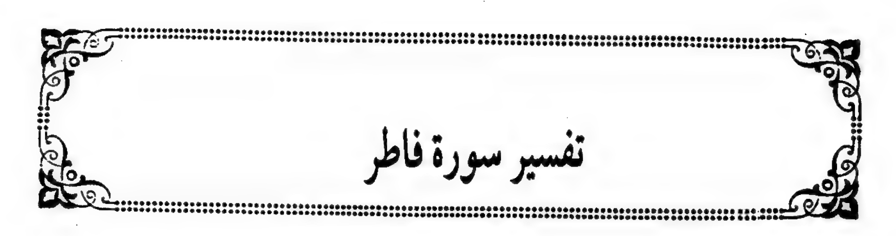
﴿ ولو ترى إذ فزعوا ﴾، قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿ فلا فوت ﴾، أي فلا يفوتوننى كما قال: ﴿ ولاتَ حينَ مناص ﴾ [صٓ: ٣]، وقيل: إذا فزعوا فلا فوت ولا نجاة، ﴿ وأُخذوا من مكان قريب ﴾، قال الكلبي من تحت أقدامهم، وقيل: أُخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيثما كانوا فهم من الله قريب، لا يفوتونه. وقيل: مَن كان قريب يعني عذاب الدنيا، وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن بزّي: خسف بالبيداء، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذْ فزعوا لرأيتَ أمراً تعتبرُ به.

﴿ وقالوا آمنّا به ﴾، حين عاينوا العذاب، قيل: عند اليأس. وقيل: عند البعث. ﴿ وأنّى ﴾، من أين، ﴿ لهم التناوش ﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر: التناوش بالمدّ والهمزة، وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مدّ ولا همز، ومعناه التناول أي كيف لهم تناول ما بَعُدَ عنهم، وهو الإيمان والتوبة، وقد كان قريباً في الدنيا فضيّعوه، ومَن همز قيل: معناه هذا أيضاً. وقيل: التناوش بالهمزة من النبش وهو حركة في إبطاء، يقال: جاء نبشاً أي مبطئاً متأخراً، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه، وعن ابن عباس قال: يسألون الردّ إلى الدنيا فيقال وأنّى لهم الردّ إلى الدنيا، ﴿ من مكان بعيد ﴾، أي من الآخرة إلى الدنيا.

الآية ولو ترى إذ فزعوا لرأيت أمراً تعتبر به ﴿**وقالوا آمنا به**﴾ أي حين عاينوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث ﴿**وأنى لهم التناوش**﴾ أي التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريباً منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد إلى الدنيا ﴿**من مكان بعيد**﴾ أي من الآخرة إلى الدنيا ﴿**وقد كفروا به من قبل**﴾ أي القرآن وقيل بمحمد ﷺ من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة ﴿**ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**﴾ قيل هو الظن لأن علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون محمداً ﷺ بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم إنه شاعر ساحر كاهن لا علم له بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ أي الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا ونعيمها وزهرتها ﴿**كما فعل بأشياعهم**﴾ أي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار ﴿**من قبل**﴾ أي لم تقبل منهم التوبة في وقت اليأس ﴿**إنهم كانوا في شك**﴾ أي من البعث ونزول العذاب بهم ﴿**مريب**﴾ أي موقع الريبة والتهمة، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ **وقد كفروا به من قبل** ﴾، أي بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة، ﴿ **ويقذفون بالغيب من مكان بعيدٍ** ﴾، قال مجاهد: يرمون محمداً بالظن لا باليقين، وهو قولهم ساحر وعاشق وكاهن، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون محمداً بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال قتادة: يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار.

﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾، أي الإيمـان والتوبة والرجوع إلى الدنيا. وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها، ﴿ **كما فعل بأشياعهم** ﴾، يعني بنظرائهم ومَن كان على مثل حالهم من الكفّار، ﴿ **من قبل** ﴾، أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس، ﴿ **إنهم كانوا في شكٍّ** ﴾، من البعث ونزول العذاب بهم، ﴿ **مُريب** ﴾، موقع لهم الريبة والتّهمة.



تفسير سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

قوله عز وجل ﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض**﴾ أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق ﴿**جاعل الملائكة رسلاً**﴾ أي إلى الأنبياء ﴿**أولي أجنحة**﴾ أي ذوي أجنحة ﴿**مثنى وثلاث ورباع**﴾ أي بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾ أي يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء. قال عبد الله بن مسعود في قوله ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، وقيل في قوله ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز ﴿**إن الله على كل شيء قدير**﴾ أي مما يريد أن يخلقه. قوله تعالى ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة**﴾ قيل المطر وقيل من خير ورزق ﴿**فلا ممسك لها**﴾ أي لا يستطيع أحد حبسها ﴿**وما يمسك فلا مرسل له من بعده**﴾ أي لا

سُوْرَة فَاطِـر

مكيّة وهي خمس وأربعون آية.

﴿ **الحمد لله فاطرِ السمٰواتِ والأرضِ** ﴾، خالقهما ومُبدعهما على غير مثال سبق، ﴿ **جاعلِ الملائكة رُسُلاً أُولي أجنحة** ﴾، ذوي أجنحة ﴿ **مثنى وثلاث ورُباع** ﴾، قال قتادة ومقاتل: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله، ﴿ **يزيد في الخلق ما يشاء** ﴾، وقال ابن مسعود في قوله عزّ وجلّ: ﴿ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى ﴾ [النجم: ١٨]، قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح، وقال ابن شهاب في قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال: حسن الصوت. وعن قتادة قال: هو الملاحة في العينين. وقيل: هو العقل والتمييز. ﴿ **إنّ الله على كل شيء قدير** ﴾.

﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة** ﴾، قيل: من مطر ورزق، ﴿ **فلا ممسك لها** ﴾، لا يستطيع أحد حبسها، ﴿ **وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز** ﴾، فيما أمسك ﴿ **الحكيم** ﴾، فيما أرسل من مطر ورزق، أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو

يقدر أحد على فتح ما أمسك ﴿وهو العزيز﴾ يعني فيما أمسك ﴿الحكيم﴾ أي فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» والجد الغنى والبخت أي لا ينفع المبخوت والغني حظه وغناه لأنهما منك إنما ينفعه الإخلاص والعمل بطاعتك. قوله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ قيل الخطاب لأهل مكة ونعمة الله عليهم إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم ﴿هل من خالق غير الله﴾ أي لا خالق إلا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ ﴿يرزقكم من السماء﴾ أي المطر ﴿والأرض﴾ أي النبات ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ أي من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خالقكم ورازقكم ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾ يعزي نبيه ﷺ ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي فيجزي المكذب من الكفار بتكذيبه. قوله تعالى ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ أي وعد القيامة ﴿فلا

إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا عبيد الله بن أسباط أنا أبي أنا عبد الملك بن عمير عن وارد عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان يقول في دُبر كل صلاة مكتوبة: «لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللّهمَّ لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد».

﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هلْ من خالق غير الله ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ غير ﴾ بجر الراء، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله، لأن ﴿ من ﴾ زيادة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لا خالق غير الله، ﴿ يرزقكم من السماء والأرض ﴾، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات، ﴿ لا إلَه إلاّ هو فأنّى تُؤفكـون ﴾.

﴿ وإن يكذبوك فقد كُذّبتْ رسلٌ من قبلك ﴾، يُعزّي نبيّه ﷺ، ﴿ وإلى الله تُرجع الأمور ﴾.

﴿ يا أيها الناس إنّ وعد الله حق ﴾، يعني وعد القيامة، ﴿ فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور ﴾، وهو الشيطان.

﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوّاً ﴾، أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه، ﴿ إنما يدعوا حزبه ﴾، أي

تغرنكم الحياة الدنيا﴾ أي لاتخد عنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله **﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾** أي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾** أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي **﴿إنما يدعوا حزبه﴾** أي أشياعه وأولياءه **﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾** ثم بين حال موافقيه ومخالفته فقال تعالى **﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾**.

قوله عز وجل **﴿أفمن زين له سوء عمله﴾** قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبائر من الذنوب منهم لأنهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبه له ومِوه عليه قبيح عمله **﴿فرآه حسناً﴾** وفي الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأي الباطل حقاً كمن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً **﴿فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾** وقيل مجاز الآية أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً **﴿فلا تذهب نفسك**

أشياعه وأولياءه **﴿ ليكونوا من أصحاب السعير ﴾**، أي ليكونوا في السعير، ثم بيّن حال موافقيه ومُخالفيه فقال:

﴿ الذين كفروا لهم عذابٌ شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرةٌ وأجْرٌ كبير ﴾.

قوله تعالى: **﴿ أفمن زُيّن له سوء عمله ﴾**، قال ابن عباس: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والبِدَع. وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلّون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلّون الكبائر، **﴿ أفمن زُيِّن ﴾** شبِّه وموِّه عليه وحُسِّنَ **﴿ له سوء عمله ﴾** أي قبيح عمله، **﴿ فرآه حسناً ﴾**، زيّن له الشيطان ذلك بالوسواس، وفي الآية حذف مجازه: أفمن زُيِّن له سوءاً عمله فرأى الباطل حقّاً كمَن هداه الله فرأى الحق حقاً والباطل باطلاً، **﴿ فإن الله يُضلّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء ﴾**، وقيل: جوابه تحت قوله: **﴿ فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حسرات ﴾**، فيكون معناه أفمن زُيِّن له سوء عمله فأضلّه الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسّر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقال الحسن بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمَن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فإن الله يُضلّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء، والحسرة شدّة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تهتمّ بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا، وقرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب، **﴿ إن الله عليم بما يصنعون ﴾**.

﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كـذلك النشور ﴾، من القبور.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ مَن كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعاً ﴾**، قال الفرّاء معنى الآية مَن كان يريد أن يعلم لمَن العزّة فللّه العزّة جميعاً، وقال قتادة مَن كان يريد العزّة فليتعزّز بطاعة الله معناه الدعاء إلى طاعة مَن له العزّة، أي فليطلب العزّة من عند الله بطاعته، كما يقال: مَن كان يريد المال لفلان، أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفّار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزّز كما قال الله: ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً كلّا ﴾ [مريم: ٨١]، وقال: ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغـون عندهم العـزّة فإن العـزّة لله جميعاً ﴾ [النساء: ١٣٩]، **﴿ إليه ﴾**، أي إلى الله، **﴿ يصعد الكَلِم الطيب ﴾**، وهو قوله لا إلّه إلّا الله، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلّا الله والله أكبر. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو

عليهم حسرات﴾ فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا **﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾** فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم **﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾** أي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به **﴿فسقناه﴾** أي فنسوقه **﴿إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾** أي مثل إحياء الموات نشور الأموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال «هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضراً قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه» قوله تعالى **﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾** قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء إلى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز، فبين الله أن لا عزة إلا لله ولرسوله ولأوليائه المؤمنين **﴿إليه﴾** يعني إلى الله **﴿يصعد الكلم الطيب﴾** قيل هو قول لا إله إلا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال «إذا حدثتكم حديثاً أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله، إلا أخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بها وجه رب العالمين، ومصداقه من كتاب الله قوله: إليه يصعد الكلم الطيب» هذا حديث موقوف على ابن مسعود وفي إسناده الحجاج بن نصير ضعيف، وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى إليه يصعد أي يقبل الله الكلم الطيب **﴿والعمل الصالح يرفعه﴾** قال ابن عباس أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب، وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء الفرائض فمن ذكر الله، ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الإيمان بالتمني وليس بالتحلي ولكن ما وقرفي القلوب وصدقته الأعمال فمن قال حسناً وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث «لا يقبل

جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا الحجّاج بن نصر أنا المسعودي عن عبد الله بن المحارق عن أبيه عن ابن مسعود قال: إذا حدّثتكم حديثاً أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عزّ وجلّ: ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا إلَه إلاّ الله والله أكبر وتبارك الله إلاّ أخذهنّ ملك فجعلهنّ تحت جناحه ثم صعد بهنّ فلا يمرّ بهنّعلى جمع من الملائكةإلاّ استغفروا لقائلهنّ حتى يجيء بها وجه ربّ العالمين، ومصداق ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ قوله: ﴿ **إليه يصعد الكَلِم الطيب** ﴾، ذكره ابن مسعود. وقيل: الكَلِم الطيب ذكر الله. وعن قتادة: إليه يصعد الكَلِـم الطيب أي يقبل الله الكَلِم الطيب. قوله: ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾، أي يرفع العمل الصالح الكَلِم الطيب، فالهاء في قوله يرفعه راجعة إلى الكَلِم الطيب. وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسّرين. وقال الحسن وقتادة: الكَلِم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه، فمَن ذكر الله ولم يؤدِّ فرائضه رُدّ كلامُه على عمله، وليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتحلّي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمَن قال حسناً وعمل غير صالح رَدّ الله عليه قوله، ومَن قال حسناً وعمل صالحاً يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: ﴿ **إليه يصعد الكَلِم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾، وجاء في الحديث: «لا يقبل الله قولاً إلاّ بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلاّ بنيّة» وقال قوم: الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكَلِم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلاّ أن يكون صادراً عن التوحيد، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل، وقيل: الرفع من صفة الله عزّ وجلّ معناه: العمل الصالح يرفعه الله عزّ وجلّ. وقال سفيان بن عُيينة العمل الصالح الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربّه أحداً ﴾ [الكهف: ١١٠]،

الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلا بنية» وقيل الهاء في يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا إلا أن يكون صادراً عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص، وذلك أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال ﴿**والذين يمكرون السيئات**﴾ أي يعملون السيئات أي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء ﴿**لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور**﴾ أي يبطل ويهلك في الآخرة. قوله عز وجل:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾

﴿**والله خلقكم من تراب**﴾ يعني آدم ﴿**ثم من نطفة**﴾ يعني ذريته ﴿**ثم جعلكم أزواجاً**﴾ يعني أصنافا ذكراناً واناثاً وقيل زوج بعضكم بعضاً ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر**﴾ يعني لا يطول عمر أحد ﴿**ولا ينقص من عمره**﴾ يعني عمر آخر، وقيل ينصرف إلى الأول قال سعيد بن جبير، مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان، ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره، وقيل معناه لا يطول

فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء، ﴿ **والذين يمكرون السيئات** ﴾، قال الكلبي: أي الذين يعملون السيئات. وقال مقاتل: يعني الشرك. وقال أبو العالية: يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، كما قال الله تعالى: ﴿ وإذْ يمكر بك الذين كفروا ليُثبتوك ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال مجاهد وشهر بن حوشب: هم أصحاب الرياء. ﴿ **لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور** ﴾، يبطل ويهلك في الآخرة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **والله خلقكم من تراب** ﴾، أي آدم، ﴿ **ثم من نطفة** ﴾، يعني نسله، ﴿ **ثم جعلكم أزواجاً** ﴾، ذكراناً وإناثاً، ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه وما يعمّر من معمّر** ﴾، لا يطول عمره، ﴿ **ولا ينقص من عمره** ﴾، يعني من عمر آخر، كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر، ﴿ **إلاّ في كتاب** ﴾، وقيل قوله ولا ينقص من عمره منصرف إلى الأول، قال سعيد بن جبير: مكتوب في أُم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يُكتَب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره. وقال كعب الأحبار حين حضر عمر رضي الله عنه الوفاة: والله لو دعا عمر ربّه أن يؤخّر أجَلَه لأخر، فقيل له إن الله عزّ وجلّ يقول:

عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب قال كعب الأحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر، فقيل له إن الله تعالى يقول ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ قال: هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد ذلك وقرأ هذه الآية ﴿**إلا في كتاب**﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿**إن ذلك على الله يسير**﴾ أي كتابة الآجال والأعمال على الله هين. قوله تعالى ﴿**وما يستوي البحران**﴾ يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال ﴿**هذا عذب فرات**﴾ أي طيب يكسر العطش ﴿**سائغ شرابه**﴾ أي سهل في الحلق هنيء مريء ﴿**وهذا ملح أجاج**﴾ أي شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر ﴿**ومن كل**﴾ يعني من البحرين ﴿**تأكلون لحماً طرياً**﴾ يعني السمك ﴿**وتستخرجون**﴾ يعني من الملح دون العذب ﴿**حلية تلبسونها**﴾ يعني اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ إليهما لأنه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ منهما ﴿**وترى الفلك فيه مواخر**﴾ يعني جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿**لتبتغوا من فضله**﴾ يعني بالتجارة ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ يعني تشكرون الله على نعمه ﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه**﴾ يعني الأصنام ﴿**ما يملكون من قطمير**﴾ هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة ﴿**إن تدعوهم**﴾ يعني الأصنام ﴿**لا يسمعوا دعاءكم**﴾ يعني أنهم جماد ﴿**ولو سمعوا**﴾ أي على سبيل الفرض والتمثيل ﴿**ما استجابوا لكم**﴾ أي ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم ﴿**ويوم القيامة يكفرون بشرككم**﴾ أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها ﴿**ولا ينبئك مثل خبير**﴾ يعني نفسه أي لا ينبئك أحد مثلي لأني عالم بالأشياء قوله تعالى ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾ يعني إلى فضله وإحسانه والفقير المحتاج إلى من سواه والخلق كلهم محتاجون إلى الله فهم الفقراء ﴿**والله هو الغني**﴾ عن خلقه لا يحتاج إليهم ﴿**الحميد**﴾ يعني المحمود في إحسانه إليهم المستحق بإنعامه عليهم أن

﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [النحل: ٦١] فقال: هذا إذا أحضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يُزاد وينقص، وقرأ هذه الآية ﴿ **إنّ ذلك على الله يسير** ﴾، أي كتابة الأجل والأعمار على الله هيِّن.

قوله تعالى: ﴿ **وما يستوي البحران** ﴾، يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال: ﴿ **هذا عـذْبٌ فرات** ﴾، طيب، ﴿ **سائغٌ شرابه** ﴾، أي جائز في الحلق هنيء، ﴿ **وهذا ملح أجاج** ﴾، شديد الملوحة. وقال الضحاك: هو المرّ. ﴿ **ومن كلٍّ تأكلون لحماً طرياً** ﴾، يعني الحيتان من العذب والمالح جميعاً، ﴿ **وتستخرجون حلية** ﴾، أي من المالح دون العذب ﴿ **تلبسونها** ﴾، يعْني اللؤلؤ. وقيل: نسب اللؤلؤ إليهما، عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك، ﴿ **وترى الفلك فيه مواخر** ﴾، جواري مقبلة ومدبِرة بريح واحدة، ﴿ **لتبتغُوا من فضله** ﴾، بالتجارة، ﴿ **ولعلّكم تشكرون** ﴾، الله على نِعَمه.

﴿ **يُولج الليلَ في النهار ويُولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّى ذلكم الله ربكم له المُلْك والذين تدعون من دونه** ﴾، يعني الأصنام، ﴿ **ما يملكون من قطمير** ﴾، وهو لفافة النواة، وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة.

﴿ **إن تدعوهم** ﴾، يعني إن تدعوا الأصنام، ﴿ **لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم** ﴾، ما أجابوكم، ﴿ **ويوم القيامة يكفرون بشرككم** ﴾، يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها، يقولون: ما كنتم إيّانا تعبدون. ﴿ **ولا يُنبئك مثل خبير** ﴾، يعني نفسه أي لا ينبئك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء.

﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله** ﴾، إلى فضل الله والفقير المحتاج، ﴿ **والله هو الغني الحميد** ﴾، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم.

يحمدوه ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ لاتخاذكم أنداداً وكفركم بآياته ﴿ويأت بخلق جديد﴾ يعني يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئاً ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي يمتنع ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يعني أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم. قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين أنهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها﴾ معناه وإن تدع نفس مثقلة بذنوبها إلى حمل ذنوب غيرها ﴿لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يعني ولو كان المدعو ذا قرابة كالأب والأم والابن والأخ قال ابن عباس يعلق الأب والأم بالابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ما علي ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يعني يخافون ربهم ﴿بالغيب﴾ يعني لم يروه والمعنى وإنما ينفع إنذارك الذين يخشون ربهم بالغيب ﴿وأقاموا الصلاة ومن تزكى﴾ يعني أصلح وعمل خيراً ﴿فانما يتزكى لنفسه﴾ يعني لها ثوابه ﴿وإلى الله المصير وما يستوي الأعمى والبصير﴾ يعني الجاهل والعالم وقيل الأعمى عن الهدى وهو الشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن.

وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ

﴿ إن يشأ يُذهبكم ويأتِ بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز ﴾، شديد.

﴿ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أُخرى وإنْ تَـدْعُ مُثْقلةٌ﴾، أي نفس مثقلة بذنـوبها غيـرها، ﴿إلى حملهـا﴾، أي حمل مـا عليها من الذنوب، ﴿ لا يُحمَلْ منه شيءٌ ولو كان ذَا قربى ﴾، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أُمه أو أخاه، قال ابن عباس: يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يابني احمل عنّي بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حسبي ما عليّ. ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ﴾، يخافون، ﴿ ربهم بالغيب ﴾، ولم يروه. وقال الأخفش: تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب، ﴿ وأقاموا الصلاة ومَن تزكّى ﴾، أصلح وعمل خيراً، ﴿ فإنما يتزكّى لنفسه ﴾، لها ثوابه، ﴿ وإلى الله المصير ﴾.

﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾، يعني الجاهل والعالِم. وقيل: الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى، أي المؤمن والمشرك.

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ يعني الكفر والإيمان ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ يعني الجنة والنار وقال ابن عباس: الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ يعني حتى يتعظ ويجيب ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور لأنهم لا يجيبون إذا دعوا ﴿إن أنت إلا نذير﴾ أي ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ يعني بشيراً بالثواب لمن آمن ونذيراً بالعقاب لمن كفر ﴿وإن من أمة﴾ أي من جماعة كثيرة فيما مضى ﴿إلا خلا﴾ أي سلف ﴿فيها نذير﴾ أي نبي منذر. فان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ لم يخل فيها نذير. قلت: إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلا أن تندرس، وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمد ﷺ وآثار نذارته باقية إلى يوم للقيامة لأنه لا نبي بعده ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالمعجزات الدالة على نبوتهم ﴿وبالزبر﴾ أي الصحف ﴿وبالكتاب المنير﴾ أي الواضح قيل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا ﴿ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ يعني المطر ﴿فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها﴾ يعني أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني ألوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾ يعني الخطط والطرق في الجبال ﴿مختلف ألوانها﴾ يعني منها ما هو أبيض ومنها ما

﴿ ولا الظلمات ولا النور ﴾، يعني الكفر والإيمان.

﴿ ولا الظِّلُّ ولا الحَرُور ﴾، يعني الجنة والنار، قال ابن عباس: الحرور الريح الحارّة بالليل والسموم بالنهار. وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس.

﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾، يعني المؤمنين والكفّار. وقيل: العلماء والجهّال. ﴿ إن الله يُسمع مَن يشاء ﴾، حتى يتّعظ ويجيب، ﴿ وما أنت بمسمِع مَنْ في القبور ﴾، يعني الكفّار شبّههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا.

﴿ إنْ أنت إلاّ نذيرٌ ﴾، ما أنت إلاّ منذرٌ تخوّفهم بالنار.

﴿ إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة ﴾، ما من أمة فيما مضى ﴿ إلاّ خلا ﴾، سلف، ﴿ فيها نذير ﴾، نبي منذر.

﴿ وإن يكذبوك فقد كذّب الّذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزُّبر ﴾، بالكتب، ﴿ وبالكتاب المنير ﴾، الواضح كرّر ذلك الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد.

﴿ ثم أخذتُ الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾، أي إنكاري.

﴿ ألم ترَ أنّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانُها ومن الجبال جُدَدٌ ﴾، طرق وخطط واحدتها جدّة مثل مدّة ومدد، ﴿ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سود ﴾، يعني سود غرابيب على التقديم والتأخير، يقال أسود غربيب أي شديد السواد تشبيهاً بلون الغراب، أي طرائق سود.

﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ﴾، ذكر الكناية لأجل ﴿ من ﴾، وقيل: ردّ الكناية إلى ما في

هو أحمر ومنها ما هو أصفر ﴿**وغرابيب سود**﴾ يعني شديدة السواد كما يقال أسود غربيب تشبيهاً بلون الغراب ﴿**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه**﴾ يعني خلق مختلف ألوانه ﴿**كذلك**﴾ يعني كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ها هنا، ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ قال ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل: عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» قولها فرخص فيه أي لم يشدد فيه قولها فتنزه عن أقوام أي تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ، وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة، هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف وقال مسروق كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً وقال رجل للشعبي أفتني أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم ﴿**إن الله عزيز**﴾ أي من ملكه ﴿**غفور**﴾ يعني لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لأنه المثيب المعاقب وإذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى. قوله عز وجل ﴿**إن الذين يتلون كتاب الله**﴾ أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به ﴿**وأقاموا الصلاة**﴾ أي ويقيمون الصلاة في أوقاتها ﴿**وأنفقوا مما رزقناهم**﴾ يعني في سبيل الله ﴿**سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور**﴾ يعني لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ﴿**ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله**﴾ قال ابن عباس سوى الثواب يعني مما لم تر عين ولم تسمع أذن ﴿**إنه غفور شكور**﴾ قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم ﴿**والذي أوحينا إليك من الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**هو الحق مصدقاً لما بين يديه**﴾ يعني من الكتب ﴿**إن الله بعباده لخبير بصير**﴾.

الإضمار، مجازه: ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه، ﴿ **كذلك** ﴾، يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال، وتمّ الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ **إنما يخشى اللَّهَ من عباده العلماءُ** ﴾، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي مَن علم جبروتي وعزّتي وسلطاني أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي الأعمش أنا مسلم عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخّص فيه، فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية»، وقال النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً». وقال مسروق: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً. وقال رجلاً للشعبي: افتِني أيها العالم، فقال الشعبي: إنما العالم مَن خشي الله عزّ وجلّ: ﴿ **إن الله عزيز غفور** ﴾، أي عزيز في مُلكه غفور لذنوب عباده.

قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله** ﴾، يعني قرأوا القرآن، ﴿ **وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور** ﴾، لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب، قال الفرّاء: قوله يرجون جواب لقوله: ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله** ﴾.

﴿ **لِيُوَفّيهم أُجورهم** ﴾، جزاء أعمالهم بالثواب، ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾، قال ابن عباس: يعني سوى الثواب مما لم ترَ عين ولم تسمع أُذن، ﴿ **إنه غفور شكور** ﴾، قال ابن عباس: يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم.

قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ يعني أوحينا إليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ قال ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ، لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم واختصهم بكرامته بأن جعلهم أتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ روي عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ «كلهم من هذه الأمة» ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال في هذه الآية» ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن غريب. وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر ثم ﴿أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ فقال قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» قال أبو قلابة أحد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى عن ثابت «أن رجلاً دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق إلي جليساً صالحاً فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد

﴿ والذي أوحينا إليك من الكتاب ﴾، يعني القرآن، ﴿ وهــو الحق مصدقاً لما بين يديه ﴾، من الكتب، ﴿ إن الله بعباده لخبير بصير ﴾.

﴿ ثم أورثنا الكتاب ﴾، يعني الكتاب الذي أنزلنا إليك الذي ذكر في الآية الأولى وهو القرآن جعلناه ينتهي إلى، ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾، ويجوز أن يكون ﴿ ثم ﴾ بمعنى الواو، أي وأورثنا، كقوله: ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ [البلد: ١٧]، أي وكان من الذين آمنوا، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد وقيل: أورثنا أي أخّرنا، ومنه الميراث لأنه أخّر عن الميت، ومعناه أخّـرنا القـرآن عن الأمم السالفـة وأعطينـاكموه، وأهّلْنـا له الذين اصطفينا من عبادنا، قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿ فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات ﴾، رُوِيَ عن أُسامة بن زيد في قوله عزّ وجلّ: ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ الآية قال: قال النبي ﷺ: «كلهم قال من هذه الأمة» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه أنا محمد بن علي بن الحسين بن القاضي أنا بكر بن محمد المروزي أنا أبو قلابة عمرو بن الحصين عن الفضل بن عميرة عن ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾، الآية، فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له»، قال أبو قلابة فحدّثت به يحيىٰ بن معين فجعل يتعجب منه. واختلف المفسّرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي حدّثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت أن رجلاً دخل المسجد فقال: اللّهمَّ ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق إليّ جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بك منك، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات ﴾ فقال: «أمّا السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب، وأمّا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأمّا الظالم لنفسه فيُحبَس في المقام حتى يدخله الهمّ، ثم يدخل الجنة» ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور ﴾. وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ثم أورثنا

فيحاسب حساباً يسيراً وأما ظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ وقال عقبة بن صهبان: سألت عائشة عن قول الله عز وجل ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا﴾ الآية. فقالت: يا بني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا» وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي والظالم الكافر، نعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال «جنات عدن يدخلونها» وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمتقصد أصحاب الميمنة، والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العامل به والسابق القارىء له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل، والمقتصد المتعلم والسابق العالم. فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق. قلت: قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين، لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة وقيل رتبهم الترتيب على مقامات الناس، لأن أحوال العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة، ثم قربة فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين، فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ الآية، فقالت: يا بني كلهم في الجنة أمّا السابق بالخيرات فمَن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وأمّا المقتصد فمَن اتّبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأمّا الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا. وقال مجاهد والحسن وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشأمة، ومنهم مقتصدهم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقرّبون من الناس كلهم. وعن ابن عباس قال: السابق المؤمن المخلص، والمقتصد المُرائي، والظالم الكافر نعمة الله غير الجاهد لها، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: **﴿ جنّات عدن يدخلونها ﴾**، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن، قال: السابق مَن رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد مَن استوت حسناته وسيئاته، والظالم مَن رجحت سيئاته على حسناته. وقيل: الظالم مَن كان ظاهره خيراً من باطنه، والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره. وقيل: الظالم مَن وحّد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد مَن وحّد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق مَن وحّد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله. وقيل: الظالم التالي للقرآن، والمقتصد القارىء له العالِم به، والسابق القارىء له العالِم به العامل بما فيه. وقيل: الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل بن عبد الله: السابق العالم، والمقتصد المتعلّم، والظالم الجاهل. قال جعفرالصادق: إنه بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرّب إليه إلاّ بكرمه، وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنّى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة. وقال أبو بكر الورّاق: رتّبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة، فإن عصى دخل في حيّز الظالمين، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، وإذا صحّت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين. وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي. وقيل: المراد منه المنافق، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: **﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾** وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في

صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين، وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل بالاضافة إلى الظالمين، والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أي بالأعمال الصالحة إلى الجنة، أو إلى رحمة الله ﴿بإذن الله﴾ أي بأمر الله وإرادته ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾ يعني إيراثهم الكتاب، واصطفاءهم ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿جنات عدن يدخلونها﴾ يعني الأصناف الثلاثة ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ تقدم تفسيره ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وهموم الحصر والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن كان لمعاش أو معاد. روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الأعمال ﴿الذي أحلنا﴾ يعني أنزلنا ﴿دار المقامة﴾ أي

الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب. والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامّة أهل العلم. قوله: ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ أي: سابق إلى الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحات، ﴿بإذن الله﴾، أي أمر الله وإرادته، ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾، يعني إيراثهم الكتاب.

ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿جنّاتُ عدنٍ يدخلونها﴾، يعني الأصناف الثلاثة، قرأ أبو عمرو و﴿يدخلونها﴾ بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضمّ الخاء، ﴿يُحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾.

﴿وقالوا﴾، أي ويقولون إذا دخلوا الجنة: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَنَ﴾، والحزن واحد كالبخل والبخل. قال ابن عباس: حزن النار. وقال قتادة: حزن الموت. وقال مقاتل: حزنوا لأنهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم. وقال عكرمة: حزن الذنوب والسيئات وخوف ردّ الطاعات. وقال القاسم: حزن زوال النِّعَم وتقليب القلب، وخوف العاقبة، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة. وقال الكلبي: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة. وقال سعيد بن جبير: هَمّ الخبز في الدنيا. وقيل: هَمّ المعيشة. وقال الزجّاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاشٍ أو لمعادٍ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الضحاك الخطيب حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الإسفرايني أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي أنا أبو العباس أحمد بن محمد التراربي ثنا يحيىٰ بن عبد الحميد ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إلٰه إلّا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إلٰه إلّا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزَنَ». قوله تعالى: ﴿إنّ ربّنا لغفورٌ شكور﴾.

﴿الذي أحلّنا﴾، أنزلنا، ﴿دار المُقامة﴾، أي الإقامة، ﴿من فضله لا يمسّنا فيها نصب﴾، أي لا يصيبنا

الإقامة ﴿من فضله﴾ أي لا بأعمالنا ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ أي لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ أي إعياء من التعب. قوله تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ أي فيستريحوا مما هم فيه ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ أي من عذاب النار ﴿كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون﴾ أي يستغيثون ويصيحون ﴿فيها﴾ يقولون ﴿ربنا أخرجنا﴾ أي من النار ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ أي في الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخاً لهم ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ قيل: هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «أعذر الله إلى كل امرىء آخر أجله حتى بلغ ستين سنة» عنه بإسناد الثعلبي قال: قال رسول الله ﷺ «أعمار أمتي ما

فيها عياء ولا مشقّة، ﴿ ولا يمسّنا فيها لُغوب ﴾، عياء من التعب.

قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا لهم نارُ جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا ﴾، أي لا يهلكون فيستريحوا كقوله عزّ وجلّ: ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ [القصص: ١٥]، أي قتله. وقيل: لا يقضي عليهم الموت فيموتوا، كقوله: ﴿ ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربُّك ﴾ [الزخرف: ٧٧] أي ليقضِ علينا الموت فنستريح، ﴿ ولا يُخفّف عنهم من عذابها ﴾، من عذاب النار، ﴿ كذلك نجزي كل كفور ﴾، كافر، قرأ أبو عمرو (يجزي) بالياء وضمّها وفتح الزاي ﴿ كلّ ﴾ رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي، ﴿ كلّ ﴾ نصب.

﴿ وهم يصطرخون ﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿ فيها ﴾ وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون: ﴿ ربّنا أخرجنا ﴾، منها من النار، ﴿ نعملْ صالحاً غير الذي كنّا نعمل ﴾، في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول الله لهم توبيخاً: ﴿ أوَ لَمْ نعمّركم ما يتذكّر فيه مَن تذكّر ﴾، قيل: هو البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستّون سنة، يروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا

بين الستين إلى السبعين» ﴿وجاءكم النذير﴾ يعني محمد ﷺ بالقرآن قاله ابن عباس: وقيل هو الشيب والمعنى أو لم نعمركم حتى شبتم. ويقال الشيب: نذير الموت وفي الأثر «ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها استعدي فقد قرب الموت» ﴿فذوقوا﴾ أي يقال لهم ذوقوا العذاب ﴿فما للظالمين من نصير﴾ أي لهم من مانع يمنعهم من عذابه ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور﴾ يعني إنه إذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون، فقد علم غيب كل شيء في العالم. قوله تعالى ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي يخلف بعضكم بعضاً وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الأمم ورأت ما ينبغي أن يعتبر به، وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فمن كفر﴾ أي جحد هذه النعمة وعظمها ﴿فعليه كفره﴾ أي وبال كفره ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً﴾ يعني غضباً وقيل المقت أشد البغض ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً﴾ يعني في الآخرة ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام جعلتموها شركاء بزعمكم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ يعني أي جزء استبدوا بخلقه من الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ أي خلق في السموات والأرض ﴿أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه﴾ أي على حجة وبرهان من ذلك ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم﴾ يعني الرؤساء ﴿بعضاً إلا غروراً﴾ يعني قولهم هؤلاء الأصنام شفعاؤنا عند الله. قوله عز وجل ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ يعني لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين بأن تزولا وتهدهد العظم كلمة

عبد السلام بن مطهر حدّثنا عمر بن علي عن معز بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرىء أخّر أجله حتى بلّغه ستّين سنة». أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدّثنا إبراهيم بن سهويه حدّثنا الحسن بن عرفة أنا المحاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أُمتي ما بين الستّين إلى السبعين، وأقلّهم مَن يجوز ذلك». قوله: ﴿ وجاءكم النذير ﴾، يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسّرين. وقيل: القرآن. وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع: هو الشيب. معناه: أوَلم نعمّركم حتى شِبتُم. ويقال: الشيب نذير الموت. وفي الأثر: ما من شعرة تبيضّ إلاّ قالت لأختها استعدي فقد قَرُبَ الموت. قوله: ﴿ فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾.

﴿ إن الله عالمُ غيبِ السمٰواتِ والأرضِ إنّه عليم بذات الصدور ﴾.

﴿ هو الذي جعلكم خلائفَ في الأرض ﴾، أي يخلف بعضكم بعضاً، وقيل: جعلكم أمة خلفت مَن قبلها. ورأت فيمَن قبلها، ما ينبغي أن تعتبرَ به. ﴿ فمَن كفر فعليه كفره ﴾، أي عليه وِبال كفره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاّ مقتاً ﴾، غضباً ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم إلاّ خساراً ﴾.

﴿ قلْ أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ﴾، أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الأصنام، ﴿ أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شِرْكٌ في السمٰوات أم آتيناهم كتاباً ﴾، قال مقاتل: هل أعطينا كفّار مكة كتاباً، ﴿ فهم على بيّنة منه ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص ﴿ بيّنة ﴾ على التوحيد، وقرأ الآخرون ﴿ بيّنات ﴾ على الجمع، يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من ضروب البيان. ﴿ بل إنْ يَعِدُ ﴾، أي ما يَعِدُ، ﴿ الظالمون بعضهُم بعضاً إلاّ غروراً ﴾، والغرور مايغرّ الإنسان مما لا أصل له، قال مقاتل: يعني ما يعد الشيطان كفّار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل.

قوله تعالى: ﴿ إنّ الله يُمسك السمٰواتِ والأرضَ أنْ تزولاَ ﴾، أي كيلا تزولا، ﴿ ولئن زالتا إن أمسكهما من

الشرك ﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ يعني ليس يمسكهما أحد سواه ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ يعني غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن أهدى ديناً منهم وذلك قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث محمد كذبوه فأنزل الله هذه الآية ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ ﴿لئن جاءهم نذير﴾ يعني رسول ﴿ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿فلما جاءهم نذير﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ يعني تباعدا عن الهدى ﴿استكباراً في الأرض﴾ يعني عتواً وتكبراً عن الإيمان به ﴿ومكر السيىء﴾ يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله ﷺ ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ يعني لا يحل ولا يحيط إلا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينظرون ﴿إلا سنة الأولين﴾ يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ أي تغييراً ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ أي تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ معناه أنهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم

أحد من بعده﴾، أي ما يمسكهما أحد من بعده، أي أحد سواه، ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾، فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم ههنا؟ قيل: لأن السموات والأرض همّت بما همّت به من عقوبة الكفّار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾، يعني كفّار مكة لمّا بلغهم أن أهل الكتاب كذّبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرُّسل فكذبوهم، وأقسموا بالله وقالوا لو أتى رسول الله لنكوننّ أهدى ديناً منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث محمد كذّبوه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير﴾، رسول، ﴿ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم﴾، يعني من اليهود والنصارى، ﴿فلما جاءهم نذير﴾، محمد ﷺ، ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾، أي ما زادهم مجيئه إلّا تباعداً عن الهدى.

﴿استكباراً في الأرض﴾، نصب ﴿استكباراً﴾ على البدل من النفور، ﴿ومكرَ السيىء﴾، يعني العمل القبيح، أُضيف المكر إلى صفته، قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشر وقتل النبي ﷺ، وقرأ حمزة «مكر السيىءْ» ساكنة الهمزة تخفيفاً وهي قراءة الأعمش، ﴿ولا يحيق المكرُ السيىء﴾، أي لا يحلّ ولا يحيط المكر السيىء، ﴿إلّا بأهله﴾، فقتلوا يوم بدر، وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحلّ إلّا بمَن أشرك. والمعنى: إن وبال مكرهم راجع إليهم، ﴿فهل يَنْظُرُون﴾، ينتظرون، ﴿إلّا سُنّةَ الأوّلين﴾، إلّا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمَن مضى من الكفّار، ﴿فلنْ تجدَ لسُنّة الله تبديلاً ولن تجد لسُنّة الله تحويلاً﴾.

﴿أوَلَم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم وكانوا أشدَّ منهم قوةً وما كان الله

وعلامات هلاكهم ﴿**وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه**﴾ أي ليفوت عنه ﴿**من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا**﴾ أي من الجرائم ﴿**ما ترك على ظهرها**﴾ أي ظهر الأرض ﴿**من دابة**﴾ أي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان إلا من كان في السفينة ﴿**ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى**﴾ يعني يوم القيامة ﴿**فإذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً**﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيراً بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

تم الجزء الخامس من تفسير الخازن

ويليه الجزء السادس، وأوله سورة يس عليه الصلاة والسلام

لِيُعجزه﴾، يعني ليفوت عنه، ﴿ **من شيء في السمٰوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً** ﴾.

﴿ **ولو يُؤاخذ اللّهُ الناسَ بما كسبوا** ﴾، من الجرائم، ﴿ **ما ترك على ظهرها** ﴾، يعني على ظهر الأرض، كناية عن غير مذكور، ﴿ **من دابّة** ﴾، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلّا مَن كان في سفينة نوح، ﴿ **ولكنْ يُؤخّرهم إلى أجلٍ مسمىً فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته.

بعونه تعالى تمّ الجزء الثالث ويليه

الجزء الرابع وأوله سورة يّس

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
(قرآن كريم)



سورة يس

مكية وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» أخرجه الترمذي، وقال حديث غريب وفي إسناده شيخ مجهول. وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ «اقرؤوا على موتاكم يس» أخرجه أبو داود وغيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾

قول عز وجل: ﴿يس﴾ قال ابن عباس: هو قسم، وعنه أن معناه يا إنسان بلغة طيىء يعني محمداً ﷺ، وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن ﴿والقرآن الحكيم﴾ أي ذي الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه ﴿إنك لمن المرسلين﴾ أي أقسم بالقرآن أن محمداً ﷺ لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلاً ﴿على

سُورَة يس

مكيّة وهي ثلاث وثمانون آية.

﴿يسٓ﴾، ونٓ [القلم: ١]، قرأ بإخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش بخلف عنه في: نون والقلم، والباقون يظهرون فيهما، واختلفوا في تأويل ﴿يسٓ﴾ حسب اختلافهم في حروف التهجّي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قسمٌ، يروي عنه أن معناه: يا إنسان بلغة طيء، يعني محمداً ﷺ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة. وقال أبو العالية: يا رجل. وقال أبو بكر الورّاق: يا سيّد البشر.

﴿ والقرآن الحكيم ﴾.

﴿ إنّك لمن المرسلين ﴾، أقسم الله بالقرآن بأن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو ردٌّ على الكفّار حيث قالوا: ﴿ لست مرسلاً ﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿ على صراط مستقيم ﴾، وهو خبر بعد خبر، أي إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم. وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

﴿ تنزيلُ العزيز الرحيم ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿ تنزيل ﴾ بنصب اللام كأنه قال نزل

صراط مستقيم﴾ معناه وإنك على صراط مستقيم، وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ يعني القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ يعني لم تنذر آباؤهم لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ، وقيل معناه لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من العذاب ﴿فهم غافلون﴾ أي عما يراد بهم من الإيمان والرشد ﴿لقد حق القول﴾أي وجب العذاب.

لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

﴿على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ فيه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك.

قوله عز وجل: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً ﷺ يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر، بيده فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال: ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني. فأنزل الله تعالى ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ قيل هذا على وجه التمثيل، ولم يكن هناك غل، أراد منعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك، وقيل حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله

تنزيلاً، وقرأ الآخرون بالرفع، أي هو تنزيل العزيز الرحيم.

﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ﴾، قيل: ﴿ ما ﴾ للنفي أي لم تنذر آباؤهم لأن قريشاً لم يأتهم نبيّ قبل محمد ﷺ. وقيل: ﴿ ما ﴾ بمعنى الذي أي لتنذر قوماً بالذي أُنذر آباؤهم، ﴿ فهم غافلون ﴾، عن الإيمان والرشد.

﴿ لقد حقّ القول ﴾، وجب العذاب، ﴿ على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾، هذا كقوله: ﴿ ولكن حقّتْ كلمة العذاب على الكافرين ﴾ [الزمر: ٧١].

﴿ إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴾، نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يصلّي ليرضخنّ رأسه بالحجر وهو يصلّي، فأتاه يوماً وهو يصلّي ومعه حجر ليدمغه به، فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده، ، فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الخجر، فقال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلّي ليرميه بالحجر، فأعمى الله تعالى بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه، لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى: ﴿ إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴾، قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غلٌّ أراد: مَنعنَاهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك، قال الفرّاء: معناه إنّا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى

بموانع كالأغلال، وقيل إنها موانع حسية منعت كما يمنع الغل، وقيل إنها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله عز وجل بهم في النار ﴿فهي﴾ يعني الأيدي ﴿إلى الأذقان﴾ جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل بجمع اليد إلى العنق ﴿فهم مقمحون﴾ يعني رافعو رؤوسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الأغلال رفعت رؤوسهم فهم مرفعوا الرؤوس برفع الأغلال لها ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد، وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿فأغشيناهم﴾ يعني فأعميناهم ﴿فهم لا يبصرون﴾ يعني سبيل الهدى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ يعني من يرد الله إضلاله لم ينفعه الإنذار ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ أي خافه في السر والعلن ﴿فبشره بمغفرة﴾ يعني لذنوبه ﴿وأجر كريم﴾ يعني الجنة.

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ يعني للبعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي من الأعمال من خير وشر ﴿وآثارهم﴾ أي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (م) عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» وقيل نكتب خطاهم إلى المسجد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال «كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا

عنقك ﴾ [الإسراء: ٢٩] معناه لا تمسكها عن النفقة. ﴿ فهي إلى الأذقان ﴾، وهي كناية عن الأيدي وإن لم يَجْرِ لها ذكر لأن الغلّ يجمع اليد إلى العنق، معناه: إنّا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، ﴿ فهم مقمحون ﴾ المقمح الذي رفع رأسه وغضّ بصره، يقال: بعير قامح إذا روي من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغضّ بصره. قال الأزهري: أراد أن أيديهم لمّا غُلّت إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم، فهم مرفوعوا الرؤوس برفع الأغلال إيّاها.

﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ سدّاً ﴾ بفتح السين، وقرأ الآخرون بضمّها، ﴿ فأغشيناهم ﴾، فأعميناهم من التغشية وهي التغطية، ﴿ فهم لا يبصرون ﴾، سبيل الهدى.

﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾.

﴿ إنما تنذر مَن اتّبع الذكر ﴾، يعني إنما ينفع إنذارك مَن اتّبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه، ﴿ وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجْر كريم ﴾، حسن وهو الجنة.

﴿ إنّا نحن نحيي الموتى ﴾، عند البعث، ﴿ ونكتب ما قدّموا ﴾، من الأعمال من خير وشرّ، ﴿ وآثارهم ﴾، أي ما سنّوا من سُنّة حسنة أو سيئة، قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَن عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، ومَن سنّ في الإسلام سُنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». وقال قوم: قوله: ﴿ نكتب ما قدّموا وآثارهم ﴾ أي: خطاهم إلى المسجد. رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري قال: شكت بنو سلمة بُعْدَ منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى:

النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فقال رسول الله ﷺ إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (خ) عن أنس رضي الله عنه قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة فقال: «يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم؟» فأقاموا. قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الأرض الخالي الذي لا يستره شيء (م). عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: «بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أرنا ذلك فقال: بني سلمة دياركم تكتب آثاركم». فقالوا ما يسرنا إذا تحولنا. قوله بني سلمة أي يا بني سلمة وقوله: دياركم أي الزموا دياركم (ق). عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام».

قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه﴾ أي حفظناه وعددناه وأثبتناه ﴿في إمام مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ.

قوله عز وجل: ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ يعني صف لهم شبهاً مثل حالهم من قصة ﴿أصحاب القرية﴾ يعني أنطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام.

(ذكر القصة في ذلك) قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى أهل إنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب ياسين فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال الشيخ لهما أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله قال الشيخ إن لي ابناً مريضاً منذ سنين قالا: فانطلق بنا نطلع

﴿ ونكتب ما قدّموا وآثارهم ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدّثنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي حدّثنا أبو العباس الأصم حدّثنا محمد بن هشام بن ملابس النميري حدّثنا مروان الفزاري حدّثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال: أراد بنو سلمة أن يتحوّلوا إلى قرب المسجد، فكره رسول الله ﷺ أن تُعرّى المدينة، فقال: «يا بني سلمة لا تحتسبون آثاركم»، فأقاموا. وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدّثنا محمد بن إسماعيل حدّثنا محمد بن العلاء حدّثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدُهم فأبعدُهم ممشىً، والذي ينتظر الصلاة حتى يصلّيها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلّي ثم ينام». قوله تعالى: ﴿ وكل شيء أحصيناه ﴾ لحفظناه وعددناه وبيّنّاه، ﴿ في إمام مبين ﴾، وهو اللوح المحفوظ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ﴾، يعني اذكر لهم شبهاً مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية، ﴿ إذ جاءها المرسلون ﴾، يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام، قال العلماء: بأخبار الأنبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنمات له وهو حبيب النجّار، صاحب يّسٓ فسلّما عليه، فقال الشيخ لهما: مَن أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى يدعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم نحن نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا نطّلع على حاله، فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه، فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً ففشي الخبر في المدينة، وشفى الله تعالى على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك، قال وهب: كان اسمه أنطيخس، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قالوا: فانتهى الخبر إليه فدعاهما،

على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما إليه فدعا بهما، وقال: من أنتما قالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام، قال: وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما: قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى عليه السلام هذين الرجلين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتي جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما ليبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما، فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال لهما شمعون: فصفاه وأوجزا، قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قال: ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذ بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت إلهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولإلهك، فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان

فقال: مَن أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، قال: وفِيمَ جئتما؟ قالا: ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة مَن يسمع ويبصر، فقال لهما: ألَنا إلَه دون آلهتنا؟ قالا: نعم، مَن أوجدك وآلهتك؟ قال: قومَا حتى أنظر في أمركما، فتتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق. قال وهب: بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلا إلى ملكها، وطال مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبّروا وذكروا الله، فغضب الملك وأمر بهما فحُبِسا وجُلِد كل واحد منهما مائتي جلدة، قالوا: فلمّا كذّبَ الرسولان وضُرِبا، بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلّمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حالَ الغضبُ بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطّلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: مَن أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال لهما شمعون: فصفاه وأوجزا، فقال: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمنّاه فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربّهما حتى انشقّ موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى تصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف ولألهتك، فقال الملك: ليس لي عنك سرٌّ إن إلَهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر، ولا يضرّ ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلّي كثيراً، ويتضرّع حتى ظنوا أنه على ملّتهم، فقال الملك للمرسلين: إن قدر إلَهكم الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنّا به وبكما، قالا: إلَهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخّرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائباً فجاؤوا

شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن هاهنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخّرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً، فجاؤوا بالميت وقد تغيّر وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سراً فقام الميت وقال: إني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده إلى صاحبيه فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى:

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ قال وهب اسمهما يوحنا وبولس وقال كعب صادق وصدوق **﴿فعززنا بثالث﴾** يعني قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وإنما أضاف الله تعالى الإرسال إليه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام إنما بعثهم بإذن الله عز وجل **﴿فقالوا﴾** يعني الرسل جميعاً لأهل أنطاكية **﴿إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء﴾** يعني لم يرسل رسولاً **﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾** يعني فيما تزعمون **﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾** يعني وإن كذبتمونا **﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾** أي بالآيات الدالة على صدقنا **﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾** أي تشاءمنا منكم وذلك لأن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا ذلك بشؤمكم **﴿لئن لم تنتهوا﴾** أي تسكتوا

بالميت وقد تغيّر وأروح فجعلا يدعوان ربّهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربّه سرّاً، فقام الميت، وقال: إني قَدِمت منذ سبعة أيام ووجدت مشركاً فأُدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أُحذّركم ما أنتم فيه آمنوا بالله، ثم قال: فتحت لي أبواب السماء فنظرت فرأيت شابّاً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومَن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك لمّا علم، فلما علم شمعون أن قوله أثّر في الملك خبّره بالحال، ودعاه إلى الإسلام فآمن الملك وآمن قوم كثير، وكفر آخرون. وقيل: إن ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت، فقال شمعون للملك: اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك، فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصلّيا ودعوا وشمعون معهما في السرّ، فأحيا الله المرأة وانشقّ القبر عنها فخرجت، وقالت: أسلموا فإنهما صادقان، قالت: ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين أن يردّاها إلى مكانها فذرّا تُراباً على رأسها وعادت إلى قبرها كما كانت. وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرّسل فبلغ ذلك حبيباً، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكّرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين.

فذلك قوله تعالى: **﴿ إذْ أرسلنا إليهم اثنين ﴾**، وقال وهب: اسمهما يوحنا وبولس، **﴿ فكذبوهما فعززنا ﴾**، يعني فقوّينا، **﴿ بثالث ﴾**، برسول ثالث وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشدّدنا، بالتخفيف والتثقيل، وقيل: أي فغلبناهم من قولهم من عزيز. وقال كعب: الرسول صادق

عنا ﴿لنرجمنكم﴾ يعني لنقتلنكم وقيل بالحجارة ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم﴾ يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر ﴿أئن ذكرتم﴾ معناه أطيرتم لأن ذكرتم ووعظتم ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم.

قوله عز وجل: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ هو حبيب النجار وقيل كان قصاراً وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المسجد وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه فإذا أمسى قسمه نصفين نصف لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجراً قالوا لا فأقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ أي لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل

وصدوق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى، ﴿فقالوا﴾، جميعاً لأهل أنطاكية، ﴿إنّا إليكم مرسلون﴾.

﴿قالوا ما أنتم إلّا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلّا تكذبون﴾، ما أنتم إلّا كاذبون فيما تزعمون.

﴿قالوا ربنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون﴾.

﴿وما علينا إلّا البلاغ المبين﴾.

﴿قالوا إنّا تطيرنا بكم﴾، تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قَدِمَ الرّسل عليهم، فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم، ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم﴾، لنقتلنّكم، وقال قتادة: بالحجارة، ﴿وليمسنّكم منّا عذاب أليم﴾.

﴿قالوا طائركم معكم﴾، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم. وقال ابن عباس والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿أئن ذكرتم﴾، يعني وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف، الجواب: إن ذكرتم وعظتم بالله تطيرتم بنا وقرأ أبو جعفر أن بفتح الهمزة الملّينة ذكرتم بالتخفيف، ﴿بل أنتم قوم مُسرفون﴾، مشركون مجاوزون الحدّ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾، وهو حبيب النجّار، وقال السدي: كان قصّاراً. وقال وهب: كان رجلاً يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً لعياله ويتصدّق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرّسل جاءهم، ﴿قال يا قوم اتّبعوا المرسلين﴾.

﴿اتّبعوا مَن لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون﴾، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرّسل

لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم فقال **﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾** قيل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأي شيء بي إذا لم أعبد خالقي وإليه تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم **﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾** أي لا أتخذ من دونه آلهة **﴿إن يردن الرحمن بضر﴾** أي بسوء ومكروه **﴿لا تغن عني﴾** أي لا تدفع عني **﴿شفاعتهم شيئاً﴾** أي لا شفاعة لها فتغني عني **﴿ولا ينقذون﴾** أي من ذلك المكروه وقيل من العذاب **﴿إني إذاً لفي ضلال مبين﴾** أي خطأ ظاهر **﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾** أي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه. قال ابن مسعود ووطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى أهلكوه وقبره بأنطاكية فلما لقي الله تعالى: **﴿قيل﴾** له **﴿ادخل الجنة﴾** فلما أفضى إلى الجنة ورأى نعيمها **﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾** تمنى أن يعلم قومه أن الله تعالى غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجَّل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى:

أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرّسل قال لهم: تسألون عن هذا أجراً؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: **﴿ يا قوم اتّبعوا المرسلين اتّبعوا مَن لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾**، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرّسل ومؤمن بإلّههم؟

فقال: **﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجعون ﴾**، قرأ حمزة ويعقوب **﴿ ما لي ﴾** بإسكان الياء، والآخرون بفتحها. قيل: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق. وقيل: إنهم لمّا قال: اتبعوا المرسلين أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟ فقال: **﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴾**، يعني وأيّ شيء لي إذا لم أعبد الخالق وإليه ترجعون تُرَدّون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم.

﴿ أتتخذ من دونه آلهةً ﴾، استفهام بمعنى الإنكار، أي لا أتخذ من دونه آلهة، **﴿ إنْ يردنِ الرحمنُ بضرٍّ ﴾**، بسوء ومكروه، **﴿ لا تغنِ عنّي ﴾**، لا تدفع عنّي، **﴿ شفاعتهم شيئاً ﴾** أي لا شفاعة لها أصلاً فتغني **﴿ ولا ينقذون ﴾** من ذلك المكروه وقيل لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله إن فعلت ذلك.

﴿ إني إذاً لفي ضلال مبين ﴾، خطأ ظاهر.

﴿ إنّي آمنت بربّكم فاسمعون ﴾، يعني فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه. قال ابن مسعود: وطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره. قال السدي: كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللّهمّ اهدِ قومي حتى قطعوه وقتلوه. وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلقة فعلّقوه بسور من سور المدينة، وقبره بأنطاكية فأدخله الله الجنة، وهو حيّ فيها يُرزَق.

فذلك قوله: **﴿ قيل ادخل الجنة ﴾**، فلما أفضى إلى الجنة، **﴿ قال يا ليت قومي يعلمون ﴾**.

﴿ بما غفر لي ربّي ﴾، يعني بغفران ربّي لي، **﴿ وجعلني من المكرمين ﴾**، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين الرسل، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجّل لهم النقمة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم.

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿**وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء**﴾ يعني الملائكة ﴿**وما كنا منزلين**﴾ أي ما كنا لنفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما تظنون ثم بيَّن عقوبتهم فقال تعالى: ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة**﴾ قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة ﴿**فإذا هم خامدون**﴾ أي ميتون ﴿**يا حسرة على العباد**﴾ يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيراً، قيل تحسروا على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الإيمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى يا حسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى: ﴿**ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون**﴾ قوله تعالى: ﴿**ألم يروا**﴾ أي ألم يخبروا خطاب لأهل مكة ﴿**كم أهلكنا قبلهم من القرون**﴾ أي من الأمم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود ﴿**أنهم إليهم لا يرجعون**﴾ أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم ﴿**وإن كل لما جميع لدينا محضرون**﴾ يعني أن جميع الأمم يحضرون يوم القيامة.

فذلك قوله: ﴿ **وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء** ﴾، يعني الملائكة، ﴿ **وما كنّا منزلين** ﴾، وما كنّا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون. وقيل: معناه ﴿ **وما أنزلنا على قومه من بعده** ﴾ أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كنّا منزلين، ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم، كالطوفان والصاعقة والريح، ثم بيّن عقوبتهم.

فقال تعالى: ﴿ **إن كانت إلاّ صيحة واحدة** ﴾، وقرأ أبو جعفر: صيحة واحدة، بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع. قال المفسّرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة، ﴿ **فإذا هم خامدون** ﴾، ميتون.

﴿ **يا حسرةً على العباد** ﴾، قال عكرمة: يعني يا حسرتهم على أنفسهم والحسرة شدّة الندامة، وفيه قولان أحدهما يقول الله تعالى: ﴿ **يا حسرة** ﴾ وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرّسل، والآخر أنه من قول الهالكين. قال أبو العالية: لمّا عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي ندامة على العباد، يعني على العباد يعني الرّسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنّوا الإيمان حين لم ينفعهم. قال الأزهري: الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين. وقيل العرب تقول: يا حسرتي ويا عجباً على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه،فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ حقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجّب، وثم بيّن سبب الحسرة والندامة، فقال: ﴿ **ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤون** ﴾.

﴿ **ألم يَرَوْا** ﴾، ألم يخبروا يعني أهل مكة، ﴿ **كم أهلكنا قبلهم من القرون** ﴾، والقرن أهل كل عصر، سُمّوا بذلك لاقترانهم في الوجود، ﴿ **أنهم إليهم لا يرجعون** ﴾، أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم.

﴿ **وإنْ كلٌّ لمّا جميع** ﴾، قرأ عاصم وحمزة ﴿ **لمّا** ﴾ بالتشديد هنا وفي الزخرف [٣٥] والطارق [٤]، ووافق ابن عامر إلاّ في الزخرف، ووافق أبو جعفر في الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف، فَمَن شدّد جعل ﴿ **إن** ﴾ بمعنى الجحد، و﴿ **لمّا** ﴾ بمعنى إلاّ، تقديره: وما كل إلاّ جميعٌ، وَمَن خفّف جعل ﴿ **إن** ﴾ للتحقيق و﴿ **ما** ﴾ صلة، مجازه: كلٌّ جميعٌ، ﴿ **لدينا محضرون** ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿**وآية لهم**﴾ يعني تدلهم على كمال قدرتنا على إحياء الموتى ﴿**الأرض الميتة أحييناها**﴾ أي بالمطر ﴿**وأخرجنا منها**﴾ أي من الأرض ﴿**حباً**﴾ يعني الحنطة والشعير وما أشبههما ﴿**فمنه يأكلون**﴾ أي من الحب ﴿**وجعلنا فيها**﴾ يعني في الأرض ﴿**جنات**﴾ يعني بساتين ﴿**من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره**﴾ يعني من الثمر الحاصل بالماء ﴿**وما عملته أيديهم**﴾ يعني من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرىء عملت بغير هاء، وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة ﴿**أفلا يشكرون**﴾ يعني نعمة الله تعالى ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها**﴾ يعني الأصناف كلها ﴿**مما تنبت الأرض**﴾ أي من الأشجار والثمار والحبوب ﴿**ومن أنفسهم**﴾ يعني الذكر والأنثى ﴿**ومما لا يعلمون**﴾ يعني مما خلق الله تعالى من الأشياء في البر والبحر من الدواب.

قوله عز وجل: ﴿**وآية لهم**﴾ يعني تدلهم على قدرتنا ﴿**الليل نسلخ**﴾ أي ننزع ونكشط ﴿**منه النهار فإذا هم**

﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها** ﴾، بالمطر، ﴿ **وأخرجنا منها حباً** ﴾، يعني الحنطة والشعير وما أشبههما، ﴿ **فمنه يأكلون** ﴾، أي من الحبّ.

﴿ **وجعلنا فيها جنّات** ﴾ بساتين، ﴿ **من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها** ﴾، في الأرض، ﴿ **من العيون** ﴾.

﴿ **ليأكلوا من ثمره** ﴾، أي من الثمرِ الحاصل بالماء، ﴿ **وما عملته** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عملت بغيرها، وقرأ الآخرون عملته بالهاء أي يأكلون من الذي عملته، ﴿ **أيديهم** ﴾، من الزرع والغرس والهاء عائدة إلى ﴿ **ما** ﴾ التي هي بمعنى الذي. وقيل: ما للنفي في قوله ما عملته أيديهم أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها، ﴿ **أفلا يشكرون** ﴾، نعمة الله.

﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها** ﴾، أي الأصناف كلها، ﴿ **مما تنبت الأرض** ﴾، من الثمار والحبوب، ﴿ **ومن أنفسهم** ﴾، يعني الذكور والإناث، ﴿ **ومما لا يعلمون** ﴾، مما خلق من الأشياء من دوابّ البرّ والبحر.

﴿ **وآية لهم** ﴾، تدلّ على قدرتنا، ﴿ **الليل نسلخ** ﴾، ننزع ونكشط، ﴿ **منه النهار فإذا هم مظلمون** ﴾، داخلون في الظلمة، ومعناه نذهب النهار ونجيء بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة.

مظلمون﴾ يعني فإذا هم في الظلمة وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة **﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾** يعني إلى مستقر لها قيل إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها، الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء. وقرأ ابن مسعود والشمس تجري لا مستقر لها أي لا قرار ولا وقوف فهي جارية أبداً إلى يوم القيامة وقد صح عن النبي ﷺ فيما رواه أبو ذر قال «سألت النبي ﷺ عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش: وفي رواية قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب الشمس قال الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: **﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾** أخرجاه في الصحيحين، قال الشيخ محيي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث. قال الواحدي فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع، وقيل تجري إلى وقت لها وأصل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم **﴿ذلك﴾** يعني الذي ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الأفهام عن استنباطه **﴿تقدير العزيز﴾** يعني الغالب بقدرته على كل شيء مقدور **﴿العليم﴾** يعني المحيط علماً بكل شيء.

قوله تعالى: **﴿والقمر قدرناه منازل﴾** يعني قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص فإذا كان في آخر منازله رقّ وتقوس فذلك قوله تعالى: **﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾** وهو العود الذي عليه شماريخ العذق إلى منبته من النخلة

﴿ والشمسُ تجري لمستقرٍ لها ﴾، أي إلى مستقر لها. قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة. وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزها. وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «مستقرها تحت العرش»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الحميدي أنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: **﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾** قال: «مستقرها تحت العرش». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الحميدي أنا وكيع ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذرّ حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب»؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيُقالُ لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: **﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾**، وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: والشمس تجري لا مستقر لها، وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً ذلك تقدير العزيز العليم.

﴿ والقمر قدّرناه ﴾، أي قدّرنا له قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة القمر برفع الراء لقوله: **﴿ وآية لهم الليل ﴾** والشمس والقمر، وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: **﴿ قدّرناه ﴾** أي قدّرنا القمر، **﴿ منازل ﴾**، وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس [٥] فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دقّ فذلك قوله: **﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾**،

والقديم الذي أتى عليه الحول فإذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه إلى آخر منازله ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر**﴾ يعني لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى: ﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾ يعني هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فإذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة. وقيل معناه أن الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ أي والشمس والقمر في فلك يسيرون.

قوله عز وجل: ﴿**وآية لهم أنا حملنا ذريتهم**﴾ يعني أولادهم ﴿**في الفلك المشحون**﴾ يعني المملوء ﴿**وخلقنا لهم من مثله**﴾ يعني مثل الفلك ﴿**ما يركبون**﴾ يعني من الإبل، وهي سفائن البر. وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية أن الله عز وجل حمل آباءهم الأقدمين في أصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه قول العباس:

بـل نطفـة تـركـب السفيـن وقـد ألجـم نسـراً وأهلـه الغـرق

وإنما ذكر ذريتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله أي من مثل ذلك الفلك ما يركبون أي من السفن والزوارق في الأنهار الكبار والصغار

وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا

والعرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ فإذا قَدِمَ عتق يبس وتقوّس واصفرّ، فشبّه القمر في دقّته وصُفرته في آخر المنازل به.

﴿ **لا الشمسُ ينبغي لها أن تدركَ القمرَ** ﴾، أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى: ﴿ **ولا الليل سابق النهار** ﴾، أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته. وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا يطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة. وقيل: ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر** ﴾ أي تجتمع معه في فلك واحد ﴿ **ولا الليل سابق النهار** ﴾ أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل، ﴿ **وكلٌ في فلك يسبحون** ﴾، يجرون.

﴿ **وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم** ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب (ذرياتهم) بجمع، وقرأ الآخرون ﴿ **ذريتهم** ﴾ على التوحيد، فمَن جمع كسر التاء ومَن لم يجمع نصبها والمراد بالذريّة الآباء والأجداد، واسم الذريّة يقع على الآباء كما يقع على الأولاد، ﴿ **في الفلك المشحون** ﴾، أي المملوء، وأراد سفينة نوح، وهؤلاء من نسل مَن حُمل مع نوح، وكانوا في أصلابهم.

﴿ **وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** ﴾، قيل: أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها. وقيل: أراد بالسفن التي تجري في الأنهار فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار، هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما، ورُوِيَ عن ابن عباس: أنه قال: ﴿ **وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** ﴾، يعني الإبل، فالإبل في البرّ كالسفن في البحر.

قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ يعني لا مغيث لهم ﴿ولا هم ينقذون﴾ يعني ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي ﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾ يعني إلا أن يرحمهم الله ويمتعهم إلى انقضاء آجالهم ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ قال ابن عباس ﴿ما بين أيديكم﴾ يعني الآخرة فاعملوا لها ﴿وما خلفكم﴾ يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها.

وقيل ﴿ما بين أيديكم﴾ يعني وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الأمم ﴿وما خلفكم﴾ يعني الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب إذا محذوف تقديره وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ أي دلالة على صدق محمد ﷺ ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ قوله عز وجل: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم﴾ أي مما أعطاكم ﴿الله﴾ نزلت في كفار قريش وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم أنه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم﴾ أي أنرزق ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ أي رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي إذا سأله المسكين قال له اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك، ويقول قد منعه أفأطعمه أنا ومعنى الآية أنهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً وأعطى الدنيا الغني لا استحقاقاً وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال

﴿ وإنْ نشأ نغرقهم فلا صريخ ﴾، أي لا مُغيث، ﴿ لهم ولا هم ينقذون ﴾، ينجون من الغرق. قال ابن عباس: ولا أحد ينقذهم من عذابي.

﴿ إلاّ رحمةً منّا ومتاعاً إلى حين ﴾، إلى انقضاء آجالهم، يعني إلاّ أن يرحمهم ويمتّعهم إلى حين آجالهم.

﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم ﴾، قال ابن عباس: ما بين أيديكم يعني الآخرة، فاعملوا لها وما خلفكم يعني من الدنيا فاحذروها، ولا تغترّوا بها. وقيل: ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم عذاب الآخرة، وهو قول قتادة ومقاتل. ﴿ لعلّكم تُرحمون ﴾، والجواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه، دليله ما بعده.

﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم ﴾، أي دلالة على صدق محمد ﷺ، ﴿ إلاّ كانوا عنها مُعرضين ﴾.

﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا ممـا رزقكم الله ﴾، أعطاكم الله، ﴿ قـال الذين كفـروا للذين آمنوا أنـطعم ﴾، أنرزق، ﴿ مَن لو يشاء الله أطعمه ﴾، وذلك أن المؤمنين قالوا لكفّار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم، قالوا: أنطعم أنرزق مَن لو يشاء الله أطعمه رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم مَن لم يطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون: لا نعطي مَن حرمه الله، وهذا الذي يزعمون لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله، ولكن ليبلوَ الغنيَّ بالإنفاق لا حاجةً إلى ماله، ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما

الغني ولا اعتراض لأخذ في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ﴿**إن أنتم إلا في ضلال مبين**﴾ قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما أنتم إلا في خطأ بيِّن باتباعكم محمداً وترك ما نحن عليه. وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين ﴿**ويقولون متى هذا الوعد**﴾ يعني يوم القيامة والبعث ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ قال الله تعالى: ﴿**ما ينظرون**﴾ أي ينتظرون ﴿**إلا صيحة واحدة**﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الأولى ﴿**تأخذهم وهم يخصمون**﴾ أي في أمر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في الأسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها، وقد صح في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري وهو طرف من حديث. ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس» اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه، وكذلك يلوط حوض إبله وأصله من اللوط. وقوله أصغى ليتاً الليت صفحة العنق وأصغى يعني أمال عنقه يسمع.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿**فلا يستطيعون توصية**﴾ أي لا يقدرون على الإيصاء بل أعجلوا عن الوصية فماتوا ﴿**ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾ يعني لا يقدرون على الرجوع إلى أهلهم لأن الساعة لا تمهلهم بشيء ﴿**ونفخ في الصور**﴾ هذه النفخة الثانية

أمر وفرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه، ﴿ **إن أنتم إلاّ في ضلال مبين** ﴾، يقول الكفّار للمؤمنين: ما أنتم إلاّ في خطأ بيّن في اتّباعكم محمداً وترك ما نحن عليه.

﴿ **ويقولون متى هذا الوعد** ﴾، أي القيامة والبعث، ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ **ما ينظرون** ﴾، أي ما ينتظرون، ﴿ **إلاّ صيحةً واحدة** ﴾، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى، ﴿ **تأخذهم وهم يخصِمُون** ﴾، يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق، قرأ حمزة ﴿ **يخصمون** ﴾ بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي يغلب بعضهم بعضاً بالخصام، وقرأ الأخرون بتشديد الصاد، أي يختصمون، أُدغمت التاء في الصاد، ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون الخاء بنقل حركة التاء المدغمة إليها، ويجزمها أبو جعفر وقالون، ويروم فتحة الخاء أبو عمرو، وقرأ الباقون بكسر الخاء، وروينا أن النبي ﷺ قال: «لَتَقُومَنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولَتَقُومَنَّ الساعة وقد رفع رجل أكلته إلى فِيْه فلا يطعمها».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فلا يستطيعون توصية** ﴾، أي لا يقدرون الإيصاء. قال مقاتل: عجّلوا عن الوصية فماتوا، ﴿ **ولا إلى أهلهم يرجعون** ﴾، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء.

وهي نفخة البعث وبين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما بين النفختين أربعون، قالوا يا أبا هريرة أربعين يوماً قال أبيت، قالوا أربعين شهراً قال أبيت، قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» ﴿**فإذا هم من الأجداث**﴾ أي القبور ﴿**إلى ربهم ينسلون**﴾ أي يخرجون منها أحياء ﴿**قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا**﴾ قال ابن عباس إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل. وقيل إذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار. وقيل قالت لهم الملائكة ذلك، وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة**﴾ يعني النفخة الأخيرة ﴿**فإذا هم جميع لدينا محضرون**﴾ أي للحساب ﴿**فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ قوله تعالى: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل**﴾ قال ابن عباس في افتضاض الأبكار وقيل في زيارة بعضهم بعضاً وقيل في ضيافة الله تعالى، وقيل في السماع وقيل شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب الأليم ﴿**فاكهون**﴾ قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه.

﴿ **ونفخ في الصور** ﴾، وهي الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿ **فإذا هم من الأجداث** ﴾، يعني القبور، واحدها: جدث، ﴿ **إلى ربّهم ينسلون** ﴾، يخرجون من القبور أحياء، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

﴿ **قالوا ياويلنا مَن بعثنا من مرقدنا** ﴾، قال أُبيّ بن كعب وابن عباس وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بُعثوا بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل. وقال أهل المعاني: إن الكفّار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ولينا مَن بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا: ﴿ **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** ﴾، أقرّوا حين لم ينفعهم الإقرار. وقيل: قالت الملائكة لهم: ﴿ **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** ﴾. قال مجاهد: يقول الكفّار: ﴿ **مَن بعثنا من مرقدنا** ﴾ فيقول المؤمنون: ﴿ **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون** ﴾.

﴿ **إن كانت** ﴾، ما كانت، ﴿ **إلاَّ صيحة واحدة** ﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿ **فإذا هم جميعٌ لدينا مُحضرون** ﴾.

﴿ **فاليوم لا تُظلمُ نفسٌ شيئاً ولا تجزون إلاَّ ما كنتم تعملون** ﴾.

﴿ **إن أصحاب الجنة اليوم في شغل** ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ **في شغل** ﴾ بسكون الغين، والباقون بضمها، وهما لغتان، مثل السحت والسحت، واختلفوا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في افتضاض الأبكار. وقال وكيع بن الجرّاح: في السّماع. وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعمّاهم فيه لا يهمّهم أمرهم ولا يذكرونهم. وقال الحسن: شُغلوا بما في الجنة من النعيم عمّا فيه أهل النار من العذاب. وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضاً. وقيل: في ضيافة الله تعالى. ﴿ **فاكهون** ﴾، قرأ أبو جعفر «فكهـون» حيث كان، وافقه حفص في المطففين [٣١]؛ وهما لغتان مثل الحاذر والحذر، أي ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**هم وأزواجهم في ظلال**﴾ يعني أكنان القصور ﴿**على الأرائك**﴾ يعني السرر في الحجال ﴿**متكئون**﴾ يعني ذوو اتكاء تحت تلك الظلال ﴿**لهم فيها فاكهة**﴾ أي في الجنة ﴿**ولهم ما يدعون**﴾ يعني ما يتمنون ويشتهون والمعنى أن كل ما يدعون أي أهل الجنة يأتيهم ﴿**سلام قولاً من رب رحيم**﴾ يعني يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل ﴿**سلام قولاً من رب رحيم**﴾ ينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم» وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلام الأبدية ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ يعني اعتزلوا واتفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة، وقيل إن لكل كافر في النار بيتاً فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض.

قوله عز وجل: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**﴾ أي ألم آمركم وأوصيكم يا بني آدم ﴿**أن لا تعبدوا الشيطان**﴾ يعني

﴿ **هم وأزواجهم** ﴾، أي حلائلهم، ﴿ **في ظلال** ﴾، قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلّة، وقرأ العامّة ﴿ **في ظلال** ﴾ بالألف وكسر الظاء على جمع ظل، ﴿ **على الأرائك** ﴾، يعني السرر في الحجال واحدتها أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. ﴿ **متكئون** ﴾، ذَوُو اتكاة.

﴿ **لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يدعون** ﴾، يتمنون ويشتهون.

﴿ **سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم** ﴾، أي يقول الله لهم قولاً، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن حدّثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي الأصفهاني أنا الحسن بن أبي علي الزعفراني أنا ابن أبي الشوارب أنا أبو عاصم العبادَاني أنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذْ سطع لهم نورٌ فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿ **سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم** ﴾، فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إل شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نورُه وبركتهُ عليهم في ديارهم». وقيل: يسلّم عليهم في ديارهم. وقيل: تسلّم عليهم الملائكة من ربهم. وقال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم. وقيل: يعطيهم السلامة يقول: أسلموا السلامة الأبدية.

﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حِدَة. وقال الزجّاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاك: إنّ لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الأبدين، لا يَرى ولا يُرى.

﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم** ﴾، ألم آمركم يا بني آدم، ﴿ **أنْ لا تعبدوا الشيطان** ﴾، أي لا تطيعوا الشيطان

لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ أي ظاهر العداوة.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾

﴿وأن اعبدوني﴾ أي أطيعوني ووحدوني **﴿هذا صراط مستقيم﴾** أي لا صراط أقوم منه قوله تعالى: **﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾** أي خلقاً كثيراً **﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾** يعني ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ويقال لهم لما دنوا من النار **﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾** يعني بها في الدنيا **﴿اصلوها﴾** يعني ادخلوها **﴿اليوم بما كنتم تكفرون﴾** قوله تعالى: **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾** معنى الآية أن الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل، ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت عوناً لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك أن إقرار الجوارح أبلغ من إقرار اللسان.

فإن قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاماً ونطق الرجل شهادة؟

قلت إن اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «سأل الناس رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال:

في معصية الله، ﴿ إنّه لكم عدوٌّ مبين ﴾، ظاهر العداوة.

﴿ وأنِ اعبدوني ﴾، أطيعوني ووحّدوني، **﴿ هذا صراطٌ مستقيم ﴾**.

﴿ ولقد أضلَّ منكم جبلًّا كثيراً ﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم **﴿ جبلًّا ﴾** بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ يعقوب **﴿ جبلًّا ﴾** بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام، وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام، وكلها لغات صحيحة، ومعناها: الخلق والجماعة أي خلقاً كثيراً، **﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾**، ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لمّا دنوا من النار.

﴿ هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾، بها في الدنيا.

﴿ اصلوها ﴾، ادخلوها. **﴿ اليوم بما كنتم تكفرون ﴾**.

﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾، هذا حين ينكر الكفّار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم: ﴿ ما كنّا مشركين ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن حفصويه السرخسي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة أنا أبو زيد حاتم بن محبوب أنا عبد الجبّار العلاء أنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: سأل الناسُ رسولَ الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة»؟ قالوا: لا، قال: «فهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة»؟ قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارّون في رؤية ربّكم إلّا كما تضارّون في رؤية أحدهما»، قال: «فيلقى العبد فيقول أي يقول الله ألم أُكرمك؟ وأُسوّدْك وأُزوّجك وأُسخّر لك الخيل والإبل وأذرك تترأس وتتربع؟

هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابه قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب، فيقول أفظننت أنك ملاقي، فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول هاهنا إذا قال ثم يقول له الآن نبعث شاهدنا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك الذي يسخط الله عليه» قوله أي فل يعني يا فلان قوله وأسودك أي أجعلك سيداً قوله وأذرك ترأس أي تتقدم على القوم بأن تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها، وروى ترتع بتاءين أي تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال هل تدرون مم أضحك، قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل» قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهداً على قوله بعداً لكن وسحقاً أي هلاكاً، قوله فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ

فيقول: بلى، فيقول: أفظننت أنك مُلاقيّ؟ فيقول: لا فيقول فإني قد أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: ألم أُكرمك وأُسوّدْك وأُزوّجك وأُسخّر لك الخيل والإبل وأذرك تترأس وتتربع»؟ وقال غيره عن سفيان ترأس وتربع في الموضعين، «قال: فيقول: بلى، فيقول: أفظننت أنك مُلاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: قد أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصلّيتُ وصمتُ وتصدّقتُ ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذاً؟ قال: ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكّر في نفسه مَن ذا الذي يشهد عليّ، فيختم على فِيْه، ويقال لفخذه: انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي سَخِطَه الله». أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّي أبو سهـل عبد الصمـد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبْري أنا عبد الرزّاق أنا مَعْمَر عن بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ قال: «إنكم تدعون فيفدم على أفواهكم بالفدام فأول يسأل عن أحدكم فخذه وكفّه». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجّاج أنا أبو بكر بن أبي النضر حدّثني هاشم بن القاسم أنا عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثّوري عن عبيد المكتب عن فضيل عن الشعبي عن أنس بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مِمَّ أضحك»؟ قال: قلنا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلم، قال: «من مخاطبة العبدِ ربَّه»، يقـول: يا ربِّ ألم تجزني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنّي لا أُجيز على نفسي إلّا شاهداً منّي، قال: فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فِيْه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعداً لَكُنَّ وسحقاً فَعَنْكُنّ كنتُ أُناضل.

﴿مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۝٦٧ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝٦٨ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾

﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم **﴿فاستبقوا الصراط﴾** أي فبادروا إلى الطريق **﴿فأنى يبصرون﴾** أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عمياً يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا رشدهم فأنى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم **﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾** يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها **﴿فما استطاعوا مضياً﴾** أي لا يقدرون أن يبرحوا **﴿ولا يرجعون﴾** أي إلى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع **﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾** أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها ونقصها بعد زيادتها وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن بلغ أشده واستكمل قوته وعقله وعلم ما له وما عليه فإذا انتهى إلى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد إلى ضعفه الأول فذلك نكسه في الخلق **﴿أفلا يعقلون﴾** أي فيعتبرون ويعلمون أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾** قيل إن كفار قريش قالوا إن محمداً شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أمياً لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً كما روي عن الحسن «أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله إنما قال الشاعر: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً: أشهد أنك رسول الله ﷺ وما علمناه الشعر وما ينبغي له» هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد قيل لها «هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزود».

﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ﴾، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله: ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ [البقرة: ٢٠] يقول كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، **﴿ فاستبقوا الصراط ﴾**، فتبادروا إلى الطريق، **﴿ فأنّى يبصرون ﴾**، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو نشاء لأضللناهم عن الهدى، وتركناهم عمياً يترددون، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء: معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن غيّهم، وحوّلنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم **﴿ فأنّى يبصرون ﴾** ولم أفعل ذلك بهم؟

﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ﴾، يعني مكانهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قِرَدَة وخنازير في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم. **﴿ فما استطاعوا مضياً ولا يرجِعُون ﴾**، يعني إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع.

﴿ ومَن نعمّره ننكسه في الخلق ﴾، قرأ عاصم وحمزة بالتشديد، وقرأ الآخرون بفتح النون الأولى وضمّ الكاف مخفّفاً، أي نردّه إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق. وقيل: ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه

أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره «أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث إليه ولم يتمثل إلا بيت أخي بني قيس طرفة:

ستبـدي لـك الأيـام مـا كنـت جـاهـلاً ويـأتيـك بـالأخبـار مـن لـم يـزوّد

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال: «إني لست بشاعر ولا ينبغي لي».

فإن قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال «بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ أصابه حجر فدمت أصبعه فقال:

هـل أنـت إلا أصبـع دميـت وفـي سبيـل الله مـا لقيـت»

أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«اللهـم إن العيـش عيـش الآخـره فـأكـرم الأنصـار والمهـاجـره»

بعد قوتها ونردّها إلى نقصانها بعد زيادتها. ﴿ **أفلا يعقلون** ﴾، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿ **وما علّمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾، قال الكلبي: إنّ كفّار مكة قالوا: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيباً لهم: ﴿ **وما علّمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ أي ما يتسهّل له ذلك وما كان يتّزن له بيت من الشعر، حتى إذا تمثّل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الثقفي أنا أحمد بن جعفر بن همدان ثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أنا موسى بن إسماعيل أنا حمّاد بن سلمة عن علي بن همدان ثنا يوسف بن أبي زيد عن الحسن أن النبي ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال أبو بكر وعمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله تعالى: ﴿ **وما علّمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه قال: قلتُ لعائشة: أكان رسول الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثّل من شعر عبد الله بن رواحة، قالت وربما قال:

ويـأتيـك بـالأخبـار مَن لم تـزوّد

فأنشد رسول الله ﷺ:

ويـأتيـك مَن تـزوّد بـالأخبـار

وقالت: وربما قال: «ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّد»، وقال معمر عن قتادة: بلغني أن عائشة سُئلَت: هل كان

وروي أن النبي ﷺ قال:

«أنــــا النبــــي لا كــــذب أنــــا ابــــن عبــــد المطلــــب»

قلت ما هذا إلا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له إلا أن اتفق كذلك من غير قصد إليه وإن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل في وزن البحور، ومع ذلك فإن الخليل لم يعدّ المشطور من الرجز شعراً ولما نفي أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر﴾ يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يعظ به الإنس والجن ليس بشعر لأنه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره ﴿وقرآن مبين﴾ أي إنه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات، وفيه بيان الحدود والأحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾

﴿لتنذر﴾ أي يا محمد وقرىء بالياء أي القرآن ﴿من كان حياً﴾ يعني مؤمناً حي القلب لأن الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ﴿ويحق القول﴾ أي وتجب حجة العذاب ﴿على الكافرين﴾ قوله عز وجل: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ أي تولينا خلقه بإبداعنا له من غير إعانة أحد في إنشائه كقول القائل عملت هذا بيدي إذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها إلا هو ﴿أنعاماً﴾ إنما خص الأنعام بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله تعالى وإيجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم

النبي ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثّل بشيء من الشعر إلاّ ببيت أخي بني قيس طرفة:

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّد

فجعل يقول: «ويأتيك مَن لم تزوّد بالأخبار» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إني لستُ بشاعر ولا ينبغي لي» ﴿ إنْ هو ﴾، يعني ما القرآن، ﴿ إلاّ ذكر ﴾، موعظة، ﴿ وقرآنٌ مبين ﴾، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿ لينذرَ ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب (لتنذر) بالتاء وكذلك في الأحقاف، وافق ابن كثير في الأحقاف [١٢]، أي: لتنذر يا محمد، وقرأ الآخرون بالياء أي لينظر القرآن، ﴿ مَن كان حيّاً ﴾، يعني مؤمناً حتى القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبّر ولا يتفكّر، ﴿ ويحقّ القول ﴾، ويجب حجّة العذاب قوله: ﴿ على الكافرين ﴾.

﴿ أوَ لم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا ﴾، تولّينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، ﴿ أنعاماً فهم لها

﴿**فهم لها مالكون**﴾ أي خلقناها لأجلهم فملكناهم إياها يتصرفون فيها تصرف الملاك.

وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم تخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى: ﴿**وذللناها لهم فمنها ركوبهم**﴾ أي الإبل ﴿**ومنها يأكلون**﴾ أي الغنم ﴿**ولهم فيها منافع**﴾ أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها ﴿**ومشارب**﴾ أي من ألبانها ﴿**أفلا يشكرون**﴾ أي رب هذه النعم ﴿**واتخذوا من دون الله آلهة**﴾ يعني الأصنام ﴿**لعلهم ينصرون**﴾ أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط ﴿**لا يستطيعون نصرهم**﴾ قال ابن عباس لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب ﴿**وهم لهم جند محضرون**﴾ أي الكفار جند الأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تستطيع لهم نصراً وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار ﴿**فلا يحزنك قولهم**﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد ﴿**إنا نعلم ما يسرون**﴾ أي في ضمائرهم من التكذيب ﴿**وما يعلنون**﴾ أي من عبادة الأصنام وقيل ما يعلنون بألسنتهم من الأذى.

قوله تعالى: ﴿**أولم ير الإنسان أن خلقناه من نطفة**﴾ أي من نطفة قذرة خسيسة ﴿**فإذا هو خصيم مبين**﴾ أي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز

مالكون﴾، ضابطون قاهرون، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخّرة لهم.

وهي قوله: ﴿ **وذلّلناها لهم** ﴾، سخّرنا لهم، ﴿ **فمنها رَكُوبُهم** ﴾، أي ما يركبون وهي الإبل، ﴿ **ومنها يأكلون** ﴾، من لحمانها.

﴿ **ولهم فيها منافع** ﴾، أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، ﴿ **ومشارب** ﴾، من ألبانها، ﴿ **أفلا يشكرون** ﴾، ربّ هذه النِّعَم.

﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون** ﴾، يعني: لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قطّ.

﴿ **لا يستطيعون نصرهم** ﴾، قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب. ﴿ **وهم لهم جندٌ محضرون** ﴾، أي الكفّار جندٌ للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تستطيع لهم نصراً. وقيل: هذا في الآخرة يُؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار.

﴿ **فلا يحزنك قولهم** ﴾، يعني قول كفّار مكة في تكذيبك، ﴿ **إنّا نعلم ما يسرّون** ﴾، في ضمائرهم من التكذيب، ﴿ **وما يعلنون** ﴾، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بألسنتهم من الأذى. قوله تعالى: ﴿ **أوَ لم يرَ الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم** ﴾، جدل بالباطل، ﴿ **مبين** ﴾، بيّن الخصومة، يعني إنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكّر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة، نزلت في أُبيّ بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بَلِيَ ففتّته بيده، فقال: أترى يحيىٰ اللَّهُ هذا بعد ما رمّ؟ فقال النبي ﷺ: «نعم ويبعثك ويدخلك النار»، فأنزل الله هذه الآيات.

لمجادلته في إنكاره البعث، وكيف لا يتفكر في بدء خلقه وأنه من نطفة قذرة ويدع الخصومة، نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث وأتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال أترى يحيـي الله هذا بعد ما رم فقال النبي ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ أي بدأ أمره ﴿قال من يحيـي العظام وهي رميم﴾ أي بالية والمعنى وضرب لنا مثلاً في إنكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول إن الله تعالى يحييه ونسي أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة.

قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿قيل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ أي خلقها أول مرة وابتدأ خلقها ﴿وهو بكل خلق﴾ أي من الابتداء والإعادة ﴿عليم﴾ أي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدأ أو المعاد ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما هما شجرتان يقال لإحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والأخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى، تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر ناراً وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السموات

﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾، بدأ أمره ثم، ﴿ قال مَن يحيـي العظام وهي رميم ﴾، بالية، ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعله وكلّ ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن أخواته، كقوله: ﴿ وما كانت أُمك بغياً ﴾ [مريم: ٢٨]، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باغية.

﴿ قلْ يُحييها الذي أنشأها ﴾، خلقها، ﴿ أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾.

﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ﴾، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ والأخرى العفار، فمَن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عزّ وجلّ، تقول العرب في كل شجر نار واستمجد: المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجرٍ نارٌ إلاّ العنّاب. ﴿ فإذا أنتم منه توقدون ﴾، تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان.

فقال: ﴿ أوَ ليسَ الذي خلق السمٰوات والأرضَ بقادر ﴾، قرأ يعقوب يقدّر بالياء على الفعل، ﴿ على أن يخلق مثلهم بلى ﴾، أي قل بلى هو قادر على ذلك، ﴿ وهو الخلاّق ﴾، يخلق خلقاً بعد خلق، ﴿ العليم ﴾ بجميع ما خلق.

﴿ إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾.

﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت ﴾، أي ملك، ﴿ كل شيء وإليه ترجعون ﴾، أخبرنا الإمام أبو علي

والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى﴾ أي هو القادر على ذلك ﴿وهو الخلاق﴾ يعني يخلق خلقاً بعد خلق ﴿العليم﴾ أي بجميع ما خلق ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً﴾ أي إحداث شيء وتكوينه ﴿أن يقول له كن﴾ أن يكونه من غير توقف ﴿فيكون﴾ أي فيحدث ويوجد لا محالة ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ أي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه ﴿وإليه ترجعون﴾ أي تردون بعد الموت والله أعلم.

الحسين بن محمد القاضي أنا أبو الطاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان حدّثنا علي بن الحسين الدرابجردي حدّثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «إقرؤوا على موتاكم سورة يسٓ». ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك، وقال عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار.



سورة والصافات

مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**والصافات صفاً**﴾ قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف» لفظ أبي داود، وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء ﴿**فالزاجرات زجراً**﴾ يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح ﴿**فالتاليات ذكراً**﴾ يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قرّاء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الأشياء وقيل فيه إضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى: ﴿**إن إلهكم لواحد**﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الأصنام في قولهم ثم

سُوْرَة الصَّافَّات

مكيّة وهي مائة واثنتان وثمانون آية.

﴿ **والصّافّات صفاً** ﴾، قال ابن عباس، رضي الله عنهما والحسن وقتادة هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة أخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشاني أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو علي محمد بن العلاء أحمد اللؤلؤي حدّثنا أبو داود سليمان بن الأشعث حدّثنا عبد الله بن محمد النفتيلي حدّثنا زهير قال: سألت سليمان الأعمش عن حديث جابر بن سَمُرة في الصفوف المقدمة فحدّثنا عن المسيّب بن رافع بَن طرفة عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ تصفون كما تصف الملائكة عند ربّهم»؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربّهم؟ قال: «يتمّون الصفوف المقدمة ويتراصّون في الصف»، وقيل: هم الملائكة تصفّ أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده. وقيل: هي الطيور دليله قوله تعالى: ﴿ والطير صافّات ﴾ [النور: ٤١].

قوله تعالى: ﴿ **فالزاجرات زجراً** ﴾، يعني تزجر السّحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح.

وصف نفسه فقال تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك.

وقوله ﴿ورب المشارق﴾ قيل أراد والمغارب فاكتفى بأحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب فإن الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب. فإن قلت قد قال في موضع آخر رب المشرق ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات.

قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب.

قوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا﴾ يعني التي تلي الأرض وهي أدنى السموات إلى الأرض ﴿بزينة الكواكب﴾ قال ابن عباس بضوء الكواكب لأن الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس، وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها. وقيل إن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة.

﴿ فالتاليات ذكراً ﴾، هم الملائكة يتلون ذكر الله عزّ وجلّ. وقيل: هم جماعة قرّاء القرآن وهذا كله قَسَم أقسَمَ الله تعالى به، وجواب القسم.

قوله: ﴿ إنّ إلَهكم لواحد ﴾، وقيل: فيه إضمار، أي وربِّ الصّافّات والزاجرات والتاليات، وذلك أن كفّار مكة قالوا: ﴿ أجعلَ الآلهةَ إلَهاً واحداً ﴾ [صٓ: ٥]؟ فأقسم الله بهؤلاء.

﴿ ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهما وربُّ المشارق ﴾، أي مطالع الشمس، فإن قيل: قد قال في موضع: ﴿ بربِّ المشارق والمغارب ﴾ [المعارج: ٤٠]، وقال في موضع: ﴿ ربُّ المشرقين وربُّ المغربين ﴾ [الرحمن: ١٧] وقال في موضع: ﴿ ربُّ المشرق والمغرب ﴾ [المزّمّل: ٩]، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ قيل: أما قوله: ﴿ ربّ المشرق والمغرب ﴾، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب. وقوله: ﴿ ربُّ المشرقين وربُّ المغربين ﴾ أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف. وقوله: ﴿ بربِّ المشارق والمغارب ﴾، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستّين كوّة في المشرق وثلثمائة وستّين كوّة في المغرب على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوّة منها، وتغرب في كوّة منها لا ترجع إلى الكوّة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل، فهي المشارق والمغارب، وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد ربّ جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت.

﴿ إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾، قرأ عاصم، برواية أبي بكر ﴿ بزينة ﴾ منوّنة، ﴿ الكواكب ﴾ نصب أي بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص ﴿ بزينة ﴾ منوّنة ﴿ الكواكب ﴾ خفضاً على البدل، أي بزينة بالكواكب، أي زينّاها بالكواكب. وقرأ الآخرون ﴿ بزينة الكواكب ﴾، بلا تنوين على الإضافة. قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ۝١١﴾

﴿**وحفظاً من كل شيطان مارد**﴾ أي وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب ﴿**لا يسمعون إلى الملأ الأعلى**﴾ يعني إلى الملائكة والكتبة لأنهم سكان السماء وذلك أن شياطين يصعدون إلى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الإنس ويوهمون بذلك أنهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى: ﴿**ويقذفون**﴾ أي يرمون بها ﴿**من كل جانب**﴾ أي آفاق السماء ﴿**دحوراً**﴾ أي يبعدونهم عن مجالس الملائكة ﴿**ولهم عذاب واصب**﴾ أي دائم ﴿**إلا من خطف الخطفة**﴾ أي اختلس الكلمة من كلام الملائكة ﴿**فأتبعه**﴾ أي لحقه ﴿**شهاب ثاقب**﴾ أي كوكب مضيء قوي لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله. وقيل سمي النجم الذي ترمى به الشياطين ثاقباً لأنه يثقبهم.

فإن قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون أن الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم ثم يعودون إلى مثل ذلك.

قلت إنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم أنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة.

وقوله عز وجل: ﴿**فاستفتهم**﴾ يعني سل أهل مكة ﴿**أهم أشد خلقاً أم من خلقنا**﴾ يعني من السموات والأرض والجبال وهو استفهام تقرير أي هذه الأشياء أشد خلقاً، وقيل ﴿**أم من خلقنا**﴾ يعني من الأمم الخالية والمعنى أن

﴿ **وحفظاً** ﴾. أي وحفظناها حفظاً. ﴿ **من كل شيطان مارد** ﴾، متمرّد يرمون بها.

﴿ **لا يسمعون** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ **يسمعون** ﴾ بتشديد السين والميم، أي لا يتسمعون، فأُدغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿ **إلى الملأ الأعلى** ﴾، أي إلى الكتيبة من الملائكة، والملأ الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى، ﴿ **ويقذفون** ﴾، يرمون، ﴿ **من كل جانب** ﴾، من كل آفاق السماء بالشُّهب.

﴿ **دحوراً** ﴾، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحراً ودحوراً إذا طرده وأبعده، ﴿ **ولهم عذاب واصب** ﴾، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخبلون.

﴿ **إلاّ مَن خطف الخطفة** ﴾، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿ **فأتبعه** ﴾، لحقه، ﴿ **شهاب ثاقب** ﴾، كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله، أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ونيل المراد، كراكب السفينة، قال عطاء: سُمّي النجم الذي يُرمى به الشياطين ثاقباً لأنه يثقبهم.

﴿ **فاستفتهم** ﴾، يعني سلهم يعني أهل مكة، ﴿ **أهم أشدّ خلقاً أم من خلقنا** ﴾، يعني من السمٰوات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشدّ خلقاً كما قال: ﴿ لخلقُ السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال: ﴿ أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء ﴾ [النازعات: ٢٧]، وقيل: ﴿ **أم من خلقنا** ﴾

هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب.

ثم ذكر مم خلقوا فقال الله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ يعني آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿بل عجبت﴾ قرىء بالضم على إسناد التعجب إلى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لأن العجب من الناس محمول على إنكار الشيء وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فإن كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وإن كانت حسنة فيترتب عليها الثواب، وقيل قد يكون بمعنى الإنكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة» وفي حديث آخر «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم»، وقوله من إلكم الإل أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء. وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال إن الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال «وإن تعجب فعجب قولهم» أي هو كما تقوله وقرىء بفتح التاء على أنه خطاب للنبي ﷺ أي عجبت من تكذيبهم إياك وهم

يعني من الأمم الخالية، لأن مَن يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم، وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمّن هؤلاء من العذاب ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿ إنّا خلقناهم من طين لازب ﴾، يعني جيد حرّاً لاصق يعلق باليد، ومعناه: اللازم إبدال الميم باء كأنه يلزم اليد. وقال مجاهد والضحاك: منتن.

﴿ بل عجبت ﴾، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس، والعجب من الله عزّ وجلّ ليس كالتعجّب من الآدميين، كما قال: ﴿ فيسخرون منهم سخر الله منهم ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقال عزّ وجلّ: ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ [التوبة: ٦٧]، والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذمّ، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا، كما جاء في الحديث: «عجب ربكم من شابّ ليست له صبوة»، وجاء في الحديث: «عجب ربكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» وسئل الجنيد عن هذه الآية، فقال: إن الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال: ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم ﴾ [الرعد: ٥] أي هو كما تقوله، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ: أي عجبت من تكذيبهم إياك، ﴿ ويسخرون ﴾، يعني وهم يسخرون من تعجّبك. قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل مَن يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك النبي ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾.

﴿ وإذا ذُكّروا لا يَذْكرون ﴾، يعني إذا وعظوا بالقرآن لا يتّعظون.

﴿ وإذا رأوا آية ﴾، قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر، ﴿ يستسخرون ﴾، يسخرون ويستهزؤون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية.

﴿ وقالوا إن هذا إلّا سحرٌ مبين ﴾، يعني سحر بيّن.

يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي ﷺ فقال الله تعالى ﴿**بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون**﴾ أي وإذا وعظوا لا يتعظون ﴿**وإذا رأوا آية**﴾ قال ابن عباس يعني انشقاق القمر ﴿**يستسخرون**﴾ أي يستهزؤون.

وقيل يستدعي بعضهم بعضاً إلى أن يسخر ﴿**وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**﴾ أي بيِّن ﴿**أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون**﴾ أي صاغرون ﴿**فإنما هي زجرة واحدة**﴾ أي صيحة واحدة وهي نفخة البعث ﴿**فإذا هم ينظرون**﴾ يعني أحياء.

وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿**وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين**﴾ يعني يوم الحساب والجزاء ﴿**هذا يوم الفصل**﴾ أي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء ﴿**الذي كنتم به تكذبون**﴾ أي في الدنيا ﴿**احشروا**﴾ أي اجمعوا ﴿**الذين ظلموا**﴾ أي أشركوا وقيل هو عام في كل ظالم ﴿**وأزواجهم**﴾ أي أشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات ﴿**وما كانوا يعبدون من دون الله**﴾ أي في الدنيا يعني الأصنام والطواغيت وقيل إبليس وجنوده ﴿**فأهدوهم إلى صراط الجحيم**﴾ قال ابن عباس أي دلوهم إلى طريق النار ﴿**وقفوهم**﴾ أي احبسوهم ﴿**إنهم مسؤولون**﴾ لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويروى عنه عن لا إله إلا الله وروى عن أبي برزة أن رسول

﴿ **أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنا لمبعُوثون** ﴾.

﴿ **أوَ آباؤُنا الأوّلون** ﴾، أي وآباؤنا الأوّلون.

﴿ **قلْ نعم** ﴾، تبعثون، ﴿ **وأنتم داخِرون** ﴾، صاغرون، والدخور أشدّ الصغار.

﴿ **فإنما هي** ﴾ أي قصة البعث أو القيامة، ﴿**زجرة**﴾، أي صيحة، ﴿ **واحدة** ﴾، يعني نفخة البعث، ﴿ **فإذا هم ينظرون** ﴾، أحياء.

﴿ **وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين** ﴾، أي يوم الحساب ويوم الجزاء.

﴿ **هذا يوم الفصل** ﴾، يوم القضاء، وقيل: يوم الفصل بين المُحسِن والمُسيء، ﴿ **الذي كنتم به تكذبون** ﴾.

﴿ **احشروا الذين ظلموا** ﴾ أي أشركوا اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، ﴿ **وأزواجهم** ﴾، أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم، قال قتادة والكلبي: كلّ مَن عمل مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا. وقال الضحاك ومقاتل: وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة. وقال الحسن: وأزواجهم المشركات. ﴿ **وما كانوا يعبدون من دون الله** ﴾، في الدنيا، يعني الأوثان والطواغيث، وقال مقاتل: يعني إبليس وجنوده، واحتجّ بقوله: ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ [يّس: ٦٠]، ﴿ **فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾، قال ابن عباس: دلّوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدّموهم. والعرب تسمّي السابق هادياً.

الله ﷺ قال «لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما[1] أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفما أنفقه وعن جسمه فما أبلاه» وفي رواية «عن شبابه فيما أبلاه» أخرجه الترمذي وله عن أنس أن رسول الله ﷺ «قال ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً به لا يفارقه وإن دعا رجل رجلاً ثم قرأ ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم توبيخاً لهم ما لكم لاينصر بعضكم بعضاً وهذا جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ قال ابن عباس خاضعون. وقيل منقادون والمعنى هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني الرؤساء والأتباع ﴿يتساءلون﴾ يعني يتخاصمون ﴿قالوا﴾ يعني الرؤساء للأتباع ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ يعني من قبل الدين فتضلوننا وتروننا أن الدين ما تضلوننا به. وقيل كان الرؤساء يحلفون لهم أن الدين الذي يدعونهم إليه هو الحق والمعنى أنكم حلفتم لنا فوثقنا بأيمانكم وقيل عن اليمين

﴿ وقفوهم ﴾، واحبسوهم، يقال: وقفته وقفاً فوقف وقوفاً. قال المفسّرون: لمّا سيقوا إلى النار حُبِسُوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط، فقيل: وقفوهم ﴿ إنهم مسؤولون ﴾، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم. ورُوِيَ عنه عن لا إله إلاّ الله وفي الخبر عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأَلَ عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وماذا عمل فيما علم».

﴿ ما لكم لا تناصرون ﴾، أي لا تتناصرون، يقال لهم توبيخاً: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً، يقول لهم خَزَنَة النار هذا جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر: ﴿ نحن جميعٌ منتصر ﴾ [القمر: ٤٤].

فقال الله تعالى: ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾، قال ابن عباس: خاضعون. وقال الحسن: منقادون، يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له، والمعنى: هم اليوم أذلاّء منقادون لا حيلة لهم.

﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾، أي الرؤساء والأتباع ﴿ يتساءلون ﴾، يتخاصمون.

﴿ قالوا ﴾، أي الأتباع للرؤساء، ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾، أي من قبل الدين فتضلّوننا عنه وتروننا أن الدين ما تضلوننا به، قاله الضحاك، وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدين والحق، كما أخبر الله تعالى عن إبليس: ﴿ ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ [الأعراف: ١٧]، فمَن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق. وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فمعنى قوله: ﴿ تأتوننا عن اليمين ﴾ أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها. وقيل: عن اليمين أي عن القوة والقدرة، كقوله: ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ [الحاقّة: ٤٥]، والمفسّرون على القول الأول.

---

(١) قوله فيما أفناه الخ. كذا في النسخ بإثبات ألف ما الاستفهامية وهو قليل.

أي عن العزة والقدرة والقول الأول أصح ﴿**قالوا**﴾ يعني الرؤساء للأتباع ﴿**بل لم تكونوا مؤمنين**﴾ يعني لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر ﴿**وما كان لنا عليكم من سلطان**﴾ يعني من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا ﴿**بل كنتم قوماً طاغين**﴾ يعني ضالين ﴿**فحق علينا**﴾ يعني وجب علينا جميعاً ﴿**قول ربنا**﴾ يعني كلمة العذاب وهي قوله ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ ﴿**إنا لذائقون**﴾ يعني أن الضال والمضل جميعاً في النار ﴿**فأغويناكم**﴾ فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه ﴿**إنا كنا غاوين**﴾ أي ضالين قال الله تعالى: ﴿**فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون**﴾ يعني الرؤساء والأتباع ﴿**إنا كذلك نفعل بالمجرمين**﴾ قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى أنهم إنما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾ أي يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ﴿**ويقولون لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون**﴾ يعنون محمداً ﷺ قال الله تعالى رداً عليهم ﴿**بل جاء بالحق وصدق المرسلين**﴾ يعني أنه أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحد ونفي الشرك.

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

﴿**إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ أي في الدنيا من الشرك والتكذيب ﴿**إلا**﴾ أي لكن

﴿ **قالوا** ﴾، يعني الرؤساء للأتباع، ﴿ **بل لم تكونوا مؤمنين** ﴾، لم تكونوا على الحق فنضلّكم عنه، أي إنما الكفر من قِبَلِكم.

﴿ **وما كان لنا عليكم من سلطان** ﴾، من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا، ﴿ **بل كنتم قوماً طاغين** ﴾، ضالّين.

﴿ **فحقَّ** ﴾، وجب، ﴿ **علينا** ﴾، جميعاً، ﴿ **قولُ ربِّنا** ﴾، يعني كلمة العذاب، وهي قوله: ﴿ لأملأنّ جهنّم من الجِنّةِ والنّاسِ أجمعين ﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿ **إنّا لذائقون** ﴾، العذاب، أي أن الضالّ والمُضِلّ جميعاً في النار.

﴿ **فأغويناكم** ﴾، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنّا عليه، ﴿ **إنّا كنّا غاوين** ﴾، ضالّين.

قال الله: ﴿ **فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون** ﴾، الرؤساء والأتباع.

﴿ **إنّا كذلك نفعل بالمجرمين** ﴾، قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء.

﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون** ﴾، يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها.

﴿ **ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون** ﴾، يعني النبي ﷺ.

قال الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم: ﴿ **بلْ جاء** ﴾، محمد، ﴿ **بالحقِّ وصدّق المرسلين** ﴾، أي أنه أتى بما أتىٰ به الرسول قبله.

﴿ **إنكم لذائقوا العذاب الأليم * وما تجزون إلّا ما كنتم تعملون** ﴾، في الدنيا من الشرك.

وهو استثناء منقطع ﴿**عباد الله المخلصين**﴾ أي الموحدين ﴿**أولئك لهم رزق معلوم**﴾ يعني بكرة وعشياً وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل إنه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى: ﴿**فواكه**﴾ جمع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت. وقيل إن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم خلقت للأبد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم إن ذلك حاصل مع الإكرام والتعظيم كما قال تعالى: ﴿**وهم مكرمون**﴾ أي بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى: ﴿**في جنات النعيم على سرر متقابلين**﴾ يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى: ﴿**يطاف عليهم بكأس من معين**﴾ كل إناء فيه شراب يسمى كأساً وإذا لم يكن فيه شراب فهو إناء وقد تسمى الخمر نفسها كأساً قال الشاعر:

وكأساً شـربـت علـى لـذة

ومعنى معين أي من خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون ﴿**بيضاء**﴾ يعني أن خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن ﴿**لذة**﴾ أي لذيذة ﴿**للشاربين لا فيها غول**﴾ أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا إثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقيء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة ﴿**ولا هم عنها ينزفون**﴾ أي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى:

﴿ **إلّا عبادَ الله المخلصين** ﴾، الموحدين.

﴿ **أولئك لهم رزقٌ معلوم** ﴾، يعني بكرةً وعشياً كما قال: ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً ﴾ [مريم: ٦٢].

﴿ **فواكه** ﴾ جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وهي كل طعام يؤكل للتلذّذِ لَا للقوت، ﴿ **وهم مكرمون** ﴾، بثواب الله.

﴿ **في جنّات النّعيم * على سُرر متقابلين** ﴾، لا يرى بعضهم قَفَا بعض.

﴿ **يُطاف عليهم بكأس** ﴾، إناء فيه شراب ولا يكون كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلّا فهو إناء، ﴿ **من معين** ﴾، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون.

﴿ **بيضاء** ﴾، قال الحسن: خمر الجنة أشدّ بياضاً من اللبن، ﴿ **لَذّة** ﴾، أي لذيذة، ﴿ **للشاربين** ﴾.

﴿ **لا فيها غولٌ** ﴾، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. قال الكلبي: إثم. وقال قتادة: وَجَعُ البطن. وقال الحسن: صداع. وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد، منها السكر وذهاب العقل ووجوع البطن والصداع والقيء والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة. ﴿ **ولا هم عنها يُنْزَفُون** ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ **ينزفون** ﴾ بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة [١٩]، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما فمَن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر، ومَن كسر الزاي فمعناه: لا ينزف شرابهم، يقال أنزف الرجل فهو منزف إذا فنيت خمره.

﴿ **وعندهم قاصرات الطرف** ﴾، حابسات الأعين غاضّات الجفون، قصرن أعينهنّ على أزواجهنّ لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿ **عِيْن** ﴾، أي حِسان الأعين، يقال: رجل أعين وامرأة عيناء ونساءٌ عِين.

﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي حابسات الأعين غاضات العيون قصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم ﴿عين﴾ أي حسان الأعين عظامها ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ أي مصون مستور شبههن ببيض النعام لأنها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض في صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن ببيضات الخدور. قوله عز وجل:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فأقبل بعضهم على بعض﴾ يعني أهل الجنة في الجنة ﴿يتساءلون﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا ﴿قال قائل منهم﴾ أي من أهل الجنة ﴿إني كان لي قرين﴾ أي في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطاناً وقيل كان من الإنس قيل كانا أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عز وجل خبرهما في سورة الكهف في قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ ﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون﴾ أي مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكاري ﴿قال﴾ الله تعالى لأهل الجنة ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أي إلى النار وقيل يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة هل أنتم مطلعون أي لننظر كيف منزلة أخي في النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا ﴿فاطلع﴾ أي المؤمن قال ابن عباس إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار ﴿فرآه في سواء الجحيم﴾ أي فرأى قرينه في وسط النار سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي والله لقد كدت أن تهلكني وقيل تغويني ومن أغوى إنساناً فقد أرداه وأهلكه ﴿ولولا

﴿ كأنهنّ بَيْضٌ ﴾، جمع البيضة، ﴿ مكنون ﴾، مضمون مستور، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه ردّه إلى اللفظ. قال الحسن: شبّههنّ ببيض النعامة تكنّها بالريش من الريح والغبار حين خروجها، فلونها أبيض في صفرة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة (بيضاء) مُشرّبة صُفرة، والعرب تشبّهها ببيضة النعامة.

﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾، يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضُهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

﴿ قال قائل منهم ﴾، يعني من أهل الجنة، ﴿ إني كان لي قرين ﴾، في الدنيا ينكر البعث. قال مجاهد: كان شيطاناً. وقال الآخرون: كان من الإنس. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهودا، وهما اللذان قصّ الله تعالى خبرهما في سورة الكهف [٣٢] في قوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾.

﴿ يقول أئنك لمن المصدّقين ﴾، بالبعث.

﴿ أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنّا لمدينون ﴾، مجزيّون ومُحاسبون وهذا استفهام إنكار.

﴿ قال ﴾، الله تعالى لأهل الجنة: ﴿ هل أنتم مطّلعون ﴾، إلى النار. وقيل: بقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنّة هل أنتم مطّلعون إلى النار لتنظر كيف منزلة أخي فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منّا.

﴿ فاطّلع ﴾، قال ابن عباس: إن في الجنة كوىً ينظر أهلها منها إلى النار، فاطّلع هذا المؤمن، ﴿ فرآه في

نعمة ربي﴾ أي رحمة ربي وإنعامه علي بالإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ أي معك في النار ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى﴾ أي في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ وإنما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لأنهم قد علموا أنهم ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا سروراً بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى: ﴿لمثل هذا﴾ أي المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ ﴿فليعمل العاملون﴾ هذا ترغيب في ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته.

قوله تعالى: ﴿أذلك﴾ أي الذي ذكره لأهل الجنة من النعيم ﴿خير نزلاً﴾ أي رزقاً ﴿أم شجرة الزقوم﴾ التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهة وقيل هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر.

إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ أي للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، وقال ابن الزبعري لصناديد قريش إن محمداً يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر، وقيل هو بلغة أهل اليمن

سواء الجحيم ﴾، فرأ قرينه في وسط النار، وإنما سُمّي وسط الشيء سواءً لاستواء الجوانب منه.

﴿ قال ﴾، له، ﴿ تالله إن كدت لتردين ﴾ والله لقد كدت أن تهلكني، قال مقاتل: والله لقد كدت أن تغويني، ومَن أغوى إنساناً فقد أهلكه.

﴿ ولولا نعمة ربّي ﴾، رحمته وإنعامه عليّ بالإسلام، ﴿ لكنتُ من المحضَرين ﴾، معك في النار.

﴿ أفما نحن بميتين * إلاّ موتتنا الأولى ﴾، في الدنيا، ﴿ وما نحن بمعذّبين ﴾، قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت: أفما نحن بميتين؟ فتقول لهم الملائكة: لا.

فيقولون: ﴿ إنّ هذا لهوَ الفوز العظيم ﴾، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذّبون. وقيل: يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره.

قال الله تعالى: ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾، إلى ﴿ فليعمل العاملون ﴾.

﴿ أذلك ﴾. أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿ خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم ﴾، التي هي نزل أهل النار، والزقوم: شجرة خبيثة مرّة كريهة الطعم، يُكره أهلُ النار على تناولها، فهم يتزقّمونه على أشدّ كراهية، ومنه قولهم: تزقّم الطعامَ إذا تناوله على كره ومشقّة.

﴿ إنّا جعلناها فتنة للظالمين ﴾، للكافرين وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؟

فأدخلهم أبو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى: ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم**﴾ أي في قعر النار وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ﴿**طلعها**﴾ أي ثمرها سمي طلعاً لطلوعه ﴿**كأنه رؤوس الشياطين**﴾ قال ابن عباس هم الشياطين بأعيانهم شبهها لقبحهم عند الناس.

فإن قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه.

قلت إنه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وإن لم يشاهدوا فكأنه قيل إن أقبح الأشياء في الوهم والخيال رؤوس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب إذا رأت منظراً قبيحاً قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس:

أيقتلنـــي والمشـــرفـــي مضـــاجعـــي ومسنـــونـــة زرق كـــأنيـــاب أغـــوال

شبَّه سنان الرمح بأنياب الغول ولم يرها وقيل إن بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطاناً ﴿**فإنهم لآكلون منها**﴾ أي من ثمرها ﴿**فمالئون منها البطون**﴾ وذلك أنهم يكرهون على أكلها حتى تمتلىء بطونهم ﴿**ثم إن لهم عليها لشوبا**﴾ أي خلطاً ومزاجاً ﴿**من حميم**﴾ أي من ماء شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوباً لهم ﴿**ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم**﴾ وذلك أنهم يردون إلى الجحيم بعد شراب الحميم ﴿**إنهم ألفوا**﴾ أي وجدوا ﴿**آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون**﴾ أي يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ﴿**ولقد**

وقال ابن الزبعري: لصناديد قريش إن محمداً يخوّفنا بالزقوم، والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته، وقال يا جارية: زقّمينا فأتتهم بالزبد والتمر، فقال: تزقّموا فهذا ما يوعدكم به محمد.

فقال الله تعالى: ﴿**إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم**﴾، قعر النار، وقال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

﴿**طلعها**﴾، ثمرها سُمّي طلعاً لطلوعه، ﴿**كأنّه رؤوس الشياطين**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبّه بها لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئاً بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان، وإن كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها متصوّر في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيّات، والعرب تُسمّي الحيّة القبيحة المنظر شيطاناً. وقيل: هي شجرة قبيحة مُرّة منتنة تكون في البادية تسمّيها العرب رؤوس الشياطين.

﴿**فإنهم لآكلون منها فمالِئُون منها البطون**﴾، والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه.

﴿**ثم إنَّ لهم عليها لشوباً**﴾، خلطاً ومزاجاً، ﴿**من حميم**﴾، من ماء حارّ شديد الحرارة، يقال: إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً له.

﴿**ثم إن مرجعهم**﴾، بعد شرب الحميم، ﴿**لإلى الجحيم**﴾، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ [الرحمن: ٤٤]، وقرأ ابن مسعود: (ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم).

﴿**إنهم ألفوا**﴾ وجدوا، ﴿**آباءهم ضالّين**﴾. ﴿**فهم على آثارهم يهرعون**﴾، يسرعون، قال الكلبي: يعملون مثل أعمالهم.

ضل **قبلهم أكثر الأولين﴾** أي من الأمم الخالية **﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾** أي وأرسلنا فيهم رسلاً منذرين **﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾** أي الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب **﴿إلا عباد الله المخلصين﴾** أي الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المخلصين. قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه أن ينجيه من الغرق **﴿فلنعم المجيبون﴾** نحن أي دعانا فأجبناه وأهلكنا قومه **﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾** أي من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق **﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾** يعني أن الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم، عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل **﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾** قال «هم سام وحام ويافث» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك **﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾** أي أبقينا له حسناً وذكراً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم

﴿ ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين ﴾، من الأمم الخالية.

﴿ ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾، الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب.

﴿ إلاّ عباد الله المخلَصين ﴾، الموحدين نجوا من العذاب.

﴿ ولقد نادانا نوح ﴾، دعا ربّه على قومه فقال: ﴿ إني مغلوب فانتصر ﴾ [القمر: ١٠] **﴿ فَلَنِعْمَ المجيبون ﴾**، نحن يعني أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه.

﴿ ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾، الغمّ العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق.

﴿ وجعلنا ذريّته هم الباقين ﴾، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح، روى الضحّاك عن ابن عباس قال: لمّا خرج نوح من السفينة مات مَن كان معه من الرجال والنساء إلاّ ولده ونساءهم، قال سعيد بن المسيب: كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾، أي أبقينا له ثناءً حسناً وذكراً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

﴿ سلامٌ على نوح في العالمين ﴾، أي سلام عليه منّا في العالمين. وقيل: أي تركنا عليه في الآخرين أن يُصلّى عليه إلى يوم القيامة.

القيامة ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ أي سلام عليه منا في العالمين وقيل تركنا عليه في الآخرين أن يصلي عليه إلى يوم القيامة ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين، ﴿إنه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعني الكفار.

قوله عز وجل: ﴿وإن من شيعته﴾ أي من شيعة نوح ﴿لإبراهيم﴾ يعني أنه على دينه وملته ومنهاجه وسنته ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ أي مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾ استفهام توبيخ ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ أي أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى: ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ يعني إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم وزعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لإبراهيم ألا تخرج معنا إلى عيدنا فنظر في النجوم فقال إني سقيم قال ابن عباس أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون فراراً عظيماً وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الأنبياء وقيل إنه خرج معهم إلى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أشتكي رجلي ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أي إلى عيدهم فدخل إبراهيم عليه الصلاة والسلام على الأصنام فكسرها وهو قوله تعالى: ﴿فراغ﴾ أي مال ﴿إلى آلهتهم﴾ ميلة في خفية ﴿فقال﴾ أي للأصنام استهزاء بها ﴿ألا تأكلون﴾ يعني الطعام الذي بين أيديكم.

﴿ إنّا كذلك نجزي المحسنين ﴾، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

﴿ إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين ﴾، يعني الكفّار.

قوله تعالى: ﴿ وإنّ من شيعته ﴾، أي من أهل دينه وملّته وسُنّته، ﴿ لإبراهيم ﴾. ﴿ إذْ جاء ربَّه بقلب سليم ﴾، مخلص من الشرك والشك.

﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ﴾، استفهام توبيخ.

﴿ أئفكاً آلهةً دون الله تريدون ﴾، يعني أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

﴿ فما ظنّكم بربّ العالمين ﴾، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم.

﴿ فنظر نظرةً في النجوم * فقال إني سقيم ﴾. قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجّة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم الفراش، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم، زعموا التبرّك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم ألا تخرج غداً معنا إلى عيدنا، فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم، قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرّون من الطاعون فراراً عظيماً. قال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال الضحّاك: سأسقم.

﴿ فتولّوا عنه مدبرين ﴾، إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها.

كما قال الله تعالى: ﴿ فراغ إلى آلهتهم ﴾، مال إليها ميلة في خفية، ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخيفاً لذهابه ومجيئه، ﴿ فقال ﴾ استهزاءً بها. ﴿ ألا تأكلون ﴾، يعني الطعام الذي بين أيديكم.

مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾

﴿**ما لكم لا تنطقون فراغ**﴾ أي مال ﴿**عليهم ضرباً باليمين**﴾ أي ضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى من الشمال في العمل. وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله تعالى ﴿**وتالله لأكيدن أصنامكم**﴾ ﴿**فأقبلوا إليه**﴾ يعني إلى إبراهيم ﴿**يزفون**﴾ أي يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه ﴿**قال**﴾ لهم إبراهيم على وجه الحجاج ﴿**أتعبدون ما تنحتون**﴾ أي بأيديكم من الأصنام ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ أي وعملكم. وقيل وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام وفي الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ﴿**قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم**﴾ قيل إنهم بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملأؤوه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى: ﴿**فأرادوا به كيداً**﴾ أي شراً وهو أن يحرقوه ﴿**فجعلناهم الأسفلين**﴾ يعني المقهورين حيث سلم الله إبراهيم ورد كيدهم ﴿**وقال**﴾ يعني إبراهيم ﴿**إني ذاهب إلى ربي**﴾ أي مهاجر إلى ربي وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار ﴿**سيهدين**﴾ أي إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو أرض الشام فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال:

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ

﴿ **ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين** ﴾، أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال. وقيل: باليمين أي بالقوة. وقيل: أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله: ﴿ **وتالله لأكيدنّ أصنامكم** ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿ **فأقبلوا إليه** ﴾، يعني إلى إبراهيم، ﴿ **يزفّون** ﴾، يسرعون وذلك أنهم أُخبِروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه، وقرأ الأعمش وحمزة ﴿ **يزفّون** ﴾ بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان. وقيل بضم الياء: أي يحملون دوابّهم على الجدّ والإسراع.

﴿ **قال** ﴾، لهم إبراهيم على وجه الحجاج، ﴿ **أتعبدون ما تنحِتُون** ﴾، يعني ما تنحتون بأيديكم.

﴿ **واللَّهُ خلقكم وما تعملون** ﴾، بأيديكم من الأصنام، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

﴿ **قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم** ﴾، معظم النار، قال مقاتل: بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها.

﴿ **فأرادوا به كيداً** ﴾، شرّاً وهو أن يحرقوه، ﴿ **فجعلناهم الأسفلين** ﴾، أي المقهورين حيث سلّم الله تعالى إبراهيم وردّ كيدهم.

﴿ **وقال** ﴾، يعني إبراهيم، ﴿ **إني ذاهب إلى ربّي** ﴾، أي مهاجر إلى ربّي، والمعنى: أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضاة ربّي، قاله بعد الخروج من النار، كما قال: ﴿ إني مهاجرٌ إلى ربّي ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ﴿ **سيهدين** ﴾، إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام. قال مقاتل: فلما قَدِمَ الأرض المقدسة سأل ربّه الولد.

﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿رب هب لي من الصالحين﴾ يعني هب لي ولداً صالحاً ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه بشارة أنه ابن وأنه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

قوله تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ قال ابن عباس يعني المشي معه إلى الجبل وعنه أنه لما شبَّ حتى بلغ سعيه سعى مع إبراهيم، والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين ﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ قيل إنه لم ير في منامه أنه ذبحه وإنما أمر بذبحه. وقيل بل رأى أنه يعالج ذبحه ولم ير إراقة دمه ورؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئاً فعلوه واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، قال قوم هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس ومن التابعين، ومن بعدهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه أنه إسحاق وروي أنه إسماعيل، ومن ذهب إلى أنه إسحاق قال كانت هذه القصة بالشأم وروي عن سعيد بن جبير قال رأى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام وهو بالشأم فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال، والقول الثاني أنه إسماعيل وإليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدي إسماعيل، وكلا

فقال: ﴿ ربِّ هبْ لي من الصالحين ﴾، يعني هب لي ولداً صالحاً من الصالحين.

﴿ فبشّرناه بغلام حليم ﴾، قيل بغلام في صغره حليم في كبره، ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهي في السنّ حتى يوصف بالحلم.

﴿ فلمّا بلغ معه السعي ﴾، قال ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل. وقال مجاهد عن ابن عباس: لمّا شبّ حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ أن يتصرّف معه ويعينه في عمله. قال الكلبي: يعني العمل لله تعالى، وهو قول الحسن ومقاتل بن حيّان وابن زيد، قالوا: هو العبادة لله تعالى، واختلفوا في سنّه، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: كان ابن سبع سنين. قوله تعالى: ﴿ قال يا بُنيّ إنّي أرى في المنام أني أذبحك ﴾، واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أُمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنـه إسحاق، فقـال قوم: هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، قالوا: وكانت هذه القصة بالشام. ورُوِيَ عن سعيد بن جبير قال: أرى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال. وقال آخرون: هو إسماعيل، وإليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي وهي رواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، قال المفدّى إسماعيل، وكِلا القولين يُروَى عن رسول

القولين يروى عن رسول الله ﷺ واحتج من ذهب إلى أن الذبيح إسحاق بقوله تعالى: **﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي﴾** أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق كما قال تعالى في سورة هود: **﴿فبشرناها بإسحاق﴾** وقوله **﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾** بعد قصة الذبح يدل على أنه تعالى إنما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه أن أول الآية وآخرها يدل على أن إسحاق هو الذبيح وبما ذكر أيضاً في كتاب يعقوب إلى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله.

واحتج من ذهب إلى أن الذبيح هو إسماعيل بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى: **﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾** فدل على أن المذبوح غيره وأيضاً فإن الله تعالى قال في سورة هود **﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله **﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾** وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله: **﴿إنه كان صادق الوعد﴾** لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرطبي سأل عمر بن عبد العزيز رجلاً من علماء اليهود وكان أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمره الله تعالى بذبحه فقال إسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أباكم هو الذي أمر الله تعالى بذبحه ويدعون أنه إسحاق أبوهم ومن الدليل أيضاً أن قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير. قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة. وقال ابن عباس: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة إنما كان إسماعيل وهو الذي بنى البيت مع أبيه والله تعالى أعلم.

الله ﷺ، ومَن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتجّ من القرآن بقوله: ﴿ فبشّرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي ﴾ أمر بذبح مَن بُشّر به، وليس في القرآن أنه بُشِّر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود[٧١]: **﴿ فبشّرناها بإسحاق ﴾**، ومَن ذهب إلى أنه إسماعيل احتجّ بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: ﴿ وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصالحين ﴾ [الصّافّات:١١٢]، دلّ على أن المذبوح غيره، وأيضاً قال الله تعالى في سورة هود[٧١]: **﴿ فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾**، فلما بشّره بإسحاق بشّره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه. قال القرظي: سأل عمر بن عبد العزيز رجلاً كان من علماء اليهود أسلم وحَسُنَ إسلامه: أيّ ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه، ويزعمون أنه إسحاق بن إبراهيم، ومن الدليل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجّاج. قال الشعبي: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة. وعن ابن عباس قال: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وأن رأس الكبش لمعلّق بقرنيه في ميزاب الكعبة، وقد وحش يعني يبس. قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصيمع أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه. وأما قصة الذبح قال السدي: لمّا دعا إبراهيم فقال: ربّ هبّ لي من الصالحين وبشّر به، قال: هو إذاً لله ذبيح، فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له: أوفِ بنذرك، هذا هو السبب في أمر الله تعالى إيّاه بذبح ابنه، فقال عند ذلك، لإسحاق انطلق فقرّب قرباناً لله تعالى

(ذكر الإشارة إلى قصة الذبح)

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا إبراهيم ربه فقال: رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو إذاً لله ذبيح، فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوفِ بنذرك. هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بالذبح فقال لإسحاق انطلق نقرب لله قرباناً فأخذ سكيناً وحبلاً وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر. وقال محمد بن إسحاق كان إبراهيم عليه السلام إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام بذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان؟ فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى فسمي ذلك اليوم يوم عرفة. وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك **﴿فانظر ماذا ترى﴾** أي في الرأي على وجه المشاورة.

فإن قلت: لم شاوره في أمر قد علم أنه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك.

قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه وإنما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته ويثبت قدمه ويصبره إن جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله.

فإن قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك؟ قلت إن هذا الأمر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح.

فأخذ سكّيناً وحبلاً فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال، فقال له الغلام: يا أبتِ أين قربانك؟ فقال: **﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظرْ ماذا ترى قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر ﴾**، وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حُمل على البُراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربّه وتعظيم حرماته، أمر في المنام أن يذبحه، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روى في نفسه أي فكّر من الصباح إلى الرواح أمِنَ الله هذا الحكم أمْ من الشيطان؟ فمن ثَمَّ سُمّي يوم التروية، فلما أمسى رأى في المنام ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عزّ وجلّ، فمن ثَمَّ سُمّي يوم عرفة، قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليالٍ متواليات، فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه، فقال: **﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظرْ ماذا ترى ﴾**، قرأ حمزة والكسائي **﴿ ترى ﴾** بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته، وقرأ العامّة بفتح التاء والراء إلاّ أبا عمرو فإنه يميل الراء، قال له ابنه: **﴿ يا أبت افعلْ ما تُؤمر ﴾**، وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذِ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أُمِر، **﴿ قال يا ابت افعلْ ما تُؤمر ستجدني إنْ شاء الله من الصابرين ﴾**.

﴿ فلما أسلما ﴾، انقادا وخضعا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه، **﴿ وتلّه للجبين ﴾**، أي صرعه على الأرض. قال ابن عباس: أضجعه على الأرض والجبهة بين الجبينين، قالوا: فقال له

فورد في المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم بأحوال اليقظة فإذا تظاهرت الحالتان كان أقوى في الدلالة ورؤيا الأنبياء وحي وحق **﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾** يعني قال الغلام لأبيه افعل ما أمرت به قال ابن إسحاق وغيره لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه في الشعب أخبره بما أمر الله به فقال افعل ما تؤمر **﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾** إنما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وأنه لا حول عن معصية الله تعالى إلا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله **﴿فلما أسلما﴾** يعني انقادا وخضعا لأمر الله وذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه **﴿وتله للجبين﴾** يعني صرعه على الأرض قال ابن عباس أضجعه على جبينه على الأرض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت أشدد رباطي كيلاً أضطرب واكفف عن ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مرَّ السكين على حلقي ليكون أهون عليّ فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيئاً. ثم إنه حدها مرتين أو ثلاثاً بالحجر كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيئاً. قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والأول أبلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم، قالوا فقال الابن عند ذلك: يا أبت كبني لوجهي فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا. وروي عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قالوا لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً فتمثل الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت كلا

ابنه الذي أراد ذبحه يا أبت اشددْ رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عنّي ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أُمي فتحزن، واستحدّ شفرتك وأسرع مرَّ السكّين على حلقي ليكون أهون عليّ فإن الموت شديد، وإذا أتيت أُمي فاقرأ عليها السلام منّي وإن رأيت أن تردّ قميصي على أُمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنّي، فقال له إبراهيم عليه السلام: نِعْمَ العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه، ثم أَقبل عليه فقبّله وقد ربطه وهو يبكي والابن أيضاً يبكي، ثم إنه وضع السكّين على حلقه فلم تحكّ السكّين. ويُروَى أنـه كان يجرّ الشفرة في حلقه ولا يقطع، فشحذها مرتين أو ثلاثة بالحجر، كل ذلك وهي لا تستطيع. قال السدّي: ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه، قالوا: فقال الابن عند ذلك: يا أبتِ كبّني بوجهي على جبيني فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقّةٌ تحول بينك وبين أمر الله تعـالى، وأنا لا أنـظر إلى الشفرة فـأجزع، ففعـل ذلك إبراهيم ثم وضع الشفرة على قفاه فانقلبت السكّين ونُودي **﴿أنْ يا إبراهيم قدْ صدّقت الرؤيا﴾**، وروى أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله: لمّا رأى إبراهيم ذبح ابنه قال الشيطان: لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً فتمثّل له الشيطان رجلاً وأتى أُم الغلام، فقال لها: هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطبان من هذا الشعب، قال: لا والله ما ذهب به إلاّ ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به وأشدّ حبّاً له من ذلك، قال: إنه يزعم أن الله قد أمره بذلك، قالت: فإن كان ربّه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربّه، فخرج الشيطان من عِندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: نحتطب لأهلنا من هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلاّ أن يذبحك، قال: ولِمَ؟ قال: زعم أن ربّه أمره بذلك، قال:

هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك قال إنه يزعم أن الله أمره بذلك قالت إن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه. فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدري أن يذهب بك أبوك قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا أن يذبحك قال، ولم قال إن ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعاً وطاعة فلما امتنع الغلام أقبل على إبراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال إليك عني يا عدو الله فوالله لأمضين لأمر ربي فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئاً مما أراد وامتنعوا منه بعون الله تعالى وروى عن ابن عباس أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى إبراهيم لأمر الله عز وجل وهو قوله تعالى: ﴿**فلما أسلما وتله للجبين**﴾.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾

﴿**وناديناه**﴾ أي فنودي من الجبل ﴿**أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا**﴾ أي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى وكذلك الولد.

فإن قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وإنما كان تصديقها لو حصل منه الذبح.

قلت جعله مصدقاً لأنه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو إسلامهما لأمر الله تعالى وانقيادهما لذلك، فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا ﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين**﴾ يعني جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ﴿إن

فليفعل ما أمره به ربّه فسمعاً وطاعةً، فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم عليه السلام فقال له: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، قال: والله إني لا أرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه إبراهيم عليه السلام، فقال: إليك عنّي يا عدوّ الله فوالله لأمضينّ لأمر ربّي، فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئاً مما أراد، قد امتنعوا منه بعون الله تعالى. وروى أبو الطفيل عن ابن عباس أن إبراهيم لمّا أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله عزّ وجلّ ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾.

﴿ **وناديناه** ﴾، الواو في وناديناه مقحمة صلة مجازه ناديناه كقوله: ﴿ **وأجمعوا أن يجلعوه في غيابت الجبّ وأوحينا إليه** ﴾ [يوسف: ١٥] أي أوحينا فنودي من الجبل، ﴿ **أنْ يا إبراهيم * قدْ صدّقت الرؤيا** ﴾، تمّ الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال: ﴿ **إنّا كذلك نجزي المحسنين** ﴾، والمعنى إنّا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده نجزي مَن أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

﴿ **إنّ هذا لهو البلاء المبين** ﴾، الاختيار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه. وقال مقاتل: البلاء ههنا النعمة، وهي أن فدي ابنه بالكبش، فإن قيل: كيف قال صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصدّقاً لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا، وقيل: كان رأى في النوم معاجلة الذبح ولم يرَ

هذا لهو البلاء المبين﴾ أي الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده.

وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾

﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾ قيل نظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر إبراهيم وكبر جبريل وكبر الكبش، فأخذه إبراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشاً رعى في الجنة أربعين خريفاً وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له أن يكون عظيماً وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيماً لأنه من عند الله تعالى. وقيل لعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير ﴿**وتركنا عليه في الآخرين**﴾ أي تركنا له ثناء حسناً فيمن بعده ﴿**سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين**﴾ قوله تعالى: ﴿**وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين**﴾ أي بوجود إسحاق وهذا على قول من يقول إن الذبيح هو إسماعيل ومعناه أنه بشر بإسحاق بعد هذه القصة جزاءً لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو إسحاق قال معنى الآية وبشرناه بنبوة إسحاق. وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبىء ﴿**وباركنا عليه**﴾ يعني على إبراهيم في أولاده ﴿**وعلى إسحاق**﴾ أي يكون أكثر الأنبياء من نسله ﴿**ومن ذريتهما محسن**﴾ أي مؤمن ﴿**وظالم لنفسه**﴾ أي كافر ﴿**مبين**﴾ أي ظاهر الكفر، وفيه تنبيه على أنه لا يلزم من كثرة فضائل الأب فضيلة الابن.

إراقة الدم، وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم، ولذلك قال له: قد صدقت الرؤيا.

قوله: ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه، فكبّر جبريل وكبّر الكبش وكبّر إبراهيم وكبّر ابنه، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه. قال أكثر المفسّرين: كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفاً. ورُوِيَ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قرّبه ابن آدم. قال سعيد بن جبير: حقّ له أن يكون عظيماً. قال مجاهد: سمّاه عظيماً لأنه متقبّل. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب. وقال الحسن: ما فدي إسماعيل إلّا بتيس من الأروى أُهبط عليه من ثبير.

﴿ **وتركنا عليه في الآخِرين** ﴾، أي تركنا له في الآخرين ثناءً حسناً.

﴿ **سلامٌ على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشّرناه بإسحاق نبيّاً من الصالحين** ﴾، فمَن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشّره بعد هذه القصة بإسحاق نبيّاً جزاءً لطاعته، ومَن جعل الذبيح إسحاق قال: بشّر إبراهيم بنبوّة إسحاق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشّر به مرتين حين ولد وحين نُبّىء.

﴿ **وباركنا عليه** ﴾، يعني على إبراهيم في أولاده، ﴿ **وعلى إسحاق** ﴾، يكون أكثر الأنبياء من نسله، ﴿ **ومن ذريتهما محسن** ﴾، أي مؤمن، ﴿ **وظالم لنفسه** ﴾، أي كافر، ﴿ **مبين** ﴾، أي ظاهر الكفر.

قوله تعالى: ﴿ **ولقد مننّا على موسى وهارون** ﴾، أنعمنا عليهم بالنبوّة.

قوله عز وجل: ﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ أي أنعمنا عليهما بالنبوة والرسالة ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ يعني بني إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وقيل هو إنجاؤهم من الغرق ﴿ونصرناهم﴾ يعني موسى وهارون وقومهما ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ أي على القبط.

وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

﴿وآتيناهما الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿المستبين﴾ المستنير ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أي دللناهما على طريق الجنة ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي الثناء الحسن ﴿سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ قوله عز وجل: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ روي عن ابن مسعود أنه قال إلياس هو إدريس وكذلك هو في مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبي من أنبياء بني إسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن إسحاق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران.

(ذكر الإشارة إلى القصة)

قال محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل، فبعث الله عز

﴿ ونجّيناهما وقومهما ﴾، بني إسرائيل، ﴿ من الكرب العظيم ﴾، أي الغمّ العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إيّاهم. وقيل: من الغرق.

﴿ ونصرناهم ﴾، يعني موسى وهارون وقومهما، ﴿ فكانوا هم الغالبين ﴾، على القبط.

﴿ وآتيناهما الكتاب المستبين ﴾، أي المستنير وهو التوراة.

﴿ وهديناهما الصراط المستقيم * وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون * إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وإنّ إلياس لمن المرسلين ﴾، رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن المرسلين. وهذا قول عكرمة، وقال الآخرون: هو نبيّ من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عمّ أليسع. قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. وقال أيضاً محمد بن إسحاق والعلماء من أصحاب الأحبار: لمّا قبض الله عزّ وجلّ حزقيل النبي ﷺ، عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله، فبعث الله عزّ وجلّ إليهم إلياس نبيّاً وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يُبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة، وبنو إسرائيل كانوا متفرّقين في أرض الشام، وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لمّا فتح الشام بوّأها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأحلّ سبطاً منهم ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله تعالى إليهم نبيّاً، وعليهم يومئذ ملك يقال له آجب قد أضلّ قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له: بعل، وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة وجوه، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وهم لا يسمعون منه شيئاً إلاّ ما كان من أمر الملك، فإنه صدّقه وآمن به فكان إلياس يقوّم أمره ويسدّده ويرشده، وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها أزبيل وكان يستخلفها على

وجل إليهم إلياس نبياً وكان الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل وإن سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمن به وصدقه، فكان إلياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه إذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فأخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى إلياس إلى الملك وزوجته وأمره أن يخبرهما أن الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلماً وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوباعن صنيعهما ويرد الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها إلا قليلاً، فجاء إلياس فأخبر الملك بما أوحى الله إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا إلياس والله ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلاً، وهمَّ بتعذيب إلياس وقتله فلما أحس إلياس

رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها، وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس، وكانت قتالة الأنبياء يقال هي التي قتلت يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام، وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم إيمانه وكان قد خلّص من يدها ثلاثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذي قتلتهم، وكانت في نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل، وقتلت كلهم بالاغتيال وكانت معمّرة يقال أنها ولدت سبعين ولداً، وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي، وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ومرمتها وكانت الجنينة إلى جانب قصر الملك وامرأته، وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها، وكان آجب الملك يُحسِن جوار صاحبها مزدكي ويُحسِن إليه وامرأته أزبيل تحسده لأجل تلك الجنينة، وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها، وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلاً، ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمته امرأته أزبيل ذلك فجمعت جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي أنه سبّ زوجها آجب فأجابوها إليه، وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على مَن سبّ الملك إذا قامت عليه البيّنة، فأحضرت مزدكي وقالت له: بلغني أنك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور، فأمرت بقتله وأخذت جنينته، فغضب الله عليهم للعبد الصالح، فلما قَدِمَ الملك من سفره أخبرته الخبر، فقال لها: ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده، فقد جاورنا منذ زمان فأحسنّا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا، فختمت أمره بأسوأ الجوار. فقالت إنما غضبت وحكمت بحكمك، فقال لها: أو ما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره؟ قالت: قد كان ما كان، فبعث الله تعالى إلياس إلى آجب الملك وقومه، وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لوليّه حين قتلوه ظلماً، وآل على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ويردّا الجنينة على وَرَثَة مزدكي أن يهلكهما، يعني آجب وامرأته في جوف الجنينة، ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما، ولا يتمتعان بها إلا قليلاً، قال: فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة، فلما سمع الملك ذلك استشهد غضبه عليه ثم قال له: يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه إلاّ باطلاً وما أرى فلاناً وفلاناً سمّى ملوكاً منهم قد عبدوا الأوثان إلاّ على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما ترى لنا عليهم من فضل، قال: وهمّ الملك بتعذيب إلياس وقتله

بالشر رفضه وخرج عنه هارباً ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق إلياس بشواهق الجبال فكان يأوي إلى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مستخفياً يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم: فلما طال الأمر على إلياس وسكنى الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعاً فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي سلني أعطك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم، قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى إليه يا إلياس ما هذا باليوم الذي أعرى منك الأرض وأهلها وإنما صلاحها وقوامها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلاً ولكن سلني أعطك فقال إلياس إن لم تمتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل قال الله عز وجل وأي شيء تريد أن أعطيك، قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تسير عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتي فإنه لا يذلهم إلا ذلك قال الله عز وجل يا إلياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين، قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي ولكن أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال إلياس فبأي شيء أعيش يا رب قال أسخر لك جيشاً من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تقحط قال إلياس قد رضيت فأمسك الله عز

فلما أحسّ إلياس بالشرّ والمكر به رفضه وخرج عنه، فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل، وارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه، ويقال إنه بقي سبع سنين شريداً خائفاً يأوي إلى الشِعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره، فلما تمّ سبع سنين أذِنَ الله في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم، فأمرض الله عزّ وجلّ ابناً لآجب وكان أحبّ ولد إليه وأشبههم به، فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلاً وكانوا قد فتنوا ببعل وعظّموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن، فوكّلوهم به وجعلوهم أنبياء، وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم، والأربعمائة يصغون بآذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبيّنونها للناس، فيعملون بها ويسمّونهم أنبياء، فلما اشتدّ مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوا إلى بعل، ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يُجِبْهم، ومنع الله الشيطان فلم يمكّنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرّع إليه، فلما طال عليهم ذلك قالُوا لآجب: إن في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلّها تشفع لك إلى إلّهك بعل، فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لأجابك، قال: ومن أجل ماذا غضب عليّ وأنا أُطيعه؟ قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرّطت فيه حتى نجا سليمان وهو كافر بإلّهك، قال آجب: وكيف لي أن أقتل إلياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني، وليس لإلياس مطلب ولا يُعرَف له موضع فيُقصَد، فلو عُوفِيَ ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فأقتله فأُرضي إلّهي، ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة إلى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفي ابنه، فانطلقوا حتى إذا كان بحيال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلّمهم، وقال الله: لا تخف فإني سأصرف عنك شرّهم وأُلقي الرعب في قلوبهم، فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم، فلما وقفوا قال لهم: إن الله تعالى أرسلني إليكم وإلى مَن ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربّكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه، وقولوا له: إنّ الله تعالى يقول لك ألستَ تعلم يا آجب إني أنا الله لا إلّه إلّا أنا إلّه بني إسرائيل الذي خلقهم، ورزقهم وأحياهم وأماتهم، فجهلك وقلّة علمك حملك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممّن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلّا ما شئت، إني حلفت باسمي لأغضبنّك في ابنك ولأميتنّه في فوره غداً حتى تعلم أن أحداً لا يملك له شيئاً دوني، فلما قال لهم هذا رجعوا وقد مُلِؤوا منه رعباً، فلما صاروا إلى الملك أخبروه بأن إلياس قد انحطّ

وجل عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً وإلياس على حاله مستخفياً من قومه يوضع له لرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك. قال ابن عباس أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط فمر إلياس بعجوز فقال لها أعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقاً وملأ خوابيها زيتاً فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك إلياس فطلبوه فوجوده فهرب منهم ثم إنه آوى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن أخطوب بن ضر فآوته وأخفت أمره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب. وكان إلياس قد كبر وأسن واليسع غلام شاب ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر، فيزعمون أن إلياس قال: يا رب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه ينزعون عن عبادة

عليهم، وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعّط شعره وتقشّر جلده، عليه جبّة من شعر وعباءة قد خلّلها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له قي قلوبنا الهيبة والرعب، فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلّمه ونراجعه حتى رجعنا إليك، وقصّوا عليه كلام إلياس، فقال آجب: لا ننتفع بالحياة ما كان إلياس حيّاً ما يُطاق إلّا بالمكر والخديعة، فقيّض له خمسين رجلاً من قومه ذوي القوة والبأس، وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وأن يُطمِعوه في أنهم قد آمنوا به هم، ومن وراءهم ليستنّهم إليهم ويغترّ بهم فيمكّنهم من نفسه فيأتون به ملكهم، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس، ثم تفرّقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم، ويقولون يا نبيّ الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك، فإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك، وملكنا آجب وجميع قومنا، وأنت آمن على نفسك وجميع بني إسرائيـل يقرؤون عليك السلام ويقولون: قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت، فآمنّا بك وأجبناك إلى ما دعوتنا فهلمّ إلينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فإنّا ننقاد لما أمرتنا، وننتهي عمّا نهيتنا وليس يسعك أن تتخلّف عنّا مع إيماننا وطاعتنا، فارجعْ إلينا، وكلّ هذا منهم مُمَاكَرَةٌ وخديعة، فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في إيمانهم، وخاف الله إنْ هو لم يظهر لهم، فألهمه الله التوقّف والدعاء، فقال: اللّهمَّ إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فما استتمّ قوله حتى حُصبوا بالنار من فوقهم، فاحترقوا أجمعون، قاله وبلغ آجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همّه بالسوء واحتال ثانياً في أمر إلياس وقيّض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي، فأقبلوا أي حتى توقلوا أي صعدوا قلل تلك الجبال متفرّقين، وجعلوا ينادون يا نبيّ الله إنّا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته، إنّا لسنا كالذين أتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافقوا فصاروا إليك ليكيدوا بك، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم، فالآن قد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم وانتقم لك منهم، فلما سمع إلياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم النار، فاحترقوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غضباً على غضب وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه، إلّا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فلم يمكنه فوجّه نحو إلياس المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به إلياس فينزل معه، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً وإنما أظهر له لما طلع عليه من إيمانه، وكان الملك مع اطّلاعه على إيمانه مثنياً عليه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأي، فلما وجّه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز إلى الفئة دون الكاتب أن يوثقوا إلياس ويأتوا به إن أراد التخلّف عنهم، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به لم يروعوه، ثم أظهر مع الكاتب الإنابة وقال له إنه قد آن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس، ولست آمن أن يدعو

غيرك فقيل له نعم. فجاء إلياس إلى بني إسرائيل فقال: إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، فقالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا إلياس إنا قد أهلكنا فادع الله لنا، فدعا إلياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عز وجل عليهم المطر وأغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به أقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين أيدي إلياس فوثب عليه فانطلق به

على جميع مَن بقي منّا فنهلك بدعوته، فانطلق إليه وأخبره إنّا قد تبنا وأنبنا وأنه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا إلاّ أن يكون إلياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربّنا، وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، وقال له: أخبر إلياس أنّا قد خلعنا آلهتنا التي كنّا نعبد، وأرجينا أمرها حتى ينزل إلياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها بيده، وكان ذلك مكراً من الملك، فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذي فيه إلياس ثم ناداه فعرف إلياس صوته، فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقاً إلى لقائه فأوحى الله تعالى إليه أن ابرز إلى أخيك الصالح فالقه، وجدّد العهد فبرز إليه وسلّم عليه وصافحه، وقال: ما الخبر؟ فقال المؤمن: إنه قد بعثني إليك هذا الجبّار الطاغي وقومه، وقصّ عليه ما قالوا ثم قال وإنّي لخائف إن رجعت إليه ولست معي فيقتلني فمُرني بما شئت أفعله، إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته، وإن شئت جاهدته معك وإن شئت ترسلني إليه بما تحبّ فأُبلغه رسالتك، وإن شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا رشداً وفرجاً ومخرجاً، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك، وإن آجب إن أخبرته رسلُهُ أنك قد لقيتَ هذا الرجل ولم يأت بك اتّهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك، فلم يأمن أن يقتله، فانطلق معه فإني سأشغل عنكما آجب فأُضاعف على ابنه البلاء، حتى لا يكون له همٌّ غيره، ثم أُميته على شرِّ حال، فإذا مات هو فارجع عنه، قال: فانطلق معهم حتى قَدِموا على آجب، فلما قَدِموا شدّد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه، فشغل الله تعالى بذلك آجب وأصحابه عن إلياس، فرجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقلّ جزعه انتبه لإلياس، وسأل عنه الكاتب الذي جاء به، فقال له: ليس لي علم به شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلاّ قد استوثقت منه، فأعرض عنه آجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه، فلما طال الأمر على إلياس من السكون في الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل، وهي أُم يونس بن متّى ذي النون، استخفى عندها ستّة أشهر ويونس بن متّى يومئذ مولود يرضع، فكانت أُم يونس تخدم بنفسها وتواسيه بذات يدها، ثم إن إلياس سئم ضيق البيوت بعد تعوّد فسحة الجبال فأحبّ اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه، فجزعت أُم يونس لفراقه فأوحشها فقده، ثم لم تلبث إلاّ يسيراً حتى مات ابنها يونس حين فطمته، فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه، فوجدته وقالت له: إني قد فجعت بعدك لموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتدّ لفقده بلائي، وليس لي ولد غيره فارحمني وادع لي ربّك جلّ جلاله ليُحيي لي ابني وإنّي قد تركته مُسجى لم أدفنه، وقد أخفيت مكانه، فقال لها إلياس: ليس هذا مما أُمرتُ به، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربّي، فجزعت المرأة وتضرّعت فأعطف الله تعالى قلب إلياس لها، فقال لها: متى مات ابنك؟

الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرني فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً وسلط الله عز وجل على آجب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم

قالت: منذ سبعة أيام فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها، فوجد ابنها ميتاً له أربعة عشر يوماً، فتوضأ وصلّى ودعا، فأحيا الله تعالى يونس بن متّى، فلما عاش وجلس وثب إلياس وتركه وعاد إلى موضعه، فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعاً فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه؟ ألستَ أميني على وحيي وحجّتي في أرضي وصفوتي من خلقي؟ فسلني أعطك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم، قال: تُميتني وتُلحِقني بآبائي فإني قد مللتُ بني إسرائيل وملّوني، فأوحى الله تعالى إليه: يا إلياس ما هذا باليوم الذي أُعرّي منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك، وإن كنتم قليلاً ولكن سَلْني فأعطك، قال إلياس: إن لم تُمِتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل، قال الله تعالى: فأيّ شيء تريد أن أُعطيك؟ قال تمكّنّي من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلاّ بدعوتي ولا تمطر عليهم قطرة إلاّ بشفاعتي، فإنهم لا يذلّهم إلاّ ذلك، قال الله تعالى: يا إلياس أنا أرحم بخلقي من ذلك، وإن كانوا ظالمين، قال: فستّ سنين، قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك، قال: فخمس سنين، قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك ولكني أُعطيك ثأرك ثلاث سنين، أجعل خزائن المطر بيدك، قال إلياس فبأيّ شيء أعيش؟ قال: أُسخّر لك جيشاً من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تقحط، قال إلياس: قد رضيت، قال: فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً، وإلياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان، وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرّاً. قال ابن عباس: أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط، فمرّ إلياس بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ قالت: نعم شيء من دقيق وزيت قليل، قال: فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسّه حتى ملأ جرابها دقيقاً وملأ خوابيها زيتاً، فلما رأوا ذلك عندها قالوا: من أين لك هذا؟ قالت: مرّ بي رجل من حاله كذا وكذا، فوصفته فعرفوه، فقالوا ذلك إلياس، فطلبوه فوجدوه فهرب منهم، ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له أليسع بن أخطوب به ضَرٌّ فآوته وأخفت أمره، فدعا له فعُوفِي من الضرّ الذي كان به، واتّبع أليسع فآمن به وصدّقه ولزمه، وكان يذهب حيث ما ذهب وكان إلياس قد أسنّ فكبر وأليسع غلام شابّ، ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس: أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممّن لم يعصَ من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر، فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال: يا ربّ دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء، لعلّهم أن يرجعوا وينزعوا عمّا هم عليه من عبادة غيرك، فقيل له: نعم، فجاء إلياس إلى بني إسرائيل، فقال: إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل فإن كنتم تحبّون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها، فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، ثم قالوا لإلياس: إنّا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا، فدعا لهم إلياس ومعه أليسع بالفرج، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون، فأقبلت نحوهم وطبّقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم، وأحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضرّ نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه، فلما رأى ذلك إلياس دعا ربّه عزّ وجلّ أن يُريحه منهم،

يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته أزبيل في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل وأوحى إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع، روى السدي عن يحيى بن عبد العزيز عن أبي راود قال إلياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوفيان الموسم في كل عام وقيل إن إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين**﴾.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾

﴿**إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلاً**﴾ يعني أتعبدون بعلاً وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن ﴿**وتذرون**﴾ أي وتتركون عبادة ﴿**أحسن الخالقين**﴾ فلا تعبدونه ﴿**الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون**﴾ أي في النار ﴿**إلا عباد الله المخلصين**﴾ أي من قومه الذين آمنوا به فإنهم نجوا من العذاب.

فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى موضع كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس ومعه أليسع حتى إذا كانا بالموضع الذي أُمر أقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس فانطلق به الفرس فناداه أليسع يا إلياس ما تأمرني فقذف إليه إلياس بكسائه من الجوّ الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إيّاه على بني إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به، فرفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، فكساه الريش فكان إنسيّاً ملكياً أرضيّاً سماوياً، وسلّط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدوّاً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم، فقتل آجب وامرأته أزبيل في بستان مزدكي، فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما، ونبّأ الله تعالى أليسع وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى الله تعالى إلى أليسع وأيّده، فآمنت به بنو إسرائيل فكانوا يعظّمونه، وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم أليسع. وروى السريّ بن يحيىٰ عن عبد العزيز بن أبي رواد، قال: الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام. وقيل: إن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وإن إلياس لمن المرسلين** ﴾.

﴿ **إذْ قال لقومه ألا تتّقون * أتدعون** ﴾، أتعبدون، ﴿ **بعلاً** ﴾، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سُمّيت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: البعل الربّ بلغة أهل اليمن. ﴿ **وتذرون أحسنَ الخالقين** ﴾، فلا تعبدونه.

﴿ **اللّهَ ربّكم وربَّ آبائكم الأوّلين** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿ **اللّهَ ربَّكم وربَّ** ﴾ بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهنّ على الاستئناف.

﴿ **فكذّبوه فإنهم لَمُحضَرُون** ﴾، في النار.

﴿ **إلّا عباد الله المخلصين** ﴾، من قومه فإنهم نَجَوْا من العذاب.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿**وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين**﴾ قرىء آل ياسين بالقطع قيل أراد آل محمد ﷺ وقيل آل القرآن لأن ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرىء الياسين بالوصل ومعناه إلياس وأتباعه من المؤمنين ﴿**إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين**﴾ قوله تعالى: ﴿**وإن لوطاً لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين**﴾ أي الباقين في العذاب ﴿**ثم دمرنا**﴾ أي أهلكنا ﴿**الآخرين وإنكم**﴾ أي أهل مكة ﴿**لتمرون عليهم**﴾ أي على آثارهم ومنازلهم ﴿**مصبحين**﴾ أي في وقت الصباح ﴿**وبالليل**﴾ أي وبالليل في أسفاركم ﴿**أفلا تعقلون**﴾ أي فتعتبرون بهم.

قوله عز وجل: ﴿**وإن يونس لمن المرسلين**﴾ أي من جملة رسل الله تعالى: ﴿**إذ أبق**﴾ أي هرب ﴿**إلى الفلك المشحون**﴾ أي المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون هاهنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا

﴿ **وتركنا عليه في الآخرين * سلامٌ على إل يَاسين**﴾، قرأ نافع وابن عامر «آل ياســين» بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة، فمَن قرأ ﴿ **آل يَس** ﴾، مقطوعة قيل أراد آل محمد ﷺ، وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر، وقيل: أراد إلياس، والقراءة المعروفة بالوصل، واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس مثل إسماعيل وإسماعين وميكائيل وميكائين، وقال الفرّاء: هو جمع أراد إلياسن وأصحابه وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبد الله بن مسعود: سلامٌ على إدراسين يعني إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

﴿ **إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وإن لوطاً لمن المرسلين * إذْ نجّيناه وأهله أجمعين * إلّا عجوزاً في الغابرين** ﴾، أي الباقين في العذاب.

﴿ **ثم دمّرنا الآخَرِين** ﴾، والتدمير الإهلاك.

﴿ **وَإنّكم لتمرّون عليهم** ﴾، على آثارهم ومنازلهم، ﴿ **مصبحين** ﴾، وقت الصباح.

﴿ **وبالليل** ﴾، يريد تمرّون بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم، ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾، فتعتبرون.

قوله تعالى: ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين** ﴾، أي من جملة رسل الله.

﴿ **إذْ أبِقَ إلى الفلك المشحون** ﴾، يعني هرب، قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخّر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم، فقصد البحر فركب السفينة، فاحتبست السفينة فقال

ثلاثاً وهي تقع على يونس فقال أنا الآبق وزجَّ نفسه في الماء.

وقيل إنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر فبقي فريداً فجاء مركب فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون إن فيكم عاصياً وإلا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى: ﴿**فساهم**﴾ أي فقارع ﴿**فكان من المدحضين**﴾ يعني من المقرعين المغلوبين في سورة يونس والأنبياء ﴿**فالتقمه الحوت**﴾ أي ابتلعه ﴿**وهو مليم**﴾ أي آت بما يلام عليه ﴿**فلولا أنه كان من المسبحين**﴾ أي من الذاكرين الله عز وجلّ قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلحين وقيل من العابدين. قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحاً فشكر الله تعالى له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله تعالى فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال ﴿**فلولا أنه كان من المسبحين**﴾.

لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

﴿**للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ وقيل لولا أنه كان يسبح في بطن الحوت بقوله ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿**فنبذناه**﴾ أي طرحناه إنما أضاف النبذ إلى نفسه وإن كان الحوت هو النابذ لأن أفعال العباد

الملاّحون ههنا عبد آبق من سيده، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس، فاقترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس، فقال يونس: أنا الآبق، وزجّ نفسه في الماء. ورُوِيَ في القصة: لمّا وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له، فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدّم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب، ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر، فبقي فريداً، فجاء مركب آخر فركبه فقعد ناحية من القوم، فلما مرّت السفينة في البحر ركدت، فاقترعوا وقد ذكرنا القصة في سورة يونس.

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ فساهم ﴾، فقارع والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة، ﴿ فكان من المدحضين ﴾، أي المقروعين.

﴿ فالتقمه الحوت ﴾، ابتلعه، ﴿ وهو مليم ﴾، آت بما يلام عليه.

﴿ فلولا أنه كان من المسبّحين ﴾، من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر، وقال ابن عباس: من المصلّين. وقال وهب: من العابدين. وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدّم عملاً صالحاً. وقال الضحاك: شكرَ اللَّهُ تعالى له طاعتَه القديمة. وقيل: فلولا أنه كان من المسبّحين في بطن الحوت. قال سعيد بن جبير: يعني قوله: ﴿ لا إلَه إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿ لَلَبِثَ في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾، لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة.

﴿ فنبذناه ﴾، طرحناه، ﴿ بالعراء ﴾، يعني على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل، والعراء الأرض الخالية عن الشجر والنبات. ﴿ وهو سقيم ﴾، عليل كالفرخ الممعّط، وقيل: كان قد بليَ لحمه ورقَّ عظمه ولم يبقَ

كلها مخلوقة لله تعالى: ﴿بالعراء﴾ أي بالأرض الخالية عن الشجر والنبات. وقيل بالساحل ﴿وهو سقيم﴾ أي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل إنه لبث في بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوماً وقيل أربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ يعني القرع قيل إن كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين، قيل أنبتها الله تعالى له ولم تكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهي أن الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على الأرض لم يكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر الشمس فحزن حزناً شديداً وجعل يبكي فأرسل الله تعالى إليه جبريل وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ قيل أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه إلى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع إليهم ثانياً وقيل كان إرساله إليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون إرساله إلى قوم آخرين غير القوم الأولين ﴿أو يزيدون﴾ قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو يزيدون في تقدير الرائي إذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك فالشك على تقدير المخلوقين والأصح هو قول ابن عباس الأول.

وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفاً، ويعضده ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال «سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال يزيدون عشرين ألفاً» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعاً وثلاثين ألفاً وقيل سبعين ألفاً.

له قوة، واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت، فقال مقاتل بن حيّان: ثلاثة أيام. وقال عطاء: سبعة أيام. وقال الضحاك: عشرين يوماً. وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً. وقال الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية.

﴿ وأنبتنا عليه ﴾، أي له، وقيل: عنده، ﴿ شجرة من يقطين ﴾، يعني القرع على قول جميع المفسّرين، وقال الحسن ومقاتل: كل نبت يمدّ وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين، قال مقاتل بن حيّان: فكان يونس يستظلّ بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتدّ لحمه ونبت شعره وقوي، فنام نومة فاستيقظ وقديبست الشجرة فحزن حزناً شديداً وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي، فبعث الله تعالى إليه جبريل وقال: أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أُمتك وقد أسلموا وتابوا، فإن قيل: قال ههنا: ﴿ فنبذناه بالعراء ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ﴾ [القلم: ٤٩]، فهل ما يدلّ على أنه لم ينبذ، قيل: لولا هناك يرجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربّه لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه النعمة فنبذ، وهو غير قوله:

﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف ﴾، قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه، وقوله: ﴿ وأرسلناه ﴾ أي وقد أرسلناه مذموم، وقيل: كان إرساله بعد خروجه من بعد بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين. ﴿ أو يزيدون ﴾، قال مقاتل والكلبي: معناه بل يزيدون. وقال الزجّاج: ﴿ أو ﴾ ههنا على أصلها، ومعناه أو يزيدون على تدبركم وظنكم، كالرجل يرى قوماً فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين، والأكثرون على أن معناه ويزيدون، واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة، فقال ابن عباس ومقاتل: كانوا عشرين ألفاً، ورواه أُبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ، وقال الحسن: بضعاً وثلاثين ألفاً. وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً.

فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿**فآمنوا**﴾ يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب ﴿**فمتعناهم إلى حين**﴾ أي إلى انقضاء آجالهم.

قوله عز وجل: ﴿**فاستفتهم**﴾ أي فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ﴿**ألربك البنات ولهم البنون**﴾ وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله.

والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لأن العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق ﴿**أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون**﴾ أي حاضرون خلقنا إياهم ﴿**ألا إنهم من إفكهم**﴾ أي من كذبهم ﴿**ليقولون ولد الله**﴾ أي في زعمهم ﴿**وإنهم لكاذبون**﴾ أي فيما زعموا ﴿**أصطفى البنات**﴾ أي في زعمكم ﴿**على البنين**﴾ وهو استفهام توبيخ وتقريع ﴿**ما لكم كيف تحكمون**﴾ أي بالبنات لله ولكم بالبنين ﴿**أفلا تذكرون**﴾ أي أفلا تتعظون ﴿**أم لكل سلطان مبين**﴾ أي برهان بين على أن لله ولداً ﴿**فأتوا بكتابكم**﴾ يعني الذي لكم فيه

﴿ **فآمنوا** ﴾، يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب، ﴿ **فمتّعناهم إلى حين** ﴾، أي حين انقضاء آجالهم.

قوله تعالى: ﴿ **فاستفتهم** ﴾، فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ، ﴿ **ألربك البنات ولهم البنون** ﴾، وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً، يقول: جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين.

﴿ **أم خلقنا الملائكة إناثاً** ﴾، معناه: أخلقنا الملائكة إناثاً، ﴿ **وهم شاهدون** ﴾، حاضرون خلقَنا إيّاهم، نظيره قوله: ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿ **ألا إنهم من إفكهم** ﴾، من كذبهم، ﴿ **ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون** ﴾.

﴿ **اصطفى** ﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ **لكاذبون** ﴾، ﴿ **اصطفى** ﴾ موصولاً على الخبر عن قول المشركين، وعند الوقف يبتديان: اصطفى بكسر الألف، وقراءة بقطع الألف لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة، مثل استكبرت ونحوها، ﴿ **البنات على البنين** ﴾.

﴿ **ما لكم كيف تحكمون** ﴾، لله بالبنات ولكم بالبنين.

﴿ **أفلا تذكرون** ﴾، أفلا تتّعظون.

﴿ **أم لكم سلطان مبين** ﴾، برهان بيّن على أن لله ولداً.

﴿ **فأتوا بكتابكم** ﴾، الذي لكم فيه حجة، ﴿ **إنْ كنتم صادقين** ﴾، في قولكم.

﴿ **وجعلوا بينه وبين الجِنّة نَسباً** ﴾. قال مجاهد وقتادة: وأراد بالجِنّة الملائكة سُمّوا جِنّة لاجتنانهم عن

حجة ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي في قولكم ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ قيل أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار.

قال ابن عباس هم حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن.

وقيل معنى النسب أنهم أشركوا في عبادة الله تعالى.

وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان ﴿ولقد علمت الجنة إنهم﴾ يعني قائلي هذا القول ﴿لمحضرون﴾ أي في النار ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ نزه الله تعالى نفسه عما يقولون ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ هذا استثناء من المحضرين والمعنى أنهم لا يحضرون.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿فإنكم﴾ يعني يا أهل مكة ﴿وما تعبدون﴾ أي من الأصنام ﴿ما أنتم عليه﴾ أي على ما تعبدون ﴿بفاتنين﴾ أي بمضلين أحداً ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ أي إلا من سبق له في علم الله تعالى الشقاوة وأنه سيدخل النار.

قوله تعالى إخباراً عن حال الملائكة ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ يعني أن جبريل قال للنبي ﷺ وما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم يعبد ربه فيه. وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح. وروى أبو ذر عن النبي ﷺ قال «أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا

الأبصار. وقال ابن عباس: حيٌّ من الملائكة يقال لهم الجنّ، ومنهم إبليس، قالوا: هم بنات الله. وقال الكلبي: قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجنّ فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله، فقال أبو بكر الصدّيق فمن أُمهاتهم قالوا سروات الجنّ، وقال الحسن: معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله، ﴿ولقد علمت الجِنّة أنهم﴾، يعني قائلي هذا القول، ﴿لمحضرون﴾، في النار ثم نزّه نفسه عمّا قالوا فقال:

﴿سبحان الله عمّا يصفون * إلاّ عباد الله المخلصين﴾، هذا استثناء من المحضرين يعني أنهم لا يحضرون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فإنكم﴾، يقول لأهل مكة، ﴿وما تعبدون﴾، من الأصنام.

﴿ما أنتم عليه﴾، على ما تعبدون، ﴿بفاتنين﴾، بمضلّين أحداً.

﴿إلاّ مَن هو صال الجحيم﴾، إلاّ مَن قدّر الله أنه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة.

قوله تعالى: ﴿وما منّا إلاّ له مقام معلوم﴾، أي ما منّا ملك إلاّ له مقام معلوم في السمٰوات يعبد الله فيه، قال ابن عباس: ما في السمٰوات موضع شبر إلاّ وعليه ملك يصلّي أو يسبّح. وروينا عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال: «أطتِ السماءُ وحقَّ لها أن تئط، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجداً لله» قال السدي: إلاّ له مقام معلوم في القربة والمشاهدة. وقال أبو بكر الورّاق: إلاّ له مقام معلوم يعبد الله عليه،

وملك واضع جبهته لله ساجداً» أخرجه الترمذي. وهو طرف من حديث قيل الأطيط أصوات الأقتاب وقيل أصوات الإبل وحنينها، ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وقيل معنى إلا له مقام معلوم أي في القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الأرض ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ أي المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل: ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ يعني كفار مكة قبل بعثة النبي ﷺ ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ يعني كتاباً مثل كتاب الأولين ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ أي لأخلصنا العبادة لله ﴿فكفروا به﴾ أي فلما أتاهم الكتاب كفروا به ﴿فسوف يعلمون﴾ فيه تهديد لهم قوله عز وجل: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم.

إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿إنهم لهم المنصورون﴾ أي بالحجة البالغة ﴿وإن جندنا﴾ أي حزبنا المؤمنين ﴿لهم الغالبون﴾ أي لهم النصرة في العاقبة ﴿فتول﴾ أي أعرض ﴿عنهم حتى حين﴾ قال ابن عباس يعني الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وأبصرهم﴾ أي إذا نزل بهم العذاب ﴿فسوف

كالخوف والرجاء والمحبة والرضا.

﴿ **وإنّا لنحن الصافّون** ﴾، قال قتادة: هم الملائكة صفّوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

﴿ **وإنّا لنحن المُسَبِّحون** ﴾، أي المصلّون المنزّهون اللَّهَ عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام النبيَّ ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين، كما زعمت الكفّار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال:

﴿ **وإن كانوا** ﴾، أي وقد كانوا يعني أهل مكة، ﴿ **ليقولون** ﴾، لام التأكيد.

﴿ **لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين** ﴾، أي كتاباً مثل كتاب الأوّلين.

﴿ **لكنّا عباد الله المخلصين * فكفروا به** ﴾، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾، هذا تهديد لهم.

﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** ﴾، وهي قوله: ﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿ **إنهم لهُم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

﴿ **فتولَّ** ﴾، أعرض، ﴿ **عنهم حتى حين** ﴾، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم بدر. وقال السدي: حتى يأمرك بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله. قال مقاتل بن حيّان: نسختها آية القتال.

يبصرون﴾ أي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل: ﴿أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل﴾ يعني العذاب ﴿بساحتهم﴾ أي بحضرتهم وقيل بفنائهم ﴿فساء صباح المنذرين﴾ أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات» ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيداً لوعيد العذاب فقال تعالى: ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ وقيل المراد من الآية الأولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار ﴿وأبصر﴾ أي العذاب إذا نزل بهم ﴿فسوف يبصرون﴾ ثم نزه نفسه فقال تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة﴾ أي الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه القادر على جميع الحوادث ﴿عما يصفون﴾ أي عن اتخاذ الشركاء والأولاد ﴿وسلام على المرسلين﴾ أي الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب البشر أن يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ أي على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ وأبصرهم ﴾، إذا نزل بهم العذاب، ﴿ فسوف يبصرون ﴾، ذلك فقالوا متى هذا العذاب؟

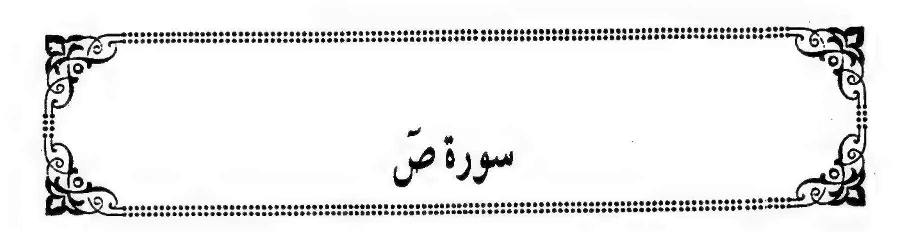
فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ أفبعذابنا يستعجلون * فإذا نزل ﴾، يعني العذاب، ﴿ بساحتهم ﴾، قال مقاتل: بحضرتهم. وقيل: بفنائهم. قال الفرّاء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿ فساء صباح المنذَرين ﴾، فبئس صباح الكافرين الذين أُنذروا بالعذاب، أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى خيبر أتاها ليلاً وكان إذا جاء قوماً بليل لم يغزُ حتى يصبح، قال فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمسّاحيها ومكاتلها، فلما رأوا النبي ﷺ، قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ: «خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين» ثم كرّر ما ذكرنا تأكيداً لوعيد العذاب.

فقال: ﴿ وتولَّ عنهم حتى حين * وأبصرْ ﴾، العذاب إذا نزل بهم، ﴿ فسوف يُبصرون ﴾، ثم نزّه نفسه.

فقال: ﴿ سبحان ربِّك ربِّ العزّة ﴾، الغلبة والقوة، ﴿ عمّا يصفون ﴾، من اتخاذ الصاحبة والأولاد.

﴿ وسلامٌ على المرسلين ﴾، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع.

﴿ والحمد لله ربّ العالمين ﴾، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدّثنا إبراهيم بن سهلوية حدّثنا علي بن محمد الطنافسي حدّثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفيّة عن أصبغ بن بنانة عن علي قال: «مَن أحبَّ أن يكتال بالمِكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربِّك ربِّ العزّة عمّا يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».



سورة صٓ

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفاً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿صٓ﴾ قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد ﷺ ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ﴿ص﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن إن محمداً ﷺ لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما تقول الكفار دل على هذا المحذوف، قوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا﴾ وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا ﴿في عزة

سُوْرَة صٓ

مكيّة وهي ثمانٍ وثمانون آية.

﴿ صٓ ﴾، قيل: هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجّي في أوائل السور، وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿ صٓ ﴾ مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد. وقال الضحاك: معناه صدق الله. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ، ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾، أي ذي البيان، قال ابن عباس ومقاتل وقال الضحاك: ذي الشرف، دليله قوله تعالى: ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وهو قَسَم، واختلفوا في جواب القَسَم، قيل: جوابه قد تقدّم، وهو قوله: ﴿ صٓ ﴾ أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق. وقال الفرّاء: ﴿ صٓ ﴾ معناها وجب وحق فهي جواب قوله: ﴿ والقرآن ﴾، كما تقول: نزل والله، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر؟ كما يقول الكفّار، ودلّ على هذا المحذوف.

قوله تعالى: ﴿ بل الذين كفروا ﴾، وقال قتادة: موضع القَسَم قوله: ﴿ بل الذين كفروا ﴾، كما قال: ﴿ والقرآن المجيد بل عجبوا ﴾ [قٓ: ١ و٢]. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا، ﴿ في عِزّة وشقاق ﴾، والقرآن ذي الذكر. وقال الأخفش: جوابه قوله تعالى: ﴿ إن كلٌ إلّا كذّب الرّسل ﴾ [صٓ: ١٤]، كقوله: ﴿ تالله إن كنّا ﴾ [الشعراء: ٩٧]، وقوله: ﴿ والسماء والطارق ﴾ [الطارق: ١] إن كلُّ نفسٍ، وقيل: جوابه قوله: ﴿ إنَّ هذا لَرِزْقُنا ﴾ [صٓ: ٥٤]، وقال الكسائي: قوله: ﴿ إنَّ ذلك لحقٌّ تخاصمُ أهلِ النار ﴾

وشقاق﴾ والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه «إن كل إلا كذب الرسل» وقيل جوابه «إن هذا لرزقنا» وقيل «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» وهذا ضعيف لأنه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية أن الله تعالى أقسم بصٓ والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد ﷺ ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ يعني من الأمم الخالية ﴿فنادوا﴾ أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله عز وجل: ﴿ولات حين مناص﴾ أي ليس الحين حين هذا القول.

وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾

﴿وعجبوا﴾ يعني كفار مكة ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ قوله عز وجل: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين

[صٓ: ٦٤]، وهذا ضعيف لأنه تخلّل بين هذا القسم. وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة، وقال القتيبي: بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم بصٓ والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزّة حمية وجاهلية وتكبّر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد ﷺ. وقال مجاهد: في عزّة تغابن.

﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾، يعني من الأمم الخالية، ﴿ فنادوا ﴾، استغاثوا عند نزول العذاب وحول النقمة، ﴿ ولاتَ حين مناص ﴾، أي ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار، والمناص مصدر ناص ينوص، وهو الفرار والتأخّر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص إذا تقدم، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون: هي لا، زِيدَتْ فيها التاء، كقولهم: ربّ وربّتْ وثمّ وثمّتْ، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: لاه، كما قالوا ثمّة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجّاج، وعند الكسائي بالهاء لاهِ، وذهب جماعة إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا، ثم يبتدىء: تحين، وهو اختيار أبي عبيد، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان، وهذا كقول أبي وجزة السعدي:

«العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم»

وفي حديث ابن عمرو سأله رجل عن عثمان، فذكر مناقبه ثم قال: اذهب بها فلان إلى أصحابك، يريد الآن، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان كفّار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض: مناص، أي: اهربوا وخذوا حذركم، فلما أنزل الله بهم العذاب ببدر قالوا: مناص، فأنزل الله تعالى: ﴿ ولاتَ حين مناص ﴾ أي ليس الحين حين هذا القول.

﴿ وعجبوا ﴾، يعني الكفّار الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿ بل الذين كفروا ﴾، ﴿ أن جاءهم منذرٌ منهم ﴾، يعني رسولاً من أنفسهم ينذرهم، ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب ﴾.

﴿ أجعل الآلهة إلَهاً واحداً ﴾، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشقّ ذلك على قريش، وفرح

رجلاً أكبرهم سناً الوليد بن المغيرة امشوا إلى أبي طالب فأتوا إلى أبي طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنما أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل إليه أبو طالب فدعا به فلما أتى النبي ﷺ إليه قال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله ﷺ «وماذا يسألونني» قالوا ارفض آلهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله ﷺ «أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم» فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله ﷺ «قولوا لا إله إلا الله» فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً كيف يسمع الخلق إله واحد ﴿**إن هذا لشيء عجاب**﴾ أي عجب ﴿**وانطلق الملأ منهم**﴾ أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب ﴿**أن امشوا**﴾ أي يقول بعضهم لبعض امشوا ﴿**واصبروا على آلهتكم**﴾ أي اثبتوا على عبادة آلهتكم ﴿**إن هذا لشيء يراد**﴾ أي لأمر يراد بنا وذلك أن عمر رضي الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﷺ لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الأرض وقيل يراد بمحمد ﷺ أن يملك علينا ﴿**ما سمعنا بهذا**﴾ أي بالذي يقوله محمد من التوحيد ﴿**في الملة الآخرة**﴾ قال ابن عباس يعنون النصرانية لأنها آخر الملل وإنهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه ﴿**إن هذا إلا اختلاق**﴾ أي كذب وافتعال ﴿**أأنزل عليه الذكر**﴾ أي القرآن ﴿**من بيننا**﴾ أي يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى: ﴿**بل هم في شك من ذكري**﴾ أي وحيي وما أنزلت ﴿**بل لما يذوقوا عذاب**﴾ أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

به المؤمنون، فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سنّاً الوليد بن المغيرة، قال لهم: امشوا إلى أبي طالب فأتوا أبا طالب، وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنّا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السَّوَاء فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «ماذا يسألوني»؟ قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلَهك، فقال النبي ﷺ: «أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم»؟ فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطينّكها وعشراً أمثالها، فقال رسول الله ﷺ: قولوا لا إلَه إلّا الله، فنفروا من ذلك وقاموا، وقالوا: أجعل الآلهة إلَهاً واحداً كيف يسع الخلق كلهم إلَه واحد، ﴿ **إن هذا لشيء عجاب** ﴾، أي عجيب، والعجب والعجاب واحد، كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض.

﴿ **وانطلق الملأ منهم أن امشُوا واصبروا على آلهتكم** ﴾، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب، ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم، ﴿ **إنّ هذا لشيء يراد** ﴾، أي لأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لمّا أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يُراد بنا، وقيل: يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.

﴿ **ما سمعنا بهذا** ﴾، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد، ﴿ **في الملّة الآخرة** ﴾، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: يعنون في النصرانية لأنها آخر المِلَل وهم لا يوحّدون، بل يقولون ثالث ثلاثة. وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملّة قريش ودينهم الذي هم عليه، ﴿ **إنْ هذا إلّا اختلاق** ﴾، كذب وافتعال.

﴿ **أأنزل عليه الذكر** ﴾، القرآن، ﴿ **من بيننا** ﴾، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **بل هم في شكٍّ من ذكري** ﴾، أي وحيي وما أنزلت، ﴿ **بل لمّا يذوقوا عذاب** ﴾، أي لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢﴾

﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا **﴿العزيز﴾** أي في ملكه **﴿الوهاب﴾** الذي وهب النبوة لمحمد ﷺ **﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما﴾** أي ليس لهم ذلك **﴿فليرتقوا في الأسباب﴾** يعني إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصهلم إلى السماء ليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون. وقيل أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز **﴿جند ما هنالك﴾** أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك **﴿مهزوم﴾** أي مغلوب **﴿من الأحزاب﴾** يعني أن قريشاً من جملة الأجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهناك إشارة إلى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزياً لنبيه ﷺ **﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد فرعون ذي الأوتاد﴾** قال ابن عباس: ذو البناء المحكم. وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الأوتاد يريدون بذلك أنه دائم شديد وقال الأسود بن يعفر:

ولقـد غنـوا فيهـا بـأنعـم عيشـة   فـي ظـل ملـك ثـابـت الأوتـاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا أن بيوتهم تثبت بالأوتاد، وقيل ذو القوة والبطش. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله

﴿ أم عندهم ﴾، أعندهم، **﴿ خزائن رحمة ربك ﴾**، يعني نعمة ربك مفاتيح النبوّة يعطونها مَن شاؤوا، ونظيره أهم يقسمون رحمـة ربّك أي نبوّة ربّك، **﴿ العزيز الوهّاب ﴾**، العزيز في مُلْكه الوهّاب وهب النبوّة لمحمد ﷺ.

﴿ أم لهم مُلْك السمٰوات والأرض وما بينهما ﴾، أي ليس لهم ذلك، **﴿ فليرتقوا في الأسباب ﴾**، أي أن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى مَن يختارون، قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكلّ ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توبيخ وتعجيز.

﴿ جندٌ ما هُنَالِكَ ﴾، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك، و**﴿ ما ﴾** صلة، **﴿ مهزومٌ ﴾**، مغلوب، **﴿ من الأحزاب ﴾**، أي من جملة الأجناد يعني قريشاً، قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيّه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، وقال سيهزم الجمع ويولّون الدّبر، فجاء تأويلها يوم بدر، وهناك إشارة إلى بدر ومصارعهم من الأحزاب، أي من جملة الأحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزّبوا وتجمّعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهروا وأهلكوا.

ثم قال معزّياً لنبيّه ﷺ: **﴿ كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتـاد ﴾** قال ابن عباس ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيـل: أراد ذو المُلْك الشديد الثابت، وقال القتيبي: تقول العرب هم في عزٍّ ثابت الأوتاد يريدون أنه دائم شديد، وقال الأسود بن يعفر:

«ولقـد غنـوا فيهـا بـأنعم عيشـة   في ظـل ملك ثـابـت الأوتـاد»

وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد، وقال الضحّاك: ذو القوة والبطش. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، يعني أنهم كانوا يقوّون أمره، ويشدّون ملكه، كما يقوّي الوتد الشيء، وسُمّيت الأجناد أوتاداً

عنهما والجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم يقرون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، فكان إذا غضب على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه إلى وتد فيتركه حتى يموت. وقيل يرسل عليه العقارب والحيات. وقيل كانت له أوتاد وأحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه.

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

﴿**وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب**﴾ أي الذين تحزبوا على الأنبياء فأعلم الله تعالى أن مشركي قريش حزب من أولئك الأحزاب ﴿**إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب**﴾ أي إن أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين ﴿**وما ينظر**﴾ أي ينتظر ﴿**هؤلاء**﴾ أي كفار مكة ﴿**إلا صيحة واحدة ما لها من فواق**﴾ أي رجوع والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف ﴿**وقالوا ربنا عجل لنا قطنا**﴾ أي حظنا ونصيبنا من

لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم، وهو رواية عطية عن ابن عباس، وقال الكلبي ومقاتل: الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذّب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مدّه مستلقياً بين أربعة أوتاد يشدّ كل يد ورجل منه إلى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت. وقال مجاهد ومقاتل بن حيّان: كان يمدّ الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشدّ يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد. وقال السدي: كان يمدّ الرجل ويشدّه بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيّات. وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه.

﴿ **وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب** ﴾، الذين تحزّبوا على الأنبياء، واعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

﴿ **إن كل** ﴾، ما كل، ﴿ **إلّا كذب الرّسل فحقّ عقاب** ﴾، وجب عليهم ونزل بهم عذابي.

﴿ **وما ينظر** ﴾، ينتظر، ﴿ **هؤلاء** ﴾، يعني كفّار مكة، ﴿ **إلّا صيحة واحدة** ﴾، وهي نفخة الصّور، ﴿ **ما لها من فَوَاق** ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ **فواق** ﴾ بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم، قال ابن عباس وقتادة: من رجوع، أي ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع. وقال مجاهد: نظرة. وقال الضحاك: مثنوية، أي صَرْفٌ وردٌّ، والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم تُرَدّ ولم تُصرَف، وفرّق بعضهم بين الفتح والضم، فقال الفرّاء وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة وذهبا بها إلى إفاقة المريض من علّته، والفُواق بالضمّ ما بين الحَلْبَتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فُواق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر، وقيل: هما أيضاً مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة.

﴿ **وقالوا ربّنا عجّل لنا قِطّنا قبل يوم الحساب** ﴾، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعني كتابنا، والقِطّ الصحيفة التي أحصت كل شيء، قال الكلبي: لمّا نزلت في الحاقّة [١٩ و٢٥]: ﴿ فأما مَن أُوتي كتابه بيمينه ﴾،

الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالاً منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حصرت كل شيء قيل لما نزلت في الحاقة ﴿**فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله**﴾ قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا ﴿**قبل يوم الحساب**﴾ وقيل قطنا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿**اصبر على ما يقولون**﴾ أي على ما يقول الكفار من التكذيب ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد**﴾ قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» وقيل معناه ذا القوة في الملك ﴿**إنه أواب**﴾ أي رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة.

إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

﴿**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن**﴾ أي بتسبيحه إذا سبح ﴿**بالعشي والإشراق**﴾ أي غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله ﴿**بالعشي والإشراق**﴾ قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانيء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال «يا أم هانيء إن هذه صلاة الإشراق» قلت والذي أخرجاه في

﴿ وأما مَن أُوتي كتابه بشماله ﴾، قالوا استهزاءً عجّل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب. وقال سعيد بن جبير: يعنون حظنا ونصيبنا من الجنّة التي تقول: وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب. وقال عطاء: قاله النضر بن الحارث، وهو قوله: اللّهمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. وعن مجاهد قال: قِطّنا حسابنا، ويقال لكتاب الحساب قِطّ. وقال أبو عبيدة والكسائي: القِطّ الكتاب بالجوائز.

قال الله تعالى: ﴿ **اصبرْ على ما يقولون** ﴾، أي على ما يقوله الكفّار من تكذيبك، ﴿ **واذكر عبدنا داود ذَا الأيدِ** ﴾، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أحبّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه»، وقيل: ذو القوة في المُلْك. ﴿ **إنه أوّاب** ﴾، رجّاع إلى الله عزّ وجلّ بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس: مطيع. قال سعيد بن جبير: مسبّح بلغة الحبش.

﴿ **إنّا سخّرنا الجبال معه** ﴾، كما قال: ﴿ وسخّرنا مع داود الجبال ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. ﴿ **يسبّحن** ﴾، بتسبيحه، ﴿ **بالعشيّ والإشراق** ﴾، قال الكلبي: غدوة وعشيّة والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. وفسّره ابن عباس: بصلاة الضحى. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الحسن بن حيوة ثنا أبو أميّة محمد بن إبراهيم ثنا الحجّاج بن نصير أنا أبو بكر الهذلي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس في قوله: ﴿ **بالعشيّ والإشراق** ﴾، قال: كنت أمرّ بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدّثتني أم هانىء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلّى الضحى، فقال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق».

الصحيحين من حديث أم هانيء في صلاة الضحى، قالت أم هانيء: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أم هانيء بنت أبي طالب فقال مرحباً يا أم هانيء فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفاً بثوب قالت أم هانيء وذلك ضحى» ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال «ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانيء فإنها قالت إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود».

قوله تعالى: ﴿**والطير**﴾ أي وسخرنا له الطير ﴿**محشورة**﴾ أي مجموعة إليه تسبح معه ﴿**كل له أواب**﴾ أي رجاع إلى طاعته مطيع له بالتسبيح معه ﴿**وشددنا ملكه**﴾ أي قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محراباً كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. وروي عن ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم، عند داود عليه الصلاة والسلام فقال هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله إلى داود في منامه أن اقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحي إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحي إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل إليه داود فقال إن الله عز وجل أوحى إليّ أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أوخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى ﴿**وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة**﴾ يعني النبوة والإصابة في الأمور ﴿**وفصل الخطاب**﴾ قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن كلام

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **والطير** ﴾، أي وسخّرنا له الطير، ﴿ **محشورة** ﴾، مجموعة إليه تسبّح معه، ﴿ **كلٌّ له أوّاب** ﴾، مطيع رجّاع إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أوّاب معه أي مسبّح.

﴿ **وشددنا ملكه** ﴾، أي قوّيناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشدّ ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستّة وثلاثون ألف رجل. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا محمد بن خالد بن الحسن ثنا داود بن سليمان ثنا محمد بن حميد ثنا محمد بن الفضل ثنا داود بن أبي الفرات عن علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام أن هذا غصبني بقراً، فسأله داود فجحد، فقال للآخر: البيّنة؟ فلم يكن له بيّنة، فقال لهما داود: قُومَا حتى أنظر في أمركما، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى إليه مرة أخرى فلم يفعل، فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال: إن الله أوحى إليّ أن أقتلك، فقال: تقتلني بغير بيّنة؟ قال داود: نعم والله لأنفذنّ أمر الله فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال له: لا تعجل حتى أُخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فلذلك أُخذتُ، فأمر به داود فقتل، فاشتدّتْ هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، واشتدّ به مُلكه فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وشددنا ملكه** ﴾، ﴿ **وآتيناه الحكمة** ﴾، يعني النبوّة والإصابة في الأمور، ﴿ **وفَصْلَ الخطاب** ﴾، قال ابن عباس: بيان الكلام، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل: علم الحكم والتبصّر في القضاء. وقال عليّ بن أبي طالب: هو أن البيّنة على المدّعي واليمين على مَن أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. ويُروى ذلك عن أُبيّ بن كعب قال: فصل الخطاب الشهود والأيمان. وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح. ورُوِيَ عن الشعبي:

الخصوم ينقطع وينفصل به. وقال أبيّ بن كعب فصل الخطاب الشهود والأيمان وقيل إن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وهل آتاك﴾ أي وقد أتاك يا محمد ﴿نبأ الخصم﴾ أي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك. وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأخبار العجيبة والتشويق إلى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ أي صعدوا وعلوا المحراب أي بالبيت الذي كان يدخل فيه داود يشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه، وفي الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام. واختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه ﷺ لأن منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب إليها إلا ما يليق بها؛ وأما ما قاله المفسرون[1] إن داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذلك أنه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله. وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف. فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو

أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول مَن قاله داود عليه السلام.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذْ تسوّروا المِحراب ﴾، هذه الآية في امتحان داود عليه السلام، واختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام في سببه، فقال قوم: كان سبب ذلك أنه عليه السلام تمنَّى يوماً من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأل ربُّه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم. فروى السدي والكلبي ومقاتل: عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربّه، ويوماً لنسائه وأشغاله، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا ربّ أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها، ابتُلي إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بالحزن على يوسف، فقال: ربِّ لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضاً، فأوحى الله إليه أنك مبتلى في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس، فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود مِحرابه وأغلق بابه، وجعل يصلّي ويقرأ الزبور، فبينا هو كذلك إذْ جاءه الشيطان قد تمثّل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن. وقيل: كان جناحاً لها من الدرّ والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حُسْنها، فمدّ يده ليأخذها ويُريها بني إسرائيل فينظروا إلى قدرة الله، فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتدّ إليها ليأخذها فتنحّت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوّة فذهب ليأخذها فطارت من الكوّة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها،

---

(١) قوله وأما ما قاله المفسرون الخ لم يذكر جوابه وقد ذكره صاحب الكشاف فقال بعد ذكر القصة فهذا ونحوه ما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أبناء المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء اهـ.

ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضاً فأوحى الله عز وجلّ إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس. فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له، فأبصر امرأة في بستان على شاطىء بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقاً فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته أن أبعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليه الصلاة والسلام. وقيل إن داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه. وقال ابن مسعود: كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته. وقيل كان ذلك مباحاً لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لأنه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها. وقيل في سبب امتحان داود أنه كان جزأ الدهر أجزاء يوماً لنسائه ويوماً للعبادة ويوماً للحكم بين بني إسرائيل ويوماً يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً، فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل إنهم ذكروا فتنة النساء

فأبصر امرأة في بستان على شطِّ بركة لها تغتسل. هذا قول الكلبي وقال السدّي: رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً، فعجب داود من حُسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظلّه فنقضت شعرها فغطّت بدنها، فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها، فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة أُوريا بن حنانا، وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا بن أُخت داود. وذكر بعضهم أنه أحبَّ أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته، فكان ذنبه هذا القدر وذكر بعضهم أنه كتب داود إلى ابن أُخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا، وقدّمه قبل التابوت وكان مَن قُدّم على التابوت لا يحلّ له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد، فبعثه وقدّمه ففتح له، فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضاً أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضاً أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا أشدّ منه بأساً، فبعثه فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدّة المرأة تزوجها داود، فهي أُم سليمان عليهما السلام. ورُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان ذلك ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته. وقال أهل التفسير: كان ذلك مُباحاً لهم غير أن الله تعالى لم يرضَ له ذلكَ لأنه كان ذلك رغبة في الدنيا، وازدياداً للنساء، وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها. ورُوِيَ عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام: أنه كان قد جزّأ الدهر أجزاءً يوماً لنسائه ويوماً للعبادة ويوماً للقضاء بين بني إسرائيل ويوماً لبني إسرائيل يُذاكرهم ويُذاكرونه ويبكيهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروه فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً، فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك. وقيل: إنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه أنه إن ابتُلِيَ اعتصم، فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على التوراة فبينما هو يقرأ إذْ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا، قال: وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار

فأضمر داود في نفسه أنه إن ابتلى اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الأبواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكبَّ على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ إذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله عز وجلّ الملكين إليه. وقيل إن داود عليه السلام ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له جافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس منهم قال أخبروني بأي شيء أنتم موكلون، قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه: ليت شعري كيف أكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى إلى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة إلى أن ظن أنه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فأرسل طائراً من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم. وقيل إن داود قال لبني إسرائيل لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلى وقيل إنه أعجبه عمله فابتلى فبعث الله إليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل: ﴿**وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم**﴾ أي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه فقال لهما من أدخلكما عليّ ﴿**قالوا لا تخف خصمان**﴾ أي نحن خصمان ﴿**بغى بعضنا على بعض**﴾ أي تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضي بيننا.

فإن قلت إذ جعلتهما ملكين مكيف يتصور البغي منهما والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض؟.

قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر ﴿**فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط**﴾ أي لا تجر في حكمك ﴿**واهدنا إلى سواء الصراط**﴾ أي أرشدنا إلى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾

﴿**إن هذا أخي**﴾ على ديني وطريقتي لا من جهة النسب ﴿**له تسع وتسعون نعجة**﴾ يعني امرأة ﴿**ولي نعجة**

إليه قتل، ففعل فأُصيب فتزوّج امرأته، قالوا: فلما دخل داود بامرأة أُوريا لم يلبث إلّا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكيـن في صورة رجلين في يوم عبادته، فطلبا أن يدخلا عليه، فمنعهما الحرس فتسوّرا المِحرَاب عليه، فما شعر وهو يصلّي إلّا وهما بين يديه جالسين، يقال: كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم** ﴾، خبر الخصم، ﴿ **إذْ تسوّروا المِحراب** ﴾، صعدوا وعلوا، يقـال: تسوّرت الحائط والسّور إذا علوته، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكّر والمؤنّث، ومعنى الجمع في الاثنين موجود، لأن معنى الجمع ضمّ شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ [التحريم: ٤].

﴿ **إذْ دخلوا على داود ففزع منهم** ﴾، خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما عليّ، ﴿ **قالوا لا تخف خصمان** ﴾، أي نحن خصمان ﴿ **بغى بعضنا على بعض** ﴾ جئناك لتقضي بيننا، فإن قيل: كيف قال: ﴿ **بغى بعضنا على بعض** ﴾ وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما. ﴿ **فاحكم بيننا بالحق ولا تشططْ** ﴾، أي لا تَجُرْ، يقال: شطّ الرجل شططاً وأشطّ إشطاطاً إذا جار في حكمه، ومعناه مجاوزة الحدّ، وأصل الكلمة من شطّت الدار وأشطّت إذا بعُدت. ﴿ **واهدنا إلى سواء الصراط** ﴾، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل، فقال داود لهما: تكلّما.

فقال أحدهما: ﴿ **إن هذا أخي** ﴾، أي على ديني وطريقتي، ﴿ **لع تسع وتسعون نعجة** ﴾، يعني امرأة،

واحدة﴾ أي امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغي ﴿**فقال أكفلنيها**﴾ قال ابن عباس أي أعطنيها وقيل معناه أنزل عنها وضمها إلي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لأتزوجها ﴿**وعزني في الخطاب**﴾ يعني غلبني وقهرني في القول لأنه أفصح مني في الكلام وإن حارب كان أبطش مني لقوة ملكه والمعنى أن الغلبة كانت له عليّ لضعفي في يده وإن كان الحق وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها داود إلى نسائه.

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

﴿**قال**﴾ داود ﴿**لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه**﴾ أي بضمها إلى نعاجه. فإن قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل إنما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول ﴿**وإن كثيراً من الخلطاء**﴾ أي الشركاء ﴿**ليبغي بعضهم على بعض**﴾ أي يظلم بعضهم بعضاً ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ فإنهم لا يظلمون أحداً ﴿**وقيل ما هم**﴾ أي هم قليل وما صلة.

والمعنى أن الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعد إلى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى: ﴿**وظن داود**﴾ أي أيقن وعلم ﴿**أنما فتناه**﴾ أي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس: إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه إنما عنى به. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول

﴿ **ولي نعجة واحدة** ﴾، أي امرأة واحدة، والعرب تكنّي بالنعجة عن المرأة، قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نِعاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمراً أو اشترى بكرٌ داراً، ولا ضرب هنالك ولا شراء، ﴿ **فقال اكفلنيها** ﴾، قال ابن عباس: أعطنيها. قال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته ضمّها إليّ فاجعلني كافلها، وهو الذي يعولها وينفق عليها، والمعنى: طلّقها لأتزوجها، ﴿ **وعزّني** ﴾، وغلبني، ﴿ **في الخطاب** ﴾، أي في القول. وقيل: قهرني لقوة مُلْكه. قال الضحاك: يقول إن تكلم كان أفصح منّي وإن حارب كان أبطش منّي، وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوّجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأُوريا امرأة واحدة فضمّها إلى نسائه.

﴿ **قال** ﴾، أي قال داود، ﴿ **لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه** ﴾، أي بسؤاله نعجتك ليضمّها إلى نعاجه، فإن قيل كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول. ﴿ **وإن كثيراً من الخلطاء** ﴾، الشركاء، ﴿ **ليبغي بعضهُم على بعض** ﴾، يظلم بعضهم بعضاً، ﴿ **إلاّ الذين آمنوا وعملو الصالحات** ﴾، فإنهم لا يظلمون أحداً، ﴿ **وقليلٌ ما هم** ﴾، أي قليل هم و﴿ **ما** ﴾ صلة يعني الصالحين الذين لا يظلمون قليل، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه، وذلك قوله: ﴿ **وظنّ داود** ﴾، أيقن وعلم، ﴿ **أنّما فتنّاه** ﴾، إنما ابتليناه، وقال السدي بإسناده: أن أحدهما لما قال: ﴿ **إن هذا أخي** ﴾ الآية قال داود للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة ولأخي نعجة واحدة وأنا أُريد أن آخذها منه فأُكمل نعاجي مائة، وهو كاره، قال: إذاً لا ندعك وإن رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا، يعني طرف الأنف وأصله والجبهة، فقال: يا داود

الله ﷺ يقول إن داود النبي ﷺ حين نظر إلى المرأة فهم ففطع على بني إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبهته وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده. فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود: إن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال رب دمي الذي عند داود، فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود إن الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول: هو لك يا رب فيقول الله تعالى فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير في قصة امتحان داود.

(فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب إليه)

اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك. روى سعيد بن المسيب والحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضي الله

أنت أحقّ بذلك حيث لم يكن لأُوريا إلاّ امرأة واحدة، ولك تسع وتسعون امرأة، فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوّجت امرأته، فنظر داود فلم يرَ أحداً فعرف ما وقع فيه، وقال القائلون بتنزيه الأنبياء في هذه القصة أن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أُوريا حلالاً له، فاتفق غزو أُوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوّج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله. وقيل: كان ذنب داود أن أُوريا كان خطب تلك المرأة ووطّن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوّجت منه لجلالته، فاغتمّ لذلك أُوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي قال: ومما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافى بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري، قال: حدّثني يونس بن عبد الأعلى الصيرفي أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود النبي حين نظر إلى المرأة فهمّ أن يجمع على بني إسرائيل وأوصى صاحب البعث، فقال إذا حضر العدو فقرّبْ فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به وبمَن قدّم بين يدي التابوت، فلم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة، ونزل الملكان يقصّان عليه قصته ففطن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه. وهو يقول في سجوده: ربِّ زلّ داود زلّة أبعد مما بين المشرق والمغرب، ربِّ إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده، فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك الهمّ الذي هممت به، فقال داود: إن الربّ قادر على أن يغفر لي الهمّ الذي هممت به، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا ربّ دمي الذي عند داود، فقال جبريل: ما سألت ربّك عن ذلك وإن شئت لأفعلنّ، قال: نعم فعرج جبريل وسجد داود، فمكث ما شاء

عنه أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء. وقال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود وظن داود أن ما فتناه وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود. قال الإمام فخر الدين حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام. هذا وقال غيره إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقوله من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه أثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم.

فإن قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود إنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك.

قلت ليس في هذه الألفاظ شيء مما يدل على ذلك وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل. ﴿**حسنات الأبرار سيئآت المقربين**﴾.

فإن قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان في الآية؟

الله ثم نزل، فقال: سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له هب لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا ربِّ، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً عنه. ورُوِيَ عن ابن عباس وعن كعب الأحبار ووهب بن منبّه قالوا جميعاً: إن داود لمّا دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحوّلا عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه، وعلم داود أنه إنما عني به فخرّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلّا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ، ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلّهي أنت خلّيت بيني وبين عدوّي إبليس فلم أقم لفتنته إذْ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلّهي أنت خلقتني وكان من سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلّهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء، فيقال هذا داود الخاطىء، سبحان خالق النور إلّهي بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفيّ، سبحان خالق النور إلّهي بأيّ قدم أمشي أمامك وأقوم بين يديك يوم تزلّ أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور إلّهي من أين يطلب العبد المغفرة إلّا من عند سيّده، سبحان خالق النور إلّهي أنا الذي لا أطيق حرّ شمسك فكيف أطيق حرّ نارك، سبحان خالق النور إلّهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق سوط جهنم، سبحان خالق النور إلّهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النور إلّهي قد تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل عذري، سبحان خالق النور إلّهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهوّاي، سبحان خالق النور إلّهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني، سبحان خالق النور إلّهي قد قررتُ إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين، سبحان خالق النور. قال مجاهد: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع

قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة إلى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على أن قال للرجل. انزل لي عن امرأتك واكفلنيها، فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل إن داود تمنى أن تكون امرأة أو رياله فاتفق أن أوريا هلك في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته، فعاتبه الله تعالى على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى. وقيل إن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطّن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتمّ لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسعة وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على أن الكلام كان بينهما في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها، فعوتب داود بسببين أحدهما: خطبته على خطبة أخيه والثاني: إظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه. وقيل إن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وإنما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالماً بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفاً للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب إليه والله أعلم.

وقوله عز وجل: ﴿فاستغفر ربه﴾ أي سأل ربه الغفران ﴿وخر راكعاً﴾ أي ساجداً، عبَّر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء. وقيل معناه وخرَّ ساجداً بعد ما كان راكعاً والله تعالى أعلم بمراده.

(فصل)

اختلف العلماء في سجدة صٓ هل هي من عزائم السجود، فذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة قال: لأنها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة. وقال أبو حنيفة: هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على أن الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة، وعن أحمد: في سجدة صٓ روايتان وقد ثبت

رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه وغطّى رأسه، فنودي: يا داود أجائعٌ فتطعم؟ أو ظمآن فتُسقى؟ أو عارٍ فتُكسى؟ فأُجيب في غير ما طلب، قال فنَحَبَ نَحْبَة هاج لها العود فاحترق من حرّ جوفه، ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة. قال وهب: إن داود أتاه نداء: إني قد غفرت لك، قال: يا ربّ كيف وأنت لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أُوريا فناده، فأنا أُسمعه نداءك فتحلل منه، قال: فانطلق وقد لبس المُسُوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى يا أُوريا، فقال: لبّيك مَن هذا الذي قطع عنّي لذّتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما جاء بك يا نبيّ الله؟ قال: أسألك أن تجعلني في حِلٍّ مما كان منّي إليك، قال: وما كان منك إليّ؟ قال: عرّضتُك للقتل، قال: قد عرّضتني للجنة فأنت في حِلٍّ، فأوحى الله إليه: يا داود ألم تعلم أنّي حَكَم عدل لا أقضي بالغيب ألا علمته، إنك قد تزوجت امرأته، قال فرجع إليه فناداه فأجابه فقال مَن هذا الذي قطع عنّي لذّتي؟ قال: أنـا داود، قال: يا نبيّ الله أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوّجتها، قال: فسكت ولم يجبه ودعاه فلم يجبه وعاوده فلم يجبه، فقام عن قبره وجعل يحثوا التراب على رأسه، ثم نادى الويل لداود ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، والويل لداود إذا نصب الميزان بالقسط، سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يُسحَب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك، قال: يا ربّ كيف وصاحبي لم يعفُ عنّي؟ قال: يا داود أُعطيه من الثواب يوم القيامة ما لم ترَ عيناه ولم تسمع أُذناه، فأقول له رضيت عن عبدي داود؟ فيقول: يا ربّ من أين

أن النبي ﷺ سجد فيها (خ). عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجدة صٓ ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ سجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد في صٓ فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ وللنسائي «عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في صٓ وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكراً» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال «قرأ رسول الله ﷺ سورة صٓ وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس لسجوده فقال رسول الله ﷺ إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا» أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعني تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها أجراً وحطّ عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام». قال ابن عباس: «سمعت رسول الله ﷺ قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة» أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي سبحان خالق النور إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور إلهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء، فيقال هذا داود الخاطىء سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه سبحان

لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي، قال: يا ربِّ الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي. فذلك قوله: ﴿ **فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً** ﴾، أي ساجداً، عبّر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألني عبد الله بن طاهر عن قوله: ﴿ **وخرّ راكعاً** ﴾ هل يقال للراكع خرّ؟ قلت: لا ومعناه خرّ بعدما كان راكعاً أي ساجداً. ﴿ **وأناب** ﴾، أي رجع وتاب.

﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾، يعني ذلك الذنب، ﴿ **وإن له** ﴾، بعد المغفرة، ﴿ **عندنا** ﴾، يوم القيامة، ﴿ **لزلفى** ﴾، لقربة ومكانة، ﴿ **وحُسْن مآب** ﴾، أي حُسْن مرجع ومنقلب. وقال وهب بن منبّه: إن داود لمّا تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسبّح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف مِحراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسِّباع، فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مُناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر مَن يساعده، فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مُسُوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلس في تلك المحاريب ثم يرفع

خالق النور إلهي كيف تستر الخطاؤون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور إلهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور إلهي فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشيء فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرجوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة. قال وهب: إن داود أتاه نداء أني قد غفرت لك قال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحداً قال اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه، قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك قال وما كان منك إليّ قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فأنت في حل فأوحى الله تعالى إليه يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالغيب ألا أعلمته إنك قد تزوجت امرأته، قال فرجع فناداه فأجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود إذا وضعت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له رضيت عبدي فيقول يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي، فأقول هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً **﴿وأناب﴾** أي رجع **﴿فغفرنا له ذلك﴾** أي الذنب **﴿وإن له عندنا﴾** أي يوم القيامة بعد المغفرة **﴿لزلفى﴾** أي لقربة ومكانة **﴿وحسن مآب﴾** أي حسن مرجع ومنقلب.

داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه، ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يفرّق الفرش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفّيه، ثم يمسح بها وجهه، ويقول: يا ربّ اغفر ما ترى، فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله. قال وهب: ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك أول أمرك تب وآخره مغفرة ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماءً إلاّ مزجه بدموعه، ولا يأكل طعاماً إلاّ بلّه بدموعه. وذكر الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «إنّ مثل عيني داود كقربتين ينطفان ماءً، ولقد خدّت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض». قال وهب: لمّا تاب الله على داود قال: يا ربّ غفرتَ لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ قال: فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلاّ بكى إذا رآها، وما كان خطيباً للناس إلاّ بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وَسْمَ خطيئته، وكان يبدأ إذا دعا فاستغفر للخاطئين قبل نفسه. وقال قتادة عن الحسن: كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلاّ الخاطئين، يقول: تعالوا إلى داود الخاطىء فلا يشرب شراباً إلاّ مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتلّ بدموع عينيه، وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين، قال: كان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله. وقال ثابت: كان داود إذ ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدّها إلاّ الأسر، وإذا ذكر

قال وهب بن منبه إن داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء إلى الجبال ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الأودية ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله. وعن الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ «إن مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض».

وقال وهب: لما تاب الله تعالى على داود قال: يا رب أغفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة، قال فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها وما قام خطيباً في الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ إذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه. وعن الحسن قال: كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول تعالوا إلى داود الخاطىء ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله. وقال

رحمة الله تراجعت. وفي القصة: أن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي إلى قراءته، فرُوِيَ أنها قالت: يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك. وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالا ثنا حمّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجدة صٓ ليست من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها. وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوّام قال: سألتُ مجاهداً عن سجدة صٓ فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ قال: أوَما تقرأ: ﴿ومن ذرّيّته داود وسليمان﴾، إلى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٩٠]، وكان داود ممّن أمر نبيّكم أن يقتدي به، فسجدها داود، فسجدها رسول الله ﷺ. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة محمد بن زيد بن خنيس ثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجُل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله إنّي رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أُصلّي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي،

ثابت كان داود إذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشهدها إلا الأسر وإذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل إن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي إلى قراءته.

وقيل إنها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾** أي لتدبر أمر الناس بأمر نافذ الحكم فيهم **﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾** أي بالعدل **﴿ولا تتبع الهوى﴾** أي لا تمل مع ما تشتهي إذا خالف أمر الله تعالى **﴿فيضلك عن سبيل الله﴾** أي عن دين الله وطريقه **﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾** أي بما تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقيل بتركهم العمل بذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضاء.

قوله تعالى: **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾** قال ابن عباس: لا لثواب ولا لعقاب.

وقيل معناه ما خلقناهما عبثاً لا لشيء **﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾** يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنما خلقناهم لغير شيء وأنه لا بعث ولا حساب **﴿فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض﴾** قيل إن كفار قريش قالوا للمؤمنين إنما نعطي في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية **﴿أم نجعل المتقين﴾** يعني الذين اتقوا الشرك وهم أصحاب محمد ﷺ **﴿كالفجار﴾** يعني الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء في الآخرة.

فسمعتها تقول: اللّهمَّ اكتب لي بها عندك أجراً وحطّ عنّي بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبّلها منّي كما تقبلتها من عبدك داود. وقال الحسن: قال ابن جريج: قال لي جدّك: قال ابن عباس: فقرأ النبي ﷺ سجدة ثم سجد صٓ، فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجر.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض ﴾** تدبّر أمور العباد بأمرنا، **﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾**، بالعدل، **﴿ ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنَّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾**، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجّاج: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي تركوا القضاء بالعدل.

﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾، قال ابن عباس: لا لثواب ولا لعقاب. **﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾**، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهما خُلِقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. **﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾**.

﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ﴾، قال مقاتل: قال كفّار قريش للمؤمنين إنّا نُعطى في الآخرة من الخير ما يعطون، فنزلت هذه الآية: **﴿ أم نجعل المتّقين كالفجّار ﴾**، أي المؤمنين كالكفّار. وقيل: أراد بالمتّقين أصحاب محمد ﷺ، أي لا نجعل ذلك.

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ أي هذا كتاب يعني القرآن أنزلناه إليك **﴿مبارك﴾** أي كثير خيره ونفعه **﴿ليدبروا آياته﴾** أي ليتدبروا ويتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيه **﴿وليتذكر﴾** أي وليتعظ **﴿أولو الألباب﴾** أي ذوو العقول والبصائر.

قوله تعالى: **﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾** قيل إن سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ما أصاب وهو ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وقيل إنها كانت خيلاً من البحر لها أجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الأولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتمَّ لذلك وقال ردّوها عليّ فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحاً له وإن كان حراماً علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في أيدي الناس من الخيل يقال إنه من نسل تلك المائة فلما عقرها الله تعالى أبدله الله تعالى خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء، وقوله تعالى: **﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾** قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل أو يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث «من سرَّه أن يقوم له الناس صفونا فليتبوأ

﴿ كتابٌ أنزلناه إليك ﴾، أي هذا الكتاب أنزلناه إليك، **﴿ مبارك ﴾**، كثير خيره ونفعه، **﴿ ليدبّروا ﴾**، أي ليتدبروا، **﴿ آياته ﴾**، وليتفكروا فيها، وقرأ أبو جعفر «ليتدبــروا» بتاء واحدة وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبّر آياته اتباعه، ليتّعظ، **﴿ أُولوا الألباب ﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ ووهبنا لداود سليان نعم العبد إنه أوّاب * إذْ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ﴾**، قال الكلبي: غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين، فأصاب منهم ألف فرس. وقال مقاتل: ورث من أبيه داود ألف فرس. وقال عوف عن الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً أُخرِجت من البحر لها أجنحة. قالوا: فصلّى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرضت عليه تسعمائة فتنبّه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك فاغتمّ لذلك هيبة لله، فقال: ردّوها عليّ فردّوها عليه، فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ وطلباً لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك مُباحاً له وإن كان حراماً علينا كما أُبيح لنا ذبح بهيمة الأنعام وبقي منها مائة فرس، فما بقي في أيدي الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة. قال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء، وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً. وعن عكرمة: كانت عشرين ألف فرس، لها أجنحة، قال الله تعالى: **﴿ إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات الجياد ﴾**، والصافنات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يدٍ أو رجلٍ، يقال: صفن الفرس يصفن صفوناً إذا قام على ثلاثة قوائم، وقلب أحد حوافره. وقيل: الصافن في اللغة القائم. وقال في الحديث: «مَن سرّه أن يقوم له الرجال صفونا فليتبوّأ مقعده من النار». أي قياماً: والجياد الخيار السراع، واحدها جواد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الخيل السوابق.

مقعده من النار» أي قياماً الجياد: أي الخيار السراع في الجري واحده جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق ﴿**فقال إني أحببت حب الخير**﴾ أي أثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل سميت به لأنه معقود في نواصيها الخير الأجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه ﴿**عن ذكر ربي**﴾ يعني صلاة العصر ﴿**حتى توارت**﴾ أي استترت الشمس ﴿**بالحجاب**﴾ أي ما يحجبها من الأبصار يقال إن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه.

رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

﴿**ردوها علي**﴾ أي ردوا الخيل علي ﴿**فطفق مسحاً بالسوق**﴾ جمع ساق ﴿**والأعناق**﴾ أي جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وكان ذلك مباحاً له لأن نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل، وقال محمد بن إسحاق: لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل إذ كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربه عز وجلّ، وقيل إنه ذبحها وتصدق بلحومها. وقيل معناه إنه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكى الصدقة. وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: معنى ردوها عليّ يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها عليّ فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الإمام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن نقول إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا ثم إن سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج إلى غزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمر بإعدائها وإجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل إليه وهو

﴿ **فقال إني أحببتُ حبَّ الخير** ﴾، أي آثرت حبَّ الخير وأراد بالخير الخيل، والعرب تعاقب بين الراء واللام، فتقول: ختلت الرجل وخترته، أي خدعته، وسُمّيت الخيل خيراً لأنه معقود بنواصيها الخير، الأجْر والمغنم، قال مقاتل: يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿ **عن ذكر ربّي** ﴾، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿ **حتى توارت بالحجاب** ﴾، أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الأبصار، يقال: الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة والشمس تغرب من ورائه.

﴿ **ردّوها عليّ** ﴾، أي ردّوا الجبل عليّ فردّوها، ﴿ **فطفق مسحاً بالسوق والأعناق** ﴾، قال أبو عبيدة: طفق يفعل مثل ما زال يفعل، والمراد بالمسح القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسّرين، وكان ذلك مُباحاً له لأن نبيّ الله لم يكن يقدم على محرّم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر. وقال محمد بن إسحاق: لم يعتقه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربّه عزّ وجلّ. وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحاً وتصدّق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مُباحاً في شريعته. وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكيّ الصدقة. وقال الزهري وابن كيسان: إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبّاً لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف، والمشهور هو الأول، وحُكِيَ عن علي أنه قال في معنى قوله: ﴿ **ردّوها عليّ** ﴾ يقول سليمان بأمر الله عزّ وجلّ للملائكة الموكلين بالشمس ﴿ **ردّوها عليّ** ﴾ يعني الشمس، فردّوها عليه حتى صلّى العصر في وقتها، وذلك أنه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدوّ حتى توارت بالحجاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولقد فتنّا سليمان** ﴾، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه، وكان سبب ذلك ما ذكر محمد بن

قوله ردوها عليّ فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الأول تشريف لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ إلى أنه يباشر الأمور بنفسه الثالث أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فإن قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه، فنقول: لنا هاهنا مقامات المقام الأول أن يدعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهروا الحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً لا يرتاب عاقل فيه، المقام الثاني: أن يقال هب أن لفظ الآية يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس وأن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر إنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالاً فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشقَّ ذلك على سليمان، فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ، قالت: إني أذكر أبي وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان: فقد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من ملكه وسلطاناً أعظم من سلطانه وهداك إلى الإسلام وهو خير من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكني إذ ذكرته أصابني ما

إسحاق عن وهب بن منبّه قال: سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيلاً لمكانه، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في برٍّ ولا بحر، إنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بها بجنوده من الجنّ والإنس، فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك، يقال لها جرادة لم يرَ مثلها حُسْناً وجمالاً، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلّة فقه، وأحبّها حبّاً لم يحبّه شيء من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشقّ ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، قال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ملكه وسلطاناً هو أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله، قالت: إن ذلك كذلك ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوّروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرةً وعشيّاً لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسليني عن بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثّلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثّلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلاّ أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزّرته وقمّصته وعمّمته وردّته بمثل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تعدو عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشيّة بمثل ذلك وكان سليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك آصف بن برخيا، وكان صديقاً وكان لا يردّ عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته حاضراً كان سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبيّ الله كبر سنّي ورقّ عظمي ونفد عمري وقد حان منّي الذهاب فقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل

تراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي عني بعض ما أجـد في نفسي فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليه في ولائدها فتسجد له ويسجدن معها كما كانت تصنع في ملكه وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً. وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل حاضراً سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم. فقال: افعل فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى إلى سليمان فقال: ما كان أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك عن كل ما يكره الله تعالى في صغرك ثم انصرف، فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى مليء غضباً فلما دخل سليمان داره دعاه فقال: يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيراً في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري؟ قال آصف: إنَّ غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال سليمان في داري؟ قال: في دارك قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون قد عرفت أنك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك.

الموت أذكر فيه مَن مضى من أنبياء الله وأُثني عليهم بعلمي فيهم، وأُعلّم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر مَن مضى من أنبياء الله تعالى، فأثنى على كل نبي بما فيه فذكر ما فضّله الله حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما أحكمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما تكره في صغرك، ثم انصرف، فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضباً، فلما دخل سليمان داره أرسل إليه، فقال: يا آصف ذكرتَ مَن مضى من أنبياء الله، فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم، فلمّا ذكرتني جعلت تثني عليّ بخير في صغري وسكتَّ عمّا سوى ذلك من أمري في كبري؟ فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله لَيُعبَد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: في داري؟ فقال: في دارِكَ، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد عرفت أنك ما قلت الذي قلت ذلك إلاّ عن شيء بلغك، ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا تغزلها إلاّ الأبكار ولا تنسجها إلاّ الأبكار ولا تغسلها إلاّ الأبكار لم تمسسها امرأة قد رأت الدم، ثم لبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده فأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائباً إلى الله عزّ وجلّ، حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذلّلاً لله تعالى، وتضرّعاً إليـه يبكي ويدعو، ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره، وكانت له أُم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل مذهبه أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهّر، وكان لا يمسّ خاتمه إلاّ وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: خاتمي أمينة فناولته إيّاه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد غيّرت حاله وهيئته عند كل مَن رآه،

ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ولا ينسجها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللاً إلى الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها أمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمسّ خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه، فأتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال: خاتمي أمينة فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس وخرج سليمان فأتى أمينة وقد تغيرت حالته وهيأته عند كل من رآه فقال: يا أمينة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان. فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فإذ أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوي الأخرى فيأكلها.

فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم قالوا

فقال: يا أمينة خاتمي، قالت: مَن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبّونه، ويقولون انظروا إلى هذا المجنون أيّ شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحاً عدّة ما كان عبد الوثن في داره، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم عدوّ الله الشيطان في تلك الأربعين، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهنّ فهل أنكرتنّ منه في خاصّة أمره ما أنكرنا في عامّة أمر الناس وعلانيته، فدخل على نسائه، فقال: ويحكنّ هل أنكرتنّ من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن أشدّه ما يدع منّا امرأة في دمها ولا يغتسل من الجنابة، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين، ثم خرج على بني إسرائيل فقال ما في الخاصّة أعظم مما في العامّة، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشي أعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم، فخرج سليمان بسمكتيه، فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً، وعكفت عليه الطير والجنّ وأقبل عليه الناس، وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد أحدث في داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين فقال: ائتوني بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته، فأتت به وجاؤوا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم سدّ عليه بأخرى، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر. هذا حديث وهب. وقال الحسن: ما كان الله ليسلّط الشيطان على نسائه. وقال السدي: كان سبب قصة سليمان أنه كان له مائة امرأة وكانت امرأة منهنّ يقال

نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن من خاصة أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال: ويحكن هل أنكرتن من ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن: أشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة، فقال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. قال الحسن: ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه ﷺ قال وهب: ثم إن آصف خرج على بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما في العامة فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان إحداهما بأرغفة وبقر بطن الأخرى ليشويها، فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده ووقع لله ساجداً وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتي به فأدخله في جوف صخرة وسدَّ عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه في البحر. وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام أن جرادة كانت أبرَّ نسائه عنده وكان يأتمنها على خاتمه، فقالت له يوماً إن أخي بينه وبين فلان خصومة فأحبَّ أن تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم.

وقيل إن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة فأتاه آصف فقال: إنك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففرَّ إلى الله تعالى تائباً فإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك. ففر سليمان إلى الله تعالى تائباً وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فأقام آصف في ملك سليمان بسيرته أربعة عشر يوماً إلى أن رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع إلى ملكه وجلس على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه. وروي عن سعيد بن المسيب قال: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله

لها جرادة هي آثر نسائه وآمنهنّ عنده، وكان يأتمنها على خاتمه إذا أتى حاجته، فقالت له يوماً: إن أخي كان بينه وبين فلان خصومة وأنا أُحبّ أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل فابتلي بقوله لزوجته نعم، فأعطاها خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فأخذه وجلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت: ألم تأخذه؟ قال: لا، وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً، فأنكر الناس حكمه، فاجتمع قرّاء بني إسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنّا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحْدَقُوا به ونشروا التوراة فقرؤوها فطار من بين أيديهم، حتى وقع على شُرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صيّاد من صيّادي البحر وهو جائع قد اشتد جوعه، فاستطعمه من صيده، وقال: إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصاً فشجّه، فجعل يغسل دمه على شاطىء البحر، فلامَ الصيّادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قدر عندهم، فشقّ بطونهما وجعل يغسلهما، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فلبسه فردّ الله عليه مُلكه وبهاءه، وحامت عليه الطير فعرف القوم أنه سليمان، فقاموا يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أؤاخذكم على غدركم ولا ألومكم على ما كان منكم، هذا أمر كائن لا بدّ منه، فلما أتى مملكته أمر جنيّاً أتى بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه، وأمر به فأُلقي في البحر وهو حيّ كذلك حتى تقوم الساعة. وفي بعض الروايات: أن سليمان لمّا افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان إلى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنة، فأتى آصف فقال لسليمان إنك مفتون بذنبك، والخاتم لا يتماسك في يدك أربعة عشر يوماً، ففرّ إلى الله تائباً وإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك. ففرّ سليمان هارباً

تعالى وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبيه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وإن الشياطين لا يسلطون على مثله هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا، والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين» وفي رواية لأطوفنَّ بمائة امرأة فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله، فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته إذا ألقى ذلك الولد ميتاً على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل: ﴿**وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب**﴾ أي رجع إلى ملكه بعد الأربعين يوماً وقيل أناب إلى الاستغفار وهو قوله:

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿**قال ربي اغفر لي**﴾ أي سأل ربه المغفرة ﴿**وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ أي لا يكون لأحد من

إلى ربّه وأخذ آصف الخاتم، فوضعه في أصبعه فثبت فهو الجسد الذي قال الله تعالى: ﴿ **وألقينا على كرسيه جسداً** ﴾ فأقام آصف في ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوماً إلى أن ردّ الله على سليمان مُلكه، فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت. ورُوِيَ عن سعيد بن المسيب قال: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام؟ فلم تنظر في أُمور عبادي؟ فابتلاه الله عزّ وجلّ. وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إيّاه كما روينا. وقيل: قال سليمان يوماً لأطوفنّ الليلة على نسائي كلّهنّ فتأتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فجامعهنّ فما خرج له منهنّ إلاّ شقّ مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وألقينا على كرسيه جسداً** ﴾. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب ثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سُليمان: لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة كلّهنّ تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فطاف عليهنّ فلم تحمل منهنّ إلاّ امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وأيم الله الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسَاناً أجمعون». وقال طاوس عن أبي هريرة: لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة، قال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي. وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي أُلقي على كرسيّه هو صخر الجني، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب** ﴾، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً فلما رجع.

﴿**قال ربِّ اغفرْ لي وهبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد من بعدي، قال عطاء بن أبي رباح: يريد هبْ لي ملكاً لا تسلبنيه في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته في ما

بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري ﴿**إنك أنت الوهاب**﴾ فإن قلت قول سليمان لا ينبغي لأحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا.

قلت لم يقل ذلك حرصاً على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك أن لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال إن الشيطان استولى على ملكه.

وقيل سأل ذلك ليكون علماً وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه وردَّ ملكه إليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكاً ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بإلانة الحديد وعيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فسأل شيئاً يختص به كما روى في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿**رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾ فرددته خاسئاً قوله تعالى:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿**فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء**﴾ أي لينة ليست بعاصفة ﴿**حيث أصاب**﴾ أي حيث أراد ﴿**والشياطين**﴾ أي وسخرنا له الشياطين ﴿**كل بناء**﴾ أي يبنون له ما يشاء ﴿**وغواص**﴾ يعني يستخرجون له اللالىء من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿**وآخرين**﴾ أي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين ﴿**مقرنين في الأصفاد**﴾ أي مشدودين في القيود سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد ﴿**هذا عطاؤنا**﴾ أي قلنا له هذا عطاؤها ﴿**فامنن**﴾ أي أحسن إلى من شئت

مضى من عمري. ﴿ **إنك أنت الوهّاب** ﴾، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوّته ودلالة على رسالته، ومعجزة، وقيل: سأل ذلك ليكون علماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه وردّ إليه مُلكه، وزاده فيه. وقال مقاتل بن حيّان: كان لسليمان ملكاً ولكنه أراد بقول: ﴿ **لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾ تسخير الرياح والطير والشياطين، بدليل ما بعده، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل بن بشّار ثنا محمد بن زياد عن شُعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجنّ تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿ **ربِّ هبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** ﴾، فرددته خاسئاً».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاء** ﴾، ليّنة ليست بعاصفة، ﴿ **حيث أصاب** ﴾، حيث أراد، تقول العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب، تريد أراد الصواب.

﴿ **والشياطين** ﴾، أي سخّرنا له الشياطين، ﴿ **كل بناء** ﴾، يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ﴿ **وغواص** ﴾، يستخرجون له اللآلىء من البحر، وهو أول مَن استخرج اللؤلؤ من البحر.

﴿ **وآخرين مقرنين في الأصفاد** ﴾، مشدودين في القيود، أي وسخّرنا له آخرين يعني مَرَدَة الشياطين سخّروا له حتى قرنهم في الأصفاد.

﴿أو أمسك﴾ أي عمن شئت ﴿بغير حساب﴾ أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن: ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب﴾ أي بمشقة ﴿وعذاب﴾ أي ضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب ﴿اركض﴾ يعني أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أي اضرب ﴿برجلك﴾ يعني الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب ﴿هذا مغتسل بارد﴾ أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله عز وجل: ﴿وشراب﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾

﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا﴾ أي إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم

﴿ هذا عطاؤنا ﴾، أي قلنا له هذا عطاؤنا، ﴿ فامننْ أو أمسك ﴾، المنّ هو الإحسان إلى مَن تشيئه ومَن لا تشيئه، معناه: أعطِ مَن شئت وأمسك عمّن شئت، ﴿ بغير حساب ﴾، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت. قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلاّ عليه تَبِعَة، إلاّ سليمان فإن أعطى أُجِر، وإن لم يُعطِ لم يكن عليه تَبِعَة. وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خلِّ مَن شئت منهم وأمسك مَن شئت في وثاقك لا تَبِعَة عليك فيما تتعاطاه.

﴿ وإنّ له عندنا لزلفى وحُسْن مآب ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واذكر عبدنا أيوبَ إذْ نادى ربَّه أنّي مسّني الشيطانُ بنُصب ﴾، بمشقّة وضرّ، قرأ أبو جعفر ﴿ بنصب ﴾، بضمّ النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضمّ النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد. قال قتادة ومقاتل: بنصب في الجسد، ﴿ وعذاب ﴾، في المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه في سورة الأنبياء عليهم السلام.

فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿ اركضْ برِجْلك ﴾، اضرب رجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء، ﴿ هذا مغتسل ﴾، فأمره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه، فقوله: ﴿ هذا مُغْتَسَلٌ بارد ﴾، يعني الذي اغتسل منه بارد، ﴿ وشراب ﴾ أراد الذي شرب منه.

﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منّا وذكرى لأُولي الألباب * وخذْ بيدك ضِغْثاً ﴾، وهو ملء الكفّ من

﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ يعني سلَّطنا البلاء عليه فصبر، ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر **﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾** أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان **﴿فاضرب به ولا تحنث﴾** وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه في ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا؟ فيه قولان أحدهما أنه عام.

وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني أنه خاص بأيوب.

قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة.

فقل مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر.

وقال أبو حنيفة والشافعي إذا ضربه ضربة واحدة فأصابه كل صوت على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية **﴿إنا وجدناه صابراً﴾** أي على البلاء الذي ابتليناه به **﴿نعم العبد إنه أواب﴾** قوله تعالى: **﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾** أي اذكر صبرهم فإبراهيم ألقي في النار فصبر وإسحاق أضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر: **﴿أولي الأيدي﴾** قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله تعالى: **﴿والأبصار﴾** أي في المعرفة بالله تعالى، وقيل: المراد باليد أكثر الأعمال وبالبصر أقوى الإدراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر وللإنسان قوتان عالمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالأيدي والأبصار **﴿إنا أخلصناهم﴾** أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين **﴿بخالصة ذكرى الدار﴾** قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكرى غيرها، وقيل نزعنا من قلوبهم حبَّ الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله تعالى، وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة **﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾** يعني من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الأدناس والأكدار **﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾** أي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم **﴿وكل من الأخيار﴾** قوله عز وجل: **﴿هذا ذكر﴾** أي الذي

الشجر أو الحشيش، **﴿ فاضرب به ولا تحنث ﴾**، في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار ويضربها ضربة واحدة، **﴿ إنّا وجدناه صابراً نِعمَ العبد إنّه أوّاب ﴾**.

﴿ واذكرْ عبادنا ﴾، قرأ ابن كثير (عبدنا) علي التوحيد، وقرأ الآخرون **﴿ عبادنا ﴾** بالجمع، **﴿ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أُولي الأيدي ﴾**، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله، **﴿ والأبصار ﴾** في المعرفة بالله أي البصائر في الدين، قال قتادة ومجاهد: أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين.

﴿ إنّا أخلصناهم ﴾، اصطفيناهم، **﴿ بخالصة ذكرى الدار ﴾**، قرأ أهل المدينة **﴿ بخالصة ﴾** مضافاً، وقرأ الآخرون بالتنوين، فمَن أضاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها، والذكرى بمعنى الذكر، قال مالك بن دينار: نزعنا من قلوبهم حبَّ الدنيا وذكرها، وأَخْلَصْناهم بحبِّ الآخرة وذكرها. وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عزّ وجلّ. وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة. وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة. قال ابن زيد ومَن قرأ بالتنوين: فمعناه بخلّة خالصة، وهي ذكرى الدار، فيكون ذكرى الدار بدلاً عن الخالصة. وقيل: أخلصناهم جعلناهم مخلصين، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة.

﴿ وإنّهم عندنا لَمِنَ المصطفين الأخيار * واذكرْ إسماعيل والْيسع وذا الكفل وكلٌّ من الأخيار * هذا ذكر ﴾،

يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون إليه في الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالأمر يقال لها انفتحي انغلقي ﴿متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾ أي مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن.

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾

﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ أي قيل للمؤمنين هذا ما توعدون، وقيل هذا ما يوعد به المتقون ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ أي دائم ما له من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شيء عاد مثله في مكانه.

قوله تعالى: ﴿هذا﴾ أي الأمر الذي ذكرناه ﴿وإن للطاغين﴾ يعني الكافرين ﴿لشر مآب﴾ يعني لشر مرجع يرجعون إليه ثم بينه فقال تعالى: ﴿جهنم يصلونها﴾ أي يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ أي الفراش ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق. قال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار

أي هذا الذي يُتلى عليكم ذكر وقيل ذكر أي شرف وذكر جميل تُذكرون به ﴿ وإنّ للمتّقين لحُسن مآب ﴾.

﴿ جنّاتُ عدنٍ مفتحةً لهم الأبواب ﴾، أي أبوابها مفتّحة لهم.

﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾، مستويات الأسنان، بنات ثلاثة وثلاثين سنة، واحدها ترب. وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن.

﴿ هذا ما توعدون ﴾، قرأ ابن كثير (يوعدون) بالياء ههنا وفي [قٓ: ٣٢] أي: ما يوعد المتّقون، وافق أبو عمرو ههنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما، أي قل للمؤمنين: هذا ما توعدون، ﴿ ليوم الحساب ﴾، أي في يوم الحساب.

﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾، فناء وانقطاع.

﴿ هذا ﴾ أي الأمر هذا ﴿ وإن للطاغين ﴾، للكافرين، ﴿ لشرّ مآب ﴾، مرجع.

﴿ جهنم يصلونها ﴾، يدخلونها، ﴿ فبئس المهاد ﴾.

﴿ هذا ﴾ أي هذا العذاب، ﴿ فليذوقوه حميمٌ وغساق ﴾، قال الفرّاء: أي هذا حميم وغسّاق فليذوقوه، والحميم الماء الحارّ الذي انتهى حرّه وغسّاق، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ وغساق ﴾ حيث كان بالتشديد، وخفّفها الآخرون، فمَن شدّد جعله اسماً على فعال نحو الخبّاز والطبّاخ، ومَن خفّف جعله اسماً على فعال نحو العذاب، واختلفوا في معنى الغسّاق، قال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده، كما تحرقهم النار بحرّها. قال مقاتل ومجاهد: هو الذي انتهى برده. وقيل: هو المنتن بلغة الترك. وقال قتادة: هو ما يغسق أي ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة، من قولهم غسقت عينه إذا انصبّت، والغسقان الانصباب.

﴿ وآخر ﴾، قرأ أهل البصرة ﴿ وآخر ﴾ بضم الألف على جمع أخرى، مثل الكبرى والكبر، واختاره أبو

بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه ﴿وآخر من شكله﴾ أي مثل الحميم والغساق ﴿أزواج﴾ أي أصناف أخر من العذاب ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ قال ابن عباس هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الأتباع مقتحم معكم النار أي داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل إنهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع قالت القادة ﴿لا مرحباً بهم﴾ أي الأتباع ﴿إنهم صالو النار﴾ أي داخلوها كما صليناها نحن ﴿قالوا﴾ أي قال الأتباع للقادة ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ أي لا رحبت بكم الأرض والعرب تقول مرحباً وأهلاً وسهلاً أي أتيت رحباً وسعة ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ يعني وتقول الأتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم إيانا إلى الكفر ﴿فبئس القرار﴾ أي فبئس دار القرار جهنم.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قالوا﴾ يعني الأتباع ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ أي شرعه وسنه لنا ﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾ أي ضعف عليه العذاب في النار.

قال ابن عباس حيات وأفاعي ﴿وقالوا﴾ يعني كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم في النار ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم﴾ أي في الدنيا﴿من الأشرار﴾ يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال

عبيدة لأنه نعته بالجمع، فقال: أزواج، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد، ﴿ من شكله ﴾، مثله أي مثل الحميم والغسّاق، ﴿ أزواج ﴾، أي أصناف أُخر من العذاب.

﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾، قال ابن عباس: هذا هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخَزَنَة للكفّار: هذا يعني الأتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار، أي داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج، والاقتحام الدخول في الشيء رمياً بنفسه فيه، قال الكلبي: إنهم يضربون بالمقامع حتى يُوقِعوا أنفسهم في النار خوفاً من تلك المقامع، فقالت القادة: ﴿ لا مرحباً بهم ﴾، يعني بالأتباع، ﴿ إنهم صالوا النار ﴾ أي داخلوها كما صلينا.

﴿ قالوا ﴾، فقال الأتباع للقادة، ﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم ﴾، والمرحب والرحب السعة، تقول العرب: مرحباً وأهلاً وسهلاً أي أتيت رحباً وسعةً، وتقول: لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك الأرض. ﴿ أنتم قدّمتموه لنا ﴾، يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا. وقيل: أنتم قدّمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيّانا إلى الكفر، ﴿ فبئس القرار ﴾، أي فبئس دار القرار جهنم.

﴿ قالوا ﴾، يعني الأتباع، ﴿ ربَّنا مَن قدّم لنا هذا ﴾، أي شرعه وسنّه لنا، ﴿ فزدْه عذاباً ضعفاً في النار ﴾، أي ضعّف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني حيّات وأفاعي.

﴿ وقالوا ﴾، يعني صناديد قريش وهم في النار، ﴿ ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم ﴾، في الدنيا، ﴿ من

وسليمان وإنما سموهم أشراراً لأنهم كانوا على خلاف دينهم ﴿أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾ يعني أن الكفار إذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الأبصار أي أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا. وقيل معناه أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيراً منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً ﴿إن ذلك﴾ أي الذي ذكر ﴿الحق﴾ ثم بين ذلك فقال تعالى: ﴿تخاصم أهل النار﴾ أي في النار وإنما سماه تخاصما لأن قول القادة للأتباع لأمر حبا بكم وقول الأتباع للقادة بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة.

قوله عز وجل: ﴿قل﴾ أي يا محمد لمشركي مكة ﴿إنما أنا منذر﴾ أي مخوف ﴿وما من إله إلا الله الواحد﴾ يعني الذي لا شريك له في ملكه ﴿القهار﴾ أي الغالب وفيه شعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ فكونه رباً يشعر بالتربية والإحسان والكرم والجود وكونه غفاراً يشعر بأنه يغفر الذنوب وإن عظمت ويرحم ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة.

أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ

الأشرار ﴾، يعنون فقراء المؤمنين: عمّاراً وخبّاباً وصُهيباً وبلالاً وسلمان رضي الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا:

﴿ اتخذناهم سخْرِيّاً ﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي: «من الأشرار اتخذناهم» وَصْلٌ، ويكسرون الألف عند الابتداء، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام، قال أهل المعاني: القراءة الأولى أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخريّاً فلا يستقيم الاستفهام، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل، ومَن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل أم في قوله: ﴿ أم زاغت عنهم الأبصار ﴾، قال الفرّاء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجّب، ﴿ أم زاغت ﴾، أي مالت، ﴿ عنهم الأبصار ﴾، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريّاً لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا؟ وقيل: أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان: يعني أم كانوا خيراً منّا ولكن نحن لا نعلم، وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً.

﴿ إن ذلك ﴾، الذي ذكرت، ﴿ لحقٌّ ﴾ ثم بيّن فقال، ﴿ تخاصُمُ أهلِ النار ﴾، أي تخاصم أهل النار في النار لحقٌّ.

﴿ قلْ ﴾، يا محمد لمشركي مكة، ﴿ إنما أنا منذر ﴾، مخوف، ﴿ وما من إلَه إلاّ الله الواحد القهّار ﴾.

﴿ ربّ السمٰوات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار ﴾.

قوله: ﴿ قلْ ﴾، يا محمد، ﴿ هو ﴾، يعني القرآن، ﴿ نبأٌ عظيم ﴾، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقيل: هو يعني القيامة لقوله: ﴿ عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم ﴾ [النبأ: ١].

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾

﴿أنتم عنه معرضون﴾ أي لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي وأن ما جئت به لم أعلمه إلا بوحي من الله تعالى: ﴿**ما كان لي من علم بالملأ الأعلى**﴾ يعني الملائكة ﴿**إذ يختصمون**﴾ يعني في شأن آدم حين قال الله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾.

فإن قلت كيف يجوز أن يقال إن الملائكة اختصموا بسبب قولهم ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ والمخاصمة مع الله تعالى لا تليق ولا تمكن.

قلت لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة ﴿**إن يوحى إليّ**﴾ أي إنما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى إليّ ﴿**إلا أنما أنا نذير مبين**﴾ يعني إلا أنما أنا نبي أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «أتاني ربي في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجمعات وإسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون قال والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» وفي رواية «فقلت لبيك وسعديك في المرتين» وفيها «فعلمت ما بين المشرق والمغرب» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

(فصل: في الكلام على معنى هذا الحديث)

وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف إمراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والإيمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

المذهب الثاني: هو تأويل الحديث، وقيل الكلام على معنى الحديث نتكلم على إسناده فنقول قال البيهقي: هذا حديث مختلف في إسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن الحلاج عن

﴿ **أنتم عنه مُعرِضون ما كان لي من علم بالملأ الأعلى** ﴾، يعني الملائكة، ﴿ **إذ يختصمون** ﴾ يعني في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها مَن يفسد فيها** ﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿ **إنْ يوحى إليّ إلاّ أنّما أنا نذيرٌ مبين** ﴾، قال الفرّاء: إن شئت جعلت ﴿ **أنما** ﴾ في موضع رفع أي ما يوحى إليّ إلاّ الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يُوحى إليّ إلاّ أني نذير مبين. وقرأ أبو جعفر: ﴿ **إنّما** ﴾ بكسر الألف، لأن الوحيَ قولٌ. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا هشام بن عمّار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: مرّ بنا خالد بن الحلاّج

عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ، ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك، ورواه أبو أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام، ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن الحلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد إلا أنهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية. قال البيهقي وقد روى من طرق كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما ما يدل على أن ذلك كان في المنام.

فأما تأويله فإن الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تبارك وتعالى مصوراً ولا أن يكون له صورة لأن الصور مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز إضافة ذلك إليه سبحانه وتعالى فاستحال أن يكون مصوراً وهو الخالق الباري المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وأنا في أحسن صورة كأنه زاده جمالاً وكمالاً وحسناً عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا أن الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وإنما التغيير وقع بعد لشدة الوحي وثقله.

الوجه الثاني: أن الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك إلى الله تعالى والمعنى أنه رآه في أحسن صفاته من الإنعام عليه والإقبال والاتصال إليه وأنه تلقاه بالإكرام والإعظام والإجلال. وقد يقال في صفات الله تعالى إنه جميل ومعناه أنه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الإحسان والإكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضاً يرجع إلى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه، ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه ﷺ عند رؤية ربه عزَّ وجلَّ فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله ﷺ «فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي» فتأويله أن المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الإخبار بإكرام الله تعالى إياه وإنعامه عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الأرض بإعلام الله تعالى إياه وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون إذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه وإذا حملنا الحديث على المنام وأن ذلك كان في المنام فقد زال الإشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا إلى التأويل.

فدعاه مكحول فقال: يا أبا إبراهيم حدّثنا حديث عبد الرحمن بن عائش، قال: سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمي يقول: قال النبي ﷺ: «رأيتُ ربّي في أحسن صورة، فقال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أيْ ربِّ، مرتين، قال: فوضع كفّه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السماء والأرض، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿ وكذلك نُري إبراهيمَ ملكوتَ السمٰواتِ والأرضِ وليكونَ من الموقنين ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثم قال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفّارات، قال: وما هنّ؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الوضوء أماكنه في المكاره، قال: ومَنْ يفعلْ ذلك يعشْ بخير ويمتْ بخير، ويكنْ من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات إطعام الطعام وبذل السلام وأن يقوم بالليل والناس نيام، قال: قلِ اللّهمَّ إني أسألك الطيباتِ وترك المنكراتِ وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب عليّ وإذا أردتَ فتنةً في قوم فتوفّني غيرَ مفتون، فقال ﷺ: تعلّموهنّ فوالذي نفسي بيده إنهنّ لحق».

ورؤية الباريء عزّ وجلّ في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الأعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه، وإنما سماه مخاصمة لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم.

قوله عز وجل: ﴿**إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين**﴾ أي آدم ﴿**فإذا سويته**﴾ أي أتممت خلقه ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾ أضاف الروح إلى نفسه إضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولأن الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم ﴿**فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر**﴾ أي تعظم ﴿**وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ أي توليت خلقه ﴿**أستكبرت**﴾ أي تعظمت بنفسك عن السجود له ﴿**أم كنت من العالين**﴾ أي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب إبليس بقوله:

قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

﴿**قال أنا خير منه**﴾ يعني لو كنت مساوياً له في الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه. ثم بين كونه خيراً منه فقال ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس في القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالإنسان والشجرة المثمرة ومعلوم أن الإنسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل. وقيل: هب أن النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد، ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة ﴿**قال فاخرج منها**﴾ أي من الجنة وقيل من السماء. وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إذْ قال ربُّك للملائكة إني خالق بشراً من طين** ﴾، يعني آدم عليه السلام.

﴿ **فإذا سوّيته** ﴾، أتممت خلقه، ﴿ **ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلُّهم أجمعون * إلّا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت** ﴾، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿ **أم كنت من العالين** ﴾، المتكبّرين استفهام توبيخ وإنكار، يقول: أستكبرت بنفسك حتى أبيت السجود؟ أم كنت من القوم الذين يتكبّرون فتكبّرت عن السجود لكونك منهم؟

﴿ **قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرجْ منها** ﴾، أي من الجنة، وقيل: من السمٰوات. وقال الحسن وأبو العالية: أي من الخلقة التي أنت فيها. قال الحسن بن الفضل: هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبّر وافتخر بالخلقة، فغيّر الله خلقته فاسودّ وقبح بعد حُسنه، ﴿ **فإنك رجيم** ﴾، مطرود.

حسنه ونورانيته ﴿فإنك رجيم﴾ أي مطرود ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ فإن قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق.

قلت الفرق أن يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار.

فإن قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية وقوله إلى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين.

قلت معناه أن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنهاانقطعت عنه ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني النفخة الأولى ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول﴾ أي أنا أقول الحق وقيل الأول قسم يعني فبالحق وهو الله تعالى أقسم بنفسه ﴿لأملأن جهنم منك﴾ أي بنفسك وذريتك ﴿وممن تبعك منهم أجمعين﴾ يعني من بني آدم ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿من أجر﴾ أي جعل ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال «دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ لفظ البخاري ﴿إن هو﴾ يعني القرآن﴿إلا ذكر﴾أي موعظة﴿للعالمين﴾ أي للخلق أجمعين﴿ولتعلمن﴾يعني أنتم يا أهل مكة﴿نبأه﴾ أي خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ قال ابن عباس: بعد الموت، وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم بذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت. وقال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظَرين * إلى يوم الوقت المعلوم ﴾، وهو النفخة الأولى.

﴿ قال فبعزَّتك لأغوينَّهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين * قال فالحقُّ والحقَّ أقول ﴾، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب: ﴿ فالحق ﴾ برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره: الحق منّي، ونصب الثانية أي: وأنا أقول الحق، قاله مجاهد، وقرأ الآخرون بنصبهما، واختلفوا في وجههما، قيل: نصب الأول على الإغراء كأنه قال: الزم الحق، والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول الحق. وقيل: الأول قسم أي فبالحق وهو الله عزّ وجلّ فانتصب بنزع الخافض، وهو حرف الصفة، وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه. وقيل: الثاني تكرار القسم، أقسم الله بنفسه.

﴿ لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين * قلْ ما أسئلكم عليه ﴾، على تبليغ الرسالة، ﴿ من أجْر ﴾، جعل، ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾، المتقوّلين القرآن من تلقاء نفسي، وكلّ مَن قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلّفه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة ثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال: يا أيها الناس مَن علم شيئاً فليقل به، ومَن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، قال الله تعالى لنبيّه: ﴿ قل ما أسئلكم عليه من أجْر وما أنا من المتكلفين ﴾.

قوله: ﴿ إن هو ﴾، ما هو يعني القرآن، ﴿ إلاّ ذكرٌ ﴾، موعظة، ﴿ للعالمين ﴾، للخلق أجمعين.

﴿ ولتعلمنّ ﴾، أنتم يا كفّار مكّة، ﴿ نبأه ﴾، خبر صدقه، ﴿ بعد حين ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت. وقال عكرمة: يعني يوم القيامة. وقال الكلبي: مَن بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومَن ماتَ عَلِمَهُ بعدَ موته. قال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.



سورة الزمر

نزلت بمكة إلا قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ وقوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ وقيل ﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ عوضاً عن قوله ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ إلى قوله: ﴿لا تشعرون﴾ وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿تنزيل الكتاب﴾ أي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ أي لا من غيره ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ أي لم ننزله باطلاً لغير شيء ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي الطاعة ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أي شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل لا يستحق الدين الخالص إلا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي أمر به لأن رأس العبادات الإخلاص في التوحيد وإتباع الأوامر واجتناب النواهي ﴿والذين اتخذوا من دونه﴾ أي من دون الله ﴿أولياء﴾ يعني الأصنام ﴿ما نعبدهم﴾ أي قالوا ما نعبدهم ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ يعني قربة وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما

سُوْرَة الزُّمَر

مكيّة إلّا قوله: ﴿ قلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ [٥٣] الآية، فمدنيّة، وهي خمس وسبعون آية.

﴿ **تنزيل الكتاب** ﴾، أي هذا تنزيل الكتاب. وقيل: تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره، ﴿ **من الله العزيز الحكيم** ﴾، أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره.

﴿ **إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق** ﴾، قال مقاتل: لم ينزله باطلاً لغير شيءٍ، ﴿ **فاعبدِ اللّهَ مخلصاً له الدين** ﴾، الطاعة.

﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾، قال قتادة: شهادة أن لا إلَه إلّا الله. وقيل: لا يستحقّ الدين الخالص إلّا الله. وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله. ﴿ **والذين اتخذوا من دونه** ﴾، أي من دون الله، ﴿ **أولياء** ﴾، يعني

معنى عبادتكم الأصنام فقالوا ليقربونا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده ﴿إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ أي من أمر الدين ﴿إن الله لا يهدي﴾ أي لا يرشد لدينه ﴿من هو كاذب﴾ أي من قال إن الآلهة تشفع له ﴿كفار﴾ أي باتخاذه الآلهة دون الله تعالى ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى﴾ أي لاختار ﴿مما يخلق ما يشاء﴾ يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى: ﴿سبحانه﴾ أي تنزيهاً له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قلبه﴿وهو الواحد﴾ أي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد ﴿القهار﴾ أي الغالب الكامل القدرة.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يعني يغشى هذا هذا، وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد في الآخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكرّ أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ يعني إلى يوم القيامة ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ معناه أن خلق هذه الأشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزاً كامل القدرة مع أنه غفار عظيم الرحمة والفضل والإحسان ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ يعني حواء، ولما ذكر الله تعالى قدرته في خلق السموات والأرض وتكوير الليل على النهار ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ يعني الإبل والبقر

الأصنام، ﴿ ما نعبدهم ﴾، أي قالوا ما نعبدهم، ﴿ إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾، وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس، قال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم: مَنْ ربكم ومَنْ خلقكم ومَنْ خلق السمٰوات والأرض؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقرّبونا إلى الله زلفى، أي قُربى، وهو اسمٌ أُقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلاّ ليقرّبونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله، ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾، يوم القيامة، ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾، من أمر الدين، ﴿ إن الله لا يهدي مَن هو كاذبٌ كفّار ﴾، لا يرشد لدينه من كذب، فقال: إن الآلهة لتشفع وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذباً وكفراً.

﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى ﴾، لاختار، ﴿ مما يخلق ما يشاء ﴾، يعني الملائكة، كما قالوا: لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتّخذناه من لدنّا، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿ سبحانه ﴾، تنزيهاً له عن ذلك وعمّا لا يليق بطهارته، ﴿ هو الله الواحد القهّار ﴾.

﴿ خلق السمٰواتِ والأرضَ بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل ﴾، قال قتادة: يغشي هذا هذا، كما قال: ﴿ يُغْشي الليلَ النّهار ﴾ [الأعراف: ٥٤، الرعد: ٣]، وقيل: يدخل أحدهما على الآخر كما قال: ﴿ يُولج الليلَ في النهار ويُولج النهارَ في الليل ﴾ [فاطر: ١٣]. وقال الحسن والكلبي: يُنقِص من الليل فيزيد

والغنم والمعز والمراد بالأزواج الذكر والأنثى من هذه الأصناف، وفي تفسير الإنزال وجوه. قيل إنه هنا بمعنى الإحداث والإنشاء وقيل إن الحيوان لا يعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير أنزل الماء الذي تعيش به الأنعام وقيل إن أصول هذه الأصناف خلقت في الجنة ثم أنزلت إلى الأرض ﴿**يخلقكم في بطون أمهاتكم**﴾ لما ذكر الله تعالى أصل خلق الإنسان ثم أتبعه بذكر الأنعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان وهي كونها مخلوقة في بطون الأمهات وإنما قال في بطون أمهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الإنسان على سائر الخلق ﴿**خلقاً من بعد خلق**﴾ يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿**في ظلمات ثلاث**﴾ قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ﴿**ذلكم الله ربكم**﴾ أي الذي خلق هذه الأشياء ربكم ﴿**له الملك**﴾ أي لا لغيره ﴿**لا إله إلا هو**﴾ أي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم إلا الله تعالى: ﴿**فأنى تصرفون**﴾ أي عن طريق الحق بعد هذا البيان.

قوله عز وجل: ﴿**إن تكفروا فإن الله غني عنكم**﴾ يعني أنه تعالى ما كلف المكلفين ليجر إلى نفسه نفعاً أو ليدفع عن نفسه ضرراً وذلك لأنه تعالى غني عن الخلق على الإطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولأنه لو كان محتاجاً لكان ذلك نقصاناً والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا أنه غني عن جميع العالمين فلو كفروا وأصروا عليه فإن الله تعالى غني عنهم ثم قال الله تعالى: ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر**﴾ يعني أنه تعالى وإن كان لا ينفعه إيمان ولا يضره كفر إلا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾ فعلى هذا يكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى بقوله ﴿**عينا يشرب بها عباد الله**﴾ يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم، وقال لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده أن يكفروا به وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله تعالى وإن كان بإرادته لأن الرضا عبارة عن مدح الشيء

في النهار، ويُنقِص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللّف والجمع، ومنه: كوّر العمامة. ﴿ **وسخّر الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّىً ألاَ هو العزيزُ الغفّار** ﴾.

﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾، يعني آدم، ﴿ **ثم جعل منها زوجها** ﴾، يعني حوّاء، ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام** ﴾، معنى الإنزال ههنا: الإحداث والإنشاء، كقوله تعالى: ﴿ أنزلنا عليكم لباساً يُواري ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقيل: إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام. وقيل: ﴿ **وأنزل لكم من الأنعام** ﴾ جعلها لكم نزلاً، ورزقاً. ﴿ **ثمانية أزواج** ﴾، أصناف، مرّ تفسيرها في سورة الأنعام. ﴿ **يخلقكم في بطون أُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق** ﴾، نطفة ثم علقة ثم مضغة، كما قال الله تعالى: ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ [نوح: ١٤]، ﴿ **في ظلمات ثلاث** ﴾، قال ابن عباس: وظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، ﴿ **ذلكُم اللّهُ** ﴾، أي الذي خلق هذه الأشياء، ﴿ **ربّكم له المُلْك لا إلَه إلاّ هو فأنّى تُصْرَفُون** ﴾، عن طريق الحق بعد هذا البيان.

﴿ **إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾، قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥]، فيكون عامّاً في اللفظ خاصّاً في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله ﴾ [الإنسان: ٦]، يريد بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر أن

والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه إلا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الإرادة والرضا ﴿وإن تشكروا﴾ أي تؤمنوا بربكم وتطيعوه ﴿يرضه لكم﴾ فيثيبكم عليه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ تقدم بيانه ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي في الآخرة ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي في الدنيا ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعني بما في القلوب، قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾ أي بلاء وشدة ﴿دعا ربه منيباً﴾ أي راجعاً ﴿إليه﴾ مستغيثاً به ﴿ثم إذا خوله﴾ أي أعطاه ﴿نعمة منه نسي﴾ أي ترك ﴿ما كان يدعو إليه من قبل﴾ والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه ﴿وجعل لله أنداداً﴾ يعني الأصنام ﴿ليضل عن سبيله﴾ أي ليرد عن دين الله تعالى ﴿قل﴾ أي لهذا الكافر ﴿تمتع بكفرك قليلاً﴾ أي في الدنيا إلى انقضاء أجلك ﴿إنك من أصحاب النار﴾ قيل نزلت في عتبة بن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر ﴿أمن هو قانت﴾ قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت، وقيل مجازه الذي جعل لله أنداداً أخير أم من هو قانت. وقيل معنى الآية تمتع بكفرك إنك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة. قال ابن عباس: نزلت في أبي بكر وعمر. وعن ابن عمر: أنها نزلت في عثمان. وقيل: إنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل: الآية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة، وقال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام، وقيل: القانت القائم بما يجب عليه ﴿آناء الليل﴾ أي ساعات الليل أوله ووسطه وآخره ﴿ساجداً وقائماً﴾ أي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء

يكفروا به، ويُروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضيّ لله عزّ وجلّ، وإن كان بإرادته، ﴿ وإن تشكروا ﴾، تؤمنوا بربكم وتطيعوه، ﴿ يرضَهُ لكم ﴾، فيثيبكم عليه، قرأ أبو عمر (يرضهْ لكم) ساكنة الهاء، ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة، والباقون بالإشباع، ﴿ ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أخرى ثمّ إلى ربِّكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾.

﴿ وإذا مسّ الإنسانَ ضرٌّ دعا ربَّه مُنيباً إليه ﴾ راجعاً إليه مستغيثاً به، ﴿ ثم إذا خوّله نعمة منه ﴾، أعطاه نعمة منه، ﴿ نسي ﴾، ترك، ﴿ ما كان يدعو إليه من قبل ﴾، أي نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه، ﴿ وجعل لله أنداداً ﴾، يعني الأوثان، ﴿ ليضلّ عن سبيله ﴾، ليزلّ عن دين الله، ﴿ قل ﴾، لهذا الكافر، ﴿ تمتعّ بكفرك قليلاً ﴾، في الدنيا إلى أجلك، ﴿ إنك من أصحاب النار ﴾، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة. وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي. وقيل: عامّ في كل كافر.

﴿ أمَّنْ هو قانتٌ ﴾، قرأ ابن كثير ونافع وحمزة ﴿ أمَن ﴾ بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمَن شدّد فله وجهان، أحدهما: أن تكون الميم في ﴿ أم ﴾ صلة، فيكون معنى الكلام استفهاماً وجوابه محذوفاً، مجازه:

ولأن ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء، وإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلي وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلى له، وقيل لأن الليل وقت النوم ومظنّة الراحة فيكون قيامه أشقّ على النفس فيكون الثواب فيه أكثر ﴿يحذر﴾ أي يخاف ﴿الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهي أنه قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر إليه تعالى، وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب إلى الله تعالى ويعضد. هذا ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه «أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف نجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف أخرجه الترمذي ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون﴾ أي ما عند الله من الثواب والعقاب ﴿والذين لا يعلمون﴾ ذلك، وقيل: الذين يعلمون عمار وأصحابه. والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي، وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لأن العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فإذا حصل للإنسان دلَّ ذلك على كماله وفضله ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ قوله تعالى: ﴿قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ أي بطاعته واجتناب معاصيه ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ يعني للذين آمنوا وحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في هذه الدنيا ﴿وأرض الله واسعة﴾ قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حثّ على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن أبي طالب: وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا

أمَّن هو قانت كمَن هو غير قانت؟ كقوله: ﴿ أفمن شرحَ اللَّهُ صدْرَهُ للإسلام ﴾ [الزّمر: ٢٢]، يعني كمَن لم يشرح صدره. والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازه: الذي جعل لله أنداداً أخيرٌ أم هو قانت؟ ومَن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على معناه: أهذا كالذي جعل لله أنداداً. وقيل: الألف في ﴿ أمن ﴾ بمعنى حرف النداء، تقديره: يا مَن هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبني فلان ويا بني فلان، فيكون معنى الآية: قلْ تمتّعْ بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، ويا مَنْ هو قانتٌ ﴿ آناء الليل ﴾، إنك من أهل الجنة، قال ابن عباس، وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق. وقال الضحّاك: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان، وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمّار وسلمان، والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيام، وآناء الليل: ساعاته، ﴿ ساجداً وقائماً ﴾، يعني في الصلاة، ﴿ يحذر الآخرة ﴾، يخاف الآخرة، ﴿ ويرجوا رحمة ربّه ﴾، يعني كمَن لا يفعل شيئاً من ذلك، ﴿ قلْ هلْ يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾، قيل الذين يعلمون عمّار، والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي، ﴿ إنما يتذكّر أولوا الألباب ﴾.

﴿ قلْ يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربّكم ﴾، بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾، أي آمنوا وأحسنوا العمل، حسنة يعني الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية، ﴿ وأرض الله واسعة ﴾، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حثٌّ على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: نزلت في مُهاجِري الحبشة. وقال سعيد بن جبير: مَن أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها إلى غيرها. ﴿إنما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لما اشتدّ بهم البلاء، وصبروا وهاجروا. قال عليّ رضي الله عنه: كل مطيع يُكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلاّ الصابرين، فإنه يحثى لهم حثياً. ويُروى: «يؤتى بأهل

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرين فإنه يحثي لهم حثياً. وروي أنه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صباً بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

قوله عز وجل: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي مخلصاً له التوحيد أي لا أشرك به شيئاً ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ أي من هذه الأمة قيل أمره أولاً بالإخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانياً بعمل الجوارح لأن شرائع الله تعالى لا تستفاد إلا من الرسول ﷺ وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعاً فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بهذا الأمر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ ما حملك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته إذا كان خائفاً حذراً من المعاصي فغيره أولى بذلك ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ فإن قلت ما معنى التكرار في قوله ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ وفي قوله ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾. قلت هذا ليس بتكرار لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالإتيان بالعبادة والإخلاص، والثاني أنه إخبار بأنه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحداً غيره مخلصاً له دينه، لأن قوله ﴿أمرت أن أعبد الله﴾ لا يفيد الحصر وقوله: ﴿الله أعبد﴾ يفيد الحضر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحداً غيره ثم أتبعه بقوله ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ ليس أمراً بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله ﴿قل إن الخاسرين الذين سخروا أنفسهم وأهليهم﴾ يعني أزواجهم وخدمهم ﴿يوم القيامة﴾ قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً وأهلاً في الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والأهل ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ أي أطباق وسرادقات

البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصبّ عليهم الأجر صبّاً بغير حساب»، قال الله تعالى: ﴿ إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

﴿ قلْ إني أُمرتُ أن أعبدَ اللّهَ مخلصاً له الدين ﴾، مخلصاً له التوحيد لا أُشرك به شيئاً.

﴿ وأُمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾، من هذه الأمة.

﴿ قلْ إني أخاف إن عصيت ربّي﴾، وعبدت غيره، ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾، وهذا حين دُعِيَ إلى دين آبائه.

﴿ قل اللّهَ أعبدُ مخلصاً له ديني * فاعبدُوا ما شئتم من دونه ﴾، أمر توبيخ وتهديد، كقوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ [فصّلت: ٤٠]، ﴿قلْ إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾، أزواجهم وخدمهم، ﴿يوم القيامة ألا ذلك هو

﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أي فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب.

فإن قلت الظلة ما فوق الإنسان فكيف سمي ما تحته بالظلة، قلت فيه وجوه الأول أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر. الثاني أن الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته في النار لأنها دركات. الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الإيذاء والحرارة سميت باسمها لأجل المماثلة والمشابهة ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي المؤمنين لأنهم إذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى: ﴿يا عباد فاتقون﴾ أي فخافون. قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ يعني الأوثان ﴿أن يعبدوها وأنابوا إلى الله﴾ أي رجعوا إلى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره ﴿لهم البشرى﴾ أي في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر، وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول﴾ يعني القرآن ﴿فيتبعون أحسنه﴾ أي أحسن ما يؤمرون

الخسران المبين ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة وأهلاً، فمَن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومَن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممّن عمل بطاعة الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران الأهل بأن يفرّق بينه وبين أهله، وذلك هو الخسران المبين.

﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾، أطباق سرادقات من النار ودخانها، **﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾**، فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، سُمِّي الأسفل ظللاً لأنها ظلل لمَن تحتهم نظيرها قوله عزّ وجلّ: ﴿ لهم من جهنّم مهادٌ ومن فوقهم غَوَاشٌ ﴾ [الأعراف: ٤١]. **﴿ ذلك يخوّف الله به عباده يا عبادِ فاتّقون ﴾**.

﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾، الأوثان، **﴿ أن يعبدوها وأنابوا إلى الله ﴾**، رجعوا إلى عبادة الله، **﴿ لهم البشرى ﴾**، في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة، **﴿ فبشّر عبادِ * الذين يستمعون القول ﴾**، القرآن، **﴿ فيتبعون أحسنه ﴾**، قال السدي: أحسن ما يؤمرون به فيعملونه، وقيل: هو أن الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو، والعفو أحسن الأمرين. وقيل: ذكر العزائم. وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتّبعون القرآن. وقال عطاء عن ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا، فنزلت فيهم: **﴿ فبشّرْ عبادِ * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾**، وكله حسن. **﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾**، وقال ابن زيد: نزلت **﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾** الآيتان، في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلاّ الله، زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذرّ الغفاري وسلمان الفارسي. والأحسن: قولُ لا إله إلاّ الله.

به فيعملون به وهو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لأنه كله حسن وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم **﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾** وقيل نزلت هذه الأية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسي **﴿أولئك الذين هداهم الله﴾** أي إلى عبادته وتوحيده **﴿وأولئك هم أولو الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾** قال ابن عباس: سبق في علم الله تعالى أنه في النار وقيل كلمة العذاب قوله **﴿لأملأن جهنم﴾** وقيل قوله هؤلاء في النار ولا أبالي **﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾** أي لا تقدر عليه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أبا لهب وولده **﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾** أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل هي أرفع منها **﴿تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾** أي وعدهم آلله تلك الغرف والمنازل وعداً لا يخلفه (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» قوله الغابر أي الباقي في الأفق أي في ناحية المشرق أو المغرب.

قوله تعالى: **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾** أي أدخل ذلك الماء **﴿ينابيع في الأرض﴾** أي عيوناً وركايا ومسالك ومجاري في الأرض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الأرض فمن السماء نزل **﴿ثم يخرج به﴾** أي بالماء **﴿زرعاً مختلفاً ألوانه﴾** أي مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب **﴿ثم يهيج﴾** أي ييبس **﴿فتراه﴾** أي بعد خضرته ونضرته **﴿مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾** أي فتاتاً متكسراً **﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾** قوله عز وجل:

﴿ أفمن حقّ عليه كلمة العذاب ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن سبق في علم الله أنه من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب قوله: **﴿ لأملأنّ جهنّم ﴾** [السجدة: ١٣] وقيل: كلمة العذاب قوله: «هؤلاء في النار ولا أبالي». **﴿ أفأنت تنقذ مَن في النار ﴾**، أي لا تقدر عليه. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده.

﴿ لكن الذين اتقوا ربّهم لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنيّة ﴾، أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها، **﴿ تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾**، أي وعدهم الله تلك الغُرف والمنازل وعداً لا يخلفه، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثني عبد العزيز بن عبد الله حدّثني مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

قوله عزّ وجلّ: **﴿ ألم تَرَ أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ﴾**، أدخل ذلك الماء، **﴿ ينابيع ﴾**، عيوناً وركاياً، **﴿ في الأرض ﴾**، قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن السماء نزل، **﴿ ثم يخرج به ﴾**، بالماء **﴿ زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾**، أحمر وأصفر وأخضر، **﴿ ثم يهيج ﴾**، ييبس، **﴿ فتراه ﴾**، بعد خضرته ونضرته، **﴿ مصفرّاً ثم يجعله حطاماً ﴾**، فتاتاً متكسّراً، **﴿ إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾**.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أفمن شرح الله صدره﴾ أي وسعه **﴿للإسلام﴾** وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد **﴿فهو على نور من ربه﴾** أي على يقين وبيان وهداية.

روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال «تلا رسول الله ﷺ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامات ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت» **﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾** القسوة جمودة وصلابة تحصل في القلب.

فإن قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية؟

قلت إنهم كلما تلي ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الإيمان به وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة، وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عن سماعه ولا يزيد الكافرين إلا قسوة قال مالك بن ديار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة **﴿أولئك في ضلال مبين﴾** قيل: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وفي أبي بن خلف، وقيل: في علي وحمزة وفي أبي لهب وولده وقيل في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴾**، وسعه لقبول الحق، **﴿ فهو على نور من ربه ﴾**، كمَن أقسى الله قلبه، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شيبة ثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الموصلي ببغداد أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدّثني أبي عن أبيه ثنا زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرّة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: **﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه ﴾** قلنا: يا رسول الله كيف انشراح صدره؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهّب للموت قبل نزول الموت». قوله عزّ وجلّ: **﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾**، قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله عزّ وجلّ على قوم إلّا نزع منهم الرحمة.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ الله نزّل أحسنَ الحديثَ كتاباً متشابهاً ﴾**، يشبه بعضه بعضاً في الحُسْن، ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا اختلاف، **﴿ مثاني ﴾**، يُثنّى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام، **﴿ تقشعرّ ﴾**، تضطرب وتشمئز، **﴿ منه جلود الذين يخشون ربّهم ﴾**، والإقشعرار تغيّر في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، وقيل: المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربّهم، **﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾**، أي لذكر الله، أي إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرّت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: **﴿ ألَا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾** [الرعد: ٢٨]، وحقيقة المعنى إمّا أن

قوله عز وجل: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى، أما الأول فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه، وأما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن الحديث لأجل المعنى فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار ﴿كتاباً متشابهاً﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن ويصدق بعضه بعضاً ﴿مثاني﴾ أي يثني فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام ﴿تقشعر﴾ أي تضطرب وتشمئز ﴿منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغيير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف. وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي لذكر الله تعالى قيل إذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وإذا ذكرت آيات الرعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى أن جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء. روي عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها» وفي رواية «حرمه الله تعالى على النار» قال بعض العارفين: السيارون في بيداء جلال الله إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا وإذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا. وقال قتادة: هذا نعت أولياء الله الذي نعتهم الله به بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان، وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال «قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قال عبد الله: فقلت لها إن ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خرَّ أحدهم مغشياً عليه، قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وروي أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرَّ برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا إنه إذا قرىء عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ. وذكر عن ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرىء عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجليه ثم يقرأ عليه

قلوبهم تقشعرّ من الخوف وتلين عند الرجاء، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا محمد بن موسى بن محمد بن علي ثنا محمد بن عبدوس بن كامل ثنا يحيىٰ بن عبد الحميد الحمامي ثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهادي عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أُم كلثوم بنت عمر عن العباس بن عبد المطّلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تحاتّتْ عنه ذنوبُه كما يتحاتُّ عن الشجرة اليابسة ورقُها». أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا موسى بن إسحاق الأنصاري ثنا محمد بن معاوية ثنا الليث بن سعد ثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد بهذا الإسناد، وقال: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله حرّمه الله على النار» قال قتادة: هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعرّ جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا حمدان بن داود ثنا سلمة بن شيب ثنا خلف بن سلمة ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدّتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قُرىء القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عزّ وجلّ تدمع أعينهم وتقشعرّ جلودهم، قال فقلت لها: إنّ ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشياً عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وبه عن سلمة ثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ثنا سعيد بن

القرآن من أوله إلى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق: فإن قلت لما ذكرت الجلود وحدها أولاً في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانياً في الرجاء؛ قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في أول وهلة وإذا ذكر الله ومبني أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم وقيل إن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لأن الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب وإذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد وإذا حصل الرجاء اطمأن إليه القلب ولان الجلد **﴿ذلك﴾** أي القرآن الذي هو أحسن الحديث **﴿هدى الله يهدي به من يشاء﴾** أي هو الذي يشرح الله به صدره لقبول الهداية **﴿ومن يضلل الله﴾** أي يجعل قلبه قاسياً منافياً لقبول الهداية **﴿فما له من هاد﴾** أي يهديه. قوله عزَّ وجلَّ:

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ أي شدته **﴿يوم القيامة﴾** قيل يجر على وجه في النار وقيل يرمى به في النار منكوساً فأول شيء تمسه النار وجهه، وقيل هو الكافر يرمى به منكوساً في النار مغلولة يداه إلى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن العذاب **﴿وقيل للظالمين﴾** أي تقول لهم الخزنة **﴿ذوقوا ما﴾** أي وبال ما **﴿كنتم تكسبون﴾** أي في الدنيا من المعاصي **﴿كذب الذين من قبلهم﴾** أي من قبل كفار مكة كذبوا الرسل **﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾** يعني وهم غافلون آمنون من العذاب **﴿فأذاقهم الله الخزي﴾** أي العذاب والهوان **﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾** قوله عز وجل:

عبد الرحمن الجمحي أنا ابن عمر: مرّ رجل من أهل العراق ساقطاً فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قُرىء عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط، قال ابن عمر: إنّا لنخشى الله وما نسقط؟ وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ. وذكر عن ابن سيرين: الذين يصرعون إذا قرىء عليهم القرآن؟ فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجليه ثم يُقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق. **﴿ ذلك ﴾**، يعني أحسن الحديث، **﴿ هُدَى الله يهدي به مَن يشاء، ومَن يضلل فما له من هادٍ ﴾**.

﴿ أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب ﴾، أي شدّته، **﴿ يوم القيامة ﴾**، قال مجاهد: يُجَرّ على وجهه في النار. وقال عطاء: يُرمى به في النار منكوساً فأول شيء منه تمسّه النار وجهه. قال مقاتل: هو أن الكافر يُرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر، وهو معلّق في عنقه فحرّها ووهجها على وجه لا يطيق دفعها عن وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده. ومجاز الآية: أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب كمَن هو آمن من العذاب؟ **﴿ وقيل ﴾**، يعني تقول الخَزَنَة، **﴿ للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾**، أي وباله.

﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾، من قبل كفّار مكة كذّبوا الرّسل، **﴿ فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾**، يعني وهم آمنون غافلون من العذاب.

﴿ فأذاقهم الله الخزي ﴾، العذاب والهوان، **﴿ في الحياة الدنيا ولَعَذابُ الآخرة أكبرُ لو كانوا يعلمون ﴾**.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ أي يتعظون **﴿قرآناً عربياً﴾** أي فصيحاً أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته **﴿غير ذي عوج﴾** أي منزهاً عن التناقض، وقال ابن عباس: غير مختلف. وقيل: غير ذي لبس وقيل: غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين إن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق **﴿لعلهم يتقون﴾** أي الكفر والتكذيب.

فإن قلت ما الحكمة في تقديم التذكر في الآية الأولى على التقوى في هذه الآية.

قلت سبب تقديم التذكر أن الإنسان إذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء واختلط بمعناه واتقاه واحترز منه. قوله تعالى:

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ أي متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالإنصاف **﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾** أي خالصاً له فيه ولا منازع؛ والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلاً وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي أنه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فإذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير في أمره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فأي هذين العبدين أحسن حالاً وأحمد شأناً، وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتى

﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلّهم يتذكّرون ﴾، يتّعظون.

﴿ قرآناً عربياً ﴾، نصب على الحال، **﴿ غير ذي عِوج ﴾**، قال ابن عباس: غير مختلف. قال مجاهد: غير ذي لَبْس. قال السدي: غير مخلوق. ويُروَى ذلك عن مالك بن أنس، وحُكِيَ عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق. **﴿ لعلّهم يتّقون ﴾**، الكفر والتكذيب.

﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً ﴾، قال الكسائي نصب رجلاً لأنه تفسير للمثل، **﴿ فيه شركاء متشاكسون ﴾**، متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم، يقال رجل شكس شرس إذا كان سيء الخلق مخالفاً للناس لا يرضى بالإنصاف، **﴿ ورجلاً سَلَماً لرجل ﴾**، قرأ أهل مكة والبصرة (سالماً) بالألف أي خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون **﴿ سلماً ﴾** بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي مسلم لا منازع لك فيه. **﴿ هل يستويان مثلاً ﴾**، هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ للكافر الذي يعبد آلهة شتّى، والمؤمن الذي لا يعبد إلّا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان، ثم قال: **﴿ الحمد لله ﴾** أي لله الحمد كله دون غيري من المعبودين. **﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾**، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.

﴿ إنك ميت ﴾، أي ستموت، **﴿ وإنهم ميّتون ﴾**. أي ستموتون، قال الفرّاء والكسائي: الميت بالتشديد مَن لم يمت وسيموت، الميت بالتخفيف من فارقه الروح، ولذلك لم يخفّف هنا.

﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾، قال ابن عباس: يعني المُحِقّ والمُبطِل والظالم والمظلوم، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا ابن مالك ثنا ابن حنبل حدّثنا أبي ثنا ابن نمير ثنا

والمؤمن الذي يعبد الله وحده فكان حال المؤمن الذي يعبد إلهاً واحداً أحسن وأصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى: ﴿**هل يستويان مثلاً**﴾ وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان في الحال والصفة قال تعالى: ﴿**الحمد لله**﴾ أي لله **الحمد** كله وحده دون غيره من المعبودين، وقيل لما ثبت أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال: الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ أي المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له.

قوله تعالى: ﴿**إنك ميت**﴾ أي ستموت ﴿**وإنهم ميتون**﴾ أي سيموتون وذلك أنهم كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته فأخبر الله تعالى أن الموت يعمهم جميعاً فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى إلى نبيه نفسه وإليكم أنفسكم والمعنى أنك ميت وإنهم ميتون وإن كنتم أحياء فإنكم في عداد الموتى ﴿**ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾ قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله بن الزبير قال:

«لما نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾، قال الزبير: يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال: نعم، فقال: إن الأمر إذاً لشديد» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما: عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ﴿**ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾ قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم قال: لما نزلت هذه الآية ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن إخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه

محمد يعني ابن عمرو عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوّام قال: لمّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ قال الزبير: يا رسول الله أيكرّر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررنّ عليكم حتى يؤدّي إلى كل ذي حق حقه» قال الزبير: والله إن الأمر لشديد: وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكنّا نرى أن هذه الآية أُنزلت فينا وفي أهل الكتابين ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾، قلنا: كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا. وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: كنّا نقول ربّنا واحد وديننا واحد ونبيّنا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفّين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هو هذا. وعن إبراهيم قال: لمّا نزلت: ﴿**ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾ قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قال: أهذه خصومتنا؟ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَن كانت لأخيه عنده مظلمة من عرضٍ أو مال فليتحلّله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فحملت عليه». أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضيل الخرقي أنا أبو الحسن الطبري أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون مَن المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أُمتي مَن يأتي يوم

فحملت عليه» (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذت من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار». قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿**فمن أظلم ممن كذب على الله**﴾ فزعم أن له ولداً أو شريكاً ﴿**وكذب بالصدق إذ جاءه**﴾ أي بالقرآن وقيل بالرسالة إليه ﴿**أليس في جهنم مثوى**﴾ أي منزلة ومقام ﴿**للكافرين**﴾.

قوله تعالى: ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾ أي والذي صدق به، قال ابن عباس: الذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله وصدق به هو رسول الله ﷺ أيضاً بلغه إلى الخلق، وقيل: الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله ﷺ. وقيل: الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق به أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع. وقيل: الذي جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به ﴿**أولئك**

القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وقد كان شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته، قال: فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرِحتْ عليه ثم طرب في النار».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فمَن أظلم ممّن كذب على الله** ﴾، فزعم أن له ولداً وشريكاً، ﴿ **وكذب بالصدق** ﴾، بالقرآن، ﴿ **إذ جاءه أليس في جهنم مثوى** ﴾، منزل ومقام، ﴿ **للكافرين** ﴾، استفهام بمعنى التقرير.

﴿ **والذي جاء بالصدق وصدّق به** ﴾، قال ابن عباس: والذي جاء بالصدق يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إلّه إلّا الله وصدّق به الرسول أيضاً بلّغه إلى الخلق. وقال السدي: والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن، وصدّق به محمد ﷺ تلقّاه بالقبول. وقال الكلبي وأبو العالية: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، وصدّق به أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: والذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، وصدّق به هم المؤمنون، لقوله عزّ وجلّ: ﴿ **أولئك هم المتّقون** ﴾، وقال عطاء: والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدّق به الأتباع، وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين كقوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ [البقرة: ١٧]، ثم قال: ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ [البقرة: ١٧]. وقال الحسن: هم المؤمنون صدّقوا به في الدنيا وجاؤوا به في الآخرة. وفي قراءة عبد الله بن مسعود: والذين جاؤوا بالصدق وصدّقوا به. ﴿ **أولئك هم المتّقون** ﴾ .

﴿ **لهم ما يشاؤون عند ربّهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا** ﴾، يسترها عليهم

هم المتقون﴾ أي الذين اتقوا الشرك **﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾** أي من الجزاء والكرامة **﴿ذلك جزاء المحسنين﴾** أي في أقوالهم وأفعالهم **﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾** أي يستره عليهم بالمغفرة **﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾** أي يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها.

قوله عز وجل: **﴿أليس الله بكاف عبده﴾** يعني محمداً ﷺ وقرىء عباده يعني الأنبياء عليهم الصلاة السلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم **﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾** وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ مضرة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون **﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾**.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز﴾ أي منيع في ملكه **﴿ذي انتقام﴾** أي منتقم من أعدائه **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾** يعني أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم، وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فإن فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل عجائب السموات

بالمغفرة، **﴿ ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾**، قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوىء.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ أليس الله بكافٍ عبده ﴾**؟ يعني محمداً ﷺ، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي، «عبـاده» بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: **﴿ وهمّتْ كل أُمة برسولهم ليأخذوه ﴾** [غافر: ٥]، فكفاه الله شرّ مَن عاداهم، **﴿ ويخوّفونك بالذين من دونه ﴾**، وذلك أنهم خوّفوا النبي ﷺ معرّة معاداة الأوثان. وقالوا: لتكفنّ عن شتم آلهتنا أو ليصيبنّك منهم خبل أو جنون، **﴿ ومَن يضلل الله فما له من هادٍ ﴾**.

﴿ ومَن يهدِ اللَّهُ فما له من مضل أليسَ اللَّهُ بعزيزٍ ذي انتقام ﴾، منيع في مُلكه منتقم من أعدائه.

﴿ ولئن سألتم مَن خلق السمٰواتِ والأرضَ ليقولنّ اللَّهُ قلْ أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني اللَّهُ بضرٍّ ﴾، بشدّة وبلاء، **﴿ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة ﴾**، بنعمة وبركة، **﴿ هل هنّ ممسكات رحمته ﴾**، قرأ أهل البصرة **﴿ كاشفات ﴾** و**﴿ ممسكات ﴾** بالتنوين، من **﴿ ضرّه ﴾** **﴿ ورحمته ﴾** بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجرّ الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبيّ ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسوله ﷺ: **﴿ قلْ حسبي الله ﴾**، ثقتي به واعتمادي عليه، **﴿ عليه يتوكّل المتوكّلون ﴾**، يثق به الواثقون.

والأرض وما فيها من أنواع الموجودات علم بذلك أنها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى: **﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾** يعني الأصنام **﴿إن أرادني الله بضر﴾** أي بشدة وبلاء **﴿هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة﴾** أي بنعمة وخير وبركة **﴿هل هن ممسكات رحمته﴾** فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله ﷺ **﴿قل حسبي الله﴾** أي هو ثقتي وعليه اعتمادي **﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾** أي عليه يثق الواثقون **﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾** أي اجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع **﴿إني عامل﴾** أي بما أمرت به من إقامة الدين **﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾** أي أنا وأنتم **﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾** أي دائم وهو تهديد وتخويف **﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾** يعني القرآن **﴿للناس بالحق﴾** أي ليهتدي به كافة الخلق **﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾** أي ترجع فائدة هدايته إليه **﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾** أي يرجع وبال ضلالته عليه **﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾** أي لم توكل بهم ولا تؤاخذ عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال.

قوله تعالى: **﴿الله يتوفى الأنفس﴾** أي الأرواح **﴿حين موتها﴾** أي فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الأجساد **﴿والتي لم تمت في منامها﴾** والنفس التي يتوفاها عند النوم وهي التي يكون بها العقل والتميز، ولكل إنسان نفسان نفس هي التي تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الأخرى هي التي يكون بها التميز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس **﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾** أي فلا يردها إلى جسدها **﴿ويرسل الأخرى﴾** أي يرد النفس التي لم يقض عليها الموت إلى جسدها **﴿إلى أجل مسمى﴾** أي إلى أن يأتي وقت موتها، وقيل إن للإنسان نفساً وروحاً فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن أبي طالب: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عادت الروح إلى الجسد بأسرع من لحظة. وقيل: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى حين انقضاء مدة آجالها (ق). عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري

﴿ قلْ يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون * مَن يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم ﴾، أي ينزل عليه عذاب دائم.

﴿ إنّا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمَن اهتدى فلنفسه ومَن ضلّ فإنما يضلّ عليها ﴾، وبال ضلالته عليه، **﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾**، بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ الله يتوفّى الأنفس ﴾**، أي الأرواح، **﴿ حين موتها ﴾**، فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها، وقوله: **﴿ حين موتها ﴾** يريد موت أجسادها. **﴿ والتي لم تمت ﴾**، يريد يتوفّى الأنفس التي لم تمت، **﴿ في منامها ﴾**، والتي تتوفّى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتميز، ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. **﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت ﴾**، فلا يردّها إلى الجسد، قرأ حمزة والكسائي **﴿ قضى ﴾** بضمّ القاف وكسر الضاد وفتح الياء، **﴿ الموت ﴾** رفع على ما لم يُسَمّ فاعله، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، **﴿ الموت ﴾** نصب لقوله عزّ وجلّ: **﴿ الله يتوفّى الأنفس ﴾**. **﴿ ويرسل الأخرى ﴾**، ويردّ الأخرى وهي التي لم يقضِ عليها الموت إلى الجسد، **﴿ إلى أجل مسمى ﴾** إلى أن يأتي وقت موته، ويقال للإنسان نفس وروح، فعند النوم يُخرِج النفس ويُبقي الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى

ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

فإن قلت: كيف الجمع بين قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وبين قوله ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ وبين قوله تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾.

قلت: المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح بإذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ أي في البعث وذلك أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل إن في ذلك دليلاً على قدرتنا حيث لم نغلط في إمساك ما نمسك من الأرواح وإرسال ما نرسل منها. قوله تعالى:

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾

﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ يعني الأصنام ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أولو كانوا﴾ يعني الآلهة ﴿لا يملكون شيئاً﴾ أي من الشفاعة ﴿ولا يعقلون﴾ أي إنكم تعبدونهم وإن كانوا بهذه الصفة ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ أي لا يشفع أحد إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لأنه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي لا ملك لأحد فيهما سواه ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ أي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت

الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة. ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا عبد الله بن عمر حدّثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخله إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربّي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ﴾، لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها. قال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكّرون في أمر البعث، يعني إن توفّي نفس النائم وإرسالها بعد التوفّي دليل على البعث.

﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل ﴾، يا محمد، ﴿ أوَ لو كانوا ﴾، وإن كانوا يعني الآلهة، ﴿ لا يملكون شيئاً ﴾، من الشفاعة، ﴿ ولا يعقلون ﴾، أنكم تعبدونهم، وجواب هذا محذوف تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتّخذونهم.

﴿ قلْ لله الشفاعة جميعاً ﴾، قال مجاهد: لا يشفع أحد إلاّ بإذنه، ﴿ له مُلك السمٰوات والأرض ثم إليه ترجعون وإذا ذُكر اللّهُ وحده اشمأزّت ﴾، نفرت، وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن التوحيد. وقال

﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ قيل إذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح إلى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني الأصنام ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي يفرحون والاستبشار أن يمتلىء القلب سروراً حتى يظهر على الوجه فيتهلل. قوله عز وجل:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٤٦ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٤٨ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٩ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٥٠﴾

﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة﴾ وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم ﴿أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي من أمر الدنيا (م) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال «سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

قوله عز وجل: ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا

قتادة: استكبرت. وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار، ﴿ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾.

﴿ وإذا ذكر الذين من دونه ﴾، يعني الأصنام، ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾، يفرحون، قال مجاهد ومقاتل: وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة [النجم: ١] فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرانيق العُلى، ففرح به الكفّار.

﴿ قلِ اللّهمَّ فاطر السمٰواتِ والأرضَ عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم الإسفرايني أنا أبو عوانة ثنا السلمي ثنا النضر بن محمد ثنا عكرمة بن عمّار أنا يحيىٰ بن أبي كثير ثنا أبو سلمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها بِمَ كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل؟ قالت: كان يقول: «اللّهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السمٰوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولو أنّ للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾، قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. قال السدي: ظنوا أنها حسنات فَبَدَت لهم سيئات، والمعنى أنهم كانوا يتقرّبون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عُوقِبوا عليها بَدا لهم من الله ما لم يحتسبوا. ورُوِيَ أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يبدو لي ما لم أحتسب.

﴿ وبدَا لهم سيئات ما كسبوا ﴾، أي مساوىء أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله. ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾.

لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يعني ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة، وقيل ظنوا أن لهم حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا، وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ يعني مساوي أعمالهم من الشرك والظلم أولياء الله تعالى: ﴿وحاق﴾ يعني نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون فإذا مس الإنسان ضر﴾ يعني شدة ﴿دعانا ثم إذا خولناه﴾ يعني أعطيناه ﴿نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾ يعني من الله تعالى علم أني له أهل وقيل على خير علمه الله عنده ﴿بل هي فتنة﴾ يعني تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني أنها استدراج من الله تعالى: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ يعني قارون فإنه قال إنما أوتيته على علم عندي ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ يعني فما أغنى الكفر من العذاب شيئاً.

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى ﴿والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ أي بفائتين لأن مرجعهم إلى الله تعالى: ﴿أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي يوسع الرزق لمن يشاء ﴿ويقدر﴾ أي يقتر ويقبض على من يشاء ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي يصدقون.

﴿ فإذا مسّ الإنسانَ ضُرٌّ ﴾، شدّة، ﴿ دعانا ثم إذا خوّلناه ﴾، أعطيناه، ﴿ نعمة منّا قال إنما أُوتيته على علم ﴾، أي على علم من الله إني له أهل. وقال مقاتل: على خير علم الله عندي، وذكر الكناية لأن المراد من النّعمة الإنعام، ﴿ بل هي فتنة ﴾، يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبليّة. وقيل: بل الكلمة التي قالها فتنة. ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾، أنه استدراج وامتحان.

﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾، قال مقاتل: يعني قارون فإنه قال: ﴿ إنما أُوتيته على علم عندي ﴾ [القصص: ٧٨]، ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾، فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

﴿ فأصابهم سيئات ما كسبوا ﴾، أي جزاؤها يعني العذاب، ثم أوعد كفّار مكة فقال: ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ﴾، بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عزّ وجلّ.

﴿ أوَ لم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق لمَن يشاء ﴾ أي يوسع الرزق لمَن يشاء، ﴿ ويقدر ﴾ أي يقتّر على مَن يشاء، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ قلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعونا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفّارة، فنزلت هذه الآية. وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن مَن قتل أو

قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية «أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا الحرمات فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل شركهم إيماناً وزناهم إحصاناً ونزلت ﴿قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾» أخرجه النسائي. وعن ابن عباس أيضاً قال «بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله تعالى ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾، فقال: وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ فقال وحشي نعم هذا فجاء فأسلم» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا جميعاً وهاجروا. وعن ابن عمر أيضاً قال كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾، فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن

أشرك أو زنى يلقَ آثاماً يضاعف له العذاب، وأنا قد فعلت ذلك كله، فأنزل: ﴿ إلاّ مَن تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ [مريم: ٦٠] فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلّي لا أقدر عليه فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمَن يشاء ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦]، فقال وحشي: أراني بعد في شُبهة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ قلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾، فقال وحشي: نعم هذا، فجاء وأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصّة أم للمسلمين عامّة؟ فقال: بل للمسلمين عامّة. ورُوِيَ عن ابن عمر قال: نزلت هذه الآية في عباس بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فُتِنوا وعُذّبوا، فافتتنوا فكنّا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عُذّبوا فيه، فأنزل الله هذه الآيات، فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عيّاش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا. وروى مقاتل بن حيّان عن نافع عن ابن عمر قال: كنّا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول: ليس بشيء من حسناتنا إلاّ وهي مقبولة حتى نزلت: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد: ٣٣]، فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يُبطِل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش، قال: فكنّا إذا رأينا مَن أصاب شيئاً منها قلنا قد هلك، فنزلت هذه الآية، فكففنا عن القول في ذلك، وكنّا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا، وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر. ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاصٌّ يقصّ وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال: يا مذكّر لِمَ تقنِّطِ الناسَ؟ ثم قرأ: ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي أنا أبو إسحق إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا حيّان بن هلال وسليمان بن حرب وحجّاج بن منهال قالوا ثنا حمّاد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد

القول في ذلك وكنا إذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئاً من ذلك خفنا عليه وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له وقوله **﴿أسرفوا على أنفسهم﴾** أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش **﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾** أي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾** فإن قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي وإطلاقاً في الإقدام عليها وذلك لا يمكن.

قلت المراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب، فإن اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾** أي إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى فإن شاء غفر له وعفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقاً ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم.

(فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية)

روى ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل المسجد فإذا قاصّ يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾** عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾** ولا يبالي أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب (ق). عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى راهباً فسأله فقال هل لي من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فضرب صدره

قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**﴿ يا عبادي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ ولا يبالي**». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمدبن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشّار ثنا ابن أبي عديّ عن شُعبة عن قتادة عن أبي الصدّيق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعاً وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله، فقال: هل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به المائة، فقال له رجل: إئتِ قريةَ كذا وكذا، فأدركه الموت فَنَأَى بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوُجِدَ إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»، ورواه مسلم بن الحجّاج عن محمد بن المثنى العنبري عن معاذ بن هشام عن أبيه قتادة بهذا الإسناد، وقال: «فدلّ على راهب فأتاه فقال إنّه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله وكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومَن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أُناساً يعبدون الله فاعبدِ اللَّهَ معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأتاهم ملك من صورة آدمي فجعلوه بينهم حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيّتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة». أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل لم يعلم خيراً قطّ لأهله إذا مات فحرقوه ثم

تخوفاً فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينها فوجد أقرب إلى هذه بشبر فغفر له» لفظ البخاري ولمسلم قال «فدل على راهب فأتاه فقال له إن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وإلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض الذي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيراً قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه إذا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك» وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «كان في بني إسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له أقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت عليّ رقيباً فقال والله لا يغفر لك الله أو قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادراً وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة «تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته» أخرجه أبو داود عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله عز وجل يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» أخرجه الترمذي،

دروا نصفه في البرّ ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذّبنّه عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين، قال: فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البرّ فجمع ما فيه، ثم قال له: لِمَ فعلتَ هذا؟ قال: من خشيتك يا ربِّ وأنت أعلم، فغفر له». أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة عن عمّار ثنا ضمضم بن حوشب قال: دخلت المدينة فناداني شيخ، فقال: يا يماني تعالى وما أعرفه، فقال: لا تقولنّ لرجل والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يُدخِلك الله الجنّة، قلت: ومَن أنت يرحمك الله؟ قال: أبو هريرة، قال: فقلت: إن هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنباً، فجعل يقول له: أقصر عمّا أنت فيه، قال فيقول خلّني وربّي، قال: حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلّني وربّي أبعثتَ عليّ رقيباً؟ فقال: واللّهِ لا يغفر اللّهُ لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة أبداً، قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظّر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يا ربِّ، فقال: اذهبوا به إلى النار». قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم ﴾. أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفّال أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب ثنا محمد بن يعقوب الأصم

قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الأرض بضم القاف هو ما يقارب ملأها. قوله عز وجل:

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾

﴿**وأنيبوا إلى ربكم**﴾ أي ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة ﴿**وأسلموا له**﴾ أي أخلصوا له التوحيد ﴿**من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون**﴾ أي لا تمنعون منه ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ يعني القرآن لأنه كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن إلزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فإنه أنزل في القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الأدون لئلا يرغب فيه وذكر الأحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الأحسن إتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ ﴿**من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون**﴾ يعني غافلين عنه.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾

﴿**أن تقول نفس**﴾ أي لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا إلى حال أن تقول نفس ﴿**يا حسرتى**﴾ أي يا ندمي ويا حزني والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات ﴿**على ما فرطت في جنب الله**﴾ أي على ما قصرت في طاعة الله، وقيل في أمر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما

ثنا أبو قلابة ثنا أبو عاصم ثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **إلاّ اللّمم** ﴾ [النجم: ٣٢] قال رسول الله ﷺ:

«إن تغفرِ اللّهمَّ تغفرْ جمّا وأيُّ عبدٍ لك لا ألمّا»

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم** ﴾، أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة، ﴿ **وأسلموا له** ﴾، وأخلصوا له التوحيد، ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾.

﴿ **واتّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم** ﴾، يعني القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الأدون لئلا يرغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره. قال السدي: الأحسن ما أمر الله به في الكتاب، ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾.

﴿ **أن تقول نفس** ﴾، يعني لئلا تقول نفس، كقوله: ﴿ **وألقى في الأرض رواسيَ أن تميد بكم** ﴾ [لقمان: ١٠] يعني لئلا تميد بكم، قال المبرّد: أي بادرُوا واحذرُوا أن تقول نفس. وقال الزجّاج: خوْف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول، ﴿ **يا حسرتىٰ** ﴾ يا ندامتا، والتحسّر الاغتمام على ما فات، وأراد يا حسرتي على الإضافة، لكن العرب تحوّل ياء الكناية ألفاً في الاستغاثة، فتقول: يا ويلتي ويا ندامتا، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدلّ على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي، وقيل: معنى قوله يا حسرتا يا أيّتها الحسرة هذا وقتك، ﴿ **على ما فرّطتُ في جنب الله** ﴾، قال الحسن: قصرت في طاعة الله. وقال مجاهد: في أمر الله. وقال سعيد بن

قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله تعالى: ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها ﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ أي أرشدني إلى دينه وطاعته ﴿لكنت من المتقين﴾ أي الشرك ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ أي عياناً ﴿لو أن لي كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ أي الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بأن الأعذار زائلة والتعليل باطل وهو قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ يعني القرآن ﴿فكذبت بها﴾ أي قلت ليست من الله ﴿واستكبرت﴾ أي تكبرت عن الإيمان بها ﴿وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ أي زعموا أن له ولداً وشريكاً وقيل هم الذين يقولون الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ﴿وجوههم مسودة﴾ قيل هو سواد مخالف لسائر أنواع السواد ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ أي عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾ أي الشرك ﴿بمفازتهم﴾ أي الطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة وقرىء بمفازاتهم أن ينجيهم بفوزهم بالأعمال الحسنة من النار ﴿لا يمسهم السوء﴾ أي لا يصيبهم المكروه ﴿ولا هم

جبير: في حق الله. وقيل: ضيّعت في ذات الله. وقيل: معناه قصرت في الجانب الذي يردّني إلى رضاء الله. والعرب تسمّي الجنب جانباً. ﴿ وإن كنت لمن الساخرين ﴾، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين، قال قتادة: لم يكفه أن ضيّع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته.

﴿ أوْ تقولَ لو أنّ الله هداني لكنتُ من المتّقين * أو تقول حين ترى العذاب ﴾، عياناً، ﴿ لو أن لي كرّة ﴾، رجعة إلى الدنيا، ﴿ فأكون من المحسنين ﴾. الموحدين.

يقال لهذا القائل: ﴿ بل قد جاءتك آياتي ﴾، يعني القرآن، ﴿ فكذبتَ بها ﴾، وقلت إنها ليست من الله، ﴿ واستكبرت ﴾، تكبّرت عن الإيمان بها، ﴿ وكنت من الكافرين ﴾.

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كَذَبُوا على الله ﴾، فزعموا أن له ولداً وشريكاً، ﴿ وجوههم مسودّة أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين ﴾، عن الإيمان.

﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «بمفازاتهم» بالألف على الجمع، أي بالطرق التي تؤدّيهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون ﴿ بمفازتهم ﴾ على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز، أي يُنجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة. قال المبرّد: المفازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعادات. ﴿ لا يمسّهم السوء ﴾، لا يصيبهم المكروه، ﴿ ولا هم يحزنون ﴾.

يحزنون الله خالق كل شيء﴾ أي مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي إن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أي مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل إقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز:

لم يؤذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقها بإقليد

والمعنى أن الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الله الذي يملك مقاليدها، وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الأرض النبات ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ أي جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ قوله عز وجل: ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه فوصفهم بالجهل لأن الدليل القاطع قد قام بأنه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ أي الذي عملته قبل الشرك، وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد به غيره لأن الله عز وجل عصم نبيه ﷺ من الشرك وفيه تهديد لغيره ﴿ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ أي لإنعامه عليك. قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ قال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال

﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾، أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها.

﴿ له مقاليد السمٰوات والأرض ﴾، أي مفاتيح خزائن السمٰوات والأرض، واحدها مقلاد، مثل مفتاح، ومقليد مثل منديل ومناديل. وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السمٰوات والأرض بالرزق والرحمة. وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات. ﴿ والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾؟ قال مقاتل: وذلك أن كفّار قريش دعوه إلى دين آبائه. قرأ أهل الشام (تأمرونَنِـي) بنـونين خفيفتين على الأصل، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشدّدة على الإدغام.

﴿ ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ﴾، أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ، والمراد منه غيره. وقيل: هذا أدب من الله عزّ وجلّ لنبيّه وتهديـد لغيره، لأن الله تعالى عصمه من الشّرك. ﴿ ولتكوننّ من الخاسرين ﴾.

﴿ بل الله فاعبدْ وكن من الشاكرين ﴾، لإنعامه عليك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما قدروا الله حقّ قدره ﴾، ما عظّموه حقّ عظمته حين أشركوا به، أخبر عن عظمته فقال: ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن

على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ وفي رواية «والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً له ثم قرأ ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ الآية (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وفي رواية يقول: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وفي رواية يقول: أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ» لفظ مسلم وللبخاري «أن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك» (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لأن الشمال محمل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة إنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه.

قوله عز وجل: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض**﴾ أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الأولى ﴿**إلا من شاء الله**﴾ تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن إلا من يشاء الله يعني الله وحده ﴿ثم

إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حَبْر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد إنّا نجد أن الله يجعل السمٰوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ: ﴿ **وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾». ورواه مسلم بن الحجّاج عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور، وقال: «والجبال والشجر على إصبع، وقال يهزّهنّ هزّاً، فيقول: (أنا الملك أنا الله)». أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي اللّهُ السمٰواتِ يوم القيامة ثم يأخذهنّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبّارون أين المتكبّرون، ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهنّ بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبّرون»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشمهيني ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمد أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن مبارك عن يونس عن الزهري حدّثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ونفخ في الصور فصعق مَنْ في السمٰوات ومَنْ في الأرض** ﴾، أي ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى، ﴿ **إلاّ مَن شاء الله** ﴾، اختلفوا في الذين استثناهم عزّ وجلّ، وقد ذكرناهم في سورة النمل [٨٧]، قال الحسن: إلاّ مَن شاء الله يعني الله وحْده، ﴿ **ثم نفخ فيه** ﴾، أي في الصّور، ﴿ **أخرى** ﴾، أي مرة أخرى، ﴿ **فإذا هم قيام ينظرون** ﴾، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله

نفخ فيه﴾ أي في الصور **﴿أخرى﴾** مرة أخرى وهي النفخة الثانية **﴿فإذا هم قيام﴾** أي من قبورهم **﴿ينظرون﴾** أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوماً، قال أبو هريرة: أبيت، قالوا: أربعون شهراً، قال أبو هريرة: أبيت، قالوا: أربعون سنة قال: أبيت، ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» قوله تعالى:

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالأرض عرصات القيامة **﴿ووضع الكتاب﴾** أي كتاب الأعمال وقيل اللوح المحفوظ لأن فيه أعمال جميع الخلق من المبدأ إلى المنتهى **﴿وجيء بالنبيين﴾** يعني ليكونوا شهداء على أممهم **﴿والشهداء﴾** قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ وقيل يعني الحفظة **﴿وقضي بينهم بالحق﴾** أي بالعدل **﴿وهم لا يظلمون﴾** أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم **﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾** أي ثواب ما عملت **﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾** يعني أنه سبحانه وتعالى عالم بأفعالهم لا يحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد ثنا ابن معاوية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلّا يبلى إلّا عظم واحد، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

قوله عزّ وجلّ: **﴿ وأشرقتِ الأرضُ ﴾**، أضاءت، **﴿ بنور ربِّها ﴾** بنور خالقها، وذلك حين يتجلّى الربّ لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارّون في نوره كما لا يتضارّون في الشمس في اليوم الصحو. وقال الحسن والسدي: بعدلِ ربِّها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، **﴿ ووضع الكتاب ﴾**، أي كتاب الأعمال، **﴿ وجيء بالنبيّين والشهداء ﴾**، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرّسل بتبليغ الرسالة، وهم أُمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحَفَظَة يدلّ عليه قوله تعالى: **﴿ وجاءتْ كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد ﴾** [قٓ: ٢١]، **﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾**، أي بالعدل، **﴿ وهم لا يظلمون ﴾**، أي لا يُزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

﴿ ووُفِّيت كل نفس ما عملت ﴾، أي ثواب ما عملت، **﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾**، قال عطاء: يريد أنّي عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم ﴾ سوقاً عنيفاً، **﴿ زُمراً ﴾**، أفواجاً بعضها على إثر بعض، كلّ أُمة على

قوله تعالى: ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم**﴾ يعني سوقاً عنيفاً ﴿**زمراً**﴾ أفواجاً بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة ﴿**حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها**﴾ يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة ﴿**وقال لهم خزنتها**﴾ يعني توبيخاً وتقريعاً ﴿**ألم يأتكم رسل منكم**﴾ أي من أنفسكم ومن جنسكم ﴿**يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب**﴾ أي وجبت ﴿**على الكافرين**﴾ وهي قوله ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ ﴿**قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين**﴾ قوله عز وجل: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً**﴾ فإن قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما.

قلت المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم يذهبون إليها راكبين أو المراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين ﴿**حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها**﴾ فإن قلت قال في أهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق.

قلت فيه وجوه أحدها إنها زائدة الثاني إنها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم إليها وحذف الواو في الآية الأولى لبيان أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم إليها ووجه الحكمة في ذلك أن أهل الجنة إذا جاؤوها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك وأهل النار إذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم. الثالث زيدت الواو هنا لبيان أن أبواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لأن أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول سبعة وثمانية.

فإن قلت حتى إذا جاؤوها شرط فأين جوابه؟

قلت فيه وجوه أحدها أنه محذوف والمقصود من الحذف أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره الثاني أن الجواب هو قوله ﴿**وقال لهم خزنتها سلام عليكم**﴾ بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها

حِدَة. قال أبو عبيدة والأخفش: زُمراً أي جماعات في تفرقة، واحدتها زُمرة. ﴿ **حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها** ﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة (فتحت، وفتحت) بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿ **وقال لهم خزنتها** ﴾، توبيخاً وتقريعاً لهم، ﴿ **ألمْ يأتكم رسلٌ منكم** ﴾، من أنفسكم، ﴿ **يتلون عليكم آيات ربكم ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكنْ حقّتْ** ﴾، وجبت، ﴿**كلمةُ العذاب على الكافرين**﴾، وهو قوله: ﴿ **لأملأنّ** جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿ **قيل ادخلوا أبوابَ جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين * وسِيقَ الذين اتّقوا ربّهم إلى الجنة زُمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها** ﴾، قال الكوفيون: هذه الواو زائدة حتى تكون جواباً لقوله: ﴿ **حتى إذا جاءوها** ﴾ كما في سوق الكفّار، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء ﴾ [الأنبياء: ٤٨] أي ضياء، والواو زائدة، وقيل: الواو واو الحال، مجازه: وقد فتحت أبوابها، فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها في الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فإذا لم تجعل الواو زائدة في قوله: ﴿ **وفتحت أبوابها** ﴾، اختلفوا في جواب قوله: ﴿ **حتى إذا** ﴾، قيل: جوابه قوله: ﴿ **جاءوها** ﴾، وقال لهم خزنتها، والواو فيه ملغاة تقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها قال لهم خَزَنَتها، وقال الزجّاج: القول عندي أن الجواب محذوف، تقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها. ﴿ **وقال لهم خَزَنَتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾، دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم، يريد أن خزنة الجنة يسلّمون عليهم ويقولون طبتم. قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار

فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم﴾ أي أبشروا بالسلامة من كل الآفات ﴿طبتم﴾ قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه ﴿سلام عليكم طبتم﴾ ﴿فادخلوها خالدين﴾ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

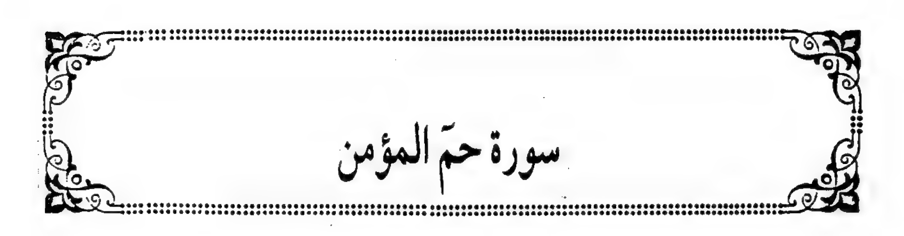
﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي بالجنة ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى: ﴿نتبوأ﴾ أي ننزل ﴿من الجنة﴾ أي في الجنة ﴿حيث نشاء﴾ فإن قلت فما معنى قوله ﴿حيث نشاء﴾ وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره.

قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسناً وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيره وقيل إن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث شاؤوا ثم تنزل الأمم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي محدقين محيطين بحافته وجوانبه ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف يزول في ذلك اليوم ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ بين أهل الجنة وأهل النار بالعدل ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أي يقول أهل الجنة شكراً حين تمَّ وعد الله لهم، وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد في قوله ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ وختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

فيقتصّ بعضهم من بعض حتى إذا هُذِّبوا وطيِّبوا أُدخلوا الجنة، فقال لهم رضوان وأصحابه: ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾. ورُوِيَ عن عليّ عليه السلام قال: سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره، ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه، وتلقّته الملائكة على أبواب الجنة يقولون: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ﴾، أي أرض الجنة. وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرضَ يرثها عباديَ الصالحون ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. ﴿ نتبوّأ ﴾، ننزل، ﴿ من الجنة حيث نشاء ﴾، قال الله تعالى: ﴿ فنِعمَ أجرُ العاملين ﴾، ثواب المطيعين.

﴿ وترى الملائكة حافّين من حول العرش ﴾، أي محدقين محيطين بالعرش، المحيطين بحوافيه أي بجوانبه، ﴿ يسبّحون بحمد ربهم ﴾، قيل: هذا تسبيح تلذّذ لا تسبيح تعبّد لأن التكليف متروك في ذلك اليوم، ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾، أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، ﴿ وقيل الحمد لله ربّ العالمين ﴾، يقول أهل الجنة: شكراً حين تمّ وعدُ الله لهم.



سورة حمٓ المؤمن

وتسمى سورة غافر وهي مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى: ﴿**الذين يجادلون في آيات الله**﴾ والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال «إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن» وعن ابن عباس قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنق فيهن، وقال سعد بن إبراهيم إن آل حم تسمى العرائس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**حمٓ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**حمٓ**﴾ اسم الله الأعظم وعنه قال الرٓ وحمٓ ونٓ حروف اسمه الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان، والميم افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان، وقيل معناه حم بضم الحاء أي قضى ما هو كائن ﴿**تنزيل الكتاب من الله العزيز**﴾ أي

سُوْرَة غافر

مكيّة وهي خمس وثمانون آية.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريّاني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمرّ بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجّب منه إذ هبط على روضات دمثال، فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثال مثل آل حَمٓ القرآن. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو محمد الرومي ثنا أبو العباس السرّاج أنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن الجرّاح حدّثه عن ابن عباس قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم. وقال ابن مسعود: إذا وقعت في آل حَمٓ وقعت في روضات أتأنّق فيهنّ. وقال سعد بن إبراهيم: كنّ آل الحواميم يسمّين العرائس.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ حَمٓ ﴾، قد سبق الكلام في حروف التهجّي. قال السدي عن ابن عباس: حَمٓ اسم الله

الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له ﴿العليم﴾ أي بكل المعلومات ﴿غافر الذنب﴾ يعني ساتر الذنب ﴿وقابل التوب﴾ يعني التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله ﴿شديد العقاب﴾ لمن لا يقول لا إله إلا الله ﴿ذي الطول﴾ يعني السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه ﴿لا إله إلا هو﴾ يعني هو الموقوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره ﴿إليه المصير﴾ أي مصير العباد إليه في الآخرة قوله تعالى: ﴿ما يجادل﴾ يعني ما يخاصم ويحاجج في آيات الله يعني في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار إلا الذين كفروا قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن.

مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ وقوله ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال «إن جدالاً في القرآن كفر» أخرجه أبو داود وقال المراد في القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال «سمع رسول الله ﷺ قوماً يتمارون فقال إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وإنما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه» (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: هاجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً

الأعظم. وروى عكرمة عنه قال: الٓرٓ وحمٓ ونون، حروف الرحمن مقطّعة. وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني: الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حيّ حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منّان. وقال الضحّاك والكسائي: معناه قضى ما هو كائن كأنه أشار إلى أن معناه حُمّ بضمّ الحاء وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حِمٓ بكسر الحاء، والباقون بفتحها.

﴿ **تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب** ﴾، ساتر الذنب، ﴿ **وقابل التوب** ﴾، يعني التوبة مصدر تاب يتوب توباً. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم. قال ابن عباس: غافر الذنب لمَن قال لا إلَه إلاّ الله، وقابل التوب ممّن قال لا إلَه إلاّ الله محمد رسول الله. ﴿ **شديد العقاب** ﴾، لمَن لا يقول لا إلَه إلاّ الله، ﴿ **ذي الطول** ﴾، ذي الغنى عمّن لا يقول لا إلَه إلاّ الله. قال مجاهد: ذي الطول ذي السّعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. قال قتادة: ذو النعم. وقيل: ذو القدرة وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿ **لا إلَه إلاّ هو إليه المصير** ﴾.

﴿ **ما يجادل في آيات الله** ﴾، في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار، ﴿ **إلاّ الذين كفروا** ﴾، قال أبو العالية: آيتان ما أشدّهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿ **ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا** ﴾، و﴿ إن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾[البقرة: ١٧٦]، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن أحمد ثنا محمد بن خالد أنا داود بن سليمان أنا عبد الله بن حميد ثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ دجّالاً في القرآن كفر» أخبرنا

فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب» ﴿فلا يغررك تقلبهم﴾ يعني تصرفهم ﴿في البلاد﴾ للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فإن عاقبة أمرهم العذاب ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ يعني الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه ﴿وجادلوا﴾ يعني خاصموا ﴿بالباطل ليدحضوا﴾ يعني ليبطلوا ﴿به الحق﴾ الذي جاءت به الرسل ﴿فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ يعني أنزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بإنزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي إياهم أليس كان مهلكاً مستأصلاً ﴿وكذلك حقت﴾ أي وجبت ﴿كلمة ربك﴾ يعني كما وجبت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت ﴿على الذين كفروا﴾ يعني من قومك ﴿إنهم﴾ يعني بأنهم ﴿أصحاب النار﴾ قوله عز وجل: ﴿الذين يحملون العرش﴾ قيل حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أردفهم الله تعالى بأربعة أخر كما قال الله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الأوعال وجاء في الحديث إن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء وقال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام، ويروي أن أقدامهم في تخوم الأرضين والأرضون والسموات إلى حجزهم تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل

أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتمارون في القرآن، فقال: «إنما ملك مَن كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه». قوله تعالى: ﴿ فلا يغررْك تقلبهم في البلاد ﴾، تصرّفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله عزّ وجلّ: ﴿ لا يغرّنّك تقلّب الذين كفروا في البلاد ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

﴿ كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم ﴾، وهم الكفّار الذين تحزّبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح، ﴿ وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه. وقيل: ليأسروه. والعرب تسمّي الأسير أخيذاً، ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا ﴾، ليبطلوا، ﴿ به الحق ﴾، الذي جاء به الرّسل ومجادلتهم مثل قولهم: ﴿ إن أنتم إلّا بشرٌ مثلنا ﴾ [إبراهيم: ١٠]، و﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ [الفرقان: ٢١]، ونحو ذلك، ﴿ فأخذتهم فكيف كان عقاب ﴾.

﴿ وكذلك حقّت كلمة ربك ﴾، يعني كما حقّت كلمة العذاب على الأمم المكذّبة حقّت، ﴿ على الذين كفروا ﴾، من قومك، ﴿ أنهم أصحاب النار ﴾، قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله ﴾، حَمَلَة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قال ابن عباس: حَمَلَة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة مائة عام، ويُروَى أن أقدامهم في تخوم الأرض والأرضون والسمٰوات إلى حجزتهم، وهم يقولون سبحان ذي العزّة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحيّ الذي لا يموت، سُبّوحٌ قُدّوسٌ ربُّ الملائكة والروح. وقال ميسرة بن عبد

إن أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من التي تليها والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها.

وروى جابر عن النبي ﷺ قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» أخرجه أبو داود وأما صفة العرش فقيل إنه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقاً وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال: إن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل إن العرش قبلة لأهل السماء كما أن الكعبة قبلة لأهل الأرض قوله: ﴿**ومن حوله**﴾ يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة، قال وهب بن منبه: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فإذا استقبل بعضهم بعضاً هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الأكبر والخلق كلهم إليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نار وسبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور وسبعين حجاباً من در أبيض وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر وسبعين حجاباً من ثلج وسبعين حجاباً من ماء وسبعين حجاباً من برد وما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿**يسبحون بحمد ربهم**﴾ أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف بأنه هو

ربه: أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم تحت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشدّ خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشدّ خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشدّ خوفاً من التي تليها. وقال مجاهد: بين الملائكة والعرش سبعون حجاباً من نور. وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذِن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حَمَلَة العرش ما بين شحمة أُذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام». وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه أنه قال: إن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يُكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة. وقال مجاهد: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب من نور، وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة. وقال وهب بن منبّه: إن حول العرش سبعون ألف صفّ من الملائكة، صفّ خلف صفّ يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فإذا استقبل بعضهم بعضاً هلّل هؤلاء وكبّر هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم، فقالوا: سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلّك أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر الخلق كلهم لك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صفّ من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلّا وهو يسبّح بتحميد لا يسبّحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام، وما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه أربعمائة عام، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نار، وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من دُرٍّ أبيض، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين

المنعم على الإطلاق ﴿ويؤمنون به﴾ أي يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له.

فإن قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على قوله ﴿ويؤمنون به﴾ ولا يكون التسبيح إلا بعد الإيمان فما فائدة قوله ويؤمنون به.

قلت فائدته التنبيه على شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه. ولما كان الله عز وجل محتجباً عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالإيمان به. قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فلما صدر هذا منهم أولاً تداركوه بالاستغفار لهم ثانياً وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في أحد بشيء يكرهه أن يستغفر له ﴿ربنا﴾ أي ويقولون ربنا ﴿وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أي دينك ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾

حجاباً من ياقوت أصفر، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من ثلج، وسبعين حجاباً من ماء، وسبعين حجاباً من برد، وما لا يعلمه إلّا الله تعالى. قال: ولكل واحد من حَمَلَة العرش ومَن حوله أربعة وجوه، وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه إذا حرّكه، ليس لهم كلام إلّا التسبيح والتحميد. قوله عزّ وجلّ: ﴿ يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ﴾ يصدقون بأنه واحد لا شريك له، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الريّاني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عمر بن عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا هارون بن رباب ثنا شهر بن حوشب قال: حَمَلَة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللّهمَّ وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللّهمَّ وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم. قوله عزّ وجلّ: ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ربنا ﴾، يعني يقولون ربنا، ﴿ وسعتَ كل شيء رحمةً وعلماً ﴾، قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿ فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك ﴾، دينك. ﴿ وقِهِم عذابَ الجحيم ﴾، قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغشّ الخلق للمؤمنين هم الشياطين.

﴿ ربّنا وأدخلهم جنّاتِ عدن التي وعدتهم ومَنْ صَلَحَ ﴾، آمن، ﴿ من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم إنك أنت

قيل إذا دخل المؤمن الجنة قال: أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي، فيقال: إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فإذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذته ﴿**وقهم السيئات**﴾ أي عقوبات السيئات بأن تصونهم من الأعمال الفاسدة التي توجب العقاب ﴿**ومن تق السيئات يومئذ**﴾ يعني من تقه في الدنيا ﴿**فقد رحمته**﴾ يعني في القيامة ﴿**وذلك هو الفوز العظيم**﴾ يعني النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول إلى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا ينادون**﴾ يعني يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم ﴿**لمقت الله**﴾ يعني إياكم في الدنيا ﴿**أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون**﴾ أي اليوم عند حلول العذاب بكم.

قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا للبعث في الآخرة وذلك أنهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الأولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فأما الحياة الأولى التي هي من الدنيا فلم يعدوها لأنها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الأولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها ﴿**فاعترفنا بذنوبنا**﴾ يعني إنكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم ﴿**فهل إلى خروج**﴾ يعني من النار ﴿**من سبيل**﴾ والمعنى فهلاّ إلى رجوع إلى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب

العزيز الحكيم ﴾، قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين أُمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم.

﴿ **وقِهِم السيئات** ﴾، العقوبات، ﴿ **ومَن تقِ السيئات** ﴾، أي ومَن تقه السيئات يعني العقوبات، وقيل: جزاء السيئات، ﴿ **يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنّ الذين كفروا يُنادَوْنَ** ﴾، يوم القيامة وهم في النار وقد مَقَتُوا أنفسَهم حين عُرِضت عليهم سيئاتهم، وعاينوا العذاب، فيقال لهم: ﴿ **لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذْ تُدعون إلى الإيمان فتكفرون** ﴾، يعني لمقت الله إيّاكم في الدنيا إذْ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم.

﴿ **قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان، وهذا كقوله تعالى: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال السدي: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا في قبورهم للسؤال، ثم أُميتوا في قبورهم ثم أُحيوا في الآخرة. ﴿ **فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل** ﴾، أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره: ﴿ هل إلى مَرَدٍّ من سبيل ﴾ [الشورى: ٤٤].

عليه اليأس والقنوط من الخروج وإنما قالوا ذلك تعللاً وتحيراً والمعنى فلا خروج ولا سبيل إليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ معناه فأجيبوا أن لا سبيل إلى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعى الله وحده كفرتم يعني إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ذلك ﴿وإن يشرك به﴾ أي غيره ﴿تؤمنوا﴾ أي تصدقوا ذلك الشرك ﴿فالحكم لله العلي﴾ أي الذي لا أعلى منه ﴿الكبير﴾ أي الذي لا أكبر منه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ أي عجائب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق ﴿وما يتذكر﴾ أي يتعظ بهذه الآيات ﴿إلا من ينيب﴾ أي يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي الطاعة والعبادة ﴿ولو كره الكافرون﴾.

قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾ أي رافع درجات الأنبياء والأولياء والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع أي إنه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء إليه ﴿ذو العرش﴾ أي خالقه ومالكه، والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم الأجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة أقوى ﴿يلقي الروح﴾ يعني ينزل الوحي سماه روحاً لأن به تحيا الأرواح كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿من أمره﴾ قال ابن عباس: من قضائه وقيل بأمره وقيل من قوله

قال الله تعالى: ﴿ ذلكم بأنه إذا دُعِيَ اللَّهُ وحده كفرتم ﴾، وفيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازه: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دُعِيَ الله وحده كفرتم، أي إذا قيل لا إله إلاّ الله أنكرتم، وقلتم: ﴿ أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً ﴾ [صٓ: ٥]، ﴿ وإن يُشرَكْ به ﴾، غيره، ﴿ تؤمنوا ﴾، تصدقوا ذلك الشرك، ﴿ فالحكم لله العليّ الكبير ﴾. الذي لا أعلى منه ولا أكبر.

﴿ هو الذي يُريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً ﴾، يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿ وما يتذكّر ﴾، وما يتّعظ بهذه الآيات، ﴿ إلاّ مَن ينيب ﴾، يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره.

﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾، الطاعة والعبادة. ﴿ ولو كره الكافرون ﴾.

﴿ رفيع الدرجات ﴾، رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة، ﴿ ذو العرش ﴾، خالقه ومالكه، ﴿ يُلقي الروح ﴾، ينزل الوحي، سمّاه روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا به الأبدان بالأرواح، ﴿ من أمره ﴾، قال ابن عباس: من قضائه. وقيل: من قوله. وقال مقاتل: بأمره. ﴿ على مَن يشاء من عباده لينذر ﴾، أي لينذر النبي بالوحي، ﴿ يوم التلاق ﴾، وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض. قال قتادة ومقاتل: يلتقي فيه الخلق والخالق. قال ابن زيد: يتلاقى العباد. وقال ميمون بن مهران: يلتقي

﴿على من يشاء من عباده﴾ يعني الأنبياء ﴿لينذر يوم التلاق﴾ يعني لينذر النبي ﷺ بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم ﴿يوم هم بارزون﴾ أي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ أي من أعمالهم وأحوالهم، فإن قلت إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص ذلك اليوم، قلت كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالم وهم في ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا ﴿لمن الملك اليوم﴾ أي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول ﴿لله الواحد القهار﴾ أي الذي قهر الخلق بالموت وقيل إذا حضر الأولون والآخرون في يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق في يوم القيامة ﴿لله الواحد القهار﴾ فالمؤمنون يقولونه تلذذاً حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ يعني يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لا ظلم اليوم﴾ أي إن الخلق آمنون في ذلك اليوم من الظلم لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد ﴿إن الله سريع الحساب﴾ أي إنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد.

قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر فلا هي تعود إلى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا ﴿كاظمين﴾ أي مكروبين ممتلئين خوفاً وحزناً حتى يضيق القلب عنه ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أي من قريب ينفعهم ﴿ولا شفيع﴾ أي يشفع لهم ﴿يطاع﴾ أي فيهم ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل وقيل هو نظر الأعين لما نهى الله عنه ﴿وما تخفي الصدور﴾ أي يعلم مضمرات القلوب.

الظالم والمظلوم والخصوم. وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه المرء مع عمله.

﴿ يوم هم بارزون ﴾، خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء، ﴿ لا يخفى على الله منهم ﴾، من أعمالهم وأحوالهم، ﴿ شيء ﴾، ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق، ﴿ لمَن المُلْك اليوم ﴾، فلا أحد يُجيبه فيُجيب بنفسه فيقول، ﴿ لله الواحد القهّار ﴾، الذي قهر الخلق بالموت.

﴿ اليوم تُجزى كل نفس بما كسبت﴾، يُجزى المحسن بإحسانه والمُسيء بإساءته، ﴿ لا ظلم اليوم إن الله سريع الحســاب ﴾.

﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾، يعني يوم القيامة سمعت بذلك لأنها قريبة إذْ كل ما هو آتٍ قريب، نظيره قوله عزّ وجلّ: ﴿ أزفت الآزفة ﴾ [النجم: ٥٧]، أي قربت القيامة، ﴿ إذِ القلوبُ لدى الحناجر ﴾، وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا. ﴿ كاظمين ﴾، مكروبين ممتلئين خوفاً وحزناً، والكظم تردّد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿ ما للظالمين من حميم ﴾، قريب ينفعهم، ﴿ ولا شفيع يُطاع ﴾، فيشفع فيهم.

﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾، أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما يحلّ. قال مجاهد: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. ﴿ وما تُخفي الصدور ﴾.

وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوٓا أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾

﴿والله يقضي بالحق﴾ أي يحكم بالعدل ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني الأصنام ﴿لا يقضون بشيء﴾ لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء ﴿إن الله هو السميع﴾ أي لأقوال الخلق ﴿البصير﴾ بأفعالهم ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض﴾ أي المعنى أن العاقل من اعتبر بغيره فإن الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ أي يدفع عنهم العذاب ﴿ذلك﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل بهم ﴿بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾ قوله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ قيل هذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الوالدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل ﴿واستحيوا نساءهم﴾ أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته ﴿وما كيد الكافرين﴾ أي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿إلا في ضلال﴾ أي يذهب

﴿ والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه ﴾، يعني الأوثان، ﴿ لا يقضون بشيء ﴾، لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء، قرأ نافع وابن عامر: «تـدعون»، بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء. ﴿ إنّ الله هو السميع البصير ﴾.

﴿ أوَ لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوة ﴾، قرأ ابن عامر منكم بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، ﴿ وآثاراً في الأرض ﴾، فلم ينفعهم ذلك. ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ ﴾، يدفع عنهم العذاب.

﴿ ذلك ﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل بهم، ﴿ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله إنه قويٌّ شديد العقاب * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب * فلمّا جاءهم بالحق من عندنا قالوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿ اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴾، قال قتادة: هذا غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم، فمعناه أعيدوا عليهم القتل، ﴿ واستحيـوا نساءهم ﴾، ليصدّوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهـرته، ﴿ ومـا كيد الكافرين ﴾، وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم، ﴿ إلاّ في ضلال ﴾، أي يذهب كيدهم باطلاً، ويحيق بهم ما يريده الله عزّ وجلّ.

كيدهم باطلاً ويحيق بهم ما يريده الله تعالى ﴿وقال فرعون﴾ أي لملئه ﴿ذروني أقتل موسى﴾ وإنما قال فرعون هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وإنما منعوه عن قتله لأنه كان فيهم من يعتقد بقلبه أنه كان صادقاً، وقيل قالوا لا تقتله فإنه هو ساحر ضعيف فلا يقدر أن يغلب سحرنا وإن قتلته قالت العامة كان محقاً صادقاً وعجزوا عن جوابه فقتلوه ﴿وليدع ربه﴾ أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ يعني يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه ﴿أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ يعني بذاك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

﴿وقال موسى﴾ يعني لما توعده فرعون بالقتل ﴿إني عذت بربي وربكم﴾ يعني أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يأت في دفع الشدة إلا بأن استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية ﴿من كل متكبر﴾ أي متعظم عن الإيمان ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ قوله عز وجل: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بني إسرائيل، فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء وقال إسحاق كان اسمه جبريل وقيل حبيب ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول﴾ أي لأن يقول ﴿ربي الله﴾ وهذا استفهام إنكار وهو إشارة إلى التوحيد وقوله ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ فيه إشارة إلى تقرير نبوته بإظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه ﴿وإن يك

﴿ وقال فرعون ﴾، لملئه، ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصّة قوم فرعون مَن يمنعه من قتله خوفاً من الهلاك، ﴿ وليدع ربّه ﴾، أي وليدع موسى ربّه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منّا، ﴿ إني أخاف أن يبدل ﴾، أن يغيّر، ﴿ دينكم ﴾، الذي أنتم عليه، ﴿ أو أن يُظهر في الأرض الفساد ﴾، قرأ يعقوب وأهل الكوفة ﴿ أو أن يظهر ﴾، وقرأ الآخرون (وأن يظهر)، وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء على التعدية، ﴿ الفساد ﴾ نصب لقوله: ﴿ أن يبدل دينكم ﴾، حتى يكون الفعلان على نسق واحد، وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم، ﴿ الفساد ﴾، رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره.

﴿ وقال موسى ﴾، لمّا توعده فرعون بالقتل، ﴿ إنّي عُذْتُ بربّي وربّكم من كل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾، واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي: كان قبطياً ابن عمّ فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ [القصص: ٢٠]، وقال قوم: كان إسرائيلياً، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء. وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبريل. وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيباً. ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾، لأن يقول ربّي الله، ﴿ وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم ﴾، أي بما يدلّ على صدقه، ﴿ وإن يكُ كاذباً فعليه كذبه ﴾، لا يضرّكم ذلك، ﴿ وإن يكُ صادقاً ﴾، فكذّبتموه وهو صادق،

كاذباً فعليه كذبه﴾ أي لا يضركم ذلك إنما يعود وبال كذبه عليه **﴿وإن يك صادقاً﴾** أي فكذبتموه **﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾** قيل معناه يصبكم الذي يعدكم إن قتلتموه وهو صادق، وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قاله على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل **﴿إن الله لا يهدي﴾** يعني إلى دينه **﴿من هو مسرف كذاب﴾** أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال «سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ فقال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال **﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾**.

قوله عز وجل: **﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾** يعني غالبين في الأرض أي أرض مصر **﴿فمن ينصرنا﴾** يعني يمنعنا **﴿من بأس الله إن جاءنا﴾** والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله تعالى إن حل بكم **﴿قال فرعون ما أريكم﴾** أي من الرأي والنصيحة **﴿إلا ما أرى﴾** يعني لنفسي **﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾** أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى أن مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذ الكلام وخوفه أن يحل به ما حل بالأمم قبله بقوله:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٣ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا

﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾، قال أبو عُبيد: المراد بالبعض الكل، أي إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما وعدكم من العذاب. قال الليث: بعض ههنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم. وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال أقلّ ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليوجب الكل، **﴿ إن الله لا يهدي ﴾**، إلى دينه، **﴿ مَن هو مسرف ﴾**، مشرك، **﴿ كذاب ﴾**، على الله، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم حدّثني الأوزاعي حدّثني يحيىٰ بن أبي كثير حدّثني محمد بن إبراهيم التيمي حدّثني عُروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدّ ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلّي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: **﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول رَبّيَ الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم ﴾**.

﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾، غالبين في أرض مصر، **﴿ فمَن ينصرنا من بأس الله ﴾**، مَن يمنعنا من عذاب الله، **﴿ إنْ جاءنا ﴾**، والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله بالتكذيب، وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حلّ بكم، **﴿ قال فرعون ما أُريكم ﴾**، من الرأي والنصيحة، **﴿ إلاّ ما أرى ﴾**، لنفسي. وقال الضحاك: ما أعلمكم إلاّ ما أعلم، **﴿ وما أهديكم إلاّ سبيل الرشاد ﴾**، ما أدعوكم إلاّ إلى طريق الهدى.

﴿جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤﴾

﴿وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ يعني مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب **﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾** يعني لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم **﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾** يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضاً فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وفلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من ند البعير إذا نفر وهرب وذلك أنهم إذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً عليه فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه **﴿يوم تولون مدبرين﴾** يعني منصرفين عن موقف الحساب إلى النار **﴿ما لكم من الله من عاصم﴾** يعني يعصمكم من عذابه **﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾** يعني يهديه **﴿ولقد جاءكم يوسف﴾** يعني يوسف بن يعقوب **﴿من قبل﴾** يعني من قبل موسى **﴿بالبينات﴾** يعني قوله «أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار» قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبياً وقيل إن فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر **﴿فما زلتم في شك مما جاءكم به﴾** قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى أنهم بقوا شاكين في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها **﴿حتى إذا هلك﴾** يعني مات **﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾** يعني أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم

﴿ وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴾، أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب. **﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾**، أي لا يهلكهم قبل إيجاب الحجّة عليهم.

﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾، يوم القيامة يُدعى كل أُناس بإمامهم ويُنادي بعضهم بعضاً، فينادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار، وأصحابُ النار أصحابَ الجنة، وينادى أصحاب الأعراف، ويُنادي بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، وقرأ ابن عباس والضحاك: يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندّوا في الأرض كما تندّ الإبل إذا شردت عن أربابها. وقال الضحّاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندّوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلّا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿ والملك على أرجائها ﴾ [الحاقّة: ١٧]، وقوله: ﴿ يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا ﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿ ويوم تولّون مدبرين ﴾، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد: فارّين غير معجزين، **﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾**، يعصمكم من عذابه، **﴿ ومَن يضلل الله فما له من هادٍ * ولقد جاءكم يوسف من قبل ﴾**، يعني يوسف بن يعقوب من قبل، أي من قبل موسى، **﴿ بالبيّنات ﴾**، يعني قوله أرباب متفرّقون خير أم الله الواحد

أساساً في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولاً تصديقاً لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضمون إلى التكذيب لرسالته ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف﴾ يعني في شركه وعصيانه ﴿مرتاب﴾ يعني في دينه.

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾

﴿**الذين يجادلون في آيات الله**﴾ قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في إبطال آيات الله بالتكذيب ﴿**بغير سلطان**﴾ أي بغير حجة وبرهان ﴿**أتاهم**﴾ من الله ﴿**كبر**﴾ أي ذلك الجدال ﴿**مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**﴾ قوله عز وجل: ﴿**وقال فرعون**﴾ يعني لوزيره ﴿**يا هامان ابن لي صرحاً**﴾ يعني بناء ظاهراً لا يخفى على الناظرين وإن بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص ﴿**لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات**﴾ يعني طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء ﴿**فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه**﴾ يعني موسى ﴿**كاذباً**﴾ أي فيما يدعي ويقول إن له رباً غيري ﴿**وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما صده الله تعالى عن سبيل الهدى وقرىء وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل ﴿**وما كيد فرعون إلا في تباب**﴾ أي وما كيده في إبطال آيات موسى إلا في خسار وهلاك.

القهّار، ﴿ **فما زلتم في شكٍّ مما جاءكم به** ﴾، قال ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ **حتى إذا هلك** ﴾، مات، ﴿ **قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً** ﴾، أي أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدّد عليكم الحجة، ﴿ **كذلك يضلّ الله مَن هو مسرف** ﴾، مشرك، ﴿ **مرتاب** ﴾، شاك.

﴿ **الذين يجادلون في آيات الله** ﴾، قال الزجّاج: هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في آيات الله أي في إبطالها بالتكذيب، ﴿ **بغير سلطان** ﴾، حجّة، ﴿ **أتاهم** ﴾، من الله، ﴿ **كبر مقتاً** ﴾، أي كبر ذلك الجدال مقتاً، ﴿ **عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار** ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر ﴿ **قلب** ﴾ بالتنوين، وقرأ الآخرون بالإضافة، دليله قراءة عبد الله بن مسعود (على كل قلب كل متكبّر جبّار).

﴿ **وقال فرعون** ﴾، لوزيره، ﴿ **ياهامان ابنِ لي صرحاً** ﴾، والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بَعُد، وأصله من التصريح وهو الإظهار، ﴿ **لعلّي أبلغ الأسباب * أسباب السموات** ﴾، يعني طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء، ﴿ **فأطلع إلى إله موسى** ﴾، قراءة العامّة برفع العين نسقاً على قوله: ﴿ **أبلغ الأسباب** ﴾، وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الأعرج، على جواب لعلّ بالفاء، ﴿ **وإنّي لأظنه** ﴾، يعني موسى، ﴿ **كاذباً** ﴾، فيما يقولون إن له ربّاً غيري، ﴿ **وكذلك زُيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل** ﴾، قرأ أهل الكوفة

قوله تعالى: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي طريق الهدى ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أي متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ يعني التي لا تزول والمعنى أن الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وأن الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني، قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً والآخرة خزفاً باقياً لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالداً فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ يعني لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صباً بغير تقتير.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾ معناه أنا أدعوكم إلى الإيمان الذي يوجب النجاة من النار وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال ﴿تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم﴾ أي لا أعلم أن الذي تدعونني إليه إله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكاً للإله الحق؛ ولما بين أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الإيمان بقوله ﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز﴾ أي في انتقامه ممن كفر ﴿الغفار﴾ أي

ويعقوب «وصُدّ» بضم الصاد نسقاً على قوله: ﴿ زُيّن لفرعون ﴾ قال ابن عباس: صدّه الله عن سبيل الهدى. وقرأ الآخرون بالفتح أي صَدّ فرعونُ الناس عن السبيل. ﴿ وما كيد فرعون إلاّ في تباب ﴾، يعني وما كيده في إبطال آيات الله وآيات موسى إلاّ في خسار وهلاك.

﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتّبعونِ أهدكم سبيل الرشاد ﴾، طريق الهدى.

﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع، ﴿ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾، التي لا تزول.

﴿ مَن عمل سيئة فلا يُجزى إلاّ مثلها ومَن عمل صالحاً من ذَكرٍ أو أُنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾، قال مقاتل: لا تَبِعَة عليهم فيما يُعطَون في الجنة من الخير.

﴿ ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة ﴾، يعني ما لكم كما تقول العرب: ما لي أراك حزيناً؟ أي ما لك يقول أخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله، ﴿ وتدعونني إلى النار ﴾، إلى الشرك الذي يوجِب النار، ثم فسّر فقال:

﴿ تدعونني لأكفر بالله وأُشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار ﴾، العزيز في انتقامه ممّن كفر، الغفّار لذنوب أهل التوحيد.

لذنوب أهل التوحيد ﴿**لا جرم**﴾ يعني حقاً ﴿**أنما تدعونني إليه**﴾ يعني الصنم ﴿**ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة**﴾ يعني ليست له استجابة دعوة لأحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها ﴿**وأن مردنا إلى الله**﴾ يعني مرجعنا إلى الله فيجازى كلاً بما يستحقه ﴿**وأن المفسرين**﴾ يعني المشركين ﴿**هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم**﴾ أي إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ﴿**وأفوض أمري إلى الله**﴾ أي أرد أمري إلى الله وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم ﴿**إن الله بصير بالعباد**﴾ يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى: ﴿**فوقاه الله سيئات ما مكروا**﴾ يعني ما أرادوا به من الشر قيل إنه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطياً ﴿**وحاق**﴾ يعني نزل ﴿**بآل فرعون سوء العذاب**﴾ يعني الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً**﴾ يعني صباحاً ومساء قال ابن مسعود «أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة» وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشياً ما دامت الدنيا.

ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنة وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة» ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة

﴿ **لا جَرَمَ** ﴾، حقّاً، ﴿ **أنّ ما تدعونني إليه** ﴾، أي إلى الوثن، ﴿ **ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة** ﴾، قال السدي: لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، يعني ليست له استجابة دعوة. وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا لأن الأوثان لا تدّعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرّأ من عابديها. ﴿ **وأنّ مردّنا إلى الله** ﴾، مرجعنا إلى الله فيجازي كلاً بما يستحق، ﴿ **وأن المسرفين** ﴾، المشركين، ﴿ **هم أصحاب النار** ﴾.

﴿ **فستذكرون ما أقول لكم** ﴾، إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر، ﴿ **وأُفوّض أمري إلى الله** ﴾، وذلك أنهم توعّدوه لمخالفته دينهم، ﴿ **إن الله بصير بالعباد** ﴾، يعلم المُحِقّ من المُبطِل ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه.

وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا** ﴾، ما أرادوا به من الشرّ، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطياً، ﴿ **وحاق** ﴾، نزل، ﴿ **بآل فرعون سوء العذاب** ﴾، الغرق في الدنيا والنار في الآخرة.

وذلك قوله: ﴿ **النار** ﴾، هي رفع على البدل من السوء، ﴿ **يُعرضون عليها غُدوّاً وعشياً** ﴾، صباحاً ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة. وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرةً وعشيّاً ما دامت الدنيا. أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعدُه بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيُقالُ له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة». ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿ **ويوم تقوم الساعة أدْخِلُوا** ﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: ﴿ **الساعة** ﴾، ﴿ **أدخلوا** ﴾ بحذف الألف والوصل وبضمّها في الابتداء وضمّ الخاء من الدخول، أي يقال لهم ادخلوا يا ﴿ **آل فرعون أشدّ العذاب** ﴾، وقرأ الآخرون ادخلوا

فقال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ أي يقال لهم أدخلوا يا آل فرعون ﴿أشد العذاب﴾ قال ابن عباس ألوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ يتحاجون﴾ أي واذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار ﴿في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً﴾ أي في الدنيا ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا﴾ يعني الرؤساء والقادة ﴿إنا كل فيها﴾ يعني نحن وأنتم ﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ أي قضى علينا وعليكم ﴿وقال الذين في النار﴾ يعني حين اشتد عليهم العذاب ﴿لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا﴾ يعني الخزنة ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل ﴿قالوا بلى﴾ أي اعترفوا بذلك ﴿قالوا فادعوا﴾ يعني أنتم إنا لا نّدعوا لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم.

قوله عز وجل: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ قال ابن عباس بالغلبة والقهر، وقيل بالحجة

بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال، أي يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب. قال ابن عباس: يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذّبون به منذ أُغرقوا.

﴿ وإذ يتحاجّون في النار ﴾، أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار، ﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً ﴾، في الدنيا، ﴿ فهل مُغنون عنّا نصيباً من النار ﴾، والتبع يكون واحداً وجمعاً في قول أهل البصرة، واحدة تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع.

﴿ قال الذين استكبروا إنّا كلٌّ فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقال الذين في النار ﴾، حين اشتدّ عليهم العذاب، ﴿ لخزَنَة جهنم ادعوا ربَّكم يخفّفْ عنّا يوماً من العذاب ﴾.

﴿ قالوا ﴾، يعني خَزَنَة جهنم لهم، ﴿ أوَ لم تكُ تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾، أنتم إذاً ربكم، أي إنّا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفّف عنهم العذاب. قال الله تعالى: ﴿ وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال ﴾، أي يبطل ويضلّ ولا ينفعهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾، قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة وفي الآخرة بالعذاب. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكلّ ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على مَن خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على مَن ناوأهم وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لمّا قتل قتل به سبعون ألفاً، فهم منصورون

وقيل بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعين ألفاً ﴿**ويوم يقوم الأشهاد**﴾ يعني وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿**يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم**﴾ أي إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم ﴿**ولهم اللعنة**﴾ أي البعد من الرحمة ﴿**ولهم سوء الدار**﴾ يعني جهنم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿**ولقد آتينا موسى الهدى**﴾ يعني النبوة وقيل التوراة ﴿**وأورثنا بني إسرائيل الكتاب**﴾ يعني التوارة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم ﴿**هدى وذكرى لأولي الألباب**﴾ قوله تعالى: ﴿**فاصبر**﴾ أي يا محمد على أذاهم ﴿**إن وعد الله حق**﴾ أي في إظهار دينك وإهلاك أعدائك قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر ﴿**واستغفر لذنبك**﴾ يعني الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل يعني على ترك الأولى والأفضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الأنبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه ﷺ ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لأن مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي، والاشتغال بما ينبغي والأول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى: ﴿**وسبح بحمد ربك**﴾ أي نزه ربك عما لا

بأحد هذه الوجوه، ﴿ **ويوم يقوم الأشهاد** ﴾، يعني يوم القيامة يقوم الحَفَظَة من الملائكة يشهدون للرّسل بالتبليغ وعلى الكفّار بالتكذيب.

﴿ **يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم** ﴾، إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم، وإن تابوا لم ينفعهم، ﴿ **ولهم اللعنة** ﴾، البُعد من الرحمة، ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾، يعني جهنم.

﴿ **ولقد آتينا موسى الهدى** ﴾، قال مقاتل: الهدى من الضلالة، يعني التوراة، ﴿ **وأورثنا بني إسرائيل الكتاب** ﴾، التوراة.

﴿ **هدىً وذكرى لأُولي الألباب** ﴾.

﴿ **فاصبر** ﴾، يا محمد على أذاهم، ﴿ **إن وعد الله** ﴾، في إظهار وإهلاك أعدائك، ﴿ **حق** ﴾، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر، ﴿ **واستغفر لذنبك** ﴾، هذا تعبّد من الله ليزيده به درجة وليصير سُنّة لمَن بعده، ﴿ **وسبّح بحمد ربك** ﴾، صلّي شاكراً لربك، ﴿ **بالعشي والإبكار** ﴾، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إنْ في صدورهم** ﴾، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب، فكنّي به عن القلب لقُرب الجوار، ﴿ **إلّا كبر** ﴾، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلّا ما في

يليق بجلاله وقيل صل شاكراً لربك ﴿**بالعشي والإبكار**﴾ يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ﴿**إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم**﴾ يعني كفار قريش ﴿**إن في صدورهم**﴾ يعني ما في قلوبهم ﴿**إلا كبر**﴾ قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ﴿**ما هم ببالغيه**﴾ يعني ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه إن في صدورهم إلا كبر على محمد ﷺ وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سطانه البر والبحر ويرد الملك إلينا قال الله تعالى: ﴿**فاستعذ بالله**﴾ أي من فتنة الدجال ﴿**إنه هو السميع**﴾ يعني لأقوالهم ﴿**البصير**﴾ يعني بأفعالهم.

قوله عز وجل: ﴿**لخلق السموات والأرض**﴾ يعني مع عظمهما ﴿**أكبر من خلق الناس**﴾ أي من إعادتهم بعد الموت والمعنى أنهم مقرون أن الله تعالى خلق السموات والأرض وذلك أعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ يعني أن الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها، وقال قوم معنى أكبر من خلق الناس أي أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

(فصل في ذكر الدجال)

(م) عن هشام بن عروة قال سمعت النبي ﷺ يقول «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما «أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال إنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة» ولأبي داود والترمذي عنه قال «قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي

صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿ ما هم ببالغيه ﴾، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عزّ وجلّ مُذِلّهم. قال ابن قتيبة: إنْ في صدورهم إلّا تكبّر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك. قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجّال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البرّ والبحر، ويردّ المُلْك إلينا، قال الله تعالى: ﴿ فاستعذ بالله ﴾، من فتنة الدجّال، ﴿ إنه هو السميع البصيـر ﴾.

﴿ لخلقُ السمٰواتِ والأرض ﴾، مع عظمهما، ﴿ أكبر ﴾، أعظم في الصدور، ﴿ من خلق الناس ﴾، أي من إعادتهم بعد الموت، ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾، يعني الكفّار، ﴿ لا يعلمون ﴾، حيث لا يستدلّون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجّال، ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجّال. ورُوِيَ عن هشام بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ فتنةً من الدجّال»، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزّار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ثنا عبد الرزّاق ثنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي فذُكِرَ الدجّال، فقال: «إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها أول سنة ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلّا هلك، وإنّ من أشدّ فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيتَ إن أحييت لك إبلك أليس تعلم أنّي ربّك؟

لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور» (ق) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من نبي إلا وقد أنذر قومه الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر» وفي رواية لمسلم «بين عينيه كافر ثم تهجى ك ف ر ويقرؤه كل مسلم» عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت «كان رسول الله ﷺ في بيتي فذكر الدجال، فقال إن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض.

والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها. والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله نباتها كله فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم إلا هلكت ومن أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك قال: فيقول: بلى، فيتمثل الشيطان نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً وأعظمه أسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أخاك وأباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمتثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغمّ مما حدثهم قالت وأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء فقلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال: إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن، قالت أسماء: فقلت يا رسول الله والله إنا لنعجن عجيناً فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ، قال: يجزيهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس» وفي رواية عنها قالت قال النبي ﷺ «يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار» هذا حديث أخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال «قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنة أتكفينا له صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال كالغيث استذرته الريح» وفي رواية أبي داود عنه «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله» (ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن مع الدجال إذا خرج ماء وناراً، فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد

فيقول: بلى، فيتمثّل له الشيطان نحو إبله كأحسن ما يكون ضروعاً وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرأيتَ إن أحييت لك أباك وأخاك ألستَ تعلم أنّي ربّك؟ فيقول: بلى، فيتمثّل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه». قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع القوم في اهتمام وغمّ مما حدّثهم، قالت: فأخذ بلحمتي الباب فقال: مهيم أسماء؟ فقلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجّال، قال: «إن يخرج وأنا حيّ فأنا حجيجه، وإلاّ فإن ربّي خليفتي على كل مؤمن»، قالت أسماء فقلت: يا رسول الله والله إنّا لنعجن عجيناً فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: «يجزيهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس». وبهذا الإسناد أخبرنا معمر عن ابن خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «يمكث الدجّال في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار»، أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزّار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الدبري ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجّال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبيّ إلاّ أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه، تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال: ذُكر الدجّال عند النبي ﷺ فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح

والذي يرى الناس أنه ماء فنار محرقة فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد» (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وإنه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر نوح قومه» (ق) «عن المغيرة بن شعبة قال «ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال ما سألته وإنه قال لي ما يضرك قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك» عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال «من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات أو قال لما يبعث به من الشبهات» أخرجه أبو داود (ق) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق» (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك» عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال «الدجال يخرج بأرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب (م). عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة» عن مجمع بن جارية الأنصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح. قال الشيخ محيي الدين النووي: قال القاضي عياض هذه الأحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة للمذهب الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فأقدره على أشياء من المقدورات من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره وإتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافاً للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الأشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنها لو كانت حقاً لضاهت معجزات الأنبياء

الدجّال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا علي بن حجر ثنا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عُمير عن ربعي بن حراش عن عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال له عقبة: حدّثني ما سمعتَ من رسول الله ﷺ في الدجّال؟ قال: «إن الدجّال يخرج وإنَّ معه مـاءً وناراً، فـأما الـذي يراه النـاس ماءً فنـارٌ تحرق، وأمـا الذي يـراه النـاس نـاراً فماءٌ بـارد عَذْبٌ، فمَن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنـه ماء عـذب طيب» فقال عقبـة: وأنا قـد سمعته تصـديقاً لحـذيفة. أخبـرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثني إبراهيم بن المنذر ثنا ابن الوليد حدّثنا ابن عمرو ثنا إسحاق حدّثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلاّ سيطأه الدجّال إلاّ مكة والمدينة، ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق»، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قِبَل المشرق وهمّته المدينة حتى ينزل دُبُرَ

وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به إلا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو خوفاً من فتنته لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته فأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك إلا بصيرة قوله «قلت يا رسول الله إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله تعالى من ذلك» معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوبهم بل إنما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا إيماناً وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك لأنه ثبت في الحديث أن معه ماء وناراً فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير**﴾ أي الجاهل والعالم ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء**﴾ أي لا يستوون ﴿**قليلاً ما تتذكرون إن الساعة**﴾ يعني القيامة ﴿**لآتية لا ريب فيها**﴾ أي لا شك في قيامها ومجيئها ﴿**ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**﴾ أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت، قوله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ﴿**ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من لم يسأل الله يغضب عليه» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن أنس بن مالك قال «الدعاء مخ العبادة» أخرجه الترمذي وعنه عن النبي ﷺ قال «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب؛ فإن قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد يدعو الإنسان كثيراً

أُحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهناك يهلك. أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدّي عبد الصمد البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الدبْري ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجّال من أُمتي سبعون ألفاً عليهم السجّان»، ويرويه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مع الدجّال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف محلّى».

قوله تعالى: ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿ **تتذكّرون** ﴾ بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

﴿ **إن الساعة** ﴾، أي القيامة ﴿ **لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾.

﴿ **وقال ربُكُم ادعوني أستجبْ لكم** ﴾، أي اعبدوني دون غيري أُجبكم وأُثبكم وأغفر لكم، فلما عبّر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن أبي ذرّ

فلا يستجاب له، قلت الدعاء له شروط منها الإخلاص في الدعاء وأن لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقاً بالإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له به في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال ﴿**إن الذين يستكبرون عن عبادتي**﴾ أي عن توحيدي وقيل دعائي ﴿**سيدخلون جهنم داخرين**﴾ أي صاغرين ذليلين.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**﴾ أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون ﴿**والنهار مبصراً**﴾ أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ﴿**إن الله لذو فضل على الناس ولكن**

عن يسبيع الكندي عن النعمان بن بشير قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾، ﴿ **إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين** ﴾، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي الزرقي ثنا أبو الحسن علي بن يوسف الشيرازي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد ثنا محمد بن عبيد بن العلاء ثنا أحمد بن بديل ثنا وكيع ثنا أبو المليح قال: سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «مَن لم يدعُ اللَّهَ غضبَ اللَّهُ عليه»، وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال، ﴿ **إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين** ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر: ﴿ **سيدخلون** ﴾ بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضمّ الخاء، ومعنى داخرين صاغرين ذليلين.

﴿ **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون * ذلكم اللَّهُ ربُكم خالقُ كلِّ شيءٍ لا إله إلاّ هو فأنّى تُؤفكون كذلك** ﴾، يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك، ﴿ **يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** ﴾.

أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم﴾ أي ذلكم المميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم **﴿خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾** أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق الأشياء كلها وأنه لا شريك له في ذلك **﴿فأنى تؤفكون﴾** أي فأنى تصرفون عن الحق **﴿كذلك﴾** أي كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك **﴿يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾** أي فراشاً لتستقروا عليها وقيل منزلاً في حال الحياة وبعد الموت **﴿والسماء بناء﴾** أي سقفاً مرفوعاً كالقبة **﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾** أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه **﴿ورزقكم من الطيبات﴾** قيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب **﴿ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي﴾** وهذا يفيد الحصر أي لا حي إلا هو فوجب أن يحمل ذلك على الذي يمتنع أن يموت امتناعاً تاماً ثابتاً وهو الله تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة إلا هو، والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله **﴿لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾** أي فادعوه واحمدوه، قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين **﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾** وذلك حين دعي إلى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك.

قوله تعالى: **﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾** يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل أن كل إنسان خلق من تراب لأنه خلق من النطفة وهي من الأغذية والأغذية من النبات والنبات من التراب **﴿ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً﴾** يعني أن مراتب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيوخة **﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾** أي من قبل أن يصير شيخاً **﴿ولتبلغوا﴾** أي جميعاً **﴿أجلاً مسمى﴾** أي وقتاً محدود لا تجاوزونه يعني أجل الحياة إلى الموت **﴿ولعلكم تعقلون﴾** أي ما في هذه الأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته **﴿هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾** أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال

﴿ اللَّهُ الذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾، فراشاً، **﴿ والسماء بناءً ﴾**، سقفاً كالقبّة، **﴿ وصوّركم فأحسن صوركم ﴾**، قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفِيْه. **﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾**، قيل: هو من غير رزق الدواب **﴿ ذلكُمُ اللَّهُ ربُّكُم فتبارك اللَّهُ ربُّ العالمين * هو الحيّ لا إله إلاّ هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله ربّ العالمين ﴾**، قال الفرّاء: هو خبر وفيه إضمار الأمر، مجازه: فادعوه واحْمُدُوهُ. ورُوِيَ عن مجاهد عن ابن عباس قال: مَن قال لا إله إلاّ الله فليقل على إثرها الحمد لله ربّ العالمين، فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله ربّ العالمين ﴾**.

﴿ قلْ إني نُهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لمّا جاءني البيّنات من ربي وأُمرتُ أن أُسلم لربّ العالمين ﴾، وذلك حين دُعِي إلى الكفر.

﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يُخرِجكم طفلاً ﴾، أي أطفالاً، **﴿ ثم لتبلغوا أشدّكم ثم لتكونوا شيوخاً، ومنكم مَن يُتوفّى من قبل ﴾**، أي من قبل أن يصير شيخاً، **﴿ ولتبلغوا ﴾**، جميعاً، **﴿ أجلاً مسمى ﴾**، وقتاً معلوماً محدوداً لا تجاوزنه، يريد أجل الحياة إلى الموت، **﴿ ولعلّكم تعقلون ﴾**، أي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته.

قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من الأفعال الدالة على قدرته كأنه قال من الاقتدار إذا قضى أمراً كان أهون شيء وأسرعه.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿أنى يصرفون﴾ أي عن دين الحق وقيل نزلت في القدرية.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون﴾ فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ يعني يجرون بتلك السلاسل ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ يعني توقد بهم النار ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ أي فقدناهم فلم نرهم ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ قيل إنهم أنكروا عبادتها، وقيل لم نكن ندعوا شيئاً ينفع ويضر، وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبل شيئاً ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أي كما أضل هؤلاء ﴿ذلكم﴾ أي العذاب الذي نزل بكم ﴿بما كنتم تفرحون﴾ أي تبطرون وتأشرون ﴿في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ أي

﴿ هو الذي يُحيي ويُميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون * ألم تَرَ إلى الذين يجادلون في آيات الله ﴾، يعني القرآن يقولون ليس من عند الله، **﴿ أنّى يُصرفون ﴾**، كيف يصرفون عن دين الحق. قيل: هم المشركون. وعن محمد بن سيرين وجماعة: إنها نزلت في القدرية.

﴿ الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به فسوف يعلمون * إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسلاسل يُسحبون ﴾، يجرّون.

﴿ في الحميم ثم في النار يُسجرون ﴾، قال مقاتل: توقد بهم النار. وقال مجاهد: يصيرون وقوداً للنار.

﴿ ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله ﴾؟ يعني الأصنام، **﴿ قالوا ضلّوا عنّا ﴾**، فقدناهم فلا نراهم، **﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً ﴾**، قيل: أنكروا. وقيل: معناه بل لم نكن ندعـوا من قبل شيئاً ينفع ويضرّ. وقال الحسين بن الفضل: أي لم نكن نصنع من قبل شيئاً أي ضاعت عبادتنا لها، كما يقولُ مَنْ ضاعَ عمله: ما كنتُ أعمل شيئاً. قال الله عزّ وجلّ: **﴿ كذلك ﴾** أي كما أُضلّ هؤلاء، **﴿ يضلّ الله الكافرين ﴾**.

﴿ ذلكم ﴾ العذاب الذي نزل بكم، **﴿ بما كنتم تفرحون ﴾** تبطرون وتأشرون، **﴿في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾** تفرحون وتختالون.

تختالون وتفرحون به ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ يعني السبعة ﴿خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ يعني عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي بنصرك على الأعداء ﴿فإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ أي من العذاب في حياتك ﴿أو نتوفينك﴾ أي قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾ أي خبره وحاله في القرآن ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ أي لم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد إلا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات، وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه ﷺ ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ يعني بأمره وإرادته ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ أي قضاؤه بين الأنبياء والأمم ﴿قضي بالحق﴾ يعني بالعدل ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ يعني الذين يجادلون في آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع﴾ أي في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ أي تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد في أسفاركم وحاجاتكم ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر ﴿ويريكم آياته﴾ أي دلائل قدرته ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾ يعني أن هذه الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن إنكاره.

﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين * فاصبر إن وعد الله ﴾، بنصرك، **﴿ حق فإمّا نُرينّك بعض الذي نعدهم ﴾**، من العذاب في حياتك، **﴿ أو نتوفينّك ﴾**، قبل أن يحلّ ذلك بهم، **﴿ فإلينا يرجعون ﴾**.

﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم مَن قصصنا عليك ﴾، خبرهم في القرآن، **﴿ ومنهم مَن لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله ﴾**، بأمر الله وإرادته، **﴿ فإذا جاء أمرُ الله ﴾**، قضاؤه بين الأنبياء والأمم، **﴿ قُضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾**.

﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ﴾، بعضها، **﴿ ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ﴾**، في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها. **﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾**، تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم، **﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾**، أي على الإبل في البرّ وعلى السفن في البحر، نظيره قوله تعالى: **﴿ وحملناهم في البرّ والبحر ﴾** [الإسراء: ٧٠].

قوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض﴾ يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع أنهم كانوا أكثر عدداً وأموالاً من هؤلاء ﴿فما أغنى عنهم﴾ أي لم ينفعهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾ أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا﴾ أي رضوا ﴿بما عندهم من العلم﴾ قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمي ذلك علماً على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ يعني أن سنة الله قد جرت في الأمم الخالية بعدم قبول الإيمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ يعني بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه إذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

﴿ ويُريكم آياته ﴾، دلائل قدرته، ﴿ فأيَّ آياتِ الله تنكرون ﴾.

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض ﴾، يعني مصانعهم وقصورهم، ﴿ فما أغنى عنهم ﴾، لم ينفعهم، ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾، وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم.

﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا ﴾، رضوا، ﴿ بما عندهم من العلم ﴾، قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذَّب، سُمّي ذلك علماً على ما يدعونه وهو في الحقيقة جهل. ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين ﴾، يعني تبرّأنا مما كنّا نعدل بالله.

﴿ فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا ﴾، عذابنا، ﴿ سنّت الله ﴾، قال نصبها بنزع الخافض، أي كسُنّة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على الإغراء أي احذروا سُنّة الله، ﴿ التي قد خلت في عباده ﴾، وتلك السُّنّة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب. ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾، بذهاب نعيم الدارين، قال الزجّاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم يتبيّن لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.



سورة فصلت

وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته﴾ أي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد ﴿قرآناً عربياً﴾ أي باللسان العربي ﴿لقوم يعلمون﴾ أي إنما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه والمراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه ﴿بشيراً ونذيراً﴾ نعتان للقرآن أي بشيراً لأولياء الله بالثواب

سُوْرَة فُصِّلَتْ

مكيّة وهي أربع وخمسون آية.

﴿ حمٓ * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾، قال الأخفش: تنزيل مبتدأ وخبره قوله عزّ وجلّ:

﴿ كتاب فصّلت آياته ﴾ بيّنت آياته ﴿ قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾، اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ما علموه ونصيب قرآناً بوقوع البيان عليه أي فصّلناه قرآناً.

﴿ بشيراً ونذيراً ﴾، نعتان للقرآن أي بشيراً لأولياء الله ونذيراً لأعدائه، ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾، أي لا يصغون إليه تكبّراً.

﴿ وقالوا ﴾، يعني مشركي مكة: ﴿ قلوبنا في أكنّة ﴾، في أغطية، ﴿ مما تدعونا إليه ﴾، فلا نفقه ما تقول، ﴿ وفي آذاننا وقر ﴾، صمم فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنّا في ترك القبول عندك بمنزلة مَن لا يفهم ولا يسمع، ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾، خلاف في الدين وحاجز في الملّة فلا نوافقك على ما تقول، ﴿ فاعمل ﴾، أنت على دينك، ﴿ إننا عاملون ﴾، على ديننا.

﴿ قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم ﴾، يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: ﴿ يُوحى إليَّ أنما إلٰهكم

ونذيراً لأعدائه بالعقاب ﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي عنه ﴿فهم لا يسمعون﴾ أي لا يصغون إليه تكبراً ﴿وقالوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿قلوبنا في أكنة﴾ أي أغطية ﴿مما تدعونا إليه﴾ أي فلا نفقه ما تقول ﴿وفي آذاننا وقر﴾ أي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى أنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ أي خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول ﴿فاعمل﴾ أي أنت على دينك ﴿إننا عاملون﴾ أي على ديننا ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أنما أنا بشر مثلكم﴾ أي كواحد منكم ﴿يوحى إليّ﴾ أي لولا الوحي ما دعوتكم، قال الحسن: علمه الله تعالى التواضع ﴿إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه﴾ أي توجهوا إليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله ﴿واستغفروه﴾ أي من ذنوبكم وشرككم ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ قال ابن عباس: لا يقولون لا إله إلا الله لأنها زكاة الأنفس، والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. وقيل: لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون إتيانها واجباً يقال الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك، وقيل: معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون، وقيل: لا يزكون أعمالهم ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ أي جاحدون بالبعث بعد الموت.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ قال ابن عباس: غير مقطوع، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير ممنون عليهم به، وقيل: غير محسوب. قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول «إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم».

قوله عز وجل: ﴿قل أئنكم﴾ استفهام بمعنى الإنكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو

إله واحد ﴾، قال الحسن: علّمه الله التواضع، ﴿ فاستقيموا إليه ﴾، توجّهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله، ﴿ واستغفروه ﴾، من ذنوبكم، ﴿ وويل للمشركين ﴾.

﴿ الذين لا يُؤتون الزكاة ﴾، قال ابن عباس: الذين يقولون لا إله إلاّ الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهّرن أنفسهم من الشرك بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة: لا يقرّون بالزكاة ولا يرون إيتاءها واجباً، وكان يقول: الزكاة قنطرة الإسلام فمَن قطعها نجا ومَن تخلّف عنها هلك. وقال الضحاك ومقاتل: لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون. وقال مجاهد: لا يزكّون أعمالهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾.

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾، قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل: غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منّة الإنسان وقوّته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب. وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصحّ ما كانوا يعلمون فيه. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عن

قوله تعالى ﴿لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ وثانيهما ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ إثبات الشركاء والأنداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة أنداداً لله تعالى مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين يعني الأحد والإثنين ﴿ذلك رب العالمين﴾ أي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الأصنام المنحوتة من الخشب والحجر ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت ﴿من فوقها﴾ أي من فوق الأرض ﴿وبارك فيها﴾ أي في الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج إليه ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أي قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لأهل قطر من الأرض والتمر لأهل قطر آخر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك سائر الأقوات.

قيل إن الزراعة أكثر الحرف بركة لأن الله تعالى وضع الأقوات في الأرض قال الله تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾ أي مع اليومين الأولين فخلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الأول في الذكر ﴿سواء للسائلين﴾ معناه سواء لمن سأل عن ذلك أي فهكذا الأمر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جواباً لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي عمد إلى خلق السماء ﴿وهي دخان﴾ ذلك الدخان كان بخار الماء، قيل كان العرش قبل خلق السموات والأرض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والأرض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس الماء فخلقه أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبعاً.

فإن قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما.

عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أُطلقه أو أكفته إليّ».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ قلْ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾، يوم الأحد والاثنين، ﴿ وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين ﴾.

﴿ وجعل فيها ﴾ أي في الأرض، ﴿ رواسي ﴾ جبالاً ثوابت، ﴿ ومن فوقها ﴾، من فوق الأرض، ﴿ وبارك فيها ﴾، أي في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار، ﴿ وقدّر فيها أقواتها ﴾، قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك: قدّر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرَى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد. قال الكلبي قدّر الخبز لأهل قطر والذرة لأهل قطر والسمك لأهلِ قطر وكذلك أقواتها. ﴿ في أربعة أيام ﴾، ويريد خلق ما في الأرض وقدّر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام، ردّ الآخر على الأول في الذكر، كما تقول: تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين وإحداهما هي التي تزوّجها بالأمس، ﴿ سواء للسائلين ﴾ قرأ أبو جعفر ﴿ سواء ﴾ رفع على الابتداء، أي هي سواء، وقرأ يعقوب بالجرّ على نعت قوله: ﴿ في أربعة أيام ﴾، وقرأ الآخرون ﴿ سواء ﴾ نصب على المصدر استوت استواءً، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك. قال قتادة والسدي: مَن سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جواباً لمَن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات.

﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾، أي: عمد إلى خلق السماء، ﴿ وهي دخان ﴾، وكان ذلك الدخان بخار الماء،

قلت الجواب المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ومدها.

وجواب آخر وهو أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين، وليس الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضاً فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم بالحقيقة ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً**﴾ أي ائتيا ما أمرتكما به أي افعلاه وقيل افعلا ما أمرتكما طوعاً وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرهاً فأجابتا بالطوع ﴿**قالتا أتينا طائعين**﴾ معناه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمرك ونباتك.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾

وقوله تعالى: ﴿**فقضاهن سبع سموات**﴾ أي أتمهن وفرغ من خلقهن ﴿**في يومين**﴾ وهما الخميس والجمعة ﴿**وأوحى في كل سماء أمرها**﴾ قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقاً من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله تعالى وقيل أوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي ﴿**وزينا السماء الدنيا**﴾ أي التي تلي الأرض ﴿**بمصابيح**﴾ أي بكواكب تشرق كالمصابيح ﴿**وحفظاً**﴾ أي وجعلناها يعني الكواكب حفظاً للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع ﴿**ذلك**﴾ أي الذي ذكر من صنعه وخلقه ﴿**تقدير العزيز**﴾ أي في ملكه ﴿**العليم**﴾ أي بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم.

قوله تعالى: ﴿**فإن أعرضوا**﴾ يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿**فقل أنذرتكم**﴾ أي خوفتكم ﴿**صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**﴾ أي هلاكاً مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء ﴿**إذ جاءتهم الرسل**﴾ يعني

﴿ **فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً** ﴾، أي ائتيا ما آمركما أي افعلاه، كما يقال: إئت ما هذا الأحسن أي افعله. وقال طاوس عن ابن عباس: ائتيا أعطيا، يعني أخرجاه ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد. قال ابن عباس: قال الله عزّ وجلّ: أمّا أنتِ يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقّي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما افعلا ما آمركما طوعاً وإلّا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرهاً فأجابتا بالطوع، و﴿ **قالتا أتينا طائعين** ﴾، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السمٰوات والأرض ومَن فيهنّ، مجازه: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى مَن يعقل.

﴿ **فقضاهنّ سبع سمٰوات في يومين** ﴾، أي أتمهنّ وفرغ من خلقهنّ، ﴿ **وأوحى في كل سماء أمرها** ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلّا الله. وقال قتادة والسدي: يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. ﴿ **وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح** ﴾، وكواكب، ﴿ **وحفظاً** ﴾، لها ونصب حفظاً على المصدر، أي حفظناها بالكواكب حفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع، ﴿ **ذلك** ﴾، الذي ذكر من

إلى عاد وثمود ﴿من بين أيديهم﴾ يعني الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم ﴿ومن خلفهم﴾ يعني ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا إليهم وهما هود وصالح وإنما خص هاتين القبيلتين لأن قريشاً كانوا يمرون على بلادهم ﴿أن لا﴾ أي بأن لا ﴿تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل ﴿فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال: «قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتينا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى عليّ إن كان كذلك، فأتاه فلما خرج إليه قال: يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كان ما بك للرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيساً ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته﴾ إلى قوله تعالى ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا إليه فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك

صنعه، ﴿ تقدير العزيز ﴾، في ملكه، ﴿ العليم ﴾، بخلقه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فإن أعرضوا ﴾، يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿ فقلْ أنذرتكم ﴾، خوّفتكم، ﴿ صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود ﴾، أي هلاكاً مثل هلاكهم، والصاعقة المهلكة من كل شيء.

﴿ إذ جاءتهم ﴾، يعني عاداً أو ثموداً، ﴿ الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾، أراد بقوله: ﴿ من بين أيديهم ﴾ الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم، ﴿ ومن خلفهم ﴾ يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله: ﴿ ومن خلفهم ﴾ راجعة إلى الرسل، ﴿ أنْ لا ﴾، بأن لا، ﴿ تعبدوا إلاّ الله قالوا لو شـاء ربنا لأنزل ﴾، بدل هؤلاء الرسل، ﴿ ملائكة ﴾، أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة، ﴿ فإنّا بما أرسلتم به كافرون ﴾، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي ثنا عبد الله بن حامد الأصفهاني ثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ العبيدي أنا أحمد بن مجدة بن العريان ثنا الحماني ثنا ابن فضيل عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلّمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى عليّ إن كان كذلك أو لا، فأتاه فلما خرج إليه قال: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطّلب؟ أنت خير أم عبد الله، فيمَ تشتم آلهتنا؟ وتُضلّل آباءنا فإن كنتَ تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوّجناك عشر نسوة تختار من أيّ بنات قريش؟ وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك؟ ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم كتابٌ فصّلت آياتُه ﴾، إلى قوله: ﴿ فإن أعرضوا فقـلْ أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود ﴾، الآية فأمسك عتبة على فِيْه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلاّ قد صبأ إلى دين محمد، وقد أعجبه طعـامه ومـا ذاك إلاّ من حاجـة أصابتـه، فانـطلقوا

صبوت إلى محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمداً أبداً وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى **﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾** فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب» وقال محمد بن كعب القرظي: حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب محمد ﷺ يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعيبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها فقال ﷺ قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالاً وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا وإن كان هذا الذي بك رئياً تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فنعذرك فإنكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى إذا فرغ قال له رسول الله ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: فافعل، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته﴾** ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى

بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنّا إلّا أنك صبوت إلى دين محمد وأعجبك طعامه، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً، وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: **﴿ فإن أعرضوا فقلْ أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود ﴾** الآية فأمسكت بفِيْه وناشدته بالرحم أن يكفّ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب. وقال محمد بن كعب القرظي: حُدّثتُ أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد وأُكلمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل منّا بعضها، فنعطيه ويكفّ عنّا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلّمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منّا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت جماعتهم وسفّهت أحلامهم، وعِبْت آلهتهم وكفّرت مَن مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها، فقال رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد»، فقال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رئياً تراه لا تستطيع ردّه طلبنا لك الطب، ولعلّ هذا شعر جاش به صدرك، فإنكم لعمري بني عبد المطّلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه غيركم، حتى إذا فرغ ما عنده من سائر الأمور التي يزعم أنها تردّه عمّا يقول، فقال له رسول الله ﷺ: «أوَ قد فرغتَ يا أبا الوليد»؟ قال: نعم، قال: «فاستمع منّي»، قال: فأفعل، فقال ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ حمٓ تنزيلٌ من الرحمن الرحيم كتابٌ فصّلت آياته قرآناً عربياً ﴾**، ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك»، فقام

رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد ثم قال أسمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعوني يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم».

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة﴾** وذلك أن هوداً هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى رداً عليهم **﴿أولم يروا﴾** أي أو لم يعلموا **﴿أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾** أي عاصفاً شديد الصوت وقيل هي الريح الباردة فقيل إن الريح ثمانية، فأربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فأهلكوا جميعاً **﴿في أيام نحسات﴾** أي نكدات مشؤومات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر **﴿لنذيقهم عذاب الخزي﴾** أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله **﴿فاستكبروا في الأرض بغير الحق﴾** **﴿في الحياة الدنيا﴾** أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا **﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾** أي أشد إهانة **﴿وهم لا ينصرون﴾** أي لا يمنعون من العذاب.

عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني قد سمعتُ قولاً والله ما سمعت بمثله قطّ، ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش، أطيعوني خلّوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا مَنْ أشدّ منّا قوة ﴾**، وذلك أن هوداً هدّدهم بالعذاب، فقالوا: مَن أشدّ منّا قوّة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنّا بفضل قوّتنا، وكانوا ذوي أجسام طِوال، قال الله تعالى ردّاً عليهم: **﴿ أوَ لمْ يروا أن الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾**.

﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾، عاصفة شديدة الصوت، من الصرّة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصرّ وهو البرد، **﴿ في أيام نحسات ﴾**، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب **﴿ نحسات ﴾** بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشومات ذات نحوس. وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، **﴿ لنذيقهم عذاب الخزي ﴾**، أي عذاب الهون والذل، **﴿ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ﴾**، أشدّ إهانة **﴿ وهم لا ينصرون ﴾**.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي اختاروا الكفر على الإيمان ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ أي ذي الهوان ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي من الشرك.

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ أي يتقون الشرك والأعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه.

قوله تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم ﴿حتى إذا ما جاؤوها﴾ يعني النار ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ أي بشراتهم وقيل فروجهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ معناه أن الجوارح تنطق بما كتمت الألسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل

﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾، دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس: بيّنّا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: ﴿ هديناه السبيل ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿ فاستحبّوا العمى على الهدى ﴾، فاختاروا الكفر على الإيمان، ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب ﴾، أي مهلكة العذاب، ﴿ الهون ﴾، أي ذي الهوان أي الهوان وهو الذي يهينهم ويجزيهم، ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾.

﴿ ونجّينا الذين آمنوا وكانوا يتّقون * ويوم يُحشر أعداءُ الله إلى النار ﴾، قرأ نافع ويعقوب: (نحشر) بالنون، ﴿ أعداء ﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين ﴿ أعداء ﴾ رفع أي يجمع إلى النار، ﴿ فهم يُوزعون ﴾، يُساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي: يُحبَس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

﴿ حتى إذا ما جاؤوها ﴾، جاؤوا النار ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ﴾، أي بشراتهم، ﴿ بما كانوا يعملون ﴾، وقال السدي وجماعة: المراد بالجلود الفروج، وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

﴿ وقالوا ﴾، يعني الكفّار الذين يحشرون إلى النار، ﴿ لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾، تمّ الكلام ههنا. وقال الله تعالى: ﴿ وهو خلقكم أول مرة ﴾، وليس هذا من جواب الجلود، ﴿ وإليه ترجعون ﴾.

يقول يا رب ألم تجرني من الظلم، قال فيقول بلى فيقول فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لأعضائه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل» **﴿وقالوا﴾** يعني الكفار الذين يجرون إلى النار **﴿لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾** معناه أن القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم أعادكم بعد الموت قادر على إنطاق الأعضاء والجوارح وهو قوله تعالى: **﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾** وقيل تم الكلام عند قوله **﴿الذي أنطق كل شيء﴾** ثم ابتدأ بقوله **﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾** وقيل إنه ليس من جواب الجلود **﴿وما كنتم تستترون﴾** أي تستخفون وقيل معناه تظنون **﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾** والمعنى أنكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون أنها تشهد عليكم **﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً ما تعملون﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الكفار يقولون إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق). عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال «اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله تعالى: **﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾** قيل الثقفي هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية.

قوله تعالى: **﴿وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾** أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون **﴿أرداكم﴾** أي أهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار **﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾** ثم أخبر عن حالهم بقوله بقوله تعالى **﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾** أي مسكن **﴿وإن يستعتبوا﴾** أي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل **﴿فما هم من المعتبين﴾** أي المرضيين.

﴿ وما كنتم تستترون ﴾، أي تستخفون عند أكثر أهل العلم. وقال مجاهد: تتّقون. وقال قتادة تظنون. **﴿ أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾**، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي أنا سفيان أنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: **﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾**، قيل: الثقفي وعبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أُميّة.

قوله تعالى: **﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم ﴾**، أهلككم، أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، أرداكم. قال ابن عباس: طرحكم في النار، **﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾**، ثم أخبر عن حالهم فقال:

﴿ فإن يصبروا فالنّار مثوىً لهم ﴾، مسكن لهم، **﴿ وإن يستعتبوا ﴾**، يسترضوا ويطلبوا العتبى، **﴿ فما هم من المعتبين ﴾**، المرضين، والمعتب الذي قُبل عتابُه وأُجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إيّاي، واستعتبه طلبت منه أن يعتب أي يرضى.

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِـَٔايَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩) ﴾

﴿**وقيضنا لهم**﴾ أي بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم ﴿**قرناء**﴾ أي نظراء من الشياطين حتى أضلوهم ﴿**فزينوا لهم ما بين أيديهم**﴾ أي من أمر الدنيا حتى آثروهم على الآخرة ﴿**وما خلفهم**﴾ أي فدعوهم إلى التكذيب بالآخرة وإنكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة ﴿**وحق عليهم القول**﴾ أي وجب ﴿**في أمم**﴾ أي مع أمم ﴿**قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين**﴾ قوله تعالى: ﴿**وقال الذين كفروا**﴾ يعني مشركي قريش ﴿**لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**﴾ قال ابن عباس: والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الأصوات كان بعضهم يوصي إلى بعض إذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يتخلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا في وجهه ﴿**لعلكم تغلبون**﴾ يعني محمداً على قراءته ﴿**فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ**﴾ يعني بأسوأ ﴿**الذين كانوا يعملون**﴾ أي في الدنيا وهوالشرك ﴿**ذلك**﴾ أي الذي ذكر من العذاب ﴿**جزاء أعداء الله**﴾ ثم بين ذلك الجزاء فقال ﴿**النار لهم فيها دار الخلد**﴾ أي دار الإقامة لا انتقال لهم عنها ﴿**جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا**﴾ أي في النار ﴿**ربنا**﴾ أي يقولون يا ربنا ﴿**أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس**﴾ يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنَّا المعصية ﴿**تجعلهما تحت أقدامنا**﴾ أي في

﴿ **وقضينا لهم** ﴾، أي بعثنا ووكّلنا، وقال مقاتل: هيَّأنا. وقال الزجّاج: سبَّبنا لهم. ﴿ **قُرناء** ﴾، نُظراء من الشياطين حتى أضلّوهم، ﴿ **فزيّنوا لهم ما بين أيديهم** ﴾، من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة، ﴿ **وما خلفهم** ﴾، من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، ﴿ **وحقّ عليهم القول في أمم** ﴾، مع أُمم، ﴿ **قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾.

﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾، من مشركي قريش، ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** ﴾، قال ابن عباس: يعني الغطوا فيه، وكان بعضهم يُوصي إلى بعض إذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد: والغوا فيه بالمُكاء والصفير. وقال الضحاك: أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول: وقال السدي: صيحوا في وجهه. ﴿**لعلكم تغلبون** ﴾، محمداً على قراءته.

﴿ **فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الذي** ﴾، يعني بأسوأ الذي، أي بأقبح الذي، ﴿ **كانوا يعملون** ﴾، في الدنيا وهو الشرك بالله.

﴿ **ذلك** ﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿ **جزاء أعداء الله** ﴾، ثم بيّن ذلك الجزاء فقال: ﴿ **النار** ﴾، أي هو النار، ﴿ **لهم فيها** ﴾، أي في النار، ﴿ **دار الخلد** ﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿ **جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾.

﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾، أي في النار يقولون، ﴿ **ربنا أرِنا الذين أضلّانا من الجن والإنس** ﴾، يعنون إبليس

النار ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أي في الدرك الأسفل من النار وقال ابن عباس: ليكونا أشد عذاب منا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قال أهل التحقيق كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته لأجل العمل به، ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى وإليه الإشارة بقوله ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ ورأس الأعمال الصالحة أن يكون الإنسان مستقيماً في الوسط غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في الأعمال الصالحة. سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب.

وقال عثمان رضي الله تعالى عنه: استقاموا أخلصوا في العمل، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أدوا الفرائض، وهو قول ابن عباس: وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه، وقيل: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال ابن عباس عند الموت وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ﴿أن لا تخافوا﴾ أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ولا تحزنوا﴾ أي على ما خلفتم من أهل وولد فإنا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فأنا أغفرها لكم ﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم﴾ أي تقول الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أي أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم ﴿في الحياة الدنيا و﴾ نحن أولياؤكم ﴿في الآخرة﴾ لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿ولكم فيها﴾ أي في الجنة ﴿ما تشتهي أنفسكم﴾ أي من الكرامات واللذات ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي تتمنون ﴿نزلاً﴾ أي رزقاً والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف ﴿من غفور رحيم﴾ قال أهل المعاني

وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنّا المعصية، ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾، في النار، ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشدّ عذاباً منّا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾، سُئِلَ أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفّان رضي الله عنه: أخلصوا العمل لله. وقال علي رضي الله عنه: أدّوا الفرائض. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلاّ الله حتى لحقوا بالله. وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة ولم يرتدّوا. وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللّهمَّ أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. قوله عزّ وجلّ: ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾، قال ابن عباس: عند الموت. وقال قتادة ومقاتل: إذا قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح: إلبشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث. ﴿ أنْ لا تخافوا ﴾، من الموت. وقال مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة. ﴿ ولا تحزنوا ﴾، على ما

كل هذه الأشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم إذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الألطاف والكرامة.

قوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ أي إلى طاعة الله تعالى وقيل هو رسول الله ﷺ دعا الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه ودعا الناس إلى ما أجاب إليه ﴿وعمل صالحاً﴾ في إجابته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أرى أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية.

وللدعوة إلى الله تعالى مراتب:

الأولى: دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء.

المرتبة الثانية: دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله.

المرتبة الثالثة: دعوة المجاهدين إلى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته.

المرتبة الرابعة: دعوة المؤذنين إلى الصلاة فهم أيضاً دعاة إلى الله تعالى وإلى طاعته، وعمل صالحاً، قيل: العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل: وعمل صالحاً صلى ركعتين بين الأذان والإقامة (ق). عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ «بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال في الثالثة لمن شاء» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «الدعاء بين

خلفتم من أهلٍ وولد، فإنّا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم، ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾.

﴿ نحن أولياؤكم ﴾، تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم، ﴿ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾، أي في الدنيا والآخرة. وقال السدي: تقول الملائكة نحن الحَفَظَة الذين كنّا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ﴾، من الكرامات واللذّات، ﴿ ولكم فيها ﴾، في الجنة ﴿ ما تدعون ﴾، تتمنّون.

﴿ نزلاً ﴾، رزقاً، ﴿ من غفور رحيم * ومَن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله ﴾، إلى طاعته، ﴿ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾، قال ابن سيرين: هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إلّه إلّا الله. وقال الحسن: هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين. وقالت عائشة: أرى هذه الآية نزلت في المؤذّنين. وقال عكرمة: هو المؤذّن أبو إمامة الباهلي وعمل صالحاً صلّى ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال قيس بن أبي حازم: هو الصلاة بين الأذان والإقامة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحيدي أنـا أبو عبـد الله محمد بن عبـد الله الحافظ ثـنا أبو عبـد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي ثنا أبو يحيىٰ بن أبي ميسرة ثنا عبد الله بن زيد المقري ثنا كهمس بن الحسن عن عبـد الله بن بريـدة عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة»، ثلاث مرات ثمّ قال الثالثة: «لمَن شاء». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا

الأذان والإقامة لا يرد» أخرجه أبو داود والترمذي، وقال هذا حديث حسن. ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم إليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الإسلام مع التلفظ به.

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والإساءة ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الإساءة ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي صديق قريب، قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك حيث لأن للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ فصار ولياً بالإسلام حميماً بالقرابة ﴿وما يلقاها﴾ أي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿إلا الذين صبروا﴾ أي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقاها ﴿إلا ذو حظ عظيم﴾ أي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه أي يبعثه إلى ما لا ينبغي ومعنى الآية وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فاستعذ بالله﴾ أي من شره ﴿إنه هو السميع﴾ أي لاستعاذتك ﴿العليم﴾ بأحوالك.

قوله تعالى: ﴿ومن آياته﴾ أي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته ﴿الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ أي إنهما مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لأن السجود عبارة عن نهاية التعظيم ﴿واسجدوا لله الذين خلقهن﴾ أي المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ يعني أن ناساً كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسايط وأمروا بالسجود لله الذي خلق هذه الأشياء كلها ﴿فإن استكبروا﴾ أي عن

سفيان عن زيد العمي عن أبي إياس معاوية بن قرّة عن أنس بن مالك قال سفيان: لا أعلمه إلّا وقد رفعه النبي ﷺ قال: «لا يردّ الدعاءُ بين الأذان والإقامة».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾، قال الفرّاء: ﴿ لا ﴾ ههنا صلة، معناه: ولا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة. ﴿ ادفعْ بالتي هي أحسن ﴾، قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة ﴾، يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة، ﴿ كأنه وليٌّ حميم ﴾، كالصديق والقريب. قال مقاتل بن حيان: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدّة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار وليّاً بالإسلام، حميماً بالقرابة.

﴿ وما يلقاها ﴾، ما يلقى هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة، ﴿ إلّا الذين صبروا ﴾، على كظم الغيظ

السجود لله ﴿فالذين عند ربك﴾ يعني الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ أي لا يفترون ولا يملون.

(فصل)

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما أنه عند قوله تعالى: ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد لأن ذكر السجدة قبله والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرافعي أنه عند قوله تعالى: ﴿وهم لا يسأمون﴾ وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة لأن عنده يتم الكلام.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ قوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون﴾ أي يميلون عن الحق ﴿في آياتنا﴾ أي في أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون ﴿لا يخفون علينا﴾ تهديد ووعيد قيل نزلت في أبي جهل ﴿أفمن يلقى في النار﴾ هو أبو جهل ﴿خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ المعنى الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ﴿اعملوا ما شئتم﴾ أمر

واحتمال المكروه، ﴿ وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم ﴾، في الخير والثواب، وقال قتادة: الحظ العظيم الجنة، أي ما يلقاها إلاّ مَن وجبت له الحنة.

﴿ وإمّا ينزغنَّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع ﴾، لاستعاذتك وأقوالك، ﴿ العليم ﴾، بأفعالك وأحوالك.

قوله: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهنّ ﴾، إنما قال: ﴿ خلقهنّ ﴾ بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث، ﴿ إن كنتم إيّاه تعبدون ﴾.

﴿ فإن استكبروا ﴾، عن السجود، ﴿ فالذين عند ربك ﴾، يعني الملائكة ﴿ يسبِّحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾، لا يملّون ولا يفترون.

﴿ ومن آياته ﴾، دلائل قدرته، ﴿ أنك ترى الأرض خاشعة ﴾، يابسة غبراء لا نبات فيها، ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت إن الذي أحياها لمُحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾.

﴿ إنّ الذين يُلحدون في آياتنا ﴾، يميلون عن الحق في أدلتنا، قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء

تهديد ووعيد ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ أي إنه عالم بأعمالكم فيجازيكم عليها ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ يعني القرآن وفي جواب إن وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم، والثاني جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ في وصف الذكر فقال تعالى: ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ قال ابن عباس: كريم على الله تعالى، وقيل: العزيز العديم النظير وذلك أن الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل إليه سبيلاً وهو قوله تعالى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع أن يغيره وقيل إنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه وقيل: لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر ﴿تنزيل من حكيم﴾ أي في جميع أفعاله ﴿حميد﴾ أي إلى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه ﷺ على تكذيبهم إياه فقال عز وجل: ﴿ما يقال لك﴾ أي من الأذى والتكذيب ﴿إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعني أنه قد قيل للأنبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ أي لمن تاب وآمن بك ﴿وذو عقاب أليم﴾ أي لمن أصر على التكذيب.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ

والتصدية واللغو واللغط. قال قتادة: يكذّبون في آياتنا. قال السدي: يعاندون ويشاقّون. قال مقاتل: نزلت في أبي جهل. ﴿لا يخفون علينا أفمن يُلقى في النار﴾، وهو أبو جهل، ﴿خير أم مَن يأتي آمناً يوم القيامة﴾، قيل: هو حمزة. وقيل: عثمان. وقيل: عمّار بن ياسر. ﴿اعملوا ما شئتم﴾، أمر تهديد ووعيد، ﴿إنه بما تعملون بصير﴾، عالم فيجازيكم به.

﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾، بالقرآن، ﴿لمّا جاءهم﴾، ثم أخد في وصف الذكر وترك جواب: ﴿إن الذين كفروا﴾، على تقدير الذين كفروا بالذكر يُجازون بكفرهم. وقيل: خبره في قوله من بعد: ﴿أولئك يُنادَوْنَ من مكان بعيد﴾ [فُصّلت: ٤٤]. ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾، قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كريم على الله: قال قتادة: أعزّه الله عزّ وجلّ فلا يجد الباطل إليه سبيلاً.

وهو قوله: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾، قال قتادة والسدي: الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيّره أو يزيد فيه أو ينقص منه. قال الزجّاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يُزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى: الباطل الزيادة والنقصان. وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله. ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾، ثم عزّى نبيّه ﷺ على تكذيبهم.

فقال: ﴿ما يقال لك﴾، من الأذى، ﴿إلّا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾، يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر، كما يقال لك وكُذِّبوا كما كُذِّبت، ﴿إنّ ربك لذو مغفرة﴾، لمَن تاب وآمن بك ﴿وذو عقاب أليم﴾، لمَن أصرّ على التكذيب.

﴿مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولو جعلناه**﴾ أي هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس ﴿**قرآناً أعجمياً**﴾ يعني بغير لغة العرب ﴿**لقالوا لولا فصلت آياته**﴾ يعني هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها ﴿**أأعجمي وعربي**﴾ يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام إنكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربياً والمنزل أعجمياً، وقيل في معنى الآية: أنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزلنا الكلام العجمي إلى القوم العرب ولصح قولهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر لأنا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه، وأنا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر وقيل إن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهودياً أعجمياً يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه يسار فضربه سيده وقال إنك تعلم محمداً فقال هو والله يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**هو**﴾ يعني القرآن ﴿**للذين آمنوا هدى**﴾ يعني من الضلالة ﴿**وشفاء**﴾ يعني لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الأوجاع والأسقام ﴿**والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**﴾ يعني صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به ﴿**أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾ يعني كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه**﴾ يعني فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ﴿**ولولا كلمة سبقت من ربك**﴾ يعني في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿**لقضى بينهم**﴾ يعني لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم ﴿**وإنهم لفي شك منه مريب**﴾ يعني من كتابك وصدقك ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه**﴾ يعني يعود نفع إيمانه وعمله لنفسه ﴿**ومن أساء فعليها**﴾ يعني ضرر إساءته أو كفره يعود على نفسه أيضاً ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ يعني فيعذب غير المسيء.

﴿ **ولو جعلناه** ﴾، أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرأه على الناس، ﴿ **قرآناً أعجمياً** ﴾، بغير لغة العرب، ﴿ **لقالوا لولا فُصِّلتْ آياتُه** ﴾، هلاّ بيِّنت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿ **أأعجمي وعربي** ﴾، يعني: أكتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي أنهم كانوا يقولون: المنزَّل عليه عربي والمنزَل أعجمي. قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، يعني أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمداً، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ **قلْ** ﴾، يا محمد، ﴿ **هو** ﴾، يعني القرآن، ﴿ **للذين آمنوا هدىً وشفاءً** ﴾، لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع، ﴿ **والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عمىً** ﴾، قال قتادة: عَمُوا عن القرآن وصُمُّوا عنه فلا ينتفعون به، ﴿ **أولئك يُنادَوْنَ من مكان بعيد** ﴾، أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن مَن دُعِيَ من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلّة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.

﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** ﴾، فمصدّق ومكذّب كما اختلف قومك في كتابك، ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك** ﴾، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، ﴿ **لقضي بينهم** ﴾، لفرغ من عذابهم وعجّل إهلاكهم، ﴿ **وإنهم لفي شكٍّ منه** ﴾، من صدقك، ﴿ **مُريب** ﴾، موقع لهم الريبة.

قوله عز وجل: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ يعني إذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله تعالى ولا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك ﴿وما تخرج من ثمرات من أكمامها﴾ أي من أوعيتها، وقال ابن عباس: هو الكفرى قبل أن ينشق ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد إليه علم الساعة فكذلك يرد إليه علم ما يحدث من كل شيء كالثمار والنتاج وغيره.

فإن قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولاً فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون.

قلت أما أصحاب الكشف إذا قالوا قولاً فهو من إلهام الله تعالى وإطلاعه إياهم عليه فكان من علمه الذي يرد إليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة، وإنما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد ﴿ويوم يناديهم﴾ أي ينادي الله تعالى المشركين فيقول ﴿أين شركائي﴾ أي الذين تدعون أنها آلهة ﴿قالوا﴾ يعني المشركين ﴿آذناك﴾ أي أعلمناك ﴿ما منا من شهيد﴾ أي يشهد أن لك شريكاً وذلك لما رأوا العذاب تبرؤوا من الأصنام.

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ أي يعبدون في الدنيا ﴿وظنوا ما لهم من محيص﴾ أي مهرب.

قوله تعالى: ﴿لا يسأم الإنسان﴾ أي لا يمل الكافر ﴿من دعاء الخير﴾ يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال

﴿ مَن عمل صالحاً فلنفسه ومَن أساء فعليها، وما ربُّك بظلاّم للعبيد ﴾.

﴿ إليه يُردّ علم الساعة ﴾، أي علمها إذا سُئِل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره، ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص: ﴿ ثمرات ﴾، على الجمع، وقرأ الآخرون (ثمرة) على التوحيد، ﴿ من أكمامها ﴾ أوعيتها واحدها: كم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني الكفرى قبل أن تنشق. ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه ﴾، إلاّ بإذنه، يقول: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿ ويوم يناديهم ﴾، ينادي الله المشركين، ﴿ أينَ شركائي ﴾، الذين كنتم تزعمون أنها آلهة، ﴿ قالوا ﴾، يعني المشركين، ﴿ آذنّاك ﴾، أعلمناك، ﴿ ما منّا من شهيد ﴾، أي من شاهد بأن لك شريكاً لمّا عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام.

﴿ وضلّ عنهم ما كانوا يدعون ﴾، يعبدون، ﴿ من قبل ﴾، في الدنيا، ﴿ وظنوا ﴾، أيقنوا، ﴿ ما لهم من محيص ﴾، مهرب.

﴿ لا يسأم الإنسان ﴾، لا يملّ الكافر، ﴿ من دعاء الخير ﴾، أي لا يزال يسأل ربّه الخير، يعني المال والغنى

والغنى والصحة ﴿**وإن مسه الشر**﴾ أي الشدة والفقر ﴿**فيئوس**﴾ أي من روح الله تعالى ﴿**قنوط**﴾ أي من رحمته ﴿**ولئن أذقناه رحمة منا**﴾ أي آتيناه خيراً وعافية وغنى ﴿**من بعد ضراء مسته**﴾ أي من بعد شدة وبلاء أصابه ﴿**ليقولن هذا لي**﴾ أي أستحقه بعملي ﴿**وما أظن الساعة قائمة**﴾ أي ولست على يقين من البعث ﴿**ولئن رجعت إلى ربي**﴾ يقول هذا الكافر أي فإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي ﴿**إن لي عنده للحسنى**﴾ أي الجنة والمعنى كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ﴿**فلننبئن الذين كفروا بما عملوا**﴾ قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي أعمالهم ﴿**ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه**﴾ أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ﴿**وإذا مسه الشر**﴾ أي الشدة والفقر ﴿**فذو دعاء عريض**﴾ أي كثير ﴿**قل**﴾ أي قل يا محمد لكفار مكة ﴿**أرأيتم إن كان من عند الله**﴾ أي هذا القرآن ﴿**ثم كفرتم به**﴾ أي جحدتموه ﴿**من أضل ممن هو في شقاق بعيد**﴾ أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق**﴾ قال ابن عباس يعني منازل الأمم الخالية ﴿**وفي أنفسهم**﴾ أي البلاء والأمراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد ﷺ والمسلمين وفي أنفسهم هو تفح مكة ﴿**حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ يعني دين الإسلام، وقيل يتبين القرآن أنه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمداً ﷺ مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار والنبات وفي أنفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعني لا يقدر على هذه الأشياء إلا الله تعالى: ﴿**أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾ يعني يشهد أن القرآن من عند الله تعالى، وقيل أو

والصحة، ﴿ **وإنْ مسّه الشرُّ** ﴾، الشدّة والفقر، ﴿ **فيؤُوسٌ** ﴾، من روح الله، ﴿ **قنوط** ﴾، من رحمته.

﴿ **ولئن أذقناه رحمةً منّا** ﴾، آتيناه خيراً وعافيةً وغنىً، ﴿ **من بعد ضرّاء مسّته** ﴾، من بعد شدّة وبلاء أصابته، ﴿ **ليقولنّ هذا لي** ﴾، أي بعملي وأنا محبوب بهذا، ﴿ **وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى** ﴾، يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، ورددت إلى ربّي إن لي عنده للحسنى، أي الجنة أي كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة. ﴿ **فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لنقفنّهم على مساوىء أعمالهم، ﴿ **ولنذيقنّهم من عذاب غليظ** ﴾.

﴿ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشرّ فَذُو دُعاءٍ عريض** ﴾، كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، يقال: أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي أكثر.

﴿ **قل أرأيتم إن كان** ﴾، هذا القرآن ﴿ **من عند الله ثم كفرتم به مَن أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد** ﴾، خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضلّ منكم.

﴿ **سنُريهم آياتنا في الآفاق** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني منازل الأمم الخالية. ﴿ **وفي أنفسهم** ﴾، بالبلاء والأمراض. وقال قتادة: في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي: في الآفاق ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة. ﴿ **حتى يتبيّن لهم أنه الحق** ﴾، يعني دين الإسلام. وقيل: القرآن يتبيّن لهم أنه من عند الله. وقيل: محمد ﷺ يتبيّن لهم أنه مؤيد من قِبَل الله تعالى. وقال عطاء وابن زيد: في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من لطيف الصّنعة وبديع الحكمة، حتى يتبيّن لهم

لم يكفهم الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله لهم على التوحيد وأنه شاهد لا يغيب عنه شيء.

أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

﴿**ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم**﴾ أي في شك عظيم من القيامة ﴿**ألا إنه بكل شيء محيط**﴾ أي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

أنه الحق. ﴿ **أَوَ لَمْ يكفِ بربِّك أنه على كل شيء شهيد** ﴾، قال مقاتل: أَوَلَمْ يكفِ بربّك لأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء.

﴿ **إلاّ إنّهم في مِرية من لقاء ربهم** ﴾، في شكٍّ من البعث، ﴿ **ألا إنه بكل شيء محيط** ﴾، أحاط بكل شيء علماً.

سورة حمٓ عسقٓ

وتسمى سورة الشورى وهي مكية، في قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس إلا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً**﴾ وقيل فيها من المدني ﴿**ذلك الذي يبشر الله عباده**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**بذات الصدور**﴾ وقوله ﴿**والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**﴾ إلى قوله ﴿**من سبيل**﴾ وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفاً والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**حمٓ عسقٓ**﴾ سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حمٓ عسقٓ ولم يقطع حروف المصٓ والمرٓ وكهيعصٓ، فقال: لأنها بين سور أوائلها حمٓ فجرت مجرى نظائرها فكان حمٓ مبتدأ وعسقٓ خبره لأن حمٓ عسقٓ عدت آيتين وعدت أخواتها التي لم تقطع آية واحدة. وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعصٓ وأخواتها أنها حروف التهجي واختلفوا في حمٓ فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً فقال معناها حم الأمر أي قضى وبقي عسق على أصله. وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عز وجل بها. وقيل إن العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم إلى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه، وقيل هذا في شأن محمد ﷺ فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدرد والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام

سُوْرَةُ الشّوْرَىٰ

مكيّة وهي ثلاث وخمسون آية.

﴿ حٰمٓ * عٓسٓقٓ ﴾، سُئِلَ الحسين بن الفضل لِمَ يُقطّع حٰم عسٓق ولم يُقطّع كهيٰعصٓ؟ فقال: لأنها سوراً وائلها حمٓ فجرت مجرى نظائرها فكان حٰم مبتدأ وعسٓق خبره ولأنهما عُدّا آيتين وأخواتها مثل كهيٰعصٓ [مريم: ١] والمٓصٓ [الأعراف: ١] وآلمرٓ [الرعد: ١] عُدّتْ آية واحدة. وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيٰعصٓ وأخواتها أنها حروف التهجّي لا غير، واختلفوا في حٰمٓ فأخرجها بعضهم من حيّز الحروف وجعلها فعلاً، وقال: معناها حمّ أي قضى ما هو كائن، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حٓ حلمه، مٓ مجده، عٓ علمه، سٓ سناؤه، قٓ قدرته، أقسم الله بها. وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: حٓ حرب يعزّ فيها الذليل ويذلّ فيها العزيز من قريش، مٓ ملك يتحوّل من قوم إلى قوم، عٓ عدو لقريش يقصدهم، سٓ سيء يكون فيهم، قٓ قدرة الله النافذة في خلقه. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلّا وقد أُوحيت إليه حٰمٓ عسٓقٓ.

المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ وقيل معناه كذلك نوحي إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى الذين من قبلك ﴿الله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه، والمعنى كأنه قيل من يوحي فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى:

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾

﴿له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾ أي من فوق الأرضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولداً ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي من المؤمنين دون الكفار، لأن الكافر لا يستحق أن تستغفر له الملائكة، وقيل يحتمل أن يكون لجميع من في الأرض أما في حق الكافرين فبواسطة طلب الإيمان لهم ويحتمل أن يكون المراد من الاستغفار لا يعاجلهم بالعقاب وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم، وقيل استغفارهم لمن في الأرض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ يعني أنه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم إليها بمنه وكرمه الرحمة العامة الشاملة.

قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي جعلوا له شركاء وأنداداً ﴿الله حفيظ عليهم﴾ يعني رقيب على

فلذلك قال: ﴿ كذلك يُوحي إليك ﴾، وقرأ ابن كثير (يـوحَى) بفتح الحاء وحجّته قوله: ﴿ أوحينا إليك ﴾ [النساء: ١٦٣، الشورى: ٧]، ﴿ وإلى الذين من قبلك ﴾، وعلى هذه القراءة قوله: ﴿ الله العزيز الحكيم ﴾، تبيين للفاعل كأنه قيل مَن يوحي فقيل الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون ﴿ يوحي ﴾ بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أخبار الغيب.

﴿ له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم * تكاد السموات يتفطّرْنَ من فوقهنّ ﴾، أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين: (اتخذ الله ولداً) نظيره في سورة مريم [٨٨]: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إدّاً * تكاد السموات يتفطّرْنَ منه ﴾. ﴿ والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لمَن في الأرض ﴾، من المؤمنين، ﴿ ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾.

﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ﴾، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾، لم يوكّلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم.

﴿ وكذلك ﴾، مثل ما ذكرنا، ﴿ أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أُمّ القرى ﴾، مكة يعني أهلها، ﴿ ومن حولها ﴾، يعني قرى الأرض كلها، ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾، أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأوّلين والآخرين وأهل السموات والأرضين، ﴿ لا ريب فيه ﴾، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرّقون. ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي ثنا

أحوالهم وأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ يعني لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم إنما أنت نذير ﴿وكذلك﴾ أي ومثل ما ذكرنا ﴿أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى﴾ يعني مكة والمراد أهلها ﴿ومن حولها﴾ يعني قرى الأرض كلها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد ذلك يتفرقون وهو قوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله تعالى عليهم إلى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل إذاً؟ قال اعملوا وسددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى» أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ قال ابن عباس: على دين واحد وقيل على ملة الإسلام ﴿ولكن

أبو منظور الشامي ثنا أبو العباس الأصم ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخي ثنا بشر بن بكر حدّثني سعيد بن عثمان عن أبي الراهوية ثنا جرير بن كريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الثعلبي: وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي هشام بن القاسم ثنا ليث حدّثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفّيه ومعه كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا يا رسول الله إلاّ أن تخبرنا، فقال: «للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدّتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم أجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة، ثم قال للذي في يساره: هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدّتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذْ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم، أجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، قال عبد الله بن عمرو: ففيمَ العمل إذاً يا رسول الله؟ فقال: «اعملوا وسدّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل، ثم قال: ﴿ فريق في الجنة ﴾ فضل من الله، ﴿ وفريق في السعير ﴾ عدل من الله عزّ وجلّ».

قوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمةً واحدةً ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: على دين واحد. وقال

يدخل من يشاء في رحمته﴾ أي في دين الإسلام ﴿والظالمون﴾ أي الكافرون ﴿ما لهم من ولي﴾ أي يدفع عنهم العذاب ﴿ولا نصير﴾ أي يمنعهم من العذاب ﴿أم اتخذوا﴾ يعني الكفار ﴿من دونه أولياء فالله هو الولي﴾ قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من تبعك ﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ يعني أن من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ أي من أمر الدين ﴿فحكمه إلى الله﴾ أي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه إلى الله وقيل تحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ لأن حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ﴿ذلكم الله﴾ يعني الذي يحكم بين المختلفين هو الله ﴿ربي عليه توكلت﴾ يعني في جميع أموري ﴿وإليه أنيب﴾ يعني وإليه أرجع في كل المهمات ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم﴾ يعني من جنسكم ﴿أزواجاً﴾ يعني حلائل، وإنما قال من أنفسكم لأن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ يعني أصنافاً ذكراناً وإناثاً ﴿يذرؤكم﴾ يعني يخلقكم وقيل يكثركم ﴿فيه﴾ يعني في الرحم وقيل في البطن لأنه قد تقدم ذكر الأزواج وقيل نسلاً بعد نسل حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطب من الناس والأنعام إلا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الأنعام، وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به أي يكثركم بالتزويج ﴿ليس كمثله شيء﴾ المثل صلة أي ليس كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء، قال ابن عباس: ليس له نظير.

فإن قلت هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ يقتضي إثبات المثل فما الفرق.

قلت المثل الذي يكون مساوياً في بعض الصفات الخارجية على الماهية فقوله ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير، كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله ﴿وله المثل الأعلى﴾ معناه وله الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما ﴿وهو السميع﴾ يعني لسائر المسموعات ﴿البصير﴾ يعني المبصرات.

مقاتل: على ملّة الإسلام كقوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ﴿ ولكنْ يُدخِل مَن يشاء في رحمته ﴾، في دين الإسلام، ﴿ والظالمون ﴾، الكافرون، ﴿ ما لهم من وليّ ﴾، يدفع عنهم العذاب، ﴿ ولا نصير ﴾، يمنعهم من النار.

﴿ أم اتخذوا ﴾، بل اتخذوا أي الكافرون، ﴿ من دونه ﴾، أي من دون الله، ﴿ أولياء فالله هو الوليّ ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وليّك يا محمد ووليّ مَنِ اتّبعك، ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾.

﴿ وما اختلفتم فيه من شيء ﴾، من أمر الدين، ﴿ فحكمه إلى الله ﴾، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، ﴿ ذلكم الله ﴾، الذي يحكم بين المختلفين هو، ﴿ ربّي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾.

﴿ فاطر السمٰوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾، من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حوّاء من ضلع آدم. ﴿ ومن الأنعام أزواجاً ﴾، أصنافاً ذكوراً وإناثاً، ﴿ يذرؤكم ﴾، يخلقكم، ﴿ فيه ﴾، أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: في بمعنى الباء أي يذرؤكم به. وقيل: معناه يكثركم بالتزويج. ﴿ ليس كمثله شيء ﴾، مثل صلة أي ليس هو كشيء فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير: ﴿ وهو السميع البصير ﴾.

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ يعني مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الأرض يعني النبات يدل عليه قوله تعالى: **﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** أي أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لأن مفاتيح الرزق بيده **﴿إنه بكل شيء عليم﴾** أي من البسط والتضييق.

قوله عز وجل: **﴿شرع لكم من الدين﴾** أي ما بين وسن لكم طريقاً واضحاً من الدين، أي ديناً تطابقت على صحته الأنبياء وهو قوله تعالى: **﴿ما وصى به نوحاً﴾** أي أنه أول الأنبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وإياك يا محمد ديناً واحداً **﴿والذي أوحينا إليك﴾** أي من القرآن وشرائع الإسلام **﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾** إنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والأتباع الكثيرة وأولو العزم.

ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام من رسله بقوله تعالى: **﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** والمراد بإقامة الدين هو توحيد الله والإيمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلماً، ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى: **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾** وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقيل تحريم الأمهات والبنات والأخوات فإنه مجمع على تحريمهن، وقيل لم يبعث الله نبياً إلا وصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة **﴿كبر على المشركين ما**

﴿ له مقاليد السمٰوات والأرض ﴾، مفاتيح الرزق في السمٰوات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات. **﴿ يبسط الرزق لمَن يشاء ويَقْدِرَ ﴾** لأن مفاتيح الرزق بيده، **﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ شرع لكم من الدين ﴾**، بيّن وسنّ لكم، **﴿ما وصّى به نوحاً ﴾**، وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد ديناً واحداً. **﴿ والذي أوحينا إليك ﴾**، من القرآن وشرائع الإسلام، **﴿ وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴾**، واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات. وقال مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلاّ أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله: **﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾**، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة، **﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾**، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال: **﴿ الله يجتبي إليه مَن يشاء ﴾**، يصطفي لدينه من عباده مَن يشاء، **﴿ ويهدي إليه مَن ينيب ﴾**، يقبل إلى طاعته.

تدعوهم إليه﴾ أي من التوحيد ورفض الأوثان ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ أي يقبل على طاعته ﴿وما تفرقوا﴾ يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس: يعني أهل الكتاب ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أي بأن الفرقة ضلالة ﴿بغياً بينهم﴾ أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغياً منهم على محمد ﷺ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي في تأخير العذاب عنهم ﴿إلى أجل مسمى﴾ يعني إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ أي بين من آمن وكفر يعني لأنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى ﴿من بعدهم﴾ أي من بعد أنبيائهم وقيل الأمم الخالية ﴿لفي شك منه﴾ أي من أمر محمد ﷺ فلا يؤمنون به ﴿مريب﴾ يعني مرتابين شاكين فيه ﴿فلذلك﴾ أي إلى ذلك ﴿فادع﴾ أي إلى ما وصى الله تعالى به الأنبياء من التوحيد وقيل لأجل ما حدث به من الاختلاف في الدين الكثير فادع أنت إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿واستقم كما أمرت﴾ أي أثبت على الدين الذي أمرت به ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ أي المختلفة الباطلة ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لأن المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ قال ابن عباس أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام وقيل لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء وقيل لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم إلي ﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ يعني أن إله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازي بعمله ﴿لا حجة﴾ أي لا خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ وهذه الآية منسوخة بآية القتال إذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ﴿الله يجمع بيننا﴾ أي في المعاد لفصل القضاء ﴿وإليه المصير﴾.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِىٓ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا

﴿ وما تفرّقوا ﴾، يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكّين: [البيّنة: ٤]: ﴿ وما تفرّق الذين أُوتوا الكتاب ﴾، الآية. ﴿ إلّا من بعد ما جاءهم العلم ﴾، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك، ﴿ بغياً بينهم ﴾، أي للبغي، قال عطاء: يعني بغياً بينهم على محمد ﷺ، ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿ إلى أجلٍ مسمى ﴾، وهو يوم القيامة، ﴿ لقضيَ بينهم ﴾، بين مَن آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، ﴿ وإن الذين أُورثوا الكتاب ﴾، يعني اليهود والنصارى، ﴿ من بعدهم ﴾، أي من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة: معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة. ﴿ لفي شكٍّ منه مريب ﴾، أي من محمد ﷺ.

﴿ فلذلك فادْعُ ﴾، أي فإلى ذلك كما يقال دعوت إلى فلان ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصّى به الأنبياء من التوحيد، ﴿ واستقم كما أمرت ﴾، أي اثبت على الدين الذي أمرت به، ﴿ ولا تتبعْ أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾، أي آمنت بكتب الله كلها، ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾، أن أعدل بينكم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أُمرتُ أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام. وقيل: لأعدل بينكم في جميعِ الأحوال والأشياء، ﴿ الله ربُّنا وربُّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾، يعني إلٓهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكلٌ يُجازَى بعمله، ﴿ لا حجة ﴾، لا خصومة، ﴿ بيننا وبينكم ﴾، نسختها آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين مَن لا يجيب خصومة، ﴿ الله يجمع بيننا ﴾، في المعاد لفصل القضاء، ﴿ وإليه المصير ﴾.

يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿والذين يحاجون في الله﴾ أي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم ﴿من بعد ما استجيب له﴾ أي من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه ﷺ ﴿حجتهم داحضة﴾ أي خصومتهم باطلة ﴿عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ أي في الآخرة ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق﴾ أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والأحكام ﴿والميزان﴾ أي العدل سمي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ أي وقت إتيانها قريب وذلك أن النبي ﷺ ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيباً له متى تكون الساعة فأنزل الله تعالى: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ أي ظناً منهم أنها غير آتية ﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ أي خائفون ﴿منها ويعلمون أنها الحق﴾ أي أنها آتية لا شك فيها ﴿ألا إن الذين يمارون﴾ أي يخاصمون ﴿في الساعة﴾ وقيل يشكون فيها ﴿لفي ضلال بعيد﴾ قوله عز وجل:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

﴿الله لطيف بعباده﴾ أي كثير الإحسان إليهم، قال ابن عباس: حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر

﴿ والذين يحاجّون في الله ﴾، يخاصمون في دينَ اللّهِ تعالى نبيَّه ﷺ، وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبيّنا قبل نبيّكم، فنحن خير منكم، فهذه خصومتهم. ﴿ من بعد ما استُجيب له ﴾، أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، ﴿ حجّتهم داحضة ﴾، خصومتهم باطلة، ﴿ عند ربهم وعليهم غضبٌ ولهم عذاب شديد ﴾، في الآخرة.

﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾، قال قتادة ومقاتل: العدل، وسُمّي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البَخْس. ﴿ وما يُدريك لعلّ الساعة قريب ﴾، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت قريب. وقال الكسائي: إتيانها قريب. قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيباً: متى تكون الساعة؟

فأنزل الله هذه الآية: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾، ظنّاً منهم أنها غير آتية، ﴿ والذين آمنوا مشفقون ﴾، أي خائفون، ﴿ منها ويعلمون أنها الحق ﴾، أنها آتية لا ريب فيها، ﴿ ألا إن الذين يمارون ﴾، يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك، ﴿ في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾.

﴿ الله لطيف بعباده ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حفيٌّ بهم. فقال عكرمة: بارٌّ بهم. قال السدي:

حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى: ﴿يرزق من يشاء﴾ يعني أن الإحسان والبر إنعام في حق كل العباد وهو إعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه، وقيل لطفه في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقكم من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه إليكم مرة واحدة ﴿وهو القوي﴾ أي القادر على كل ما يشاء ﴿العزيز﴾ أي الذي لا يغالب ولا يدافع ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة ﴿نزد له في حرثه﴾ أي بالتضعيف الواحدة إلى عشرة إلى ما يشاء الله تعالى من الزيادة، وقيل إنا نزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعة إليه ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ يعني يريد بعمله الدنيا مؤثراً لها على الآخرة ﴿نؤته منها﴾ أي ما قدر وقسم له منها ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ يعني لأنه لم يعمل لها، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ «بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب» ذكره في جامع الأصول ولم يعزه إلى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي بإسناده.

قوله تعالى: ﴿أم لهم﴾ يعني كفار مكة ﴿شركاء﴾ يعني الأصنام وقيل الشياطين ﴿شرعوا لهم ديناً من الدين﴾ قال ابن عباس شرعوا لهم غير دين الإسلام ﴿ما لم يأذن به الله﴾ يعني أن تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله تعالى الذي أمر به وذلك أنهم زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ يعني أن الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا ﴿وإن الظالمين﴾ يعني المشركين ﴿لهم عذاب أليم﴾ أي في الآخرة ﴿ترى الظالمين﴾ يعني يوم القيامة ﴿مشفقين﴾ أي وجلين خائفين ﴿مما كسبوا﴾ أي من الشرك والأعمال الخبيثة ﴿وهو واقع بهم﴾ أي جزاء كسبهم واقع بهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات﴾ لأن هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك

رفيق. قال مقاتل: لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم، يدلّ عليه قوله: ﴿ يرزق مَن يشاء ﴾، وكلُّ مَن رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممَّن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفر بن محمد الصادق: اللطف في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة. ﴿ وهو القوي العزيز ﴾.

﴿ مَن كان يريد حرث الآخرة ﴾، الحرث في اللغة: الكسب، يعني مَن كان يريد بعمله الآخرة، ﴿ نَزِدْ له في حرثه ﴾، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة، ﴿ ومَن كان يريد حرث الدنيا ﴾، يريد بعمله الدنيا، ﴿ نُؤته منها ﴾، قال قتادة: أي نؤته بقدر ما قَسم الله له، كما قال: ﴿ عجَّلنا له فيها ما نشاء لمَن نريد ﴾ [الإسراء: ١٨]. ﴿ وما له في الآخرة من نصيب ﴾، لأنه لم يعمل للآخرة. أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن بلال ثنا أبو الأزهر أحمد بن منيع البغدادي ثنا محمد بن يوسف الفريابي ثنا سفيان عن المغيرة عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشّرت هذه الأمة بالسنا والرِّفعَة والنصرة والتمكين في الأرض، فمَن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب».

قوله تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾، يعني كفّار مكة، يقول ألهم آلهة سنُّوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام، ﴿ ولولا كلمة الفصل ﴾، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ [القمر: ٤٦]، ﴿ لقضيَ بينهم ﴾، لفُرِغَ من عذاب الذين يكذّبونك في الدنيا، ﴿ وإن

خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة ﴿**لهم ما يشاؤون عند ربهم**﴾ أي من الكرامة ﴿**ذلك هو الفضل الكبير ذلك**﴾ أي الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله به عباده ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ قوله عز وجل: ﴿**قل لا أسألكم عليه**﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿**أجراً**﴾ أي جزاء ﴿**إلا المودة في القربى**﴾ (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله ﴿**إلا المودة في القربى**﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ قال ابن عباس: عجبت أن النبي ﷺ لم تكن بطن من قريش إلا وله فيهم قرابة فقال ألا تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، وعن ابن عباس أيضاً في قوله ﴿**إلا المودة في القربى**﴾: يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي، وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته واختلفوا في قرابته، فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليه الصدقة من أقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا في إسلام (م). عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال «إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به» فحثَّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس».

الظالمين ﴾، المشركين، ﴿ **لهم عذاب أليم** ﴾، في الآخرة.

﴿ **ترى الظالمين** ﴾، المشركين يوم القيامة، ﴿ **مشفقين** ﴾، وجلين، ﴿ **مما كسبوا وهو واقع بهم** ﴾، جزاء كسبهم واقع بهم، ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير** ﴾.

﴿ **ذلك الذي** ﴾، ذكرت من نعيم الجنة، ﴿ **يبشّر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾، بأنهم أهله، ﴿ **قلْ لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى** ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاوساً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئِلَ عن قوله: ﴿ **إلّا المودّة في القربى** ﴾، قال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: عجبت أن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلّا كان له فيهم قرابة، فقال: إلّا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، وكذلك روى الشعبي وطاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ **إلّا المودّة في القربى** ﴾ يعني أن تحفظوا قرابتي وتودّوني وتَصِلوا رحمي. وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك، رضي الله عنهم. وقال عكرمة: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً إلّا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم، وليس كما يقول الكذّابون. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية: إلّا أن تودُّوا الله وتتقرّبوا إليه بطاعته، وهذا قول الحسن، قال: هو القربى إلى الله، يقول إلّا التقرّب إلى الله والتودّد إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقال بعضهم: معناه إلّا أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب، واختلفوا في قرابته فاطمة الزهراء وعليّ وابناه، وفيهم نزل: ﴿ إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهبَ عنكم الرِّجْسَ أهلَ البيت ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وروينا عن يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد بن أرقم: مَنْ

فإن قلت طلب الأجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح عليه السلام وغيره من الأنبياء **﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين﴾**.

قلت لا نزاع في أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ الرسالة.

بقي الجواب عن قوله **﴿إلا المودة في القربي﴾**.

فالجواب عنه من وجهين: الأول معناه لا أطلب منكم إلا هذه وهذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

معناه إذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولأن المودة بين المسلمين أمر واجب وإذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي ﷺ أولى فقوله **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** المودة في القربى ليست أجراً في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت أن لا أجر البتة، والوجه الثاني أن هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله **قل** لا أسألكم عليه أجراً ثم ابتدأ فقال إلا المودة في القربى أي لكن أذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم؛ وقيل: إن هذه الآية منسوخة وذلك لأنها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحب الله تعالى أن يلحقه بإخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى: **﴿قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله﴾** فصارت هذه الآية ناسخة لقوله **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** وإليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل، والقول بنسخ هذه الآية غير مرضي لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير إلى نسخ هذه الآية. وروي عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر قال: إلا أن توادوا الله وتتقربوا إليه بطاعته وهو قول الحسن قال هو القربى إلى الله يقول إلا التقرب إلى الله تعالى والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح.

أهل بيته؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ثنا خالد ثنا شعبة عن واقد قال: سمعت أبي يحدّث عن ابن عمر عن أبي بكر قال: ارقبُوا محمداً في أهل بيته. وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرّقوا في جاهلية ولا في إسلام. وقال قوم: هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودّة رسول الله ﷺ وصلة رحمه، فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحبَّ اللَّهُ عزّ وجلّ أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قال: ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلّا على ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٨٠]، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلّا على الله ﴾ [سبأ: ٤٧]، فهي منسوخة بهذه الآية، وبقوله: ﴿ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ [صٓ: ٨٦]، وغيرها من الآيات وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل، وهذا قول غير مرضي لأن مودّة النبي ﷺ وكفّ الأذى عنه ومودّة أقاربه، والتقرّب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء. وقوله: ﴿ إلّا المودّة في القربى ﴾، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكني أُذكّركم المودّة في القربى وأُذكّركم قرابتي منكم، كما روينا في حديث زيد بن أرقم. (أُذكّركم الله في أهل بيتي).

وقوله تعالى: ﴿**ومن يقترف حسنة**﴾ أي يكتسب طاعة ﴿**نزد له فيها حسناً**﴾ أي بالتضعيف ﴿**إن الله غفور**﴾ للذنوب ﴿**شكور**﴾ أي للقليل من الأعمال حتى يضاعفها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿**أم يقولون**﴾ أي بل يقول كفار مكة ﴿**افترى على الله كذباً**﴾ فيه توبيخ لهم معناه أيقع في قلوبهم ويجري على لسانهم أن ينسبوا مثله إلى الكذب وأنه افترى على الله كذباً وهو أقبح أنواع الكذب ﴿**فإن يشأ الله يختم على قلبك**﴾ أي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم إنه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله بالفعل به ما أخبر به في هذه الآية ﴿**ويمح الله الباطل**﴾ أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه ﴿**ويحق الحق بكلماته**﴾ أي يحق الإسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ قال ابن عباس: لما نزلت ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فإنا نشهد أنك صادق فنزل قوله عز وجل: ﴿**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أولياؤه وأهل طاعته.

(فصل في ذكر التوبة وحكمها)

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً.

قوله تعالى: ﴿ **ومَن يقترفْ حسنةً نَزِدْ له فيها حسناً** ﴾، أي: مَن يكتسب طاعةً نزد له فيها حسناً بالتضعيف، ﴿ **إنّ الله غفور** ﴾، الذنوب، ﴿ **شكور** ﴾، للقليل حتى يضاعفها.

﴿ **أم يقولون** ﴾، بل يقولون يعني كفّار مكة، ﴿ **افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾، قال مجاهد: نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشقّ عليك أذاهم، وقولهم إنه مُفترٍ، قال قتادة: بعني يطبع على قلبك فيُنسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتدأ فقال: ﴿ **ويمحُ الله الباطل** ﴾، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل. فهو في محل رفع ولكنه حذفت منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله: ﴿ ويدع الإنسان ﴾ [الإسراء: ١١] و﴿ سندع الزبانية ﴾ [العلق: ١٧] أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله، ﴿ **ويحقّ الحق بكلماته** ﴾، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾، قال ابن عباس: لمّا نزلت: ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى** ﴾، وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثّنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل فأخبره أنهم اتّهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم الذين اتهموه: يا رسول الله أنشهد أنك صادق؟

فإذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصي نية وفعلاً والإقبال على الطاعات نية وفعلاً، وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة (خ). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (م) عن الأغر بن بشار المزني قال «قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» (ق) عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبدالمؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة» (ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» ولمسلم عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» عن صفوان بن عسال المرادي قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها**﴾ الآية أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م). عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار

فنزل: ﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** ﴾، قال ابن عباس: يريد أولياءه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نيّةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيّةً وفعلاً، قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿ **ويعفوا عن السيئات** ﴾، إذا تابوا فلا يُؤاخذهم بها، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه ثنا يحيىٰ بن حمّاد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله أفرح بتوبة عبده من رجل، أظنه قال: في بريّة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلّتْ راحلته، فطاف عليها حتى أدركه العطش، فقال أرجع إلى حيث كانت راحلتي فأموت عليه، فرجع فأغفى فاستيقظ فإذ هو بها عنده عليها طعامه وشرابه»، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: ثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمّار ثنا إسحاق بن أبي طلحة حدّثني أنس بن مالك وهو عمّه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلّها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذْ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدّة الفرح: اللّهمَّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدّة الفرح». ﴿ **ويعفوا عن السيئات** ﴾ فيمحوها إذا تابوا. ﴿ **ويعلم ما تفعلون** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ **تفعلون** ﴾ بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، قرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين

ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» وقوله عز وجل: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ أي يمحوها إذا تابوا ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ يعين من خير وشر فيجازيهم عليهم.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذا دعوه، وقال ابن عباس: ويثبت الذين آمنوا ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه، وقال ابن عباس: يشفعهم في إخوانهم ويزيدهم من فضل، قال في إخوان إخوانهم ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ قوله عز وجل: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ أي وسع الله الرزق لعباده ﴿لبغوا﴾ أي لطغوا وعتوا ﴿في الأرض﴾ قال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس، وقيل: إن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة رجع إلى مقتضى طبعه وهو التكبر وإذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع إلى الطاعة والتواضع، وقيل: إن البغي مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لأن النفس مائلة إلى الشر لكنها إذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل وإذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ يعني الأرزاق نظراً لمصالح عباده وهو قوله تعالى: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ والمعنى أنه تعالى عالم بأحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال «يقول الله عز وجل من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له

عن قوم، فقال: قبله يقبل التوبة عن عباده، وبعده ويزيدهم من فضله.

﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾، أي ويجيب الذين آمنوا، ﴿ وعملوا الصالحات ﴾، إذا دعوه، وقال عطاء عن ابن عباس: ويثبّت الذين آمنوا. ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾، سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. وقال أبو صالح عنه: يُشفّعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله. قال في إخوان إخوانهم. ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾.

﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده ﴾، قال خبّاب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنّا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنّيناها فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية ﴿ ولو بسط الله الرزق ﴾ وسع الله الرزق ﴿ لعباده ﴾، ﴿ لبغوا ﴾، لطغوا وعتوا، ﴿ في الأرض ﴾، قال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلةً بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبس بعد ملبس. ﴿ ولكن ينزل ﴾، أرزاقهم، ﴿ بقدر ما يشاء ﴾، كما يشاء نظراً منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، ﴿ إنه بعباده خبير بصير ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي ثنا صدقة عن عبد الله ثنا هشام الكناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عزّ وجلّ قال: «يقول الله عزّ وجلّ مَن أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث

سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير» أخرجه البغوي بإسناده.

قوله عز وجل: ﴿**وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا**﴾ أي يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لأن الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم ﴿**وينشر رحمته**﴾ أي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ﴿**وهو الولي**﴾ أي لأهل طاعته ﴿**الحميد**﴾ أي المحمود على ما يوصل إلى الخلق من أقسام رحمته.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾

﴿**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث**﴾ أي أوجد ﴿**فيهما**﴾ أي في السموات والأرض ﴿**من دابة**﴾.

فإن قلت كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة.

الحرد، وما تقرّب إليّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي المؤمن يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ومؤيداً، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته ولا بدّ له منه، وإن من عبادي المؤمنين لَمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أنْ لا يدخله عُجبٌ فيفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لَمن لا يصلح إيمانه إلّا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لَمن لا يصلح إيمانه إلّا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لَمن لا يصلح إيمانه إلّا الصحّة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لَمن لا يصلح إيمانه إلّا السّقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبّر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وهو الذي يُنزل الغيث** ﴾، المطر، ﴿ **من بعد ما قنطوا** ﴾، يعني من بعد ما يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكّرهم الله نعمته، ﴿ **وينشر رحمته** ﴾، يبسط مطره، كما قال: ﴿ وهو الذي يُرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ [الفرقان: ٤٨]. ﴿ **وهو الوليّ** ﴾، لأهل طاعته، ﴿ **الحميد** ﴾، عند خلقه.

﴿ **ومن آياته خلق السمٰوات والأرض وما بثّ فيهما من دابّة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير** ﴾، يعني يوم القيامة.

قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الأرض، فيحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الإنسان، وقيل: يحتمل أن الله تعالى خلق في السموات أنواعاً من الحيوانات يدبون دبيب الإنسان ﴿**وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**﴾ يعني يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ المراد بهذه المصائب الأحوال المكروهة نحو الأوجاع والأسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصي ﴿**ويعفو عن كثير**﴾ قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سخيلة قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه «ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ﷺ ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾ وسأفسرها لكم يا علي ﴿**ما أصابكم من مصيبة**﴾ أي من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا ﴿**فبما كسبت أيديكم**﴾ والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه» وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها إلا بها (ق). عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة» ﴿**وما أنتم بمعجزين**﴾ أي بفائتين ﴿**في الأرض**﴾ هرباً يعني لا تعجزونني حيثما كنتم ﴿**وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**﴾ قوله عز وجل: ﴿**ومن آياته الجوار**﴾ يعني السفن وهي السيارة ﴿**في البحر كالأعلام**﴾ أي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم ﴿**إن يشأ يسكن الريح**﴾ أي

﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾، قرأ أهل المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء، وكذلك هو في مصاحفهم، فمَن حذف الفاء جعل ما في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. ﴿ **ويعفوا عن كثير** ﴾، قال الحسن: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلّا بذنب، وما يعفوا الله عنه أكثر»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا بشر بن موسى الأسدي ثنا خلف بن الوليد ثنا مروان بن معاوية أخبرني الأزهر بن راشد الباهلي عن الخضر بن القوّاس البجلي عن أبي سخيلة قال: قال عليّ بن أبي طالب: ألا أُخبركم بأفضل آية في كتاب الله عزّ وجلّ حدّثنا بها رسول الله ﷺ؟ ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير** ﴾، قال: وسأفسّرها لك يا علي: «ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله عزّ وجلّ أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنكم في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه»، قال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلّا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلّا بها أو درجة لم يكن الله ليبلغه إلّا بها.

﴿ **وما أنتم بمعجزين** ﴾، بفائتين، ﴿ **في الأرض** ﴾، هرباً يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني، ﴿ **وما لكم من دون الله من وليّ ولا نصير** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ومن آياته الجوار** ﴾، يعني السفن، واحدتها جارية وهي السائرة، ﴿ **في البحر كالأعلام** ﴾، أي الجبال، قال مجاهد: القصور واحدها علم، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.

﴿ **إن يشأ يسكن الريح** ﴾، التي تجريها، ﴿ **فيظللن** ﴾، يعني الجواري، ﴿ **رواكد** ﴾، ثوابت، ﴿ **على**

التي تجري بها السفن ﴿فيظللن﴾ يعني السفن الجواري ﴿رواكد﴾ أي ثوابت ﴿على ظهره﴾ أي ظهر البحر لا تجري ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهذه صفة المؤمن لأنه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أو يوبقهن﴾ أي يغرقهن ويهلكهن ﴿بما كسبوا﴾ أي بما كسبت ركابها من الذنوب ﴿ويعف عن كثير﴾ أي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾ يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه ﴿فما أوتيتم من شيء﴾ أي من زينة الدنيا ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ أي ليس هو من زاد المعاد ﴿وما عند الله﴾ أي من الثواب ﴿خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ والمعنى أن المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فإذا صارا إلى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيراً وأبقى للمؤمن ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾ يعني كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك ﴿والفواحش﴾ يعني ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يعني يكظمون الغيظ ويجلهون ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ يعني أجابوا إلى ما دعاهم إليه من طاعته ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يعني المفروضة ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي، ما لم يجتمعوا عليه قيل.

ظهره﴾، على ظهر البحر لا تجري، ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾، أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدّة والشكر في الرخاء.

﴿أو يُوبِقْهُنّ﴾، يهلكهنّ ويغرقهنّ، ﴿بما كسبوا﴾، أي بما كسبت ركبانها من الذنوب، ﴿ويعفُ عن كثير﴾، من ذنوبهم فلا يعاقب عليها.

﴿ويعلم﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿ويعلم﴾ برفع الميم على الاستئناف كقوله عزّ وجلّ في سورة براءة [١٥]: ﴿ويتوب الله على مَن يشاء﴾، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى: ﴿ويعلم الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٢]، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافاً وكراهية لتوالي الجزم. ﴿الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص﴾، أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

﴿فما أُوتيتم من شيء﴾، من رياش الدنيا، ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾، لي من زاد المعاد، ﴿وما عند الله﴾، من الثواب، ﴿خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن.

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾، قرأ حمزة والكسائي: (كبير الإثم) على الواحد ههنا، وفي سورة النجم [٣٢]، وقرأ الآخرون: ﴿كبائر﴾ بالجمع، وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء. ﴿والفواحش﴾، قال السدي: يعني الزنا. وقال مجاهد ومقاتل: ما يوجب الحدّ. ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾، يحملون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون.

ما تشاور قوم إلا هدوا إلى أرشد أمرهم ﴿ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي﴾ يعني الظلم والعدوان ﴿هم ينتصرون﴾ يعني ينتقمون من ظالمهم من غيرتعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية، وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فإذا قدروا عفوا. وقيل: إن العفو إغراء للسفيه وقال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى أن شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى:

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ سمي الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل لأن الجزاء يسوء من ينزل به، وقيل هو جزاء القبيح إذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد وإذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتدوا وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل إن الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين أنه مشروع ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى: ﴿فمن عفا﴾ أي عمن ظلمه ﴿وأصلح﴾ أي بالعفو بينه وبين الظالم ﴿فأجره

﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾، أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ﴿ وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ﴾، يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾.

﴿ والذين إذا أصابهم البغي ﴾، الظلم والعدوان، ﴿ هم ينتصرون ﴾، ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾، وصنف ينتصرون من ظالميهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية. قال إبراهيم: في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلّوا فإذا قدروا عفوا. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفّار من مكة وبغوا عليهم مكّنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممّن ظلمهم، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها ﴾، سمّى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة. قال مقاتل: يعني القصاص في الجراحات والدماء. قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخزاك الله يقول أخزاك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي. قال سفيان بن عيينة: قلت لسفيان الثّوري ما قوله عزّ وجلّ: ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾؟ قال: إن يشتمك رجل فتشتمه أو أن يفعل بك فتفعل به، فلم أجد عنده شيئاً فسألت هشام بن حجيرة عن هذه الآية، فقال: الجارح إذا جرح يقتصّ منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه. ثم ذكر العفو فقال: ﴿ فمَن عفا ﴾، عمّن ظلمه، ﴿ وأصلح ﴾، بالعفو بينه وبين ظالمه، ﴿ فأجره على الله ﴾، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ: مَن كان له على الله أجْر فليقم فلا يقوم إلاّ مَن عفا، ثم قرأ هذه الآية. ﴿ إنه لا يحبّ الظالمين ﴾، قال ابن عباس: الذين يبدأون بالظلم.

﴿ ولمَن انتظر بعد ظلمه ﴾ أي بعد ظلم الظالم إياه، ﴿ فأولئك ﴾، يعني المنتصرين، ﴿ ما عليهم من سبيل ﴾، بعقوبة ومؤاخذة.

على الله﴾ قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الآية ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ قال ابن عباس: الذين يبدؤون بالظلم ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أي بعد ظلم الظالم إياه ﴿فأولئك﴾ يعني المنتصرين ﴿ما عليهم من سبيل﴾ أي بعقوبة ومؤاخذة ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ أي يبدؤون بالظالم ﴿ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ أي يعملون فيها بالمعاصي ﴿أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر﴾ أي لم ينتصر ﴿وغفر﴾ تجاوز عن ظالمه ﴿إن ذلك﴾ أي الصبر والتجاوز ﴿لمن عزم الأمور﴾ يعني تركه الانتصار لمن عزم الأمور الجيدة التي أمر الله عز وجل بها وقيل إن الصابر يؤتي بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزماً ﴿ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده﴾ يعني ما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذابه ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ يعني يوم القيامة ﴿يقولون أهل إلى مرد من سبيل﴾ يعني أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾

﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي على النار ﴿خاشعين من الذل﴾ أي خاضعين متواضعين ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ يعني يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلة في أنفسهم، وقيل ينظرون بطرف خفي أي ضعيف من الذل،

﴿انما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾، يبدأون بالظلم، ﴿ ويبغون في الأرض بغير الحق ﴾، يعملون فيها بالمعاصي، ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ﴾.

﴿ ولمَن صبر وغفر ﴾، فلم ينتصر، ﴿ إن ذلك ﴾، الصبر والتجاوز، ﴿ لمن عزم الأمور ﴾، حقها وحزمها. قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها. قال الزجّاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتمّ عزماً.

﴿ ومَن يضلل الله فما له من وليّ من بعده ﴾، فما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إيّاه أو يمنعه من عذاب الله، ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾، يوم القيامة، ﴿ يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾، يسألون الرجعة في الدنيا.

﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾، أي على النار، ﴿ خاشعين ﴾، خاضعين متواضعين، ﴿ من الذلّ ينظرون من طرف خفي ﴾، خفي النظر لما عليهم من الذلّ يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلّةً في أنفسهم. وقيل: ﴿ من ﴾ بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف من الذل. وقيل: إنما قال: ﴿ من طرف خفي ﴾ لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل: معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً والنظر بالقلب خفي. ﴿ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾، قيل: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة. ﴿ ألا إنّ الظالمين في عذاب مقيم ﴾.

وقيل ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً والنظر بالقلب خفي ﴿**وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم**﴾ يعني بأن صاروا إلى النار. ﴿**وأهليهم يوم القيامة**﴾ يعني وخسروا أهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة ﴿**ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل**﴾ أي وصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير ﴿**استجيبوا لربكم**﴾ أي أجيبوا داعي الله يعني محمداً ﷺ ﴿**من قبل من أن يأتي يوم لا مرد له من الله**﴾ أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت ﴿**ما لكم من ملجأ يومئذ**﴾ أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت ﴿**وما لكم من نكير**﴾ أي ينكر حالكم وقيل النكير الإنكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيئاً ﴿**فإن أعرضوا**﴾ أي عن الإجابة ﴿**فما أرسلناك عليهم حفيظاً**﴾ أي تحفظ أعمالهم ﴿**إن عليك إلا البلاغ**﴾ أي ليس عليك إلا البلاغ وفيه تسلية للنبي ﷺ ﴿**وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾ قال ابن عباس: يعني الغنى والصحة ﴿**فرح بها وإن تصبهم سيئة**﴾ أي قحط ﴿**بما قدمت أيديهم**﴾ أي من الأعمال الخبيثة ﴿**فإن الإنسان كفور**﴾ أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه.

قوله عز وجل: ﴿**لله ملك السموات والأرض**﴾ يعني له التصرف فيهما بما يريد ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وإرادته ﴿**يهب لمن يشاء إناثاً**﴾ أي فلا يولد له ذكر ﴿**ويهب لمن يشاء الذكور**﴾ أي فلا يولد له أنثى.

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

﴿**أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً**﴾ أي يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث ﴿**ويجعل من يشاء عقيماً**﴾ أي فلا يولد له

﴿ **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومَن يضلل الله فما له من سبيل** ﴾، طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد استدّت عليهم طرق الخير.

﴿ **استجيبوا لربكم** ﴾، أجيبوا داعي الله يعني محمداً ﷺ، ﴿ **من قبل أن يأتي يومٌ لا مردّ له من الله** ﴾، لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة ﴿**ما لكم من ملجأ**﴾ تلجأون إليه ﴿ **يومئذ وما لكم من نكير** ﴾ من منكر يغيّر ما بكم.

﴿ **فإن أعرضوا** ﴾، عن الإجابة، ﴿ **فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك** ﴾، ما عليك، ﴿ **إلاّ البلاغ وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة** ﴾، قال ابن عباس: يعني الغنى والصحة. ﴿ **فرح بها وإن تصبهم سيئة** ﴾، قحط، ﴿ **بما قدّمت أيديهم فإن الإنسان كفور** ﴾، أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شِدّة جميع ما سلف من النِّعَم.

﴿ **لله ملك السمٰوات والأرض** ﴾، له التصرّف فيهما بما يريد، ﴿ **يخلق ما يشاء يهب لمَن يشاء إناثاً** ﴾، فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبلَ الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث، ﴿ **ويهب لمَن يشاء الذكور** ﴾، فلا يكون له أُنثى.

﴿ **أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً** ﴾، يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث، ﴿ **ويجعل مَن يشاء عقيماً** ﴾، فلا

ولد، وقيل هذا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقوله يهب لمن يشاء إناثاً يعني لوطاً لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى ﴿**أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً**﴾ يعني محمداً ﷺ ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيماً يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا فالآية عامة في جميع الناس ﴿**إنه عليم**﴾ أي بما يخلق ﴿**قدير**﴾ أي على ما يريد أن يخلق.

قوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً**﴾ قيل في سبب نزولها: إن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ﷺ ونظر إليه فقال لم ينظر موسى إلى لله تعالى فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً**﴾ أي يوحي إليه في المنام أو بالإلهام كما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده وهو وحي وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه في البحر ﴿**أو من رواء حجاب**﴾ أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ﴿**أو يرسل رسولاً**﴾ يعني من الملائكة إما جبريل أو غيره ﴿**فيوحي بإذنه ما يشاء**﴾ يعني يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشراً إلا من وراء حجاب في الدنيا ويأتي بيان هذه المسألة إن شاء الله تعالى في سورة النجم ﴿**إنه على**﴾ أي عن صفات المخلوقين ﴿**حكيم**﴾ أي في جميع أفعاله.

قوله عز وجل: ﴿**وكذلك**﴾ أي وكما أوحينا إلى سائر رسلنا ﴿**أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ قال ابن عباس: نبوة، وقيل: قرآناً لأن به حياة الأرواح، وقيل: رحمة وقيل جبريل ﴿**ما كنت تدري**﴾ أي قبل الوحي ﴿**ما الكتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**ولا الإيمان**﴾ اختلف العلماء في هذه الآية مع اتفاقهم على أن الأنبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرائع الإيمان ومعالمه.

وقال محمد بن إسحاق عن ابن خزيمة الإيمان في هذا الموضع الصلاة دليله ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ يعني صلاتكم ولم يرد به الإيمان الذي هو الإقرار بالله تعالى لأن النبي ﷺ كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر

يلد ولا يولد له. قيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام ﴿ **يهب لِمَن يشاء إناثاً** ﴾ يعني لوطاً لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان، ﴿ **ويهب لِمَن يشاء الذكور** ﴾ يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أُنثى، ﴿ **أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً** ﴾ يعني محمد ﷺ ولد له بنون وبنات، ﴿ **ويجعل مَن يشاء عقيماً** ﴾ يحيىٰ وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامّة في حق كافّة الناس. ﴿ **إنه عليم قدير** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً** ﴾، وذلك أن اليهود قالُوا للنبي ﷺ ألا تُكلّم الله وتنظر إليه إن كنتَ نبياً كما كلّمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عزّ وجلّ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً** ﴾ يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾، يُسمِعه كلامه ولا يراه كما كلّمه موسى عليه الصلاة والسلام، ﴿ **أو يرسل رسولاً** ﴾، إما جبريل أو غيره من الملائكة، ﴿ **فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾، أي يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء، قرأ نافع: ﴿ **أو يرسل** ﴾ برفع اللام على الابتداء، ﴿ **فيوحي** ﴾ ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفاً على محل الوحي لأن معناه: وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا أن يوحي إليه أو يرسل رسولاً. ﴿ **إنه عليٌّ حكيم** ﴾.

﴿ **وكذلك** ﴾، أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا، ﴿ **أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾، قال ابن عباس: نبوّة. وقال الحسن: رحمة. وقال السدي ومقاتل: وحياً. وقال الكلبي: كتاباً. وقال الربيع: جبريل. وقال مالك بن

ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه إلا بعد الوحي إليه ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾ قال ابن عباس يعني الإيمان وقيل القرآن لأنه يهتدي به من الضلالة وهو قوله تعالى: ﴿نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي﴾ أي لتدعو ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يعني إلى دين الإسلام.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿صراط الله﴾ يعني دين الله الذي شرعه لعباده ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ يعني أمور الخلائق في الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

دينار: يعني القرآن. ﴿ ما كنت تدري ﴾، قبل الوحي، ﴿ ما الكتاب ولا الإيمان ﴾، يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع الصلاة، ودليله قوله عزّ وجلّ: ﴿ وما كان الله ليضيّع إيمانكم ﴾ [البقرة: ١٤٣] وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبيّن له شرائع دينه، ﴿ ولكن جعلناه نوراً ﴾، قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿ نهدي به ﴾، نرشد به، ﴿ مَن نشاء من عبادنا وإنك لتهدي ﴾، أي لتدعو، ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾، يعني الإسلام.

﴿ صراط الله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض ألآ إلى الله تصير الأمور ﴾، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.



سورة الزخرف

مكية وهي تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون كلمة[1] وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ والكتاب المبين﴾ أقسم بالكتاب وهو القرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم ﴿إنا جعلناه﴾ أي صيرنا هذا الكتاب عربياً وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه ﴿قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ يعني معانيه وأحكامه ﴿وإنه﴾ يعني القرآن ﴿في أم الكتاب﴾ أي في اللوح المحفوظ، قال ابن عباس: أول ما خلق الله عز وجل القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق في الكتاب عنده ثم قرأ ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا﴾ أي عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى في اللوح المحفوظ ﴿لعلي حكيم﴾ أخبر عن شرفه وعلو منزلته، والمعنى إن كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فإنه عندنا لعليّ أي رفيع شريف، وقيل على علي جميع الكتب حكيم أي محكم لا يتطرق إليه الفساد والبطلان.

سُوْرَةَ الزّخرف

مكيّة وهي تسع وثمانون آية.

﴿ حمٓ * والكتاب المبين ﴾، أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

﴿ إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون ﴾، قوله جعلناه أي صيّرنا الكتاب عربياً. وقيل: بيّناه: وقيل: سمّيناه. وقيل: وصفناه، يقال جعل فلان زيداً أعلم الناس، أي وصفه بهذا كقوله تعالى: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ [الزخرف: ١٩] وقوله: ﴿ جعلوا القرآن عضين ﴾ [الحجر: ٩١]، وقال: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ [التوبة: ١٩]، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

﴿ وإنه ﴾، يعني القرآن، ﴿ في أُمّ الكتاب ﴾، في اللوح المحفوظ قال قتادة: أُمّ الكتاب أصل الكتاب، وأُم كل شيء أصله. قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ ﴿ وإنه في أُم الكتاب ﴾. ﴿ لدينا ﴾، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿ بل هو قرآن مجيد في

---

(١) (قوله وثلاث وثلاثون كلمة) كذا بالأصل ولا يخفى ما فيه ا هـ مصححه.

قوله تعالى: ﴿**أفنضرب عنكم الذكر صفحاً**﴾ معناه أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمر ولا نهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان وهو قوله تعالى: ﴿**أن كنتم**﴾ أي لأن كنتم ﴿**قوماً مسرفين**﴾ والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرامته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله، وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين أي معرضين عنكم، وقيل: معناه أفنطوي الذكر عنكم طياً فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم.

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾

﴿**وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون**﴾ يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي ﷺ ﴿**فأهلكنا أشد منهم بطشاً**﴾ أي أقوى من قومك قوة ﴿**ومضى مثل الأولين**﴾ أي صفتهم والمعنى أن كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأولين من الخزي والعقوبة.

لوح محفوظ ﴾ [البروج: ٢٢]. ﴿ **لعليٌّ حكيم** ﴾، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي أو كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعليٌّ رفيعٌ شريفٌ محكم من الباطل.

﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحاً** ﴾، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك حين تولّيه وصفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا نفعل ذلك، وهذا فول قتادة وجماعة، قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرّره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله. وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إيّاكم صافحين مُعرِضين. قال الكسائي والسدي: أفنطوي عنكم الذكر طيّاً فلا تدعون ولا توعظون. وقال الكلبي: أفنترككم سُدىً لا نأمركم ولا ننهاكم. وقال مجاهد والسدي: أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم. ﴿ **إن كنتم قوماً مسرفين** ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقوله: ﴿ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين.

﴿ **وكم أرسلنا من نبي في الأولين * وما يأتيهم** ﴾، أي وما كان يأتيهم، ﴿ **من نبي إلّا كانوا به يستهزؤون** ﴾، كاستهزاء قومك بك، يعزّي نبيّه ﷺ.

﴿ **فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً** ﴾، أي أقوى من قومك يعني الأوّلين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿ **ومضى**

قوله عز وجل: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت يا محمد قومك ﴿من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ يعني أنهم أقروا بأن الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع إقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالاً على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فلذلك سمى الأرض مهاداً لكثرة ما فيها من الراحة للخلق ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ أي طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ يعني إلى مقاصدكم في أسفاركم ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ أي بقدر حاجاتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم ﴿فأنشرنا به﴾ أي بالمطر ﴿بلدة ميتاً﴾ أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿كذلك تخرجون﴾ أي من قبوركم أحياء ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ أي الأصناف والأنواع كلها قيل إن كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الأضداد والأنداد والزوجية ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ يعني في البر والبحر.

لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

﴿لتستوا على ظهوره﴾ أي على ظهور الفلك والأنعام ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾ يعني بتسخير المركب في البر والبحر ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ أي ذلل لنا هذا ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أي مطيقين وقيل ضابطين ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أي لمنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثاً ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا مقرنين

مثل الأوّلين ﴾، أي صفتهم وسُنّتهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الأهلاك.

﴿ ولئن سألتهم ﴾، أي سألت قومك، ﴿ مَن خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾، وأقرّوا بأن الله خالقها، وأقرّوا بعزّه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم. إلى ههنا تمّ الأخبار عنهم ثم ابتدأ دالاًّ على نفسه بصنعه فقال:

﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون ﴾. إلى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿ والذي نزل من السماء ماءً بقدر ﴾، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. ﴿ فأنشرنا ﴾، أحيينا، ﴿ به بلدة ميتاً كذلك ﴾، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك، ﴿ تخرجون ﴾، من قبوركم أحياء.

﴿ والذي خلق الأزواج كلها ﴾، أي الأصناف كلها. ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴾، في البرّ والبحر.

﴿ لتستووا على ظهوره ﴾، ذكر الكناية لأنه ردّها إلى ﴿ ما ﴾. ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾، بتسخير المراكب في البرّ والبحر، ﴿ وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا ﴾، ذلّل لنا هذا، ﴿ وما كنّا له مقرنين ﴾، مطيقين، وقيل: ضابطين.

وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضي اللهم هون سفرنا هذا وأطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد وإذا رجع قالهن وزاد فيهم آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» قوله وعثاء السفر: يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزيناً كئيباً أو يصادف ما يحزنه في أهل أو مال.

عن علي بن أبي ربيعة قال «شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكك قال رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت قال إن ربك يعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب.

قوله تعالى: ﴿**وجعلوا له من عباده جزءاً**﴾ يعني ولداً وهو قولهم الملائكة بنات الله لأن الولد جزء من الأب ومعنى جعلوا هنا حكموا وأثبتوا ﴿**إن الإنسان لكفور مبين**﴾ أي لجحود نعم الله تعالى عليه ﴿**أم اتخذ مما يخلق بنات**﴾ هذا استفهام إنكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿**وأصفاكم**﴾ أي أخلصكم ﴿**بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً**﴾ أي بالجنس الذي جعله للرحمن شبهاً لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد والمعنى أنهم نسبوا إليه البنات ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له وقد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظاً وأسفاً وهو قوله تعالى: ﴿**ظل**

﴿ **وإنّا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾، لمنصرفون في المعاد، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن الصفّار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي إسحاق أخبرني علي بن أبي ربيعة أنه شهد علياً رضي الله عنه ركب فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنّا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثاً وكبّر ثلاثاً، ثم قال: لا إلّه إلّا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، ثم ضحك، فقال: ما يُضحِكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يُضحِكك يا نبيّ الله؟ قال: «العبد»، أو قال: «عجبت للعبد إذا قال لا إلّه إلّا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلّا هو».

قوله تعالى: ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءاً** ﴾، أي نصيباً وبعضاً وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشيء، والقول كما تقول: جعلت زيداً أفضل الناس، أي وصفته وحكمت به، ﴿ **إنّ الإنسان** ﴾، يعني الكافر، ﴿ **لكفور** ﴾، جحود لنِعَم الله، ﴿ **مبين** ﴾، ظاهر الكفران.

﴿ **أم اتّخذ ممّا يخلق بنات** ﴾، هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: اتخذ ربكم لنفسه البنات، ﴿ **وأصْفَاكم بالبنين** ﴾، كقوله: ﴿ فأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ [الإسراء: ٤٠].

﴿ **وإذا بشّر أحدهم بِما ضرب للرحمن مثلاً** ﴾، بما جعل لله شبهاً وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بُشّر أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل [٥٨]: ﴿ وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ﴾، ﴿ **ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم** ﴾، من الغيظ والحزن.

وجهه﴾ أي صار وجهه ﴿مسوداً وهو كظيم﴾ أي من الحزن والغيظ قيل إن بعض العرب ولد له أنثى فهجر بيت امرأته التي ولدت فيه الأنثى فقالت المرأة:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... ليس لنا من أمرنا ما شينا
وإنما نأخذ ما أعطينا ... حكمة ربي ذي اقتدار فينا

قوله عز وجل: ﴿أو من يُنَشَّأُ﴾ يعني أو من يتربى ﴿في الحلية﴾ يعني في الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله ﴿وهو في الخصام﴾ أي المخاصمة ﴿غير مبين﴾ للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها.

وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وجعلوا﴾ أي وحكموا وأثبتوا ﴿الملائكة الذين هم عباد﴾ وقرىء عند ﴿الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم﴾ أي حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام إنكار أي لم يشهدوا ذلك ﴿ستكتب شهادتهم﴾ أي على الملائكة أنهم بنات

﴿أَوَ مَنْ ينشأ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ينشأ﴾ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يُربّى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي ينبت ويكبر، ﴿في الحلية﴾، في الزينة يعني النساء، ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾، في المخاصمة غير مبيّن للحجة من ضعفهنّ وسفههنّ، قال قتادة: في هذه الآية قلّما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجّتها إلاّ تكلمت بالحجة عليها، ﴿أوَ مَن﴾ في محل من ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أو مَن ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض ردّاً على قوله: ﴿مما يخلق﴾، وقوله: ﴿بما ضرب﴾.

﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو ﴿عباد الرحمن﴾ بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: ﴿بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقرأ الآخرون: (عند الرحمن) بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عزّ وجلّ: ﴿إن الذين عند ربك﴾ [الأعراف: ٢٠٦] الآية، ﴿أشهِدُوا خلقهم﴾، قرأ أهل المدينة على ما يُسَمَّ فاعله، وليّنوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام، أي أَحضَرُوا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أَحَضَرُوا خلقهم حين خُلقوا، وهذا كقوله: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ [الصّافّات: ١٥٠]، ﴿ستُكتب شهادتهم﴾، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿ويسئلون﴾، عنها، قال الكلبي ومقاتل: لمّا قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يُدريكم أنهم بنات الله»؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا»، فقال الله تعالى: ﴿ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾، عنها في الآخرة.

﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، وقال مجاهد: يعني

﴿الله ويسألون﴾ أي عنها، قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: وما يدريكم أنهم بنات الله، قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فقال الله تعالى: ﴿ستكتب شهادتهم﴾ ويسألون عنها في الآخرة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ يعني الملائكة وقيل الأصنام وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى رداً عليهم.

﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أي فيما يقولون ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ يعني ما هم إلا كاذبون في قولهم إن الله رضي منا بعبادتها، وقيل يكذبون في قولهم إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿فهم به مستمسكون﴾ أي يأخذون بما فيه ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ أي على دين وملة ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ يعني أنهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر أن غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ أغنياؤها ورؤساؤها ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ أي بهم.

﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

﴿قال أولو جئتكم بأهدى﴾ أي بدين هو أصوب ﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾ فأبوا أن يقبلوا ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني

الأوثان وإنما لم يعجّل عقوبتنا على عبادتنا إيّاها لرضاه منها بعبادتها. قال الله تعالى: ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾، فيما يقولون ما هم إلّا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منّا بعبادتها، وقيل: إن هم إلّا يخرصون فيما يقولون، ﴿ إنْ هم إلّا يخرصون ﴾، في قولهم: إن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.

﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله ﴾، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، ﴿ فهم به مستمسكون ﴾.

﴿ بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمّة ﴾، على دين وملّة، قال مجاهد: على إمام. ﴿ وإنّا على آثارهم مهتدون ﴾، جعلوا أنفسهم باتّباع آبائهم الأوّلين مهتدين.

﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مُترَفوها ﴾، أغنياؤها ورؤساؤها، ﴿ إنّا وجدنا آباءنا على أمّة وإنّا على آثارهم مقتدون ﴾، بهم.

﴿ قال ﴾، قرأ ابن عامر وحفص: ﴿ قال ﴾ على الخبر، وقرأ الآخرون (قل) على الأمر، ﴿ أوَ لو جئتكم ﴾، قرأ أبو جعفر: (جئناكم) على الجمع، والآخرون على الواحد، ﴿ بأهدى ﴾، بدين أصوب، ﴿ مما وجدتم عليه آباءكم ﴾، قال الزجّاج: قال لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه؟ فأبوا أن يقبلوه. ﴿ قالوا إنّا بما أرسلتم به كافرون ﴾.

﴿ فانتقمنا منهم فانظرْ كيف كان عاقبة المكذّبين ﴾.

براء﴾ أي بريء **﴿مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾** معناه أنا أتبرأ مما تعبدون إلا من الله الذي خلقني **﴿فإنه سيهدين﴾** أي يرشدني إلى دينه **﴿وجعلها﴾** أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا إله إلا الله **﴿كلمة باقية في عقبه﴾** أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو إلى توحيده **﴿لعلهم يرجعون﴾** أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك إلى دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام **﴿بل متعت هؤلاء﴾** يعني كفار مكة **﴿وآباءهم﴾** في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم **﴿حتى جاءهم الحق﴾** يعني القرآن وقيل الإسلام **﴿ورسول﴾** هو محمد ﷺ **﴿مبين﴾** أي يبين لهم الأحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحراً وهو قوله تعالى: **﴿ولما جاءهم الحق﴾** يعني القرآن **﴿قالوا هذا سحر وإنابه كافرون﴾** قوله عز وجل: **﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾** معناه أنهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق إلا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من إحدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف، وقال ابن عباس: الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى رداً عليهم

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا

قوله عزّ وجلّ: **﴿وإذْ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء﴾**، أي بريء، ولا يُثنى البراء ولا يُجمَع ولا يُؤنّث لأنه مصدر وضع موضع النعت. **﴿مما تعبدون إلّا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾**، يرشدني لدينه.

﴿وجعلها﴾، يعني هذه الكلمة، **﴿كلمة باقية في عقبه﴾**، قال مجاهد وقتادة: يعني كلمة التوحيد، وهي لا إله إلّا الله كلمة باقية في عقبة أي في ذرّيّته. قال قتادة: لا يزال في ذرّيّته مَن يعبد الله ويوحّده. وقال القرظي: يعني جعل وصية إبراهيم التي أوصى بها نبيّه باقية في نسله وذرّيّته، وهو قوله عزّ وجلّ: **﴿ووصّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ﴾** [البقرة: ١٣٢]، وقال ابن زيد: يعني قوله: **﴿أسلمت لربّ العالمين﴾** [البقرة: ١٣١]، وقرأ: **﴿هو سمّاكم المسلمين﴾** [الحج: ٧٨]، **﴿لعلّهم يرجعون﴾**، لعلّ أهل مكة يتّبعون هذا الدين ويرجعون عمّا هم عليه إلى دين إبراهيم. وقال السدي: لعلّهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عزّ وجلّ.

﴿بل متّعت هؤلاء وآباءهم﴾، يعني المشركين في الدنيا ولم أُعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، **﴿حتى جاءهم الحق﴾**، يعني القرآن، وقال الضحّاك: الإسلام. **﴿ورسول مبين﴾**، يبيّن لهم الأحكام وهو محمد ﷺ، وكان من حقّ هذه الأحكام أن يطيعوه فلم يفعلوا وعصوا.

وهو قوله: **﴿ولمّا جاءهم الحق﴾**، يعني القرآن، **﴿قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون * وقالوا لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾**، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة، وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويُروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

﴿**أهم يقسمون رحمة ربك**﴾ معناه أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤوا وفيه الإنكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة ثم ضرب لهذا مثلاً فقال تعالى: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**﴾ أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا مالكاً وهذا مملوكاً وهذا قوياً وهذا ضعيفاً ثم إن أحداً من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فإذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى: ﴿**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً**﴾ يعني لو أننا سوينا بينهم في كل الأحوال لم يخدم أحد أحداً ولم يصر أحد منهم مسخراً لغيره، وحينئذ يقضي ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضاً فتسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بما له بعضاً بالملك ﴿**ورحمة ربك**﴾ يعني الجنة ﴿**خير**﴾ يعني للمؤمنين ﴿**مما يجمعون**﴾ أي يجمع الكفار من الأموال لأن الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته يبقى أبد الآبدين.

قوله عز وجل: ﴿**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة**﴾ أي لولا أن يصيروا كلهم كفاراً فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه إذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق لأعطيت الكفار أكثر الأسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى: ﴿**لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج**﴾ يعني مصاعد ودرجات من فضة ﴿**عليها يظهرون**﴾

قال الله تعالى: ﴿ **أهم يقسمون رحمةَ ربِّك** ﴾، يعني النبوّة، قال مقاتل: يقول بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ ثم قال: ﴿ **نحنُ قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** ﴾، فجعلنا هذا غنيّاً وهذا فقيراً وهذا ملكاً وهذا مملوكاً فكما فضّلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة مَن شئنا، ﴿ **ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات** ﴾، بالغنى والمال، ﴿ **ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً** ﴾، ليستخدم بعضهم بعضاً فيسخّر الأغنياء بأموالهم الأُجَرَاء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قِوامُ أمر العالم. وقال قتادة والضحاك: يملك بعضهم بمالهم بعضاً بالعبودية والمُلْك. ﴿ **ورحمة ربِّك** ﴾، يعني الجنة، ﴿ **خير** ﴾، للمؤمنين، ﴿ **مما يجمعون** ﴾، مما يجمع الكفّار من الأموال.

﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** ﴾، أي لولا أن يصيروا كلهم كفّاراً فيجتمعون على الكفر، ﴿ **لجعلنا لمَن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة** ﴾، قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو: ﴿ **سقفاً** ﴾ بفتح السين وسكون القاف على الواحد، ومعناه الجمع، كقوله تعالى: ﴿ فخرّ عليهم السقف من فوقهم ﴾ [النحل: ٢٦]، وقرأ الآخرون بضمّ السين والقاف على الجمع، وهي جمع سقف مثل رهن ورهن، قال أبو عبيدة: ولا ثالث لهما. وقيل: هو جمع سقيف. وقيل: جمع سقوف جمع الجمع. ﴿ **ومعارج** ﴾، مصاعد ودرجاً من فضة، ﴿ **عليها يظهرون** ﴾، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

﴿ **ولبيوتهم أبواباً** ﴾، من فضة، ﴿ **وسُرُراً** ﴾ أي وجعلنا لهم سرراً من فضة، ﴿ **عليها يتّكئون** ﴾.

﴿ **وزُخْرُفاً** ﴾، أي ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفاً وهو الذهب، نظيره: ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾

يصعدون ويرتقون عليها ﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ أي من فضة ﴿وسرراً﴾ أي ولجعلنا لهم سرراً من فضة ﴿عليها يتكئون وزخرفاً﴾ أي ولجعلنا من ذلك زخرفاً وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ يعني أن الإنسان يستمتع بذلك قليلاً ثم ينقضي لأن الدنيا سريعة الزوال والذهاب ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا.

عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ «لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

وعن المستورد بن شداد جد بني فهر قال «كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فإن الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن. وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ قال «إذا أحبَّ الله عبداً حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يعش﴾ أي يعرض ﴿عن ذكر الرحمن﴾ أي فلم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن ﴿نقيض له شيطاناً﴾ أي نسبب له شيطاناً ونضمه إليه ونسلطه عليه ﴿فهو له قرين﴾ يعني لا يفارقه يزين له

[الإسراء: ٩٣]، ﴿ وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾، فكان: ﴿ لما ﴾ بمعنى ألا، وخفّفه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون: ﴿ إن ﴾ للابتداء، و(ما) صلة، يريدان هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب، ﴿ والآخرة عند ربك للمتّقين ﴾، خاصة يعني الجنة، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر حمد بن عمر بن بسطام أنا أحمد بن سيّار القريشي ثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا أبو مسلم ثنا أبو بكر بن معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي كافراً منها قطرة ماء»، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن قيس بن حازم عن المستورد ابن شداد أخو بني فهر قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها»؟ قالوا: من هوانِها ألقوها، قال رسول الله ﷺ: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ومَن يعشُ عن ذكر الرحمن ﴾، أي يُعرِض عن ذكر الرحمن فلم يَخَف عقابه، ولم يرجُ ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشواً، إذا قصدتها مهتدياً بها، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه. قال القرظي: يولِّ ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يظلم بصرف بصره عنه، قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف. وقرأ ابن عباس:

العمى ويخيل إليه أنه على الهدى ﴿**وإنهم**﴾ يعني الشياطين ﴿**ليصدونهم عن السبيل**﴾ يعني يمنعونهم عن الهدى ﴿**ويحسبون أنهم مهتدون**﴾ يعني ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى ﴿**حتى إذا جاءنا**﴾ يعني الكافر وحده وقرىء جاءٰنا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة ﴿**قال**﴾ الكافر لقرينه الشيطان ﴿**يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين**﴾ أي بعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران، وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والقول الأول أصح ﴿**فبئس القرين**﴾ يعني الشيطان قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير إلى النار ﴿**ولن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم**﴾ يعني أشركتم ﴿**أنكم في العذاب مشتركون**﴾ يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئاً، لأن كل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الأوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿**أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين**﴾ يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب أنهم لا يؤمنون.

﴿ **ومَن يعش** ﴾ بفتح الشين أي يُعْمَ، يقال عشى يعشى عشياً إذا عَمِيَ فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿ **نقيّض له شيطاناً** ﴾، قرأ يعقوب: (يقيّض) بالياء، والباقون بالنون، نسبّب له شيطاناً ونضمّه إليه ونسلّطه عليه. ﴿ **فهو له قرين** ﴾، لا يفارقه يزيّن له العمى ويخيّل إليه أنه على الهدى.

﴿ **وإنّهم** ﴾، يعني الشياطين، ﴿ **ليصدّونهم عن السبيل** ﴾، أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لأن قوله: ﴿ **ومَن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً** ﴾ في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد، ﴿ **ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾، ويحسب كفّار بني آدم أنهم على هدى.

﴿ **حتى إذا جاءنا** ﴾، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: ﴿ **جاءنا** ﴾ على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءانا، على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جُعِلا في سلسلة واحدة. ﴿ **قال** ﴾، الكافر لقرينه الشيطان، ﴿ **يا ليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقين** ﴾، أي بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العُمَران. وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصحّ، ﴿ **فبئس القرين** ﴾، قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زوّج بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.

﴿ **ولن ينفعكم اليوم** ﴾، في الآخرة، ﴿ **إذا ظلمتم** ﴾، أشركتم في الدنيا، ﴿ **أنكم في العذاب مشتركون** ﴾، يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفّف الاشتراك عنكم العذاب، لأن لكل واحد من الكفّار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب. وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

﴿ **أفأنت تسمع الصُّمَّ أو تهدي العُمْي ومَن كان في ضلال مبين** ﴾، يعني الكافرين الذين حقّت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

قوله عز وجل: ﴿فإما نذهبن بك﴾ أي بأن نميتك قبل أن نعذبهم ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ أي بالقتل بعدك ﴿أو نرينك﴾ أي في حياتك ﴿الذي وعدناهم﴾ أي من العذاب ﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ أي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي ﷺ لأنه وعده الانتقام له منهم إما حال حياته أو بعد وفاته، وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في أمته وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه ﷺ وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي تقربه عينه وأبقى النقمة بعده وروي أن النبي ﷺ أري ما يصيب أمته بعده فما رئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله تعالى: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ يعني القرآن ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ أي على دين مستقيم لا يميل عنه إلا الضال ﴿وإنه﴾ يعني القرآن ﴿لذكر﴾ أي لشرف عظيم ﴿لك ولقومك وسوف تسألون﴾ يعني عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس «أن النبي ﷺ كان إذا سئل لمن هذا الأمر بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك إذا سئل قال لقريش» (ق). عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين» وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الأكثر لقريش ولبني هاشم، وقيل ذكر لك أي ذلك شرف لك بما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله تعالى به وسوف تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه.

﴿ فإمّا نَذْهَبَنَّ بك ﴾، بأن نُميتك قبل أن نعذّبهم، ﴿ فإنّا منهم مُنتقمون ﴾، بالقتل بعدك.

﴿ أو نُرِينّك ﴾، في حياتك، ﴿ الذي وعدناهم ﴾، من العذاب، ﴿ فإنّا عليهم مقتدرون ﴾، قادرون متى شئنا عذّبناهم وأراد به مشركي مكة انتقم منهـم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسّرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أُمة محمد ﷺ، وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أُمته، فأكرم الله نبيّه وذهب به ولم يره في أُمته إلّا الذي يقرّ عينه، وأبقى النقمة بعده. ورُوِيَ أن النبي ﷺ أُرِيَ ما يُصيب أُمته بعده فما رُؤي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله لنفسه.

﴿ فاستمسك بالذي أُوحي إليك إنّك على صراط مستقيم ﴾.

﴿ وإنه ﴾، يعني القرآن، ﴿ لذكرٌ لك ﴾، أي لشرف لك، ﴿ ولقومك ﴾، من قريش، نظيره: ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيـه ذكركم ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي شرفكم، ﴿ وسـوف تُسئلون ﴾، عن حقّه وأداء شكـره، روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا سُئِل لِمَن هذا الأمر بعدك لم يجب بشيء حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سُئِلَ لمَن هذا؟ قال: لقريش. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدّثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدّث عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلّا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»، وقال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذْ نزل بلغتهم، ثم يختصّ بذلك الشرف الأخصّ فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبني هاشم. وقيل: ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تُسألون عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه.

وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ اختلف العلماء من هؤلاء والمسؤولون فروي عن ابن عباس في رواية عنه «لما أسري بالنبي ﷺ بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من أرسلنا الآية فقال النبي ﷺ لا أسأل قد اكتفيت. وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسري به وأمر أن يسأل فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسري بالنبي ﷺ وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ أي يسخرون ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ أي قرينتها التي قبلها ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ أي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه

﴿ واسئل مَن أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾، اختلفوا في هؤلاء المسؤولين، قال عطاء عن ابن عباس: لمّا أُسرِيَ بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذّن جبريل ثم أقام، وقال: يا محمد تقدّم فصلِّ بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سل يا محمد مَن أرسلنا قبلك من رسلنا، الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت»، وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد، قالوا: جمع الله له المرسلين ليلة أُسرِيَ بـه وأمره أن يسـألهـم فلم يشك ولم يسـأل. وقال أكثـر المفسّرين: سَـلْ مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلتْ إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلّا بالتوحيد؟ وهو قول ابن عباس في سائر الروايات، ومجاهد وقتادة والضحّاك والسدي والحسن ومقاتل، يدلّ عليه قراءة عبد الله وأُبيّ: (واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا)، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأتِ رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عزّ وجلّ.

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون ومَلَئِهِ فقال إني رسول ربِّ العالمين * فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ﴾، استهزاء.

﴿ وما نُريهم من آية إلّا هي أكبر من أُختها ﴾، قرينتها وصاحبتهـا التي كانت قبلهـا، ﴿ وأخذنـاهم بالعذاب ﴾، بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالات لموسى، وعذاباً لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، ﴿ لعلّهم يرجعون ﴾، عن كفرهم.

﴿ وقالوا ﴾، لموسى لمّا عاينوا العذاب، ﴿ يا أيُّهَ الساحر ﴾، يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له لأن السحر عندهم كان علماً عظيماً وصفةً ممدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره. وقال الزجّاج: خاطبوه به لما تقدّم له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿ ادعُ لنا ربَّك بما عهد عندك ﴾، أي بما أخبرتنا من

الصلاة والسلام وعذاباً لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي عن كفرهم ﴿وقالوا﴾ يعني لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب ﴿يا أيها الساحر﴾ أي العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا ذلك له تعظيماً وتوقيراً لأن السحر كان عندهم علماً عظيماً وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ أي بما أخبرتنا عن عهده إليك أنا إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله أن يكشفه عنا ﴿إننا لمهتدون﴾ أي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾

﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناني وبساتيني، وقيل تجري بأمري ﴿أفلا تبصرون﴾ أي عظمتي وشدة ملكي ﴿أما أنا﴾ أي بل أنا ﴿خير﴾ وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ أي ضعيف حقير يعني موسى ﴿ولا يكاد

عهده إليك إن آمنّا كشف عنّا العذاب فاسأله يكشف عنّا العذاب، ﴿ إننا لمهتدون ﴾، مؤمنون فدعى موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾، ينقضون عهدهم ويصرّون على كفرهم.

﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار ﴾، أنهار النيل، ﴿ تجري من تحتي ﴾، من تحت قصوري، وقال قتادة: يجري بين يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمري. ﴿ أفلا تبصرون ﴾، عظمتي وشدّة ملكي.

﴿ أمْ أنا خيرٌ ﴾، بل أنا خير، ﴿ أم ﴾ بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسّرين، وقال الفرّاء: الوقف على قوله ﴿ أم ﴾، وفيه إضمار مجازه أفلا تُبصرون أم تبصرون، ثم ابتدأ فقال أنا خير، ﴿ من هذا الـذي هو مُهين ﴾، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: ﴿ ولا يَكادُ يُبِيْنُ ﴾ يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

﴿ فلولا أُلقي عليه ﴾، إن كان صادقاً، ﴿ أسوِرة من ذهب ﴾، قرأ حفص ويعقوب ﴿ أسوِرة ﴾ جمع سِوار، وقرأ الآخرون (أساورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه بسِوار وطوّقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلاّ ألقى ربُّ موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تَجِب علينا طاعته. ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾، متتابعين يتابع بعضهم بعضاً يشهدون له بصدقه ويُعينونه على أمره.

يبين﴾ أي يفصح بكلامه للثغته التي كانت في لسانه وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولاً وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به أنه لا قدرة له على الكلام **﴿فلولا ألقي عليه﴾** أي إن كان صادقاً **﴿أسورة من ذهب﴾** قيل إنهم كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب طاعته **﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾** أي متتابعين يقارن بعضهم بعضاً يشهدون له بصدقه ويعينوه على أمره.

قال الله تعالى: **﴿فاستخف﴾** يعني فرعون **﴿قومه﴾** يعني القبط أي وجدهم جهالاً وقيل حملهم على الخفة والجهل **﴿فأطاعوه﴾** أي على تكذيب موسى **﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾** يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به **﴿فلما آسفونا﴾** أي أغضبونا وهو في حق الله وإرادته العقاب وهو قوله تعالى: **﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾** يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء من بعدهم.

قوله تعالى: **﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾** قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي ﷺ في شأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾** وقد تقدم ذكره في سورة الأنبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلاً وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه **﴿إذا قومك﴾** يعني قريشاً **﴿منه﴾** أي من المثل **﴿يصدون﴾** أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون إن محمداً ما يريد منا إلا أن نعبده ونتخذه إلهاً كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: **﴿ فاستخفّ قومَهُ ﴾**، أي استخفّ فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهّالاً. وقيل: حملهم على الخفّة والجهل. يقال استخفّه عن رأيه إذا حمله على الجهل وأزال عن الصواب، **﴿ فأطاعوه ﴾**، على تكذيب موسى، **﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾**.

﴿ فلما آسفونا ﴾، أغضبونا، **﴿ انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفاً ﴾**، قرأ حمزة والكسائي **﴿ سلفاً ﴾** بضم السين واللام، قال الفرّاء: هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف، أي تقدم، وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس وخادم وخدم وراصد ورصد، وهما جميعاً الماضُون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف إذا تقدّم والسلف مَن تقدّم من الآباء فجعلناهم متقدّمين ليتّعظ بهم الآخرون. **﴿ ومثلاً للآخرين ﴾**، عبرة وعِظَة لمَن بقي بعدهم. وقيل: **سلفاً** لكفّار هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمَن يجيء بعدهم.

﴿ ولمّا ضُرِبَ ابنُ مريم مثلاً ﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسّرين إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعرَى مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَصب جهنم ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام. **﴿ إذا قومك منه يصدّون ﴾**، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي **﴿ يصدُّون ﴾** بضم الصاد، أي يُعرضون، نظيره قوله تعالى: ﴿ يصدّون عنك صدوداً ﴾ [النساء: ٦١]، وقرأ الآخرون بكسر الصاد، واختلفوا في معناه، قال الكسائي: هما لغتان مثل يعرشون ويعرِشون، وشدّ عليه يشدّ ويشِدّ، ونمّ بالحديث ينمّ وينِمّ، وقال ابن عباس: معناه يضجّون. وقال سعيد بن المسيب: يصيحون. وقال الضحاك: يعجّون. وقال قتادة: يجزعون. وقال القرظي: يضجرون. ولمّا ضُرِب ابنُ مريم مثلاً إذا **قومك منه يصدّون** يقولون ما يريد منّا محمد إلاّ أن نعبده ونتّخذه إلَهاً كما عبدت النصارى عيسى.

وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿**وقالوا أآلهتنا خير أم هو**﴾ يعنون محمداً ﷺ فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى: ﴿**ما ضربوه**﴾ يعني هذا المثل ﴿**لك إلا جدلاً**﴾ أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ هؤلاء الأصنام ﴿**بل هم قوم خصمون**﴾ أي بالباطل. عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله ﷺ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى: ﴿**إن هو**﴾ أي ما عيسى ﴿**إلا عبد أنعمنا عليه**﴾ أي بالنبوة ﴿**وجعلناه مثلاً**﴾ أي آية وعبرة ﴿**لبني إسرائيل**﴾ يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب ﴿**ولو نشاء لجعلنا منكم**﴾ الخطاب لأهل مكة ﴿**ملائكة**﴾ معناه لو نشاء لأهلكناكم ولجعلنا بدلاً منكم ملائكة ﴿**في الأرض يخلفون**﴾ أي يكونون خلفاً منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني، وقيل يخلف بعضهم بعضاً ﴿**وإنه**﴾ يعني عيسى ﴿**لعلم للساعة**﴾ يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها (ق). عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» وفي رواية أبي داود أن رسول الله ﷺ قال «ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى

﴿ **وقالوا أآلهتنا خير أم هو** ﴾، قال قتادة: أم هو يعنون محمداً فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا. وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى، قالوا: يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿ **ما ضربوه** ﴾، يعني هذا المثل، ﴿ **لك إلّا جدلاً** ﴾، خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿ وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنّم ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، هؤلاء الأصنام. ﴿ **بل هم قوم خَصِمُون** ﴾، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الجمشاوي أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي ثنا عبد الله بن نمير ثنا حجّاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هدىً كانوا عليه إلّا أُوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خَصِمُون** ﴾.

ثم ذكر عيسى فقال: ﴿ **إنْ هو** ﴾، ما هو يعني عيسى عليه السلام، ﴿ **إلّا عبدٌ أنعمنا عليه** ﴾، بالنبوّة، ﴿ **وجعلناه مثلاً** ﴾، آية وعبرة، ﴿ **لبني إسرائيل** ﴾، يعرفون به قدرة الله عزّ وجلّ على ما يشاء حيث خلقه من غير أب.

﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة** ﴾، أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، ﴿ **في الأرض يخلفون** ﴾، يكونون خلفاء منكم يعمّرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني. وقيل: يخلف بعضهم بعضاً.

﴿ **وإنه** ﴾، يعني عيسى عليه السلام، ﴿ **لَعلمٌ للساعة** ﴾، يعني نزوله من أشراط الساعة يُعلَم به قُربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: ﴿ **إنه لعلم للساعة** ﴾ بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة، وروينا عن النبي ﷺ أنه

الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»(ق) عنه قال قال رسول الله ﷺ «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم» وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الإمام ليقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن وقيل في معنى الآية وإنه أي وإن القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها **﴿فلا تمترن بها﴾** أي لا تشكن فيها، وقال ابن عباس: لا تكذبوا بها **﴿واتبعون﴾** أي على التوحيد **﴿هذا﴾** أي الذي أنا عليه **﴿صراط مستقيم﴾**.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ولا يصدنكم﴾ أي لا يصرفنكم **﴿الشيطان﴾** أي عن دين الله الذي أمر به **﴿إنه﴾** يعني الشيطان **﴿لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة﴾** أي بالنبوة **﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾** أي من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى وقيل الذي جاء به عيسى الإنجيل وهو بعض الذي اختلفوا فيه فبين لهم عيسى في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه **﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾** أي فيما آمركم به **﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم﴾** أي اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى **﴿فويل للذين ظلموا**

قال: «ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وتهلك في زمانه المِلَل كلها إلّا الإسلام»، ويُروى: «أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة، وعليه ثوبان مصرتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حِربَة وهي التي يقتل بها الدجّال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر، فيتأخر الإمام فيقدّمه عيسى ويصلّي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرّب البِيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلّا مَن آمن به». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامُكم منكم»؟ وقال الحسن وجماعة: وإنه يعني وإن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها وأهوالها، **﴿ فلا تَمْتَرُنَّ بها ﴾**، فلا تشكّنّ فيها، قال ابن عباس: لا تكذّبوا بها، **﴿ واتّبعون ﴾**، على التوحيد، **﴿ هذا ﴾**، الذي أنا عليه، **﴿ صراط مستقيم ﴾**.

﴿ ولا يصدّنّكم ﴾، لا يصرفنّكم، **﴿ الشيطان ﴾**، عن دين الله، **﴿ إنه لكم عدوٌّ مبين ﴾**.

﴿ ولمّا جاء عيسى بالبيِّنات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾، بالنبوّة، **﴿ ولأُبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾**، من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفِرَق الذين تحزّبوا على أمر عيسى. قال الزجّاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. **﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾**.

من عذاب يوم أليم هل ينظرون﴾ أي ينتظرون ﴿إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾ أي فجأة والمعنى أنها تأتيهم لا محالة ﴿وهم لا يشعرون﴾.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿الأخلاء﴾ أي على الكفر والمعصية في الدنيا ﴿يومئذ﴾ يعني يوم القيامة ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ أي إن الخلة إذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة ﴿إلا المتقين﴾ أي إلا الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الآية قال: «خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ﷺ ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب، قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب».

قوله عز وجل: ﴿يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ قيل إن الناس حين يبعثون ليس أحد منهم إلا

﴿ إن الله هو ربّي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون ﴾، هل ينتظرون، **﴿ إلاّ الساعة ﴾**، يعني أنها تأتيهم لا محالة فكأنهم ينتظرونها، **﴿ أن تأتيهم بغتة ﴾**، فجأة، **﴿ وهم لا يشعرون ﴾**.

﴿ الأخِلّاءُ ﴾، على المعصية في الدنيا، **﴿ يومئذ ﴾**، يوم القيامة، **﴿ بعضهم لبعض عدوٌّ إلاّ المتّقين ﴾**، إلاّ المتحابّين في الله عزّ وجلّ على طاعة الله عزّ وجلّ. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير ثنا ابن عبد الأعلى عن قتادة ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي إسحاق أن علياً قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا ربّ إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أنّي مُلاقِيك، يا ربّ فلا تضلّه بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما، فيقول: ليثنِ أحدكما على صاحبه، فيقول: نِعْمَ الأخ، ونِعْمَ الخليل، ونِعْمَ الصاحب، قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا ربّ إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشرّ وينهاني عن الخير، ويخبرني أنّي غير مُلاقيك، فيقول بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب.

﴿ يا عبادِ ﴾، أي فيقال لهم يا عبادي، **﴿ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾**، رُوِيَ عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين يُبعَثون ليس منهم أحد إلاّ فزع، فينادي منادياً: **﴿ يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾**، فيرجوها الناس كلهم فيتبعها.

﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾، فييأس الناس منها غير المسلمين.

فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها ﴿**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**﴾ فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ﴿**ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون**﴾ أي تسرون وتنعمون ﴿**يطاف عليهم بصحاف من ذهب**﴾ جمع صحفة وهي القصعة الواسعة ﴿**وأكواب**﴾ جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة ﴿**وفيها**﴾ أي في الجنة ﴿**ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾ عن عبد الرحمن بن سابط قال «قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فإني أحب الخيل قال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل فإني أحب الإبل قال فلم يقل ما قال لصاحبه فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» أخرجه الترمذي ﴿**وأنتم فيها خالدون**﴾.

وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾

﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون**﴾ ورد في الحديث «أنه لا ينزع أحد في الجنة من ثمرها ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها» قوله تعالى: ﴿**إن المجرمين**﴾ يعني المشركين ﴿**في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم**﴾ أي لا يخفف عنهم ﴿**وهم فيه مبلسون**﴾ أي آيسون من رحمة الله تعالى: ﴿**وما ظلمناهم**﴾ أي

فيقال لهم: ﴿ **ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبَرون** ﴾، تُسَرّون وتُنعَمون.

﴿ **يُطاف عليهم بصِحاف** ﴾، جمع صحفة وهي القصعة الواسعة، ﴿ **من ذهب وأكواب** ﴾، جمع كوب وهو إناء مستدير مدوّر الرأس لا عُرى لها، ﴿ **وفيها** ﴾، أي في الجنة، ﴿ **ما تشتهيه الأنفس** ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص تشتهيه الأنفس، وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الآخرون بحذف الهاء. ﴿ **وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون** ﴾، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رجل: يا رسول الله أفي الجنة خيل؟ فإني أُحب الخيل، فقال: «إن يُدخِلك الله الجنّة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أيّ الجنة شئت، إلاّ فعلتَ»، وقال أعرابي: يا رسول الله أفي الجنة إبل؟ فإني أُحبّ الإبل، فقال: «يا أعرابي إن يُدخِلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذّت عينك».

﴿ **وتلك الجنة التي أُورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة ومنها تأكلون** ﴾، وفي الحديث: «لا ينزع رجل من الجنة من ثمرها إلاّ نبت مكانها مثلاها».

﴿ **إنّ المجرمين** ﴾، المشركين، ﴿ **في عذاب جهنم خالدون * لا يُفتّرُ عنهم وهم فيه مبلسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادوا يا مالك** ﴾، يدعون خازن النار، ﴿ **ليقضِ علينا ربُّك** ﴾، ليُمِتْنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، ﴿ **قال إنكم ماكثون** ﴾، مُقيمون في العذاب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن

وما عذبناهم بغير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ أي لأنفسهم بما جنوا عليها ﴿ونادوا يا مالك﴾ يعني يدعون مالكاً خازن النار يستغيثون به فيقولون ﴿ليقض علينا ربك﴾ أي ليمتنا بل لنستريح والمعنى توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس، وقيل بعد مائة سنة، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «إن أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يرد عليهم» ﴿قال إنكم ماكثون﴾ قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمراً﴾ أي أحكموا أمراً في المكر بالرسول ﷺ ﴿فإنا مبرمون﴾ أي محكمون أمراً في مجازاتهم إن كاد شراً كدتهم بمثله ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ أي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم ﴿بلى﴾ نسمع ذلك كله ونعلمه ﴿ورسلنا﴾ يعني الحفظة من الملائكة ﴿لديهم يكتبون﴾ قوله عز وجل: ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له، وقال ابن عباس: إن كان أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك. وقيل: معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له، وقيل: العابدين بمعنى الآنفين أي أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد. وقال الزمخشري في معنى الآية: إن كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق عليها محالاً مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى:

أبي توبة أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة يذكره عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إنّ أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يردّ عليهم إنكم ماكثون، قال: هانت والله دعوتهم على مالك وعلى ربّ مالك، ثم يدعون ربّهم فيقولون: ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالّين ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يردّ عليهم اخسأوا فيها ولا تكلّمون، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم تشبّه أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق.

﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، ﴿ ولكن أكثرهم للحق كارهون ﴾.

﴿ أم أبرموا ﴾، أحكموا ﴿ أمراً ﴾، في المكر برسول الله ﷺ، ﴿ فإنّا مُبْرِمُون ﴾، مُحكِمون أمراً في مُجازاتهم، قال مجاهد: إن كادُوا شرّاً كدتهم مثله.

﴿ أم يَحْسَبُون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم ﴾، ما يسرّونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، ﴿ بلى ﴾، نسمع ذلك ونعلم، ﴿ ورسلنا ﴾، أيضاً من الملائكة يعني الحَفَظَة، ﴿ لديهم يكتبون * قلْ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول مَن عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد. قال ابن عباس: ﴿ إنْ كان ﴾ أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل: ﴿ إن ﴾ بمعنى الجحد. وقال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول مَن أعبده بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل: العابدين بمعنى الآنفين، يعني أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم. ويقال: معناه أنا أول مَن غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد إذا أنِفَ أو غضب عبداً. وقال قوم: قلّ ما يُقال: عبدٌ فهو عابد، إنما يقال: عبدٌ فهو عبد.

سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿**سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون**﴾ أي عما يقولونه من الكذب ﴿**فذرهم يخوضوا**﴾ أي في باطلهم ﴿**ويلعبوا**﴾ أي في دنياهم ﴿**حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾ يعني يوم القيامة ﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ يعني هو الإله الذي يعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو ﴿**وهو الحكيم**﴾ يعني في تدبير خلقه ﴿**العليم**﴾ يعني بمصالحهم ﴿**وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة**﴾ قيل سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد ﷺ فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيراً والملائكة بقوله ﴿**إلا من شهد بالحق**﴾ لأنهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فإن الله تعالى لا يملك لأحد من هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وهي كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله ﴿**وهم يعلمون**﴾ أي بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون أن الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**﴾ يعني أنهم إذا أقروا بأن الله خالق العالم بأسره فكيف قدموا عبادة غيره ﴿**فأنى يؤفكون**﴾ يعني يصرفون عن عبادته إلى

ثم نزّه نفسه فقال: ﴿ **سبحان ربِّ السمٰوات والأرض ربِّ العرش عمّا يصفون** ﴾ عمّا يقولون من الكذب.

﴿ **فذرهم يخوضوا** ﴾، في باطلهم، ﴿ **ويلعبوا** ﴾، في دنياهم، ﴿ **حتى يُلاقوا يومهم الذي يُوعدون** ﴾، يعني يوم القيامة.

﴿ **وهو الذي في السماء إلَهٌ وفي الأرض إلَهٌ** ﴾، قال قتادة: يُعبد في السماء وفي الأرض لا إلَه إلّا هو، ﴿ **وهو الحكيم** ﴾، في تدبير خلقه، ﴿ **العليم** ﴾، بمصالحهم.

﴿ **وتبارك الذي له مُلْك السمٰوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه تُرجَعون** ﴾، قرأ ابن كثير والكسائي (يرجعون) بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلّا مَن شهد بالحق** ﴾، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عُبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون ﴿ من ﴾ في محل الرفع، وقيل: ﴿ من ﴾ في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلّا لمَن شَهِدَ الحق، والأول أصحّ، وأراد بشهادة الحق قوله لا إلَه إلّا الله كلمة التوحيد، ﴿ **وهم يعلمون** ﴾، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

﴿ **ولئن سألتهم مَن خلقهم ليقولنّ الله فأنّى يُؤفكون** ﴾، يُصرَفون عن عبادته.

﴿ **وقيله يا رب** ﴾، يعني قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربّه يا ربّ، ﴿ **إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون** ﴾، قرأ عاصم

غيره ﴿وقيله يا رب﴾ يعني قوله محمد ﷺ شاكياً الله ربه يا رب ﴿إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس: شكا إلى الله تعالى تخلف قومه عن الإيمان، وقال قتادة: هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿فاصفح عنهم﴾ يعني أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب ﴿وقل سلام﴾ معناه المتاركة، وقيل معناه قل خيراً بدلاً من شرهم ﴿فسوف يعلمون﴾ يعني عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق، قال مقاتل: نسختها آية السيف والله تعالى أعلم.

وحمزة ﴿ وقيله ﴾ بجرّ اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجواهم وقيله يا ربّ، والثاني: وقال قيله.

﴿ فاصفحْ عنهم ﴾، أعرض عنهم، ﴿ وقلْ سلام ﴾، معناه: المتاركة، كقوله تعالى: ﴿ سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿ فسوف يعلمون ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، قال مقاتل: نسختها آية السيف.



سورة الدخان

مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وأحد وثلاثون حرفاً)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ والكتاب المبين﴾ يعني المبين ما يحتاج الناس إليه من حلال وحرام وغير ذلك من الأحكام ﴿وإنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ قيل هي ليلة القدر أنزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوماً على حسب الوقائع في عشرين سنة، وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب» أخرجه الترمذي. ﴿إنا كنا منذرين﴾ أي مخوفين عقابنا ﴿فيها﴾ أي في تلك الليلة المباركة ﴿يفرق﴾ أي يفصل ﴿كل أمر حكيم﴾ أي محكم، قال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج يقال: يحج فلان ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف

سُوْرَة الدّخَانِ

مكيّة وهي تسع وخمسون آية.

﴿ حمٓ * والكتاب المبين * إنّا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾، قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أمّ الكتاب إلى السماء الدّنيا، ثم نزل به جبريل عن النبي ﷺ نجوماً في عشرين سنة. وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الريّاني ثنا حميد بن زنجويه ثنا الأصبغ بن الفرج: أخبرني ابن وهب أخبرني عمر بن الحارث أن عبد الملك بن عبد الملك حدّثه أن ابن أبي ذئب حدّثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمّه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله جلّ ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلّا إنساناً في قلبه شحناء أو مشركاً بالله»، ﴿ إنّا كنّا منذِرين ﴾.

﴿ فيها ﴾، أي في الليلة المباركة، ﴿ يُفرق ﴾، أي يفصّل، ﴿ كل أمر حكيم ﴾، محكم، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجّاج، يقال: يحجّ فلان ويحجّ فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة. وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يُزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر

من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات، وروى البغوي بسنده أن النبي ﷺ قال «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى» وعن ابن عباس «إن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر» ﴿أمراً﴾ أي أنزلنا أمراً ﴿من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ يعني محمداً ﷺ ومن قبله من الأنبياء.

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

﴿**رحمة من ربك**﴾ قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل وقيل أنزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك ﴿**إنه هو السميع**﴾ أي لأقوالهم ﴿**العليم**﴾ أي بأحوالهم ﴿**رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾ أي إن الله رب السموات والأرض وما بينهما ﴿**لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين**﴾ قوله تعالى: ﴿**بل هم في شك**﴾ أي من هذا القرآن ﴿**يلعبون**﴾ أي يهزؤون به لاهون عنه ﴿**فارتقب**﴾ أي يا محمد ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم**﴾ (ق) عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند باب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل به ومن لا يعلم شيئاً فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال

الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدّثني الليث حدّثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى». وروى أبو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان، ويسلّمها إلى أربابها في ليلة القدر.

﴿ **أمراً** ﴾، أي أنزلنا أمراً، ﴿ **من عندنا** ﴾، قال الفرّاء: نُصِب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقاً وأمراً، أي تأمر أمراً ببيان ذلك. ﴿ **إنّا كنّا مرسلين** ﴾، محمداً ﷺ ومَن قبله من الأنبياء.

﴿ **رحمة من ربّك** ﴾، قال ابن عباس رأفة منّي بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجّاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة، ﴿ **إنه هو السميع العليم ربّ السمٰوات والأرض وما بينهما** ﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿ **ربّ** ﴾ جرّاً ردّاً على قوله: ﴿ **من ربّك** ﴾، ورفعه الآخرون ردّاً على قوله: ﴿ **هو السميع العليم** ﴾، وقيل: على الابتداء، ﴿ **إن كنتم موقنين** ﴾، أن الله ربّ السمٰوات والأرض.

﴿ **لا إله إلّا هو يُحيي ويُميت ربّكم وربُّ آبائكم الأوّلين * بل هم في شكٍّ** ﴾، من هذا القرآن، ﴿ **يلعبون** ﴾ يهزؤون به لاهُونَ عنه.

﴿ **فارتقبْ يومَ تأتي السماء بدخان مُبين * يغشى الناسَ هذا عذابٌ أليم** ﴾، تقديره: هو عذاب إلٰهي، ويجوز أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده، أي: يقولون هذا عذاب أليم، اختلفوا في هذا الدخان، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدّث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم

لنبيه ﷺ «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» «إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال اللهم سبعاً كسبع يوسف» وفي رواية «لما دعا قريشاً فكذبوه واستعصوا عليه قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عزوجل: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله ﴿عائدون﴾ قال عبد الله فيكشف عذاب الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري قالوا:

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ فقيل له إن كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله ﴿إنا منتقمون﴾ قوله حصت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين أي أهلكت واستأصلت كل شيء (ق). عن عبد الله بن مسعود قال: «خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة في أبصارهم وسبب ذلك أن في سنة القحط العظيم تيبس الأرض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء

القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام، ففزعنا فأتيت ابنَ مسعود وكان متّكئاً فنهض فجلس، فقال: مَن عَلِمَ فليقل، ومَن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله ورسوله أعلم، فإن الله قال لنبيّه ﷺ: ﴿ قلْ ما أسئلكم عليه من أجـر ومَا أنَـا من المتكلفين ﴾ [صٓ: ٨٦]، وإنّ قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللّهمَّ أعِنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان» فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكُوا فادْعُ الله لهم، فقرأ: ﴿ فارتقبْ يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾، إلى قوله: ﴿ إنكم عائدون ﴾، أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله: ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾، يعني يوم بدر، ولزاماً يوم بدر، ﴿ الٓم غُلِبتِ الرومُ ﴾، إلى ﴿ سيغلبون ﴾ [الروم: ١ ـ ٣]، والروم قد مضى». ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيىٰ عن وكيع عن الأعمش، قال:

قالوا: ﴿ ربَّنا اكشفْ عنّا العذابَ إنّا مؤمنون ﴾، فقيـل له: إنْ كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم، فدعا ربّه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾، إلى قوله ﴿ إنّا منتقمون ﴾ أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيىٰ ثنا وكيع عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال: خمس قد مضين اللِّزامُ والرومُ والبطشةُ والقمرُ والدخانُ. وقال قوم: هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأتِ بعد، فيدخل في أسماع الكفّار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أُوقد فيه النار، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا عقيل بن محمد الجرجاني ثنا أبو الفرج المعافي بن زكريا البغدادي ثنا محمد بن جرير الطبري حدّثني عصام بن رواد بن الجرّاح ثنا أبي أنا أبو سفيان بن سعيد ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول

قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعني المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره» ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ معناه وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرة ﴿ثم تولوا عنه﴾ أي أعرضوا عنه ﴿وقالوا معلم﴾ أي يعلمه بشر ﴿مجنون﴾ أي تلقي إليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ أي الجوع ﴿قليلاً﴾ أي زمناً يسيراً قيل إلى يوم بدر ﴿إنكم عائدون﴾ أي إلى كفركم ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ هو يوم بدر ﴿إنا منتقمون﴾ أي منكم في ذلك اليوم، وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس أنه يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أي قبل هؤلاء ﴿قوم فرعون وجاءهم رسول كريم﴾ يعني على الله وهو

الله ﷺ: «أول الآيات الدخان، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا»، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: ﴿ يوم تأتي السماء بدخان مُبين ﴾، يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من مِنخريه وأذنيه ودبره.

﴿ أنى لهم الذكرى ﴾، من أين لهم التذكّر والاتّعاظ؟ يقول: كيف يتذكّرون ويتّعظون؟ ﴿ وقد جاءهم رسول مُبين ﴾، ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ.

﴿ ثم تولّوا عنه ﴾، أعرضوا عنه، ﴿ وقالوا مُعَلَّمٌ ﴾، أي يعلّمه بشر، ﴿ مجنون ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ إنّا كاشفوا العذاب ﴾، أي عذاب الجوع، ﴿ قليلاً ﴾، أي زماناً يسيراً، قال مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿ إنّكم عائدون ﴾، إلى كفركم.

﴿ يوم نَبْطِشُ البطشةَ الكبرى ﴾، وهو يوم بدر، ﴿ إنّا مُنتقمون ﴾، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء، وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

﴿ ولقد فتنّا ﴾، بلونا، ﴿ قبلهم ﴾، قبل هؤلاء، ﴿ قوم فرعون وجاءهم رسولٌ كريم ﴾، على الله وهو موسى بن عمران.

﴿ أن أدّوا إليّ عباد الله ﴾، يعني بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذّبهم، ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾، على الوحي.

موسى بن عمران عليه السلام ﴿أن أدوا إليّ عباد الله﴾ يعني أطلقوا إلي بني إسرائيل ولا تعذبوهم ﴿إني لكم رسول أمين﴾ يعني على الوحي ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ يعني لا تتجبروا عليه بترك طاعته ﴿إني آتيكم بسلطان مبين﴾ يعني ببرهان بيِّن على صدق قولي فلما قال ذلك توعده بالقتل فقال ﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾ أن تقتلون وقال ابن عباس: تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ أي فاتركون لا معي ولا عليّ، وقال ابن عباس: اعتزلوا أذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ أي مشركون ﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾ أي أجاب الله دعاءه وأمره أن يسري ببني إسرائيل بالليل ﴿إنكم متبعون﴾ أي يتبعكم فرعون وقومه ﴿واترك البحر﴾ أي إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رهواً﴾ أي ساكناً والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه، وقيل اتركه طريقاً يابساً وذلك أنه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو ﴿إنهم جند مغرقون﴾ يعني أخبر موسى بإغراقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو ﴿كم تركوا﴾ أي بعد الغرق ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ أي مجلس شريف حسن ﴿ونعمة﴾ أي وعيش لين رغد ﴿كانوا فيها﴾ أي في تلك النعمة ﴿فاكهين﴾ أي ناعمين وقرىء فكهين أي أشرين بطرين.

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى

﴿ وأنْ لا تعلوا على الله ﴾، أي لا تتجبّروا عليه بترك طاعته، ﴿ إني آتيكم بسلطان مبين ﴾، ببرهان بيّن على صدق قولي، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل.

فقال: ﴿ وإني عُذْتُ بربّي وربكم أن تَرْجُمُون ﴾، أن تُقتلون، وقال ابن عباس: تشتمون وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة: ترجموني بالحجارة.

﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾، فاتركوني لا معي ولا عليّ. وقال ابن عباس: فاعتزلوا أذايَ باليد واللسان، فلم يؤمنوا.

﴿ فدعا ربّه أنّ هؤلاء قومٌ مجرمون ﴾، مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري.

فقال: ﴿ فأسرِ بعبادي ليلاً ﴾، أي ببني إسرائيل، ﴿ إنكم متّبعون ﴾، يتبعكم فرعون وقومه.

﴿ واترك البحرَ ﴾، إذا قطعته أنت وأصحابك، ﴿ رهواً ﴾، ساكناً على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل: معناه اترك البحر راهياً أي ساكناً، فسُمّي بالمصدر، أي ذَا رَهْوٍ. وقال كعب: اتركه طريقاً. قال قتادة: طريقاً يابساً. قال قتادة: لمّا قطع موسى البحر عطف ليضربَ البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: اترك البحر رهواً كما هو، ﴿ إنهم جند مغرقون ﴾، أُخْبِرَ موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر.

فقال: ﴿ كم تركوا ﴾، يعني بعد الغرق، ﴿ من جنّات وعيون * وزُروع ومقام كريم ﴾، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن.

﴿ ونَعْمَة ﴾، ومتعة وعيش ليِّن، ﴿ كانوا فيها فاكهين ﴾، ناعمين وفاكهين أشرين بطرين.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

﴿**كذلك**﴾ أي أفعل بمن عصاني ﴿**وأورثناها قوماً آخرين**﴾ يعني بني إسرائيل ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه.

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال «ما من مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه» فذلك قوله تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، قيل: بكاء السماء حمرة أطرافها، وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً فقيل: أوتبكي، فقال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الأرض ﴿**وما كانوا منظرين**﴾ أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل: ﴿**ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين**﴾ أي من قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل ﴿**من فرعون إنه كان عالياً**﴾ أي جباراً ﴿**من المسرفين ولقد اخترناهم على علم**﴾ أي علمه الله تعالى فيهم ﴿**على العالمين**﴾ أي عالمي زمانهم ﴿**وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين**﴾ أي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى والنعم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ﴿**إن هؤلاء**﴾ يعني مشركي مكة ﴿**ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى**﴾ أي لا موتة لنا إلا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله ﴿**وما نحن بمنشرين**﴾ أي بمبعوثين بعد موتتنا هذه

﴿ **كذلك** ﴾، قال الكلبي: كذلك أفعل بمَن عصاني، ﴿ **وأورثناها قوماً آخرين** ﴾، يعني بني إسرائيل.

﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الفنجوي ثنا أبو علي المقري ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا أحمد بن إسحاق البصري ثنا مكّي بن إبراهيم ثنا موسى بن عبيدة الزيدي أخبرني يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ عبدٍ إلّا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقداه وبكيا عليه»، ثم تلا: ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض** ﴾، قال عطاء: بكاء السماء حُمرَة أطرافها. قال السدي: لمّا قُتِل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حُمرتها. ﴿ **وما كانوا مُنْظَرِين** ﴾، لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

﴿ **ولقد نجّينا بني إسرائيل من العذاب المهين** ﴾، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

﴿ **من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين * ولقد اخترناهم** ﴾، يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿ **على علم** ﴾، بهم، ﴿ **على العالمين** ﴾، على عالمي زمانهم.

﴿ **وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاءٌ مُبين** ﴾، قال قتادة: نعمة بيّنة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى، والنِّعَم التي أنعمها عليهم. قال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدّة، وقرأ: (ويبلوكم بالشرِّ والخير فتنة).

﴿فأتوا بآبائنا﴾ أي الذين ماتوا قبل **﴿إن كنتم صادقين﴾** أي إنا نبعث أحياء بعدالموت قيل طلبوا من النبي ﷺ أن يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال تعالى: **﴿أهم خير أم قوم تبع﴾** أم ليسوا خيراً من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعاً لكثرة أتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعاً لأنه يتبع صاحبه الذي قبله كما يسمى في الإسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير إلى الإسلام فكذبوه.

عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم» أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي» وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت «لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً» وكان من قصته على ما ذكر محمد بن إسحاق وغيره، وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فأعجبه ذلك وقال: إن هؤلاء لكرام فبينا هو كذلك إذ جاءه حبران عالمان من أحبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فإن هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم، قال تبع ومن يقاتله وهو نبي قالا يسير إليه قومه فيقتتلون ها هنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم إنهما دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن

﴿ إن هؤلاء ﴾، يعني مشركي مكة، **﴿ ليقولون * إنْ هي إلاّ موتتنا الأولى ﴾**، أي لا موتة إلاّ هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها. وهو قوله: **﴿ وما نحن بمُنشَرين ﴾**، بمبعوثين بعد موتتنا.

﴿ فأتوا بآبائنا ﴾، الذين ماتوا، **﴿ إنْ كنتم صادقين ﴾**، أنّا نبعث أحياءً بعد الموت، ثم خوّفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: **﴿ أهم خيرٌ أمْ قومُ تُبع ﴾**، أي ليسوا خيراً منهم، يعني أقوى وأشدّ وأكثر من قوم تبّع. قال قتادة: هو تبع الحميري، وكان سارَ بالجيوش حتى حيّر الحيرة، وبني سمرقند وكان من ملوك اليمن، سُمّي تبّعاً لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى تبعاً لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حمير، فكذّبوه وكان من خبره ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تُبّع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها خلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فَقَدِمَها وهو مُجمِعٌ على خرابها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحيّ من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره، فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرّونه بالليل، فأعجبه ذلك وقال: إن هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك إذ جاءه حَبْرَان اسمهما: كعب وأسد من أحْبَار بني قريظة، عالِمان وكانا ابني عمّ، حين سَمِعَا ما يُريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلاّ ما تريد حيلَ بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة. فإنها مهاجر نبي يخرج من هذا الحيّ من قريش اسمه محمد مولده مكة، وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه، وفي عدوّهم، قال تبّع: مَن يقاتله وهو نبيّ؟ قالا: يسير إليه قومه فيقتتلون ههنا، فتناهى لقولهما عمّا كان يريد بالمدينة، ثم إنهما دعواه إلى دينهما فأجابهما واتّبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى

المدينة، وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أي بيت هذا قالوا بيت بمكة وإنما أراد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك فذكر الملك ذلك للأحبار، فقالوا: ما نعلم لله في الأرض بيتاً غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجداً وانسك عنده وانحرواحلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك. وما ناوأه أحد قط إلا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهي برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف، فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال: إنه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا إلى النار. وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم. قال تبع أنصفتم فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه وخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينها فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن، وقال الرياشي كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة.

اليمن، فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا إنّا ندلّك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة، قال: أيُّ بيت؟ قالوا: بيت بمكة وإنما تريد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يردْهُ أحدٌ قطّ بسوء إلاّ هلك، فذكر ذلك للأحْبَار، فقالوا: ما نعلم لله في الأرض بيت غير هذا البيت، فاتخذه مسجداً وانسك عنده وانحر واحلق رأسك، وما أراد القوم إلاّ هلاكك لأنه ما ناوأهم أحدٌ قطّ إلا هلك، فأكرمْهُ واصنع عنده ما يصنع أهله، فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم، فلما قَدِمَ مكة نزل الشعب شعب البطائح، وكسا البيت الوصائل، وهو أول مَن كسا البيت، ونحر بالشعب ستّة آلاف بدنة، وأقام به أيام وطاف به وحلق وانصرف، فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه، قالوا: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال إنه دينٌ خير من دينكم، قالوا: فحاكِمْنَا إلى النار، وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم، فقال تُبّع: أنصفتم، فخرج القوم بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدُوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها، ومَن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحَبْرَان بمصاحفهما في أعناقهما، يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرّهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما، فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن. وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال: كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة. وذكر أن كعباً كان يقول: ذمّ الله قومه ولم يذمّه. وكانت عائشة تقول: لا تسبّوا تبّعاً فإنه كان رجلاً صالحاً. وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا حسين بن موسى ثنا ابن لهيعة أبو زرعة بن عمر بن جرير عن سهل بن سعد قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا تسبّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم»، أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني ثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري ثنا

وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه.

قوله تعالى: ﴿والذين من قبلهم﴾ أي من الأمم الكافرة ﴿أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين﴾.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق﴾ أي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ قوله عز وجل: ﴿إن يوم الفصل﴾ أي الذي يفصل الله فيه بين العباد ﴿ميقاتهم أجمعين﴾ أي يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ أي لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي يمنعون من عذاب الله ﴿إلا من رحم الله﴾ يعني المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض ﴿إنه هو العزيز﴾ أي في انتقامه من أعدائه ﴿الرحيم﴾ أي بأوليائه المؤمنين، قوله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ أي ذي الإثم وهو أبو جهل ﴿كالمهل﴾ أي كدردي الزيت الأسود﴿يغلي في البطون﴾ أي في بطون الكفار﴿كغلي الحميم﴾يعني كالماء الحار إذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «في قوله كالمهل؛ قال كعكر الزيت فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه» أخرجه الترمذي وقال لا نعرفه إلا من حديث رشدين سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه.

عبد الرزّاق ثنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري تُبّع أكان نبيّاً أو غير نبي». ﴿ والذين من قبلهم ﴾، من الأمم الكافرة. ﴿ أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين ﴾.

﴿ وما خلقنا السمٰواتِ والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلاّ بالحق ﴾، قيل: يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾.

﴿ إنّ يوم الفصل ﴾، يوم يفصل الرحمن بين العباد، ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾، يوافي يوم القيامة الأوّلون والآخرون.

﴿ يوم لا يُغني مولىً عن مولىً شيئاً ﴾، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً، ﴿ ولا هم يُنصرون ﴾، لا يُمنعون من عذاب الله.

﴿ إلاّ مَنْ رَحِمَ الله ﴾، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض، ﴿ إنّه هو العزيز ﴾، في انتقامه من أعدائه، ﴿ الرحيم ﴾، بالمؤمنين.

﴿ إنّ شجرة الزقّوم * طعام الأثيم ﴾، أي ذي الإثم، وهو أبو جهل.

﴿ كالمهل ﴾، وهو دردي الزيت الأسود، ﴿ يغلي في البطون ﴾، قرأ ابن كثير وحفص ﴿ يغلي ﴾ بالياء، جَعَلا الفعلَ للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، ﴿ في البطون ﴾ أي بطون الكفّار، ﴿ كغلي الحميم ﴾، كالماء الحارّ إذا اشتدّ غليانه، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أنا أبو بكر محمد بن

عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ثم قال رسول الله ﷺ لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿خذوه﴾ أي يقال للزبانية خذوه يعني الأثيم ﴿فاعتلوه﴾ أي دافعوه وسوقوه بالعنف ﴿إلى سواء الجحيم﴾ أي إلى وسط النار ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ قيل إن خازن النار يضرب على رأسه فينقب رأسه من دماغه ثم يصب فيه ماء حميماً قد انتهى حره ثم يقال له ﴿ذق﴾ أي هذا العذاب ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾ أي عند قومك بزعمك وذلك أن أبا جهل لعنه الله كان يقول أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾ أي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين﴿في مقام أمين﴾ أي في مجلس أمنوا فيه من الغير ﴿في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق﴾ قيل السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ منه وهو معرب إستبر.

فإن قلت كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي.

قلت إذا عرب خرج من أن يكون أعجمياً لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه

حمدون بن خالد بن يزيد ثنا سليمان بن يوسف ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حقَّ تقاته، فلو أن قطرة من الزقّوم قطرت على الأرض لأمرتْ على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمَن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره».

قوله تعالى: ﴿ خذوه ﴾، أي يقال للزبانية خذوه يعني الأثيم، ﴿ فاعتلوه ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمّها، وهما لغتان، أي ادفعوه وسوقوه، يقال: عتله يعتله عتلاً إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب، ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾، وسطه.

﴿ ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾، قال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه، ثم يصبّ فيه ماءً حميماً قد انتهى حرّه.

ثم يقال له: ﴿ ذقْ ﴾، هذا العذاب، ﴿ إنّك ﴾، قرأ الكسائي ﴿ إنك ﴾ بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم، قرأ الآخرون بكسرها على الابتداء، ﴿ أنت العزيز الكريم ﴾، عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعزّ أهل الوادي وأكرمهم، فتقول له هذا اللفظ خَزَنَة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ.

﴿ إن هذا ما كنتم به تمترون ﴾، تشكّون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتّقين، فقال:

﴿ إنّ المتّقين في مقام أمين ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿ في مقام ﴾ بضم الميم على المصدر، أي في

وإجرائه على أوجه الإعراب ﴿متقابلين﴾ أي يقابل بعضهم بعضاً ﴿كذلك﴾ أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك ﴿و﴾ أكرمناهم بأن ﴿زوجناهم بحور عين﴾ أي قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم أزواجاً لهن أي جعلناهم اثنين واثنين الحور من النساء النقيات البيض، وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ يعني أرادوها واشتهوها ﴿آمنين﴾ أي من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والأوصاب والشيطان ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ أي لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا إلا وقيل إلا بمعنى لكن، وتقديره ليذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل إنما استثنى الموتة من موت الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كأنه في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إياها ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾.

فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿فضلاً من ربك﴾ يعني كل ما وصل إليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة إنما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلاً منه ﴿ذلك هو الفوز العظيم فإنما يسرناه بلسانك﴾ أي سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي يتعظون ﴿فارتقب﴾ أي فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم

إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي في مجلس أمين، أمنوا فيه من الغير، أي من الموت ومن الخروج منه.

﴿ في جنّات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين * كذلك وزوّجناهم ﴾، أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنّات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوّجناهم، ﴿ بحور عين ﴾، أي قرنّاهم بهنّ ليس من عقد التزويج لأنه لا يقال: زوّجته بامرأة، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً لهنّ كما يزوّج النعل بالنعل، أي جعلناهم اثنين اثنين، والحور هنّ النساء النقيّات البياض. قال مجاهد: يَحار فيهنّ الطرف من بياضهنّ وصفاء لونهنّ. وقال أبو عبيدة: الحور هُنّ شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها، واحدها حور والمرأة حوراء، والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين.

﴿ يَدْعُون فيها بكل فاكهة ﴾، اشتهوها، ﴿ آمنين ﴾، من نفارها ومن مضرّتها. وقال قتادة: آمنين من الموت والأوصاب والشياطين.

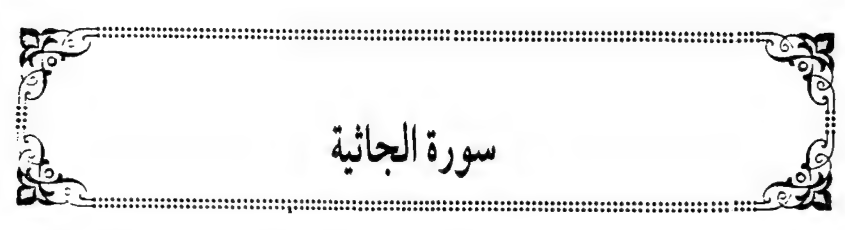
﴿ لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأولى ﴾، أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وبعدها وضع: ﴿ إلاّ ﴾ موضع سوى بعد، وهذا كقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف﴾ [النساء: ٢٢]، أي سوى ما قد سلف، وبعد ما قد سلف، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابهم ومشاهدتهم إيّاها. ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾.

﴿ فضلاً من ربّك ﴾، أي فعل ذلك بهم فضلاً منه، ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾.

﴿ فإنما يسّرناه ﴾، سهّلنا القرآن كناية عن غير مذكور، ﴿ بلسانك ﴾، على لسانك، ﴿ لعلّهم يتذكّرون ﴾، يتّعظون.

العذاب ﴿إنهم مرتقبون﴾ أي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم أحد رواته وهو ضعيف، وقال البخاري: هو منكر الحديث وعنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له» أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقداد أحد رواته ضعيف والله أعلم.

﴿ فارتقبْ ﴾، فانظر النصر من ربك. وقيل: فانتظر لهم العذاب. ﴿ إنّهم مرتَقِبُون ﴾، منتظرون قهرك بزعمهم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه ثنا يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ ثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي ثنا أبو هاشم الرفاعي ثنا زيد بن الحباب ثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم عن يحيىٰ بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ حَمٓ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف مَلَك».



وتسمى سورة الشريعة مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة وأحد وتسعون حرفاً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض﴾ أي إن في خلق السموات والأرض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله ﴿لآيات للمؤمنين وفي خلقكم﴾ أي وخلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنساناً ذا عقل وتمييز ﴿وما يبث من دابة﴾ أي وما يفرق في الأرض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة ﴿آيات﴾ دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الإله القادر المختار ﴿لقوم يوقنون﴾ يعني أنه لا إله غيره.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

﴿واختلاف الليل والنهار﴾ يعني بالظلام والضياء والطول والقصر ﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ يعني

سُورَةُ الجاثِيَة

مكيّة إلاّ آية ١٤ فمدنية وهي سبع وثلاثون آية نزلت بعد الدخان.

﴿ حمٓ *تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إنّ في السمٰوات والأرض لآياتٌ للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبثُّ من دابّة آيات ﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب **﴿ آيات ﴾ ﴿ وتصريف الرياح آيات ﴾** بكسر التاء فيهما ردّاً على قوله: **﴿ لآيات ﴾** وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على أن العرب تقول إن لي عليك مالاً وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، **﴿ لقوم يوقنون ﴾**، أنه لا إله غيره.

﴿ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق ﴾، يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد،

المطر الذي هو سبب أرزاق العباد ﴿فأحيا به﴾ أي بالمطر ﴿الأرض بعد موتها﴾ أي بعد يبسها ﴿وتصريف الرياح﴾ أي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ .

فإن قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله ﴿لآيات للمؤمنين﴾ و ﴿لقوم يوقنون﴾ ﴿ويعقلون﴾ .

قلت معناه إن المنصفين من العباد إذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه الإله القادر على كل شيء ثم إذا أمعنوا النظر ازدادوا إيقاناً وزال عنهم اللبس فحينئذٍ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله﴾ أي بعد كتاب الله ﴿وآياته يؤمنون﴾ قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ أي كذاب صاحب إثم يعني النضر بن الحارث ﴿يسمع آيات الله﴾ يعني القرآن ﴿تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾ يعني آيات القرآن ﴿اتخذها هزوا﴾ أي سخر منها ﴿أولئك﴾ إشارة إلى من هذه صفته ﴿لهم عذاب مهين﴾ ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿من ورائهم جهنم﴾ يعني أمامهم جهنم وذلك خزيهم في الدنيا ولهم في الآخرة النار ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ أي من الأموال ﴿شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أي ولا يغني عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة ﴿ولهم عذاب عظيم هذا﴾ يعني القرآن ﴿هدى﴾ أي هو هدى من الضلالة ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ .

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

﴿ فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾.

﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾، يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصّها عليك بالحق، ﴿ فبأيّ حديث بعد الله ﴾، بعد كتاب الله، ﴿ وآياته يؤمنون ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: «تؤمنون» بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأيّ حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿ ويلٌ لكل أفّاك أثيم ﴾، كذّاب صاحب إثم يعني النضر بن الحارث.

﴿ يسمع آيات الله تُتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها ﴾ ﴿ كأنّ في أُذنيه وقراً ﴾ [لقمان: ٧] ﴿ فبشّره بعذاب أليم * وإذا علم من آياتنا ﴾، قال مقاتل: من القرآن، ﴿ شيئاً اتخذها هُزُواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾، وذكر بلفظ الجمع ردّاً إلى كل في قوله: ﴿ لكل أفّاكٍ أثيم ﴾.

﴿ من ورائهم ﴾، أمامهم، ﴿ جهنم ﴾، يعني أنهم في الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم في الآخرة النار يدخلونها، ﴿ ولا يغني عنهم ما كسبوا ﴾، من الأموال، ﴿ شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ﴾، ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾.

﴿ هذا ﴾، يعني هذا القرآن، ﴿ هدىً ﴾، بيان من الضلالة، ﴿ وبالذين كفروا بآيات ربّهم لهم عذاب من رجزٍ أليم ﴾.

وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾

﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ أي بسبب التجارة واستخراج منافعه ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمته على ذلك ﴿وسخر لكم ما في السموات والأرض﴾ يعني أنه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة لنا من حيث أنا ننتفع بها ﴿جميعاً منه﴾ قال ابن عباس: كل ذلك رحمه منه وقيل كل ذلك تفضل منه وإحسان ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

قوله عز وجل: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته، قال ابن عباس: نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أن رجلاً من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وَقيل نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال ﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ أي من الأعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ .

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿والحكم﴾ يعني معرفة أحكام الله ﴿والنبوة ورزقناهم من الطيبات﴾ أي الحلالات وهو ما وسع عليهم في الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أي على عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث محمد ﷺ وما بين لهم من أمره ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ معناه التعجب من حالهم وذلك لأن

﴿ الله الذي سخّر لكم البحرَ لتجريَ الفُلْكُ فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون * وسخّر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض ﴾، ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا فهو مسخّر لنا من حيث إنّا ننتفع به، ﴿ جميعاً منه ﴾، فلا تجعلوا لله أنداداً، قال ابن عباس: جميعاً منه كل ذلك رحمة منه. قال الزجّاج: كل ذلك تفضّل منه وإحسان. ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ﴾.

﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيّام الله ﴾، أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وذلك أن رجلاً من بني غفار شتمه بمكة فهمّ عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه. وقال القرظي والسدي: نزل في أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذىً شديد من المشركين، من قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال. ﴿ ليجزيَ قوماً ﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (لنجزي) بالنون، وقرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر ﴿ ليجزي ﴾ بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن. قال الكسائي معناه ليجزي الجزاء قوماً، ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾.

﴿ مَن عمل صالحاً فلنفسه ومَن أساء فعليها ثمّ إلى ربكم ترجعون * ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب ﴾، التوراة، ﴿ والحكم والنبوّة ورزقناهم من الطيبات ﴾، الحلالات يعني المنّ والسلوى، ﴿ وفضّلناهم على العالمين ﴾، أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحبّ إليه منهم.

حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجيء العلم سبباً لحصول الاختلاف وذلك أنه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وإنما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم أنهم لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ثم جعلناك﴾ يا محمد ﴿على شريعة﴾ أي على طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى ﴿من الأمر﴾ أي من الدين ﴿فاتبعها﴾ أي اتبع شريعتك الثابتة ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ يعني مراد الكافرين وذلك أنهم كانوا يقولون له أرجع إلى دين آبائك فإنهم كانوا أفضل منك قال الله تعالى: ﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ أي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ يعني إن الظالمين يتولى بعضهم بعضاً في الدنيا ولأولى لهم في الآخرة ﴿والله ولي المتقين﴾ أي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة ﴿هذا﴾ يعني القرآن ﴿بصائر للناس﴾ أي معالم للناس في الحدود والأحكام يبصرون به ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ أي اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا ﴿سواء

﴿ وآتيناهم بيّنات من الأمر ﴾، يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بيّن لهم من أمره، ﴿ فما اختلفوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾.

﴿ ثم جعلناك ﴾، يا محمد ﴿ على شريعة ﴾، سُنّة وطريقة بعد موسى، ﴿ من الأمر ﴾، من الدين، ﴿ فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾، يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

فقال جلّ ذكره: ﴿ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ﴾، لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتّبعت أهواءهم، ﴿ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليُّ المتّقين ﴾.

﴿ هذا ﴾، يعني القرآن، ﴿ بصائر ﴾، معالم، ﴿ للناس ﴾، في الحدود والأحكام يبصرون بها، ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾.

﴿ أم حسب ﴾، بل حسب، ﴿ الذين اجترحوا السيئات ﴾، اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾، نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقاً لنفضلنّ عليكم في الآخرة كما فضّلنا عليكم في الدنيا. ﴿ سواءٌ محياهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب، ﴿ سواء ﴾ بالنصب أي نجعلهم سواء، يعني أحسبوا أن حياة الكافرين ﴿ ومماتهم ﴾ كحياة المؤمنين وموتهم سواءً كلّا، وقرأ

محياهم ومماتهم﴾ معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى أن المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل **﴿ساء ما يحكمون﴾** أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾** الآية **﴿وخلق﴾** الله السموات والأرض بالحق أي بالعدل **﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾** ومعنى الآية أن المقصود من خلق هذا العالم إظهار العدل والرحمة ذلك لا يتم إلا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات.

قوله عز وجل: **﴿أفرأيت من اتخذه إلهه هواه﴾** قال ابن عباس: اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك أن العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فإذا رأوا شيئاً أحسن من الأول رموا بالأول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار **﴿وأضله الله على علم﴾** أي علماً منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله أنه ضال قبل أن يخلقه **﴿وختم على سمعه وقلبه﴾** أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه **﴿وجعل على بصره غشاوة﴾** يعني ظلمة فهو لا يبصر الهدى **﴿فمن يهديه من بعد الله﴾** أي من بعد أن أضله الله **﴿أفلا تذكرون﴾** قال الواحد ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لأن الله صرح بمنعه إياه عن الهدى حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره **﴿وقالوا﴾** يعني منكري البعث.

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة، **﴿ ساء ما يحكمون ﴾**، بئس ما يقضون، قال مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح قرأ آيةً من كتاب الله يُردّدها يركع بها ويسجد ويبكي: **﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** الآية.

﴿ وخلق الله السمٰوات والأرض بالحق ولتُجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾.

﴿ أفرأيت مَن اتخذ إلٰهه هواه ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوَى شيئاً إلّا ركّبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرّم ما حرّم الله. وقال الآخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه. قال سعيد بن جبير: كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر. قال الشعبي: إنما سُمّي الهوى لأنه يَهوي بصاحبه في النار. **﴿ وأضلّه الله على علم ﴾**، منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في عمله أنه ضال قبل أن يخلقه، **﴿ وختم ﴾** طبع، **﴿ على سمعه ﴾** فلم يسمع الهدى، **﴿ وقلبه ﴾**، فلم يعقل الهدى، **﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾**، قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين، والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى، **﴿ فمَن يهديه من بعد الله ﴾**، أي فمَن يهديه بعد أن أضلّه الله، **﴿ أفلا تذكرون ﴾**.

يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

﴿**ما هي إلا حياتنا الدنيا**﴾ يعني ما الحياة إلا حياتنا الدنيا ﴿**نموت ونحيا**﴾ يعني يموت الآباء ويحيا الأبناء وقيل تقديره نحيا ونموت ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ يعني وما يفنينا إلا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار ﴿**وما لهم بذلك من علم**﴾ يعني لم يقولوه عن علم علموه ﴿**إن هم إلا يظنون**﴾ (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: ﴿**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**﴾» وفي رواية «يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما» وفي رواية «يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار» ومعنى هذه الأحاديث أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إلى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم إلى الله تعالى إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر قيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فإنه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**﴾ معناه أن منكري البعث احتجوا بأن قالوا إن صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث ﴿**قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم**

﴿ **وقالوا** ﴾، يعني مُنكِري البعث، ﴿ **ما هي إلاّ حياتنا الدنيا** ﴾، أي ما الحياة إلاّ حياتنا الدنيا، ﴿ **نموت ونحيا** ﴾، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء، وقال الزجّاج: يعني نموت ونحيا، فالواو للاجتماع، ﴿ **وما يهلكنا إلاّ الدهر** ﴾، أي وما يفنينا إلاّ مرُّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار. ﴿ **وما لهم بذلك** ﴾، أي الذي قالوه، ﴿ **من علم** ﴾، أي لم يقولوه عن علم، ﴿ **إنْ هم إلاّ يظنون** ﴾، أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطّان ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همّام بن منبّه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما»، أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري ثنا جدّي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزّاز أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق بن إبراهيم الديري ثنا عبد الرزّاق أنا معمر عن أيوب بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسبّ أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر، ولا يقولنّ للعنب الكرم، فإن الكرم هو الرجل المسلم»، ومعنى الحديث: أن العرب كان من شأنهم ذمّ الدهر، وسبُّه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ **وما يهلكنا إلاّ الدهر** ﴾ فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبّوا فاعلها، وكان مرجع سبّهم إلى الله عزّ وجلّ، إذْ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر، فنُهوا عن سبّ الدهر.

﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتُنا بيّناتٍ ما كان حجتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * قلِ الله يُحييكم ثم يُميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة** ﴾، أي ليوم القيامة، ﴿ **لا ريب فيه ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون * ولله ملك**

الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الأباطيل وهم الكافرون يصيرون إلى النار.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

﴿وترى كل أمة جاثية﴾ أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى إبراهيم ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي من خير وشر ﴿هذا كتابنا﴾ يعني ديوان الحفظة.

فإن قلت كيف أضاف الكتاب إليهم أولاً بقوله ﴿تدعى إلى كتابها﴾ وإليه ثانياً بقوله ﴿هذا كتابنا﴾.

قلت لا منافاة بينهما فإضافته إليهم لأنه كتاب أعمالهم وإضافته إليه لأنه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه ﴿ينطق عليكم بالحق﴾ أي يشهد عليكم ببيان شاف كأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها وإثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب، وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون إلا من أصل فينسخ كتاب من كتاب ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ أي جنته ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ أي الظفر الظاهر ﴿وأما الذين كفروا﴾ أي يقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ يعني آيات القرآن

السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾، يعني الكافرين الذين هم أصحاب الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

﴿ وترى كلّ أُمة جاثية ﴾، باركة على الرّكب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله، قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخرّ الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربّه لا أسألك إلاّ نفسي. **﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾**، الذي فيه أعمالها، وقرأ يعقوب **﴿ كلَّ أمة ﴾** نصب، ويقال لهم، **﴿ اليوم تُجزون ما كنتم تعملون ﴾**.

﴿ هذا كتابنا ﴾، يعني ديوان الحَفَظَة، **﴿ ينطق عليكم بالحق ﴾**، يشهد عليكم ببيان شافٍ، فكأنه ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. **﴿ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾**، أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبها وإثباتها عليكم. وقيل تستنسخ أي تأخذ نسخه، وذلك أن المَلَكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلمّ واذهب، وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون أعمال من بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلاّ من أصل، فيُنسخ كتابٌ من كتاب. وقال الضحاك: تستنسخ أي يثبت. وقال السدي: تكتب. وقال الحسن: تحفظ.

﴿ فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربّهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ﴾، الظفر الظاهر.

﴿فاستكبرتم﴾ أي عن الإيمان بها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ يعني كافرين منكرين قوله عز وجل: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ أي البعث كائن ﴿والساعة لا ريب فيها﴾ أي لا شك في أنها كائنة ﴿قلتم ما ندري ما الساعة﴾ أي أنكرتموها وقلتم ﴿إن نظن إلا ظناً﴾ أي ما نعلم ذلك إلا حدساً وتوهماً ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أي إنها كائنة.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وبدا لهم﴾ أي في الآخرة ﴿سيئات ما عملوا﴾ أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ أي ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب ﴿ذلكم﴾ أي هذا الجزاء ﴿بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا﴾ يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ أي من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله والإيمان به لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل الربوبية والعامة توجب الحمد والثناء على كل حال ﴿وله الكبرياء﴾ أي وكبروه فإن له الكبرياء والعظمة ﴿في السموات والأرض﴾ وحق لمثله أن يكبر ويعظم ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ «العز إزاره والكبرياء رداؤه» قال الله تعالى: ﴿فمن ينازعني عذبته﴾ لفظ مسلم وأخرجه البرقاني وأبو مسعود رضي الله عنهما يقول الله عز وجل: «العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئاً منهما عذبته» ولأبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار».

﴿ وأمّا الذين كفروا ﴾، يقال لهم، ﴿ أفلم تكن آياتي تُتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين ﴾، متكبرين كافرين.

﴿ وإذا قيل إنّ وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ﴾، قرأ حمزة: ﴿ والساعة ﴾ نصب عطفها على الوعد، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، ﴿ قلتم ما ندري ما الساعة إنْ نظن إلاّ ظناً ﴾، أي ما نعلم ذلك إلاّ حدساً وتوهماً. ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾، أنها كائنة.

﴿ وبدا لهم ﴾ في الآخرة، ﴿سيئات ما عملوا ﴾، في الدنيا أي جزاؤها ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾.

﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾، نترككم في النار، ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾، تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم، ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين * ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هُزُواً وغرّتكم الحياة الدنيا ﴾، حتى قلتم: لا بعث ولا حساب، ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾، قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضمّ الراء، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿ ولا هم يُستعتبون ﴾، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً ولا توبةً.

(شرح غريب ألفاظ الحديث)

قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الإزار والرداء مثلاً له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة، والمعنى أنهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازاً كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشاركه فيهما أحد لأنهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله أعلم.

﴿ **فللّهِ الحمدُ ربّ السمٰوات وربّ الأرض ربّ العالمين * وله الكبرياء** ﴾، العظمة، ﴿ **في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي حدّثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي ثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفرّاء وقطن بن إبراهيم قالوا أنا حفص بن عبد الله حدّثني إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن الأغرّ أبي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمَن نازعني في واحد منهما أدخلته النار».



سورة الأحقاف

مكية وقيل غير قوله ﴿قل أرأيتم﴾ وقيل وقوله ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ فإنهما نزلتا بالمدينة وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفاً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي بالعدل ﴿وأجل مسمى﴾ يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي ينتهي إليه فناء السموات والأرض ﴿والذين كفروا عما أنذروا﴾ أي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب ﴿معرضون﴾ أي لا يؤمنون به ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾ أي بكتاب

سُورَة الأحقَافِ

مكيّة وهي خمس وثلاثون آية.

﴿ حمٓ * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما إلّا بالحق وأجلٍ مسمّى ﴾، يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهي إليه السمٰوات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، ﴿ والذين كفروا عمّا أنذروا ﴾، خوّفوا به في القرآن من البعث والحساب، ﴿ معرضون ﴾.

﴿ قلْ أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السمٰوات ائتوني بكتاب من قبل هذا ﴾، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، ﴿ أو أثارة من علم ﴾، قال الكلبي: أي بقية من عِلم يؤثر عن الأوّلين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء. وقال قتادة: خاصة من

جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون ﴿**أو أثارة من علم**﴾ أي بقية من علم يؤثر عن الأولين ويسند إليهم وقيل برواية عن علم الأنبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الأرض ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أي في أن لله شريكاً ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له**﴾ يعني الأصنام لا تجيب عابد بها إلى شيء يسألونها ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ يعني لا تجيب أبداً ما دامت الدنيا ﴿**وهم من دعائهم غافلون**﴾ يعني لأنها جمادات لا تسمع ولا تفهم ﴿**وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾ أي جاحدين ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين**﴾ سموا القرآن سحراً ﴿**أم يقولون افتراه**﴾ أي اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عزوجل ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً**﴾ أي لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبني على افترائي فكيف أفتري على الله من أجلكم ﴿**هو أعلم**﴾ أي الله أعلم ﴿**بما تفيضون فيه**﴾ أي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه أنه سحر ﴿**كفى به شهيداً بيني وبينكم**﴾ أي إن القرآن جاء من عنده ﴿**وهو الغفور الرحيم**﴾ أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم إلى التوبة ومعناه أنه غفور لمن تاب منكم رحيم به.

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**ما كنت بدعاً**﴾ أي بديعاً ﴿**من الرسل**﴾ أي لست بأول مرسل قد بعث قبلي كثير من الأنبياء فكيف تنكرون نبوتي ﴿**وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**﴾ اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل معناه ما

علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثراً وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر. ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾.

﴿ **ومَن أضلّ ممّن يدعوا من دون الله مَن لا يستجيب له** ﴾، يعني الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونها، ﴿ **إلى يوم القيامة** ﴾، يعني أبداً ما دامت الدنيا، ﴿ **وهم عن دعائهم غافلون** ﴾، لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾، جاحدين بيانه قوله: ﴿ تبرأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون ﴾ [القصص: ٦٣].

﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين كفروا للحق لمّا جاءهم هذا سحر مبين** ﴾، يسمّون القرآن سحراً.

﴿ **أم يقولون افتراه** ﴾، محمد من قبل نفسه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ **قلْ** ﴾، يا محمد، ﴿ **إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً** ﴾، لا تقدرون أن تردّوا عنّي عذابه إن عذّبني على افترائي، فكيف أفتري على الله من أجلكم، ﴿ **هو أعلم** ﴾، الله أعلم، ﴿ **بما تفيضون فيه** ﴾، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿ **كفى به شهيداً بيني وبينكم** ﴾، أن القرآن جاء من عنده، ﴿ **وهو الغفور الرحيم** ﴾، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجّاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عزّ وجلّ غفور لمَن تاب منكم رحيم به.

﴿**قل ما كنت بِدعاً من الرسل** ﴾، أي بديعاً مثل نصف ونصيف، وجمع البدع أبداع، لست بأول مرسل، قد بُعِثَ قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوّتي. ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون،

أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فقالت الصحابة هنيئاً لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية وأنزل ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأة من الأنصار وكانت بايعت النبي ﷺ أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل عليه رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله ﷺ: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت فوالله لا أزكي بعده أحد يا رسول قالت ورأيت لعثمان في النوم عيناً تجري فجئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله» وفي رواية غير البخاري قالت «لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة وأن من كذبه في النار» فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ «رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو بمكة أرض ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك في مكاني أم أخرج وأنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي وقيل «لا أرى إلى ماذا

فقالوا: واللاّت والعزّى ما أمْرُنا وأمر محمد عند الله إلاّ واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يُفعَل به، فأنزل الله: ﴿ ليغفرَ لك اللَّهُ ما تقدّمَ من ذنبك وما تأخر ﴾ [الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبيّ الله قد علمنا ما يُفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ لِيُدْخلَ المؤمنين والمؤمنات جنّات ﴾ [الفتح: ٥] الآية، وأنزل: ﴿ وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٧]، فبيّن الله تعالى ما يفعل به وبهم، وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة، قالوا: إنما قال هذا قبل أن يُخبَر بغفران ذنبه وإنما أُخبِرَ بغفران ذنبه عام الحديبية، فنسخ ذلك، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرازق أنا معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد قال: كانت أُم العلاء الأنصارية تقول لمّا قَدِمَ المهاجرون المدينة: اقترعت الأنصار على سكناهم، قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون في السكنى، فمرض فمرّضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ، فدخل فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «وما يُدريك أن الله قد أكرمه»؟ فقلت: لا والله لا أدري فقال النبي ﷺ: «أما هو فقد أتاه اليقين من ربّه وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم» قالت: فوالله لا أزكّي بعده أحداً أبداً، قالت: ثم رأيت لعثمان بعد في النوم عيناً تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال: «ذاك عمله»، وقالت جماعة: قوله ﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴾ في الدنيا، أمّا في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن مَن كذّبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمّا اشتدّ البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سباخ ونخل رُفِعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تهاجر إلى

يصير أمري وأمركم في الدنيا أما أنا فلا أدري أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي أم أقتل كما قتل بعض الأنبياء من قبلي وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدري أتخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم مما فعل بالأمم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل أن يظهر دينه على الأديان كلها فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» وقال في أمته «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فأعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لا أدري إلى ماذا يصير أمري وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره أنه يظهر دينه على الأديان وأمته على سائر الأمم.

وقوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ معناه ما أتبع غير القرآن الذي يوحى إليّ ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وما أنا إلا نذير مبين﴾ أي أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قل أرأيتم﴾ أي أخبروني ماذا تقولون ﴿إن كان من عند الله﴾ يعني القرآن ﴿وكفرتم به﴾ أيها المشركون ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ أي أنه من عند الله ﴿فآمن﴾ يعني الشاهد ﴿واستكبرتم﴾ أي عن الإيمان به والمعنى إذا كان الأمر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبي ﷺ وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنو يدل عليه ما روى عن أنس بن مالك

الأرض التي أُريْتَ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴾، أأترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التي رُفِعَت لي، وقال بعضهم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، بأن أُقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي، وأنتم أيها المُصدِّقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم أيها المكذِّبون، أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أم أي شيء يفعل بكم، كما فعل بالأمم المكذِّبة؟ ثم أخبر الله عزّ وجلّ أنه يُظهِر دينُه على الأديان، فقال: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهرَهُ على الدين كله ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصفّ: ٩]، وقال في أُمته: ﴿ وما كان الله لِيُعذِّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فأخبر الله ما يصنع به وبأُمته، هذا قول السدي. ﴿ إنْ أتبع إلاّ ما يُوحى إليّ ﴾، أي ما أتبع إلاّ القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئاً، ﴿ وما أنا إلاّ نذير مبين ﴾.

﴿ قل أرأيتم ﴾، معناه: أخبروني ماذا تقولون، ﴿ إنْ كان ﴾، يعني القرآن، ﴿ من عند الله وكفرتم به ﴾، أيها المشركون، ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴾، المثل: صلة، يعني عليه، أي على أنه من عند الله، ﴿ فآمنَ ﴾، يعني الشاهد، ﴿ واستكبرتم ﴾، عن الإيمان به، وجواب قوله: ﴿ إن كان من عند الله ﴾، محذوف على تقدير: أليس قد ظللتم يدلّ على هذا المحذوف قوله: ﴿ إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾، وقال الحسن: جوابه: «فمَن أضلّ منكم» كما قال في سورة السجدة [١٠]، واختلفوا في هذا الشاهد قال قتادة والضحاك: هو عبد الله بن سلام، شهد على نبوّة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن منير سمع

قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة وهو في أرض يخترف النخل فأتاه وقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ أخبرني بهن آنفاً جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾ فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبقت كان الشبه لها قال أشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا أعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك زاد في رواية فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج عبدالله إليهم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه» زاد في رواية «فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله» أخرجه البخاري في صحيحه (ق). «عن سعيد بن أبي وقاص قال ما سمعت النبي ﷺ يقول لحي يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله» قال الراوي لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لأن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن إنها من عند الله كما شهد محمد ﷺ على القرآن أنه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن إن لا يهدي القوم

عبد الله بن أبي بكر ثنا حميد عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام بمَقدَم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف النخل فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهنّ إلّا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أُمه؟ قال: أخبرني بهنّ جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿ قلْ مَن كان عدوّاً لجبريل فإنه نـزّله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة: ٩٧]، فأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أول الطعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نَزَعَتْ، قال: أشهد أن لا إلّه إلّا الله وأنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهودَ قومٌ بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي من قبل أن تسألهم عنّي يبهتونني، فجاءت اليهود فقال لهم: أيّ رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إلّه إلّا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرّنا وابن شرّنا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكاً يحدّث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلّا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله ﴾، قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث. وقال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران. وقال الشعبي قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لأن آل حمّ نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجّة كانت من رسول الله ﷺ لقومه،

الظالمين. قيل إنه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به فإنكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**وقال الذين كفروا**﴾ يعني من اليهود ﴿**للذين آمنوا لو كان خيراً**﴾ يعني دين محمد ﷺ ﴿**ما سبقونا إليه**﴾ يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعونا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه فلان وقيل الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم قال الله تعالى ﴿**وإذ لم يهتدوا به**﴾ يعني بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان﴿**فسيقولون هذا إفك قديم**﴾ يعني كذب متقدم ﴿**ومن قبله**﴾ يعني من قبل القرآن ﴿**كتاب موسى**﴾ يعني التوراة ﴿**إماماً**﴾ يعني جعلناه إماماً يقتدى به ﴿**ورحمة**﴾ يعني من الله لمن آمن به ﴿**وهذا كتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**مصدق**﴾ يعني للكتب التي قبله ﴿**لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا**﴾ يعني مشركي مكة ﴿**وبشرى للمحسنين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم**

ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد ﷺ على القرآن، وكل واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبيّ من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا.

﴿ **وقال الذين كفروا** ﴾، من اليهود، ﴿ **للذين آمنوا لو كان** ﴾، دين محمد ﷺ، ﴿ **خيراً ما سبقونا إليه** ﴾، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيراً ما **سبقنا إليه** فلان وفلان. وقال الكلبي: الذين كفروا أسد وغطفان، قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء الهيم. قال الله تعالى: ﴿ **وإذ لم يهتدوا به** ﴾، يعني بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان، ﴿ **فسيقولون هذا إفك قديم** ﴾، كما قالوا أساطير الأوّلين.

﴿ **ومن قبله** ﴾ أي ومن قبل القرآن، ﴿ **كتاب موسى** ﴾، يعني التوراة، ﴿ **إماماً** ﴾، يُقتدَى به، ﴿ **ورحمةً** ﴾، من الله لمَن آمن به، ونصباً على الحال عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار، أي جعلناه إماماً ورحمةً، وفي الكلام محذوف، تقديره: وتقدّمه كتاب موسى إماماً ولم يهتدوا به، كما قال في الآية الأولى: ﴿ **وإذ لم يهتدوا به** ﴾، ﴿ **وهذا كتاب مصدّق** ﴾، أي القرآن مصدّق للكتب التي قبله، ﴿ **لساناً عربياً** ﴾، نصب على الحال، وقيل بلسان عربي، ﴿ **لينذر الذين ظلموا** ﴾، يعني مشركي مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: **(لتنذر)** بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب، ﴿ **وبشرى للمحسنين** ﴾، ﴿ **وبشرى** ﴾ في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدّق وبشرى.

﴿ **إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * أولئك أصحابُ الجنة خالدين فيها**

يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ تقدم تفسيره.

قوله عز وجل: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾** أي يوصل إليهما إحساناً وهو ضد الإساءة **﴿حملته أمه كرهاً﴾** يعني حين أثقلت وثقل عليها الولد **﴿ووضعته كرهاً﴾** يريد شدة الطلق **﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾** يعني ومدة حمله إلى أن ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهراً. فأقل مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً. قال ابن عباس: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهراً وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً **﴿حتى إذا بلغ أشده﴾** أي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثمان عشرة سنة إلى أربعين سنة وهو قوله تعالى: **﴿وبلغ أربعين سنة﴾** قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص وقد تقدمت القصة. وقيل إنها على العموم والأصح أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وذلك أنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام فنزلوا منزلاً فيه سدرة فعقد النبي ﷺ في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب: هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبي آخر الزمان، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر، فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل: **﴿قال رب أوزعني﴾** أي ألهمني **﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾** أي بالإيمان والهداية. وقال علي بن أبي طالب في قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسناً في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده **﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾** قال ابن عباس: أجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه ودعا أيضاً فقال **﴿وأصلح لي في ذريتي﴾** فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد إلا آمن فاجتمع لأبي بكر إسلام أبويه: أبوه قحافة عثمان بن

جزاءً بما كانوا يعملون ﴾.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حُسْناً ﴾**. وقرأ أهل الكوفة: (إحساناً) كقوله تعالى: **﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾** [البقرة: ٨٣، النساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١، الإسراء: ٢٣]، **﴿ حملته أُمه كُرْهاً ووضعته كرهاً ﴾**، يريد شدّة الطّلق، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو كرهاً بفتح الكاف فيهما، وقرأ الآخرون بضمّهما. **﴿ وحمله وفصاله ﴾**، فطامه، وقرأ يعقوب: (وفصله) بغير ألف، **﴿ ثلاثون شهراً ﴾**، يريد أقل مدة الحمل وهي ستّة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهراً، وإذا حملت ستّة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً. **﴿ حتى إذا بلغ أشدّه ﴾**، نهاية قوّته، وغاية شبابة واستوائه، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله: **﴿ وبلغ أربعين سنة ﴾** وقال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقّاص، وقد مضت القصة. وقال الآخرون: نزلت في أبي بكر الصدّيق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو. قال عليّ بن أبي طالب: الآية نزلت في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده، وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونُبّىء النبي ﷺ آمن به ودعا ربّه فـ **﴿ قال ربِّ أوزعني ﴾**، ألهمني، **﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ ﴾**، بالهداية والإيمان، **﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾**، قال ابن عباس: وأجابه الله عزّ وجلّ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلاّ أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال:

عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبي عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي ﷺ وأسلموا ولم يجتمع ذلك لأحد من الصحابة غير أبي بكر وقوله: ﴿إني تبت إليك﴾ أي رجعت إليك إلى كل ما تحب ﴿وإني من المسلمين﴾ أي: وأسلمت بقلبي ولساني.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾

﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن فالأحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها ويتجاوز عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها ﴿في أصحاب الجنة﴾ أي مع أصحاب الجنة ﴿وعد الصدق﴾ يعني الذي وعدهم بأن يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدق وقيل: وعدهم بأن يدخلهم الجنة ﴿الذي كانوا يوعدون﴾ يعني في الدنيا على لسان الرسول ﷺ. قوله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه﴾ يعني إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث بعد الموت ﴿أفٍّ لكما﴾ وهي كلمة كراهية ﴿أتعدانني أن أخرج﴾ يعني من قبري حياً ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ يعني فلم يبعث منهم أحد ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يعني يستصرخان بالله عليه ويقولان له ﴿ويلك آمن إن وعد الله حق﴾ يعني بالبعث ﴿فيقول ما هذا﴾ يعني الذي تدعونني إليه ﴿إلا أساطير الأولين﴾ قال ابن عباس نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه وكان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى ويقول أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون. وأنكرت عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر (خ). عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال له مروان: هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح أنه ليس المراد من

﴿ وأصلحْ لي في ذريّتي ﴾، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلاّ آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: ﴿ إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾.

﴿ أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ﴾، يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، والأحسن بمعنى الحسن، فيثيبهم عليها، ﴿ ونتجاوز عن سيئاتهم ﴾ فلا نعاقبهم عليها، قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿ نتقبل ﴾ ﴿ ونتجاوز ﴾ بالنون، ﴿ أحسن ﴾ نصب، وقرأ الآخرون بالياء، وضمّها، ﴿ أحسن ﴾ رفعٌ. ﴿ في أصحاب الجنة ﴾، مع أصحاب الجنة، ﴿ وَعْدَ الصدق الذي كانوا يُوعدون ﴾، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿ والذي قال لوالديه ﴾، إذْ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث، ﴿ أفٍ لكما ﴾، وهي كلمة كراهية، ﴿ أتعدانني أن أخرج ﴾، من قبري حيّاً، ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾، فلم يبعث منهم أحد، ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾، يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له: ﴿ ويلك آمنْ إنّ وعد الله حقٌّ فيقول ما هذا ﴾، ما هذا الذي تدعواني إليه، ﴿ إلاّ أساطير الأوّلين ﴾، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: نزلت في عبد الله. وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيُوا لي عبد الله بن جدعان

الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر. وقيل نزلت في كل كافر عاقّ لوالديه قال الزجاج: قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يبطله قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**أولئك الذين حق عليهم القول**﴾ أعلم الله أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب أي وجب عليهم العذاب ﴿**في أمم**﴾ أي مع أمم ﴿**قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا**﴾ قال ابن عباس: يريد من سبق إلى الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب إلى علو ودرجات النار تذهب إلى أسفل ﴿**وليوفيهم أعمالهم**﴾ يعني جزاء أعمالهم ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ قوله عز وجل: ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار**﴾ يعني يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم ﴿**أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**﴾ يعني أن كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء ﴿**فاليوم تجزون عذاب الهون**﴾ أي الذي فيه ذل وخزي ﴿**بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾ علق هذا العذاب بأمرين، أحدهما: الاستكبار وهو الترفع، ويحتمل أن يكون عن الإيمان، والثاني: الفسق وهو المعاصي، والأول من عمل القلوب، والثاني من عمل الجوارح.

وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عمّا تقولون، وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنها نزلت في كافر عاقّ لوالديه، قاله الحسن وقتادة: وقال الزجّاج: قول مَن قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، يبطله قوله:

﴿ **أولئك الذين حقّ عليهم القول** ﴾، الآية أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقّت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممّن حقّت عليه كلمة العذاب، ومعنى أولئك الذين حقّ عليهم القول وجب عليهم العذاب، ﴿ **في أُمم** ﴾، مع أُمم، ﴿ **قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾.

﴿ **ولكلٍّ درجات مما عملوا** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد مَن سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممّن تخلّف عنه ولو بساعة. قال مقاتل: ولكلٍّ فضائل بأعمالهم فيوفّيهم الله جزاء أعمالهم. وقيل: ولكلٍّ يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات، يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها. قال ابن زيد: في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفالاً، ودرج أهل الجنة تذهب علوّاً. ﴿ **وليوفّيهم** ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء، وقرأ الباقون بالنون. ﴿ **أعمالهم** ﴾، ليكتمل لهم ثواب أعمالهم، ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾.

﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** ﴾، فيقال لهم، ﴿ **أذهبتُم طيباتكم في حياتكم الدنيا** ﴾، قرأ ابن كثير

(فصل)

لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات، آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة (ق) «عن عمر بن الخطاب قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أستأنس يا رسول الله. قال: نعم فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالساً ثم قال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله (ق). «عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ» (ق) «عنها قالت: كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً إنما هو الأسودان التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم» وفي رواية أخرى قالت: «إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال عروة: قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا» عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير» أخرجه الترمذي وله عن أنس

وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (أأذهبتُم)، بالاستفهام، ويهمز ابن عامر همزتين، والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت كذا؟ ﴿ **واستمتعتم بها** ﴾، يقول: أذهبتم طيباتكم يعني اللذّات وتمتّعتم بها؟ ﴿ **فاليومَ تُجزَون عذاب الهون** ﴾، أي العذاب الذي فيه ذلّ وخزي، ﴿ **بما كنتم تستكبرون** ﴾، تتكبّرون، ﴿ **في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾، فلما وبّخ الله الكافرين بالتمتّع بالطيبات في الدنيا آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذّات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة. وروينا عن عمر قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه، فقلت: يا رسول الله ادعُ اللَّهَ فليوسع على أُمتك، فإن فارس والروم قد وسّع عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: «أولئك قومٌ قد عجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا»، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشّار قال ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدّث عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد بن الصفار ثنا أحمد بن المنصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد كان يأتي علينا الشهر ما نُوقد فيه ناراً وما لنا إلاّ الماء والتمر، غير أن جزى الله نساءً من الأنصار خيراً، كنّ ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن. أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا عبد الله بن معاوية الجمحي ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خبّاب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا روح بن أسلم ثنا أبو حاتم البصري ثنا حمّاد بن سلمة أنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخفت في الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يُؤذى أحد ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين ليلة ويوم وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلاّ شيء من التمر يواريه إبط بلال»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله

قال: «قال رسول الله ﷺ لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد وأوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتى عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام إلا شيء يواري إبط بلال (خ). «عن أبي هريرة قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» (خ). «عن إبراهيم بن عبد الرحمن أن عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه. قال: وأراه قال: قتل حمزة وهو خير مني، فلم يوجد ما يكفن فيه إلا برده. ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام» وقال جابر بن عبد الله: «رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي فقال ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: كلما اشتهيت يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا؟﴾.

﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٢٢ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٣ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد﴾ يعني هوداً عليه السلام ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ قال ابن عباس: الأحقاف وادٍ بين عمان ومهرة. وقيل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة. وكانوا أهل عمد سيارة في

النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة أنه قال: لقد رأيتُ سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رِدَاء، إمّا إزار وإمّا كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني ثنا أبو طاهر محمد بن الحارث ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن مبارك عن شعبة بن الحجّاج عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أُتِيَ بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير منّي فكفّن في بردة إن غُطّيَ بها رأسه بدت رجلاه، وإن غُطّي بها رجلاه بَدَا رأسُه، قال: وأراه قال: وقُتل حمزةُ وهو خير منّي، فلم يُوجد ما يُكفّن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجّلتْ لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. وقال جابر بن عبد الله: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلّقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيتُ لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتهيت شيئاً يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية: ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واذكر أخا عاد ﴾، يعني هوداً، ﴿ إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾، قال ابن عباس: الأحقاف وادٍ بين عمّان ومهرة. وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة، وإليها تُنسَب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيّارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة: ذكر لنا أن عاداً كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والأحقاف جمع حقف وهي

الربيع فإذا هاج العود، رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة إرم. وقيل: إن عاداً كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر. والأحقاف: جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلاً. وقيل: الأحقاف ما استدار من الرمل **﴿وقد خلت النذر﴾** أي مضت الرسل **﴿من بين يديه﴾** أي من قبل هود **﴿ومن خلفه﴾** أي من بعده **﴿ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾** والمعنى: أن هوداً قد أنذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره **﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾** أي لتصرفنا **﴿عن آلهتنا﴾** أي عبادتها **﴿فأتنا بما تعدنا﴾** أي من العذاب **﴿إن كنت من الصادقين﴾** يعني أن العذاب نازل بنا **﴿قال﴾** يعني هوداً **﴿إنما العلم عند الله﴾** يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب **﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾** يعني من الوحي الذي أنزله الله عليّ وأمرني بتبليغه إليكم **﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾** يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم **﴿فلما رأوه﴾** يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى: **﴿عارضاً﴾** يعني رأوا سحاباً عارضاً وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء **﴿مستقبل أوديتهم﴾** وذلك أنَّه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية وادٍ يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم **﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾** قال الله رداً عليهم **﴿بل هو ما استعجلتم به﴾** يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى: **﴿ريح فيها عذاب أليم﴾** ثم وصف تلك الريح فقال تعالى: **﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾** يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال: إن تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك، دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم. وأمر الله الريح، فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين. ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر. وقيل: إن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح، خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطاً فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام. وقيل: إن الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا إظهار كمال القدرة (ق) «عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى ترى منه لهواته إنما

المستطيل المعوجّ من الرمال. قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلاً، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمال، **﴿ وقد خلت النذر ﴾**، مضت الرسل، **﴿ من بين يديه ﴾**، أي من قبل هود، **﴿ ومن خلفه ﴾**، إلى قومهم، **﴿ ألاّ تعبدوا إلاّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾**.

﴿ قالوا أجئتنا لتأفكنا ﴾، لتصرفنا، **﴿ عن آلهتنا ﴾**، أي عن عبادتها، **﴿ فأْتِنا بما تعدنا ﴾**، من العذاب، **﴿ إن كنتَ من الصادقين ﴾**، أن العذاب نازل بنا.

﴿ قال ﴾، هود، **﴿ إنّما العلم عند الله ﴾**، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب **﴿ وأبلغكم ما أُرسلتُ به ﴾**، من الوحي إليكم، **﴿ ولكنّي أراكم قوماً تجهلون ﴾**.

﴿ فلما رأوه ﴾، يعني ما يُوعَدُون به من العذاب، **﴿ عارضاً ﴾**، سحاباً يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، **﴿ مستقبل أوديتهم ﴾**، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، **﴿ قالوا هذا عارض مُمْطِرُنا ﴾**، يقول الله تعالى: **﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذابٌ أليم ﴾**، فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة.

﴿ تدمّر كلَّ شيء ﴾، مرّت به من رجال عاد وأموالها، **﴿ بأمر ربها ﴾**، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان

كان يتبسم» زاد في رواية: «وكان إذا رأى غيماً عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيت غيماً عرف في وجهك الكراهة؟ فقال: يا عائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا» وفي رواية قالت «كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا أمطرت السماء سري عنه فرفعته عائشة ذلك فقال وما أدري لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا» الآية وفي رواية أخرى قالت: «كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة: السحاب الذي يظن فيه مطر. وتخيلت السماء: إذا تغيمت. وقولها: سري عنه أي كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن.

وقوله تعالى: ﴿**فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم**﴾ قرىء بالتاء مفتوحة على أنه خطاب للنبي ﷺ. والمعنى: ما ترى يا محمد إلا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد وقرىء بالياء مضمومة والمعنى لا يرى إلا آثار مساكنهم لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن المعطلة ﴿**كذلك نجزي القوم المجرمين**﴾ يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ

خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمال سبع ليالٍ وثمانية أيام، لهم أنينٌ، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ أنا يونس أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث أنا النضر حدّثه عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه بياض لهواته، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله إن النّاس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وإذا رأيتُه عُرِفَ في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة ما يؤمّنني أن يكون فيه عذاب، قد عذّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿ **هذا عارض ممطرنا** ﴾، الآية». أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني أنا أبو عوانة ثنا يوسف هو ابن مسلم ثنا حجّاج عن ابن جريج عن عطاء قال: قالت عائشة: كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة تغيّر وجهه وتلوّن، ودخل وخرج وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت السماء سُرّيَ عنه، قالت: وذكرت له الذي رأيت، قال: «وما يدريك لعلّه يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿ **فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا** ﴾ الآية». ﴿ **فأصبحوا لا يُرى إلاّ مساكنهم** ﴾، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب ﴿ **يُرى** ﴾ بضم الياء مساكنهم برفع النون يعني لا يُرى شيء إلاّ مساكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، ﴿ **مساكنهم** ﴾ نصبٌ يعني لا ترى أنت يا محمد إلاّ مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبقَ إلاّ هود ومَن آمن معه. ﴿ **كذلك نجزي القوم المجرمين** ﴾.

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ولقد مكنّاهم فيما إن مكناكم فيه﴾ الخطاب لأهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدن وطول الأعمار وكثرة الأموال ﴿**وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة**﴾ يعني إنا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها إلا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ﴿**فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء**﴾ يعني أنه لما أنزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيئاً ﴿**إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾ يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ﴿**ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى**﴾ الخطاب لأهل مكة يعني أهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك ﴿**وصرفنا الآيات**﴾ يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر ﴿**فلولا**﴾ يعني فهلا ﴿**نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة**﴾ يعني أنهم اتخذوا الأغنام آلهة يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى: ﴿**بل ضلوا عنهم**﴾ يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿**وذلك إفكهم**﴾ يعني كذبهم الذي كانوا يقولون إنها تقربهم إلى الله تعالى وتشفع لهم عنده ﴿**وما كانوا يفترون**﴾ يعني يكذبون بقولهم إنها آلهة وإنها تشفع لهم.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن**﴾ الآية.

﴿ **ولقد مكنّاهم فيما إنْ مكنّاكم فيه** ﴾، يعني فيما لم نمكّنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال. قال المبرّد: ﴿ **ما** ﴾ في قوله ﴿ **فيما** ﴾ بمنزلة الذي، و﴿ **إن** ﴾ بمنزلة، وتقديره: ولقد مكنّاهم في الذي ما مكنّاكم فيه. ﴿ **وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذْ كانوا يجحدون بآيات الله وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزؤون** ﴾.

﴿ **ولقد أهلكنا ما حولكم** ﴾، يا أهل مكة، ﴿ **من القرى** ﴾، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿ **وصرّفنا الآيات** ﴾ الحجج والبيّنات، ﴿ **لعلّهم يرجعون** ﴾، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوّف مشركي مكة.

﴿ **فلولا** ﴾، فهلاّ ﴿ **نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهةً** ﴾، يعني الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عزّ وجلّ، القربان كلّ ما يُتقرّب به إلى الله عزّ وجلّ، وجمعه قرابين، كالرهبان والرهابين. ﴿ **بل ضلّوا عنهم** ﴾، قال مقاتل بل ضلّت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب، ﴿ **وذلك إفكهم** ﴾، أي كذبهم الذي كانوا يقولون أنها تقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ وتشفع لهم، ﴿ **وما كانوا يفترون** ﴾، يكذبون أنها آلهة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن** ﴾، الآية قال المفسّرون: لمّا مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، فروى محمد بن إسحاق

(ذكر القصة في ذلك)

قال المفسرون: لما مات أبو طالب عم رسول الله ﷺ وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه، فلما مات وجد رسول الله ﷺ وحشة من قومه، فخرج إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن إسحاق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمير. وعندهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقال الثالث: لا أكلمك كلمة أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله ﷺ: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي» وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيد ذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع إليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه، فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟ فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، فأنت رؤوف وأنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك» فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس فقالا له:

عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة عبدياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على مَن خالفه من قومه، فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله ما أُكلّمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنتَ تكذب على الله فما ينبغي لي أن أُكلّمك، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموه عليّ»، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيذئلهم عليه ذلك، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومَن كان تبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف، ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك»؟ فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال: «اللّهمَّ إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلّة حيلتي وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي، إلى مَن تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملّكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أُبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك»، فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحرّكت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له:

خذ قطفاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه. ففعل عداس ذلك ثم أقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ وقال له: كل. فلما رفع رسول الله ﷺ يده قال: بسم الله ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ فقال: أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي. فأكبَّ عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة: أما غلامك، فقد أفسده عليك. فلما جاءهم عداس قال له: ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل. لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبي. فقال له: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجـابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى: ﴿وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس. وروي أن الجن لما رجـموا بالشهب بعث إبليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم إلى تهامة. وقال أبو حمزة: بلغنا أنهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن

عداس، فقال له: خذ قطفاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل ذلك عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: «بسم الله» ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: «من أيِّ البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك»؟ قال: أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله ﷺ: «أَمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متّى»؟ قال له: وما يُدريك ما يونس بن متّى؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ذاك أخي كان نبياً وأنا نبيّ»، فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ فقبّل رأسه ويديه وقدميه، قال: فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهم عداس قالا له: ويلك يا عداس ما لك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلاّ نبيّ، فقال: ويحك يا عداس لا يصرفنّك عن دينك فإن دينك خير من دينه، ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلّي فمرّ به نفر من جنّ أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا، فقصّ الله خبرهم عليه، فقال: ﴿ وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجنّ ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، فأرسلت عليهم الشّهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيلَ بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشّهب، قالوا: ما حالَ بينكم وبين خبر السماء إلاّ شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿ إنّا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا

عدداً وهم عامة جنود إبليس فلما رجعوا إلى قومهم قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً وقال جماعة: بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل إليه نفراً من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبدالله بن مسعود لم يحضر معه أحد غيري قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له شعب الحجون وخط لي خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوي وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله ﷺ منهم مع الفجر فانطلق إليّ فقال لي نمت فقلت: لا والله يا رسول الله لقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال: لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم رأيت رجالاً سوداً عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي ﷺ أن يستنجي بالعظم والروث قال: فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ فقال: إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً فقال إن الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله ﷺ وأتاني فقال لهم معك ماء؟ قلت: يا رسول الله

أحداً ﴾ [الجنّ: ١]، فأنزل الله على نبيّه: ﴿ قلْ أُوحي إليّ أنه استمع نفرٌ من الجنّ ﴾ [الجنّ: ١]، وإنما أوحى إليه قول الجنّ. ورُوِيَ: أنهم لمّا رجعوا بالشّهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر، وكان أول بعثٍ بعثَ ركباً من أهل نصيبين وهم أشراف الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة. وقال أبو حمزة اليماني: بلغنا أنهم من الشيصبان وهم أكثر الجنّ عدداً، وهم عامّة جنود إبليس، فلما رجعوا قالوا: ﴿ إنّا سمعنا قرآناً عجباً ﴾ [الجنّ: ١]. وقال جماعة: بل أُمِرَ رسول الله ﷺ أن ينذر الجنّ ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفراً من الجنّ من أهل نينوى، وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: «إني أُمرتُ أن أقرأ على الجنّ الليلة، فأيّكم يتبعني»؟ فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فاتّبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنّا على مكة دخل نبيّ الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون، وخطّ لي خطّاً ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبيّ الله ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السّحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق إليّ وقال لي: «أنمتَ»؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، وقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا، قال: «لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، ثم قال: هـل رأيت شيئاً»؟ قلت: نعم يا رسول الله رأيتُ رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض، قال: «أولئك جنّ نصيبين سألوني المتاع»، والمتاع الزاد، فمتّعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة. قال: فقالوا: يا رسول الله تقذرها الناس، فنهى النبي ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث، قال: فقلت: يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ قال: «إنهم لا يجدون عظماً إلّا وجدوا عليه لحمه يوم أكله، ولا روثة إلّا وجدوا فيها حبّها يوم أُكلت»، قال: فقلت: يا سول الله سمعتُ لغطاً شديداً؟ فقال: «إن الجنّ تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ فقضيت بينهم بالحق»، قال: ثم تبرز رسول الله ﷺ ثم أتاني، فقال: «هل معك ماء»؟ قلت: يا رسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فاستدعاه فصببتُ على يده فتوضأ وقال: «تمرةٌ طيبةٌ وماءٌ

معي أداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال: تمرة طيبة وماء طهور.

قال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزط فأفزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا؟ فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزط. فقال: ما أشبههم بالنفر. الذين صرفوا إلي رسول الله ﷺ ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات بأسانيده وأجاب عنها كلها.

والذي صح عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جـاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا ليلة بات قوم قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال: فانطلق بنا فأرنا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله ﷺ فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم الجن. زاد في رواية قال الشعبي: وكانوا من جن الجزيرة أخرجه مسلم في صحيحه وأما تفسير الآية: فقوله تعالى: وإذ صرفنا إليك الخطاب للنبي ﷺ يعني واذكر إذ بعثنا إليك يا محمد نفراً من الجن.

واختلفوا في عدد أولئك النفر فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلاً إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروي عن زر بن حبيش قال: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. وروي أن الجن ثلاثة أصناف: صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم أن أولئك الجن كانوا يهوداً فأسلموا. قالوا في الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وفي مسلمهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وأطبق المحققون من العلماء على أن الكل مكلفون. سئل ابن عباس هل للجن ثواب؟ فقال: نعم وعليهم عقاب ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه﴾ الضمير يعود إلى القرآن يعني: فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل أنه يعود على

طهورٌ». وقال قتادة: ذُكر لنا أن ابن مسعود لمّا قَدِمَ الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزط فأفزعوه حين رآهم، فقال: اظهروا، فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزط، فقال: ما أشبههم بالنفر الذين صُرِفوا إلى رسول الله ﷺ، يريد الجنّ. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفّار بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألتُ ابن مسعود فقلتُ: هل شهد أحدٌ منكم رسولَ الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا ولكنّا كنّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حرّاء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتْنا بشرّ ليلة بات بها قوم فقال: «أتاني داعي الجنّ فذهبت معه فقرأتُ عليهم القرآن»، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، قال: وسألوه الزاد، فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابّكم، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»، ورواه مسلم عن علي بن حجر ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد إلى قوله وآثار نيرانهم، قال الشعبي: وسألوه الزاد وكانوا من جنّ الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصّلاً من حديث عبد الله. قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن ﴾، اختلفوا في عدد ذلك النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جنّ نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى عاصم عن زر بن حبيش: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. ﴿ فلما حضروه قالوا انصتوا ﴾،

الرسول ﷺ. ويكون المعنى: فلما حضروا رسول الله ﷺ لأجل استماع القرآن ﴿قالوا أنصتوا﴾ يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه ﴿فلما قضي﴾ أي فرغ من قراءته ﴿ولوا﴾ أي رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾ يعني داعين لهم إلى الإيمان مخوفين لهم من المخالفة ذلك بأمر رسول الله ﷺ لهم وذلك بعد إيمانهم لأنهم لا يدعون غيرهم إلى سماع القرآن والتصديق إلا بعد إيمانهم به وتصديقهم له.

قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾

﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً﴾ قال عطاء: كان دينهم اليهودية ولذلك ﴿قالوا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه﴾ يعني من الكتب الإلهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد وتصديق الأنبياء والإيمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب ﴿يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ يعني: يهدي إلى دين الحق وهو دين الإسلام ويهدي إلى طريق الجنة ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ يعني محمداً ﷺ لأنه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على أنه مبعوث إلى الإنس والجن جميعاً قال مقاتل لم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجن قبله ﴿وآمنوا به﴾.

قالوا: صه. ورُوِيَ في الحديث: أن الجنّ ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيّات وكِلاب، وصنف يحلّون ويظعنون، فلما حضروه قال بعضُهم لبعض: انصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدّة حرصهم، ﴿ فلما قضى ﴾، فرغ من تلاوته، ﴿ ولّوا إلى قومهم ﴾، انصرفوا إليهم، ﴿ منذرين ﴾، مخوّفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

﴿ قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى.

﴿ يا قومنا أجيبُوا دَاعي الله ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿ وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ﴾، ﴿ من ﴾ صلة أي ذنوبكم، ﴿ ويجرّكم من عذاب أليم ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فوافقوه في البطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً. قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجنّ جميعاً. واختلف العلماء في حكم مؤمني الجنّ، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلاّ نجاتهم من النار، وتأوّلوا قوله: ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه. وحكى سفيان عن ليث قال: الجنّ ثوابهم أن يُجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا تراباً، وهذا مثل البهائم. وعن أبي الزناد قال: إذا قُضي بين الناس

فإن قلت قوله تعالى ﴿أجيبوا داعي الله﴾ أمر بإجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الأمر بالإيمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين.

قلت: إنما أعاده لأن الإيمان أهم أقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ قال بعضهم: لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل: هي على أصلها وذلك أن الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الإسلام فإذا أسلموا جرت عليهم أحكام الإسلام فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه أو يبقى تحت خطر المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار. وتأولوا قوله: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾. وإليه ذهب أبو حنيفة. وحكي عن الليث قال: ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم. وعن أبي الزناد قال: إذا قضى بين الناس، قيل لمؤمني الجن: عودوا تراباً، فيعودون، تراباً. فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. وقال الآخرون: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى. قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون. وقال أرطأة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب: هل للجن ثواب؟ قال: نعم وقرأ ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ قال: فالإنسيات للإنس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ يعني لا يعجز الله فيفوته ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ يعني أنصاراً يمنعونه من الله ﴿أولئك﴾ يعني الذين لم يجيبوا داعي الله ﴿في ضلال مبين﴾ قوله تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ يعني أنه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن إبداعه واختراعه وتكوينه ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ يعني أن إعادة الخلق وإحياءه بعد الموت أهون عليه من

قيل لمؤمني الجن عودوا تراباً فيعودون تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ يا ليتني كنتُ تراباً ﴾ [النبأ: ٤٠]، وقال الآخرون. يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس، وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى، وقال جرير عن الضحاك: الجنّ يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، وذكر النقّاش في تفسيره حديث أنهم يدخلون الجنة. فقيل: هل يصيبون من نعيمها؟ قال: يلهمهم الله تسبيحه وذكره، فيصيبون من لذّته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة. وقال أرطاة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب هل للجنّ ثواب؟ قال: نعم، وقرأ: ﴿ لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان ﴾ [الرحمن: ٥٦ و٧٤]، قال فالإنسيات للإنس والجنّيات للجنّ. وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجنّ حول الجنّة في ربض ورحاب وليسوا فيها.

﴿ ومَن لا يجب داعي الله فليس بمُعجِز في الأرض ﴾، لا يعجز الله فيفوته، ﴿ وليس له من دونه أولياء ﴾، أنصار يمنعونه من الله، ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾.

﴿ أوَ لم يروا أن الله الذي خلق السمٰوات والأرض ولم يعي بخلقهنّ ﴾، لم يعجز عن إبداعهنّ، ﴿ بقادر ﴾، هكذا قراءة العامّة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: ﴿ تنبت بالدهن ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقال الكسائي والفرّاء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد، فتقول: ما أظنك بقائم، وقرأ يعقوب يقدّر بالياء على الفعل واختار أبو عبيدة قراءة العامّة لأنها في قراءة عبد الله قادر بغير باء، ﴿ على أن يحي الموتى بلى إنّه على كل شيء قدير ﴾.

إبداعه وخلقه فالكل عليه هين إبداع الخلق وإعادته بعد الموت وهو قوله ﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾ يعني من إماتة الخلق وإحيائهم لأنه قادر على كل شيء.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ فيه إضمار تقديره فيقال لهم ﴿أليس هذا بالحق﴾ يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق ﴿قالوا بلى وربنا﴾ هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك ﴿قال﴾ لهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ قوله عز وجل: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ الخطاب للنبي ﷺ أمره الله تعالى بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر.

واختلفوا في أولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل. وهذا القول هو اختيار الإمام فخر الدين الرازي. قال: لأن لفظة من في قوله ﴿من الرسل﴾ للتبين لا للتبعيض كما تقول: ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: «ولا تكن كصاحب الحوت» وقال قوم: أولي العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر نبياً لقوله بعد ذكرهم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لأعداء الله. وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، في قول، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على الجب والسجن، وأيوب صبر على الضر. وقال ابن عباس وقتادة: هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع فهم مع

﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾، فيقال لهم، ﴿ أليس هذا بالحق قالوا بلى وربِّنا قال ﴾، أي فيقال لهم، ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾.

﴿ فاصبروا كما صبر أُولوا العزم من الرسل ﴾، قال ابن عباس: ذوو الحزم. وقال الضحّاك: ذوو الجدّ والصبر. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل. كانوا أُولي عزم لم يبعث الله نبيّاً إلّا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخزّ وأردية من البزّ وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أُولوا عزم إلّا يونس بن متّى لعجلة كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: ﴿ ولا تكنْ كصاحب الحوت ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال قوم: هم نُجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام [٩٠]، وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال الكلبي: هم الذين أُمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستّة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل: هم ستّة نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فَقْد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضرّ. وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب

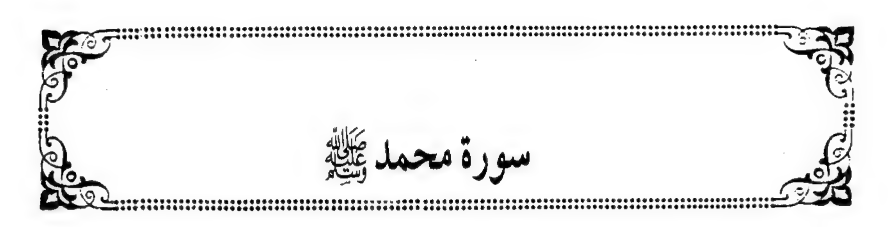
محمد ﷺ وعليهم أجمعين وخمسة قد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم**﴾ وفي قوله: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً**﴾ الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت: «قال لي رسول الله ﷺ يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال: ﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**﴾ وإني والله لا بد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا ولأجهدن كما جهدوا ولا قوة إلا بالله».

قوله تعالى: ﴿**ولا تستعجل لهم**﴾ يعني اصبر على أذاهم لا تستعجل بنزول العذاب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة كأنه ﷺ ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى: ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون**﴾ يعني من العذاب في الآخرة ﴿**لم يلبثوا**﴾ يعني في الدنيا ﴿**إلا ساعة من نهار**﴾ يعني أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لأن ما مضى وإن كان طويلاً فهو يسير إلى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى: ﴿**بلاغ**﴾ أي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله إليكم. والبلاغ: بمعنى التبليغ ﴿**فهل يهلك**﴾ يعني: بالعذاب إذا نزل ﴿**إلا القوم الفاسقون**﴾ يعني الخارجين عن الإيمان بالله وطاعته قال الزجاج: تأويله لا **يهلك** من رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم.

الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿ وإذْ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً ﴾ [الشورى: ١٣] الآية، أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي ثنا أبو ذرّ محمد بن إبراهيم سبط الصالحاني أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان المعروف بأبي الشيخ الحافظ أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم أنا محمد بن الحجّاج أنا السري بن حيّان أنا عباد بن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: قالت عائشة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرضَ من أُولي العزم إلّا بالصبر على مكروهها، والصبر على مجهودها ولم ترضَ إلّا أن كلّفني ما كلّفهم، وقال: ﴿ فاصبرْ كما صبر أُولوا العزم من الرسل ﴾ وإني والله لا بدّ لي من طاعته، والله لأصبرنّ كما صبروا، وأجهدنّ كما جهدوا، ولا قوة إلّا بالله». قوله تعالى: ﴿ **ولا تستعجلْ لهم** ﴾، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحبّ أن ينزل العذاب بمَن أبى فهم، فأُمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون** ﴾، من العذاب في الآخرة، ﴿ **لم يلبثوا** ﴾، في الدنيا، ﴿ **إلّا ساعة من نهار** ﴾، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن، ثم قال: ﴿ **بلاغ** ﴾، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿ **فهل يهلك** ﴾، بالعذاب إذا نزل ﴿ **إلّا القوم الفاسقون** ﴾، الخارجون من أمر الله، قال الزجّاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلّا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آيةٌ أقوى من هذه الآية.

سورة محمد ﷺ

مدنية وهي ثمان وثلاثون آية.



قوله عز وجل: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ يعني أبطلها ولم يتقبلها منهم. وأراد بالأعمال: ما كانوا يفعلون من أعمال البر في إطعام الطعام، وصلة الأرحام وفك العاني وهو الأسير، وإجارة المستجير، ونحو ذلك. وقال بعضهم: أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الأحقاف المتقدمة كأن قائلاً قال: كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كإطعام الطعام ونحوه من الأعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فأخبر بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعني أبطلها لأنها لم تكن لله ولا بأمره إنما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ وجعل الدائرة عليهم. قال بعضهم: المراد بقوله، ﴿الذين كفروا﴾ هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤوس كفار قريش منهم أبو جهل، والحارث بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم. وقيل: هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الإسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول في الإسلام ﴿أضل أعمالهم﴾ يعني أبطلها لأنها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش، والذين آمنوا هم الأنصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الأولى ليشمل جميع المؤمنين ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ يعني القرآن الذي أنزله الله على محمد وإنما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ عن الله

سُورَة مُحَمَّد

مدنيّة وهي ثمانٍ وثلاثون آية.

﴿ **الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضلّ أعمالهم** ﴾، أبطلها فلم يقبلها وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم.

﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزّل على محمد** ﴾، قال سفيان الثّوري: يعني لم يخالفوه في

تعظيماً لشأن القرآن الكريم وتنبيهاً على أنه لا يتم الإيمان إلا به وأكد ذلك بقوله: ﴿وهو الحق من ربهم﴾ وقيل: معناه أن دين محمد ﷺ هو الحق لأنه ناسخ للأديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله ﴿آمنوا بما نزل على محمد﴾ يعني لم يخالفوه في شيء ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ يعني ستر بأيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم ﴿وأصلح بالهم﴾ يعني حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق في أمور الدين والتسليط على أمور الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم. وقيل أصلح بالهم يعني قلوبهم لأن القلب إذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعني الشيطان ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ يعني القرآن ومعنى الآية ذلك الأمر وهو إضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب إتباع الكفار الباطل وإتباع المؤمنين الحق من ربهم ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ الضمير في أمثالهم راجع إلى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو أنه راجع إلى الفريقين على معنى أنه تعالى ضرب أمثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله أمثال حسنات المؤمنين وأمثال أعمال الكافرين للناس.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فضرب الرقاب﴾ يعني: فاضربوا رقابهم ضرباً. وضرب الرقاب، عبارة عن القتل، إلا أن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الأعضاء وإنما خص الرقاب بالضرب، لأن قتل الإنسان أشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الأمر بالقتل ولأن الرأس من أشرف أعضاء البدن فإذا أبين عن بدنه كان أسرع إلى الموت والهلاك بخلاف غيره من الأعضاء ﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ يعني بالغنم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشيء الثخين الغليظ. والمعنى: إذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة ﴿فشدوا الوثاق﴾ يعني في الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أي يشد به ﴿فإما مناً بعد وإما فداء﴾ يعني بعد الأسر إما أن تمنوا عليهم منا بإطلاقهم من غير عوض وإما أن تفادوهم فداء.

شيء، ﴿ وهو الحق من ربّهم ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الذين كفروا وصدّوا مشركو مكة والذين آمنوا وعملوا الصالحات الأنصار. ﴿ كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾، حالهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

﴿ ذلك بأن الذين كفروا اتّبعوا الباطل ﴾، الشيطان، ﴿ وأنّ الذين آمنوا اتّبعوا الحق من ربّهم ﴾، يعني القرآن ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾، أشكالهم، قال الزجّاج: كذلك يبيّن الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾، نصبٌ على الإغراء، أي فاضربوا رِقابهم يعني أعناقهم. ﴿ حتى إذا أثخنتموهم ﴾، بالغنم في القتل وقهرتموهم، ﴿ فشدّوا الوَثاق ﴾، يعني في الأَسْر حتى لا يفلتوا منكم. والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿ فإمّا مَنّاً بعدُ وإمّا فداء ﴾، يعني بعد أن تأسروهم فإمّا أن تمنّوا عليهم منّاً بإطلاقهم من غير عوض، وإمّا أن تفادوهم فداء، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿ فإمّا تثقفنّهم

(فصل: في حكم الآية)

اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم﴾ وبقوله ﴿اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وإليه ذهب الأوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز لمن على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء بل إما القتل أو الاسترقاق أيهما رأى الإمام. ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية إن كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء أن يفادى بأسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهباً عن أبي حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حرباً للمسلمين وذهب أكثر العلماء إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار إذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين وإليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق. قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الأسارى ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ وهذا القول هو الصحيح ولأنه به عمل النبي ﷺ والخلفاء بعده (ق) عن أبي هريرة قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي ﷺ حتى إذا كان من الغد قال: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد قال: ما عندك يا ثمامة

في الحرب فشرِدْ بهم من خلفهم ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وبقوله: ﴿ اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة: ٥]، وإلى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، وهو قول الأوزاعي وأصحاب الرأي، قالوا: لا يجوز المنّ على مَن وقع في الأسْر من الكفّار ولا الفداء، وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفّار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقّهم أو يمنّ عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين، وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول الثّوري والشافعي وأحمد وإسحاق، قال ابن عباس: لمّا كثر المسلمون واشتدّ سلطانهم أنزل الله عزّ وجلّ في الأسارى ﴿ فإمّا منّاً بَعْدُ وإمّا فداء ﴾، وهذا هو الأصح والاختيار لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجا فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثمامة»؟ فقال: عندي يا محمد خيرٌ إن تقتل تقتل ذَا دمٍ، وإن تُنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فَسَلْ تُعْطَ منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد، فقال له: «ما عندك يا ثمامة»؟ فقال: ما عندي ما قلت لك إن تُنعم تنعم على شاكر، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال له: «ما عندك يا ثمامة»؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إليّ والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد كلها

قال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والله ما كان على الأرض أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي. والله ما كان من دين أبغض من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ قال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ» لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال «أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين للذين أسرتهما ثقيف» أخرجه الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا.

وقوله تعالى: ﴿**حتى تضع الحرب أوزارها**﴾ يعني أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر: ما يحمله الإنسان فسمى الأسلحة وزراً لأنها تحمل. وقيل: الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب. وقيل: الأوزار الآثام. ومعناه: حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا. ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي ﷺ «الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر متى الدجال» هكذا ذكره البغوي بغير سند قال الكلبي معناه حتى يسلموا أو يسالموا. قال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم ﴿**ذلك**﴾ يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار ﴿**ولو يشاء الله لانتصر منهم**﴾ يعني ولو شاء الله لأهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم ﴿**ولكن**﴾ يعني ولكن أمركم بالقتال ﴿**ليبلو بعضكم ببعض**﴾ يعني فيصير من

إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أُريد العمرة، فماذا ترى؟فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قَدِمَ مكة قال له قائل أصبوت؟ فقال: لا ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلّب عن عمران بن حصين قال: أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل فأوثقوه، وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي ﷺ، ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف. قوله تعالى: ﴿ **حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلام، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر، ما يحتمل الإنسان فسمّى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالشرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسْر حتى يدخل أهل المِلَل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ، «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أُمتي الدجّال». وقال الكلبي: حتى يسلموا أو يُسالموا. وقال الفرّاء: حتى لا يبقَ إلّا مسلم أو مسالِم. ﴿ **ذلك** ﴾، الذي ذكرت وبيّنت من حكم الكفّار، ﴿ **ولو يشاء الله لانتصر منهم** ﴾، فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال، ﴿ **ولكن** ﴾، أمركم بالقتال، ﴿ **ليبلو بعضكم ببعض** ﴾، فيصير ممَن قتل من المؤمنين إلى الثواب ومَن قتل من الكفّار إلى العذاب، ﴿ **والذين قتلوا في**

قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكافرين إلى العذاب ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ يعني الشهداء وقرىء قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ يعني فلن يبطلها بأن يوفيهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في يوم أحد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾

﴿سيهديهم﴾ يعني أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور في الآخرة إلى الدرجات العلي ﴿ويصلح بالهم﴾ ويرضي أعمالهم ويقبلها ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ يبين لهم منازلهم في الجنة حتى اهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين. ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب.

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾ يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل: تنصروا أولياء الله وحزبه ﴿ينصركم﴾ يعني على عدوكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ يعني عند القتال وعلى الصراط.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ۝١٤﴾

﴿والذين كفروا فتعسا لهم﴾ قال ابن عباس: يعني بعداً لهم. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم وقال الضحاك: خيبة

سبيل الله ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص: ﴿ قتلوا ﴾ بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون (قاتلوا) بالألف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿ فلن يضلّ أعمالهم ﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أُحُد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

﴿ سيهديهم ﴾، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿ ويُصلح بالهم ﴾، يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم.

﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾، أي بيّن لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطؤونها ولا يستدلّون عليها أحداً كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسّرين، وروى عطاء عن ابن عباس: ﴿ عرفها لهم ﴾ أي طيّبها لهم من العرف، وهو الريح الطيبة وطعام معرّف أي مطيب.

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصرُوا الله ﴾، أي دينه ورسوله، ﴿ ينصركم ﴾، على عدوّكم، ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾، عند القتال.

﴿ والذين كفروا فَتَعْساً لهم ﴾، قال ابن عباس: بُعْداً لهم. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم، . وقال الضحاك:

لهم. وقال ابن زيد: شقاء لهم. وقيل: التعس في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار. يقال للعاثر: تعساً إذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا إذا دعوا له وأرادوا قيامه وفي هذا إشارة جليلة وهي أنه تعالى لما قال في حق المؤمنين **﴿ويثبت أقدامكم﴾**، يعني في الحرب والقتال، كان من الجائز أن يتوهم متوهم أن الكافر أيضاً يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فأخبر الله تعالى أن لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المؤمنين بصيغة الوعد لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم **﴿وأضل أعمالهم﴾** يعني أبطل أعمالهم لأنها كانت في طاعة الشيطان **﴿ذلك﴾** يعني التعس والإضلال **﴿بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾** يعني القرآن الذي فيه النور والهدى وإنما كرهوه لأن فيه الأحكام والتكاليف الشاقة على النفس لأنهم كانوا قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك والأخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله **﴿فأحبط أعمالهم﴾** يعني فأبطل أعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولأن الشرك محبط للعمل.

ثم خوف الكفار فقال تعالى: **﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾** يعني من الأمم الماضية والقرون الخالية الكافرة **﴿دمر الله عليهم﴾** يقال: دمره الله. يعني أهلكه، ودمر عليه إذا أهلك ما يختص به والمعنى أهلك الله عليهم ما يختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم **﴿وللكافرين﴾** يعني بمحمد ﷺ **﴿أمثالها﴾** يعني إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف إنما يكون في الآخرة **﴿ذلك﴾** يعني الإهلاك والهوان **﴿بأن﴾** أي بسبب أن **﴿الله مولى الذين آمنوا﴾** يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي أمورهم **﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾** يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك أن الكفار لما عبدوا الأصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم ولا ناصر لهم والفرق بين قوله: «وأن الكافرين لا مولى لهم وبين قوله **﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم﴾** الحق أن المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة فقال تعالى: **﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** يعني هذا لهم في الآخرة **﴿والذين كفروا يتمتعون﴾** يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها **﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾** يعني ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم بالأنعام لأن الأنعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لأنه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه. قيل: المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وإنما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لأنها جنته وهي سجن المؤمن بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة

خيبةً لهم. وقال ابن زيد: شقاءً لهم. قال الفرّاء: هو نصبٌ على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردّي في النار. ويقال للعاثر: تعساً إذا لم يريدوا قيامه، وضدّه أما إذا أرادوا قيامه، **﴿ وأضلّ أعمالهم ﴾**، لأنها كانت في طاعة الشيطان.

﴿ ذلك ﴾ التعس والإضلال، **﴿ بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾**، ثم خوّف الكفّار.

فقال: **﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم ﴾**، أي أهلكهم، **﴿ وللكافرين أمثالها ﴾**، أي لم يؤمنوا يتوعّد مشركي مكة.

﴿ ذلك ﴾، الذي ذكرت، **﴿ بأن الله مولى الذين آمنوا ﴾**، وليّهم وناصرهم، **﴿ وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾**، لا ناصر لهم، ثم ذكر مآل الفريقين فقال:

﴿ إنّ الله يُدخِل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ﴾، في

من النعيم العظيم الدائم ﴿والنار مثوى لهم﴾ يعني مقام الكفار في الآخرة. والثواء: المقام في المكان مع الاستقرار فيه، فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم.

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾ يعني أخرجك أهلها. والمراد بالقرية: مكة. قال ابن عباس: كم من رجال هي أشد قوة من أهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله ﴿أهلكناهم﴾ ولم يقل أهلكناها ﴿فلا ناصر لهم﴾ يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الغار التفت إلى مكة وقال: أنتِ أحب بلاد الله تعالى إلى الله وأحب بلاد الله إليّ ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك، فأنزل الله هذه الآية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ يعني على يقين من دينه وهو محمد ﷺ والمؤمنون معه ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ وهو الكافر أبو جهل ومن معه من المشركين ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ يعني في عبادة الأوثان.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بيَّن في هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين أولاً ما أعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ يعني صفة الجنة. قال سيبويه: المثل هو الوصف فمعناه وصف الجن وذلك لا يقتضي مشبهاً به. وقيل: الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل: الممثل به مذكور وهو قوله: ﴿كمن هو خالد في النار﴾ ﴿فيها﴾ يعني الجنة التي وعد المتقون ﴿إنها من ماء غير آسن﴾ يعني غير متغير ولا منتن. يقال: أسن الماء وأجن إذا تغير طعمه وريحه ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضاً ولا قارصاً ولا ما يكره من الطعوم ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ يعني ليس فيها حموضة ولا

الدنيا، ﴿ ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾، ليس لهم همّة إلاّ بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عمّا في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزوّد والمنافق يتزيّن والكافر يتمتع، ﴿ والنار مثوىً لهم ﴾.

﴿ وكأيّن من قرية هي أشدّ قوة من قريتك ﴾، أي أشد قوة من أهل مكة، ﴿ التي أخرجتك ﴾، أي أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشدّ من أهل مكة؟ يدلّ عليه قوله: ﴿ أهلكناهم ﴾، ولمْ يقل: أهلكناها، ﴿ فلا ناصر لهم ﴾، قال ابن عباس: لمّا خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أنت أحبّ بلاد الله إلى الله وأحبّ بلاد الله إليَّ ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك» فأنزل الله هذه الآية.

﴿ أفمَن كان على بيّنة من ربّه ﴾، يقين من دينه محمد والمؤمنون، ﴿ كمَن زُيّن له سوءُ عمله واتبعوا أهواءهم ﴾، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

﴿ مَثَلُ الجنة التي وعد المتّقون ﴾، أي صفتها، ﴿ فيها أنهار من ماء غيرآسن ﴾، آجن متغيّر منتن، قرأ ابن كثير ﴿ آسن ﴾ بالقصر، والآخرون بالمدّ، وهما لغتان يقال: أسن الماء يأسن أسناً، وآسن يأسن وياسن، وأجن يأجن وياجن، أسونا وأجودنا إذا تغير، ﴿ وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لَذّة ﴾، لـذيذة،

عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الأرجل بالدوس ولا الأيدي بالعصر وليس من شرابها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط ﴿**وأنها من عسل مصفى**﴾ يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا.

عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم: سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فأما سيحان جيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما في بلاد الأرمن فسيحان نهر أردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جداً أكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاماً بعد هذا طويلاً. ثم قال: فأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة، ففيه تأويلان الثاني، وهو الصحيح، أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة. فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة. وقال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه.

وقوله تعالى: ﴿**ولهم فيها من كل الثمرات**﴾ في ذكر الثمرات بعد المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة للذة لا الحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لأنها للتفكه واللذة ﴿**ومغفرة من ربهم**﴾ فإن قلت: المؤمن المتقي لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة، فكيف يكون له فيها المغفرة.

قلت ليس بلازم أن يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لأن الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم إليها، وجواب آخر وهو أن المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فإن مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه قوله تعالى: ﴿**كمن هو خالد في النار**﴾ يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله ﴿**وسقوا ماء حميماً**﴾ يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت، إذا دنا منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم ﴿**فـ**﴾ إذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعني فخرجت من أدبارهم والأمعاء جمع معي وهو جميع ما في البطن من الحوايا.

وقال الزجاج: قوله كمن هو خالد في النار راجع إلى ما تقدم كأنه تعالى قال: أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم.

﴿ **للشاربين** ﴾، لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي، ﴿ **وأنهارٌ من عسل مصفّى** ﴾، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلي بن مسهر عن عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة» قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر، ﴿ **ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربّهم كمَن هو خالد في النار** ﴾، أي مَن كان في هذا النعيم كمَن هو خالد في النار، ﴿ **وسقوا ماءً حميماً** ﴾، شديد الحرّ تسعر عليه جهنم منذ خلقت إذا أُدني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه، ﴿ **فقطع أمعاءهم** ﴾، فخرجت من أدبارهم، والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا وأحدها معي.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد» كما كان أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب حسن صحيح.

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ «في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال: يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا دنا منه وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره. قال الله تعالى: **﴿ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾** ويقول: وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب.

قوله تعالى: **﴿ومنهم﴾** يعني ومن هؤلاء الكفار **﴿من يستمع إليك﴾** وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً عنه **﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾** يعني أن هؤلاء المنافقين الذين كانوا **عندك** يا محمد يستمعون كلامك فإذا خرجوا من عندك **﴿قالوا﴾** يعني المنافقين **﴿للذين أوتوا العلم﴾** يعني من الصحابة **﴿ماذا قال آنفاً﴾** يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف. يقال: ائتنفت الأمر أي ابتدأته قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد ﷺ قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل **﴿أولئك﴾** يعني المنافقين **﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾** يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله ﷺ **﴿واتبعوا أهواءهم﴾** يعني في الكفر والنفاق والمعنى أنهم لما تركوا إتباع الحق أماتَ الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم في الباطل **﴿والذين اهتدوا﴾** يعني المؤمنين لما بين الله أن المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يستمع فقال تعالى: **﴿والذين اهتدوا﴾** يعني بهداية الله إياهم إلى الإيمان **﴿زادهم هدى﴾** يعني أنهم كلما سمعوا من رسول الله ﷺ مما جاء به عن الله عز جل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وإيماناً مع إيمانهم **﴿وآتاهم تقواهم﴾** يعني وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى. وقال سعيد بن جبير: آتاهم ثواب تقواهم، وقيل: آتاهم نفس تقواهم، بمعنى أنه تعالى بيَّن لهم التقوى.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾** يعني الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الإيمان فلم

﴿ومنهم﴾، يعني من هؤلاء الكفّار، **﴿مَن يستمع إليك﴾**، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاوناً به وتغافلاً، **﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾**، يعني فإذا خرجوا من عندك، **﴿قالوا للذين أُوتوا العلم﴾**، من الصحابة، **﴿ماذا قال﴾**، محمد، **﴿آنفاً﴾**، يعني الآن، وهو من الائتناف ويقال: ائتنفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء أوله، قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاءً ماذا قال رسول الله ﷺ؟ قال ابن عباس: وقد سُئِلت فيمن سُئِل، **﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾**، فلم يؤمنوا، **﴿واتبعوا أهواءهم﴾**، في الكفر والنفاق.

﴿والذين اهتدوا﴾، يعني المؤمنين، **﴿زادهم﴾**، ما قال الرسول، **﴿هدىً وآتاهم تقواهم﴾**، وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

﴿فهل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو إسحاق الهاشمي ثنا الحسين ثنا الحسن ثنا ابن المبارك أنا

يؤمنوا فالساعة بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينظرون إلى الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها.

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «بادروا بالأعمال سبعاً فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مقيداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. وقوله تعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط.

ولما كان قيام الساعة أمراً مستبطأ في النفوس وقد قال الله تعالى: فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فكأن قائلاً قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ قال المفسرون: من أشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله ﷺ (ق). عن سهل بن سعد قال: «رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام وقال: بعثت أنا والساعة كهاتين وفي رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما» (ق) عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل أحدهما على الأخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى» قيل معنى الحديث أن المراد أن ما بين مبعثه ﷺ وقيام الساعة شيء يسير كما بين الإصبعين في الطول وقيل هو إشارة إلى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته ألا أحدثكم حديثاً عن النبي ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم. وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء» (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويبقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية: يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل» (خ) عن أبي هريرة قال: «بينا رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله ﷺ في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال: ها أنا ذا يا رسول الله قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف إضاعتها؟ قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

وقوله تعالى: ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ يعني فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة. وقيل: معناه كيف يكون حالهم إذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالإيمان في ذلك الوقت ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ الخطاب للنبي ﷺ.

وأورد على هذا أنه ﷺ كان عالماً بالله وأنه لا إله إلا هو فما فائدة هذا الأمر.

معمر بن راشد عمّن سمع المقبري يحدّث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلاّ غنىً مطغيّاً، أو فقراً مُنسياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هرماً مقيداً، أو موتاً مجهّزاً، أو الدجال فالدجّال شرّ غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمرّ». قوله عزّ وجلّ: ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾، أي أماراتها وعلاماتها واحدها شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضل بن سليمان ثنا أبو حازم ثنا سهل بن سعد قال: رأيتُ النبي ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا هشام بن قتادة عن أنس قال: لأحدّثنّكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدّثنّكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقلّ الرجال ويكثر النساء، حتى

وأجيب عنه بأن معناه: دُمْ على ما أنت عليه من العلم. فهو كقول القائل للجالس: اجلس أي دم على ما أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علماً إلى علمك. وقيل: إن هذا الخطاب وإن كان للنبي ﷺ، فالمراد به غيره من أمته. قال أبو العالية وسفيان بن عيينة: هذا متصل بما قبله. معناه: إذا جاءتهم فاعلم أنه لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله الذي لا إله إلا هو. وقيل: معناه فاعلم أنه لا إله إلا الله وأن جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله الذي لا إله إلا هو ﴿واستغفر لذنبك﴾ أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستنَّ به أمته وليقتدوا به في ذلك (م) عن الأغر المزني أغر مزينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر في اليوم مائة مرة وفي رواية قال: توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم» (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة» قوله: إنه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطي وسبب ذلك ما أطلعه عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم. وقيل: إنه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرد أنه قد شغل بذلك وإن كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء سواه فلهذا السبب كان ﷺ يستغفر الله فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقيل: هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه ﷺ ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه ﷺ وكأن سبب استغفاره لها إظهار العبودية والافتقار إلى الله تعالى.

وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض، أن المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذي كان شأنه ﷺ الدوام عليه فإذا فتر وغفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه. وعن غيره. وقال الحارث المحاسبي: خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال وإن كانوا آمنين من عذاب الله تعالى. وقيل: يحتمل أن هذا الغبن حالة حسنة وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكراً كما قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. وقيل في معنى الآية:

يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن سنان ثنا فليح حدّثني هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدّث القوم إذْ جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال: وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه، قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضُيِّعتِ الأمانة فانتظر الساعة»: قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة»، قوله عزّ وجلّ: ﴿ فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾، فمن أين لهم التذكّر والاتّعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره: ﴿ يومئذ يتذكّر الإنسان وأنّى له الذكرى ﴾ [الفجر: ٢٣].

﴿ فاعْلم أنه لا إله إلاّ الله ﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبتْ عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازددْ علماً على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متّصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلاّ إلى الله. وقيل: فاعْلمْ أنه لا إله إلاّ الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلاّ الله، ﴿واستغفرْ لذنبك﴾، أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستنّ به أُمته، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حمّاد بن زيد عن ثابت عن أبي بردة عن الأغرّ المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة». قوله عزّ وجلّ: ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾، هذا إكرام من الله

استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ يعني من غير أهل بيته وهذا إكرام من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر نبيه ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ قال ابن عباس والضحاك: متقلبكم يعني متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم إلى الجنة أو إلى النار وقيل: متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل إلى مضاجعكم وقيل: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وإن دق وخفي.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ وذلك أن المؤمنين كانوا حراصاً على الجهاد في سبيل الله فقالوا: فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد؟ لكي نجاهد ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾ قال مجاهد: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني نفاقاً وهم المنافقون ﴿ينظرون إليك﴾ يعني شزراً وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو ﴿نظر المغشي عليه من الموت﴾ يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت﴿فأولى لهم﴾ فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا.

ثم ابتدأ بقوله ﴿طاعة وقول معروف﴾ فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم.

والمعنى: لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن. وقيل: هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء

تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيّهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المُجاب فيهم، ﴿ والله يعلم متقلّبكم ومثواكم ﴾، قال ابن عباس والضحاك: متقلبكم متصرّفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار. وقال مقاتل وابن جرير: متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان: متقلبكم من ظهر إلى بطنٍ ومثواكم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾، حرصاً منهم على الجهاد، ﴿ لولا نزلت سورة ﴾، تأمرنا بالجهاد، ﴿ فإذا أُنزلت سورة محكمة وذُكِر فيها القتال ﴾، قال قتادة: كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشدّ القرآن على المنافقين، ﴿ رأيتَ الذين في قلوبهم مرض ﴾، يعني المنافقين، ﴿ ينظرون إليك ﴾، شزراً بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجُبناً عن لقاء العدو، ﴿ نظر المغشي عليه من الموت ﴾، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، ﴿ فأولى لهم ﴾، وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

ثم قال: ﴿ طاعة وقول معروف ﴾، وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره: طاعة، وقول معروف أمثل، أي لو

مجازة فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالإجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والإجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه ﴿فإذا عزم الأمر﴾ فيه حذف تقديره فإذا عزم صاحب الأمر وقيل: هو على أصله ومجازه كقولنا: جاء الأمر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع. ومعنى الآية: فإذا عزم الأمر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به ﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾ يعني الصدق وقيل: معناه لو صدقوا الله في إظهار الإيمان والطاعة لكان ذلك خيراً لهم ﴿فهل عسيتم﴾ أي فلعلكم ﴿إن توليتم﴾ يعني أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه ﴿أن تفسدوا في الأرض﴾ يعني تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدم وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالإسلام ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن؟ (ق) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته». وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال: مَهْ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله ﷺ اقرؤوا إن شئتم: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» الشجنة: القرابة المشتبكة كاشتباك العروق. والحقو. مشد الإزار من الإنسان وقد يطلق على الإزار، ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن، استعار لها الاستمساك به والأخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه. ومعنى صلة الرحم: مبرة الأقارب والإحسان إليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني وليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحماً. والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها ولهذا سمي العقوق قطعاً كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال: ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله عز وجل هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل في الآية في قوله ﴿إن توليتم﴾ هو من الولاية يعني ﴿فهل عسيتم﴾ إن توليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض، يعني بالظلم، وتقطعوا أرحامكم، ومعنى الاستفهام في قوله: فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد.

فإن قلت: عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لأنه تعالى عالم بكل شيء فما معناه.

أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾، أي جدّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً، ﴿ فلو صدقوا الله ﴾، في إظهار الإيمان والطاعة، ﴿ لكان خيراً لهم ﴾، وقيل: جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذّبوا فيما وعدوا ولو صدقوا الله لكان خيراً لهـم.

﴿ فهل عسيتم ﴾، فلعلكم، ﴿ إن تولّيتم ﴾، أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، ﴿ أن تفسدوا في الأرض ﴾، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام. ﴿ وتُقطّعوا أرحامكم ﴾، قرأ يعقوب ﴿ وتقطعوا ﴾ بفتح التاء خفيف،

قلت: قال بعضهم معناه: يفعل بكم فعل المترجي المبتلي. وقال بعضهم معناه كل من ينظر إليهم يتوقع منهم ذلك. وقال الزمخشري: معناه أنه لما عهد منكم إحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحراً على الملك وتهالكاً على الدنيا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى من إذا تولى أفسد في الأرض وقطع الأرحام ﴿**الذين لعنهم الله**﴾ يعني أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته ﴿**فأصمهم**﴾ يعني عن سماع الحق ﴿**وأعمى أبصارهم**﴾ يعني عن طريق الهدى وذلك أنهم لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه، فكانوا بمنزلة الصم العمى، وإن كان لهم أسماع وأبصار في الظاهر ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ يعني يتكفرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يؤول إليه أمره. وتدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾ يعني بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثلاً لكل مانع للإنسان من تعاطي فعل الطاعة. يقال: فلان مقفل عن كذا، بمعنى ممنوع منه.

فإن قلت: إذا كان الله تعالى قد أصمهم وأعمى أبصارهم وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة.

قلت: تكليف ما لا يطاق جائز عندنا، لأن الله أمر بالإيمان لمن سبق في علمه أنه لا يؤمن فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لأحد عليه. وقيل: إن قوله ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ المراد به التأسي. وقيل: إن هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك أن الله تعالى لما قال: ﴿**أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾ فكان قوله أفلا

والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولّوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال المسيب ابن شريك والفرّاء: يقول فهل عسيتُم إنْ وُلّيتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أُمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة علي بن أبي طالب ﴿ تولّيتم ﴾ بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول إن ولّيتكم ولاة جائزة خرجتم معهم في الفتنة وعاونتوهم.

﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم ﴾، عن الحق.

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾، فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و﴿ أم ﴾ بمعنى (بل). أخبرنا أحمد بن إبراهيم أنا أبو إسحاق الثعلبي أنبأني عقيل بن محمد أنا المعافَى بن زكريا أنا محمد بن جرير ثنا بشر ثنا حمّاد بن زيد ثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ فقال شاب من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشابُّ في نفس عمر حتى وُلّي فاستعان به.

يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة أو كالتبكيت لهم على إصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده.

وروى البغوي بإسناد الثعلبي، عن عروة بن الزبير قالا: «تلا رسول الله ﷺ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به» هذا حديث مرسل وعروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين وأجلهم لم يدرك النبي ﷺ لأنه ولد سنة اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك.

قوله عز وجل: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ يعني رجعوا القهقرى كفاراً ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية. قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم. وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون آمنوا أولاً ثم كفروا ثانياً ﴿الشيطان سول لهم﴾ يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسناً ﴿وأملى لهم﴾ قرىء بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرىء وأملى لهم بفتح الألف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بأن مد لهم في الأمل.

فإن قلت: الإملاء والإمهال لا يكونان إلا من الله لأنه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة، فما معنى هذه القراءة.

قلت إن المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل إنما أسند إليه ذلك من حيث إن الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم إلى آخر العمر ﴿ذلك﴾ إشارة إلى التسويل والإملاء ﴿بأنهم﴾ يعني بأن أهل الكتاب أو المنافقين ﴿قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ وهم المشركون ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ يعني من التعاون على عداوة محمد ﷺ وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سراً فأخبر الله نبيه محمداً ﷺ خبرهم ثم قال: ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ يعني أنه تعالى لا تخفى عليه خافية من أمرهم.

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ

﴿ إنّ الذين ارتدّوا على أدبارهم ﴾، رجعوا كفّاراً، ﴿ من بعد ما تبيّن لهم الهدى ﴾، قال قتادة: هم كفّار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعدما عرفوه وجدوا نعته في كتابهم، وقال ابن عباس والضحاك والسدي: هم المنافقون، ﴿ الشيطان سوّل لهم ﴾، زيّن لهم القبيح، ﴿ وأملى لهم ﴾، قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يُسَمَّ فاعله، وقرأ مجاهد بإرسال الياء على وجه الخبر من الله عزّ وجلّ عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتُروَى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون ﴿ وأملى لهم ﴾ بفتح الألف أي وأملى الشيطان لهم مدّ لهم في الأمل.

﴿ ذلك بأنهم ﴾، يعني المنافقين أو اليهود، ﴿ قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله ﴾، وهم المشركون، ﴿ سنطيعكم في بعض الأمر ﴾، في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سرّاً فأخبر الله تعالى عنهم، ﴿ والله يعلم إسرارهم ﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر.

أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾

﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة﴾ يعني فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك﴾ يعني ذلك الضرب ﴿بأنهم﴾ يعني بسبب أنهم ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ يعني ترك الجهاد مع رسول الله ﷺ وقال ابن عباس: بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ ﴿وكرهوا رضوانه﴾ يعني كرهوا ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الإيمان والطاعة والجهاد مع رسول الله ﷺ ﴿فأحبط أعمالهم﴾ التي عملوها من أعمال البر لأنها لم تكن لله ولا بأمره ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق وهم المنافقون ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ يعني يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد. وقال ابن عباس: حسدهم ﴿ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم﴾ لما قال تعالى: ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ فكأن قائلاً قال لمَ لمْ يخرج أضغانهم ويظهرها فأخبر تعالى أنه إنما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال تعالى: ﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ لا مانع لنا من ذلك. والإراءة بمعنى التعريف والعمل. وقوله: ﴿فلعرفتهم﴾ لزيادة فائدة وهي أن التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال: عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفاً تعرفهم به ففيه إشارة إلى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله ﴿بسيماهم﴾ يعني بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها. قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ يعني في معنى القول وفحواه ومقصده وللحن معنيان صواب وخطأ صرف الكلام وإزالته عن التصريح إلى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله ﷺ: «فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض» وإليه قصد بقوله ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ وأما اللحن المذموم فظاهر وهو

﴿ فكيف إذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾.

﴿ ذلك ﴾، أي الضرب، ﴿ بأنهم اتّبعوا ما أسخط الله ﴾، قال ابن عباس: بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، ﴿ وكرهوا رضوانه ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾.

﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض ﴾، يعني المنافقين، ﴿ أن لنْ يُخرجَ اللَّهُ أضغانهم ﴾، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيُبديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدها ضغن، قال ابن عباس: حسدهم.

﴿ ولو نشاء لأريناكهم ﴾، أي لأعلمناكهم وعرفناكهم، ﴿ فلَعَرفتَهم بسيماهم ﴾، بعلامتهم، قال الزجّاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم. ﴿ ولتعرفنّهم في لحن القول ﴾، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لحن يلحن لحناً فهو لحن إذ فطن للشيء، ومنه قول النبي ﷺ: «ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»، والفعل من الخطأ لحن يلحن لحناً فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلاّ عرفه بقوله، ويستدلّ بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته، ﴿ والله يعلم أعمالكم ﴾.

صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بإزالة الإعراب أو التصحيف. ومعنى الآية: وإنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضون به من القول من تهجين أمرك وأمر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال الله تعالى: ﴿**والله يعلم أعمالكم**﴾ يعني أعمال جميع عباده فيجازي كلاًّ على قدر عمله.

قوله تعالى ﴿**ولنبلونكم**﴾ يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها ووجودها ﴿**حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ يعني إنا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لأن المراد من قوله: حتى نعلم، أي علم الوجود والظهور ﴿**ونبلوأخباركم**﴾ يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأتي القتال ولا يصبر على الجهاد ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول**﴾ يعني خالفوه فيما أمرهم به من الجهاد وغيره ﴿**من بعد ما تبين لهم الهدى**﴾ يعني من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول ﷺ ﴿**لن يضروا الله شيئاً**﴾ يعني إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك ﴿**وسيحبط أعمالهم**﴾ يعني وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثواباً في الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس: هم لمطعمون يوم بدر.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ لما ذكر الله عز وجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله ﷺ أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ثم قال تعالى: ﴿**ولا تبطلوا أعمالكم**﴾ قال عطاء: يعني بالشرك والنفاق والمنى. داوموا على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم. وقيل: لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله ﷺ كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله ﷺ وعصيانه. وقال الكلبي: لا

﴿ **ولنبلونّكم** ﴾، ولنعاملنّكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال، ﴿ **حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾، أي علم الوجود يريد حتى يتبيّن المجاهد والصابر على دينه من غيره، ﴿ **ونبلو أخباركم** ﴾، أي نظهرها ونكشفها بإباء مَن يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿ **وليبلونّكم حتى يعلم** ﴾، ويبلوا بالياء فيهنّ، لقوله تعالى: ﴿ **والله يعلم أعمالكم** ﴾، وقرأ الآخرون بالنون فيهنّ، لقوله تعالى: ﴿ **ولو نشاء لأريناكم** ﴾، وقرأ يعقوب ﴿ **ونبلو** ﴾ ساكنة الواو ردّاً على قوله: ﴿ **ولنبلونّكم** ﴾ وقرأ الآخرون بالفتح ردّاً على قوله: ﴿ **حتى نعلم** ﴾.

﴿ **إنّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله** ﴾، أي رسول الله ﷺ، ﴿ **وشاقّوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الهدى لن يضرّوا الله شيئاً** ﴾، إنما يضرّون أنفسهم، ﴿ **وسيحبط أعمالهم** ﴾، فلا يرون لها ثواباً في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، نظيرها قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله ﴾ [الأنفال: ٣٦]، الآية.

﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسُّمعة. وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر. وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون

تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم. وقال الحسن: لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي والكبائر. قال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضرهم مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن نحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لأن الله تعالى يقول: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** وقال تعالى: **﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾** فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى ابن عمر أنه قال: كنا نرى أنه لا شيء من حسناتنا إلا مقبولاً حتى نزل **﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾** فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا. فقلنا: الكبائر والفواحش حتى نزل **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لأن السنة مبينة للكتاب «وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ أصبح صائماً فلما رجع إلى البيت وجد حيساً فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائماً فأكل» وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفي الصحيحين أيضاً أن سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاماً فلما قربه إليه قال. كل فإني صائم قال لست بآكل حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطل أعمالكم نزلت في بني أسد وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات إن شاء الله تعالى: **﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾** قيل نزلت في أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا في قليب بدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** **﴿فلا تهنوا﴾** الخطاب فيه لأصحاب النبي ﷺ ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا أيها المؤمنون **﴿وتدعوا إلى السلم﴾** يعني ولا تدعوا الكفار إلى الصلح أبداً منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا **﴿وأنتم الأعلون﴾** يعني وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم. أخبر الله تعالى أن الأمر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وإن غلبوا المسلمين في بعض الأوقات **﴿والله معكم﴾** يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي

أنه لا يضرّ مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال، وقال مقاتل: لا تمنّوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى.

﴿ إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفّار فلن يغفر الله لهم ﴾، هم أصحاب القليب وحكمها عامّ.

﴿ فلا تهنوا ﴾، لا تضعفوا ﴿ وتدعوا إلى السلم ﴾، أي لا تدعوا إلى الصلح، ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفّار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿ وأنتم الأعلون ﴾، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿ والله معكم ﴾، بالعون والنصرة، ﴿ ولن يَتِرَكُم أعمالكم ﴾، لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وتراً وترة إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أُجورها.

ثم حضّ على طلب الآخرة فقال: ﴿إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو﴾، باطل وغرور، ﴿ وإن تؤمنوا وتتّقوا ﴾، الفواحش، ﴿ يؤتكم أُجوركم ﴾، جزاء أعمالكم في الآخرة، ﴿ ولا يسألكم ﴾، ربكم، ﴿ أموالكم ﴾، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليُثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: ﴿ ما أُريد منهم من رزق ﴾ [الذاريات: ٥٧]،

الغالب ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ يعني لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم. وقال ابن عباس وغيره: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ يعني يؤتكم جزاء أعمالكم في الآخرة ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ يعني أن الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم لإيتاء الأجر عليهم، بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة. وقيل: معناه ولا يسألكم محمد ﷺ أموالكم وقيل: معناه لا يسألكم الله ورسوله ﷺ أموالكم كلها في الصدقات إنما يسألكم غيضاً من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة إنما فرضها الله تعالى في أموال الأغنياء وردها على الفقراء فطيبوا بإخراج الزكاة أنفسكم. وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿إن يسألكموها﴾ الضمير عائد إلى الأموال ﴿فيحفكم﴾ يعني يجهدكم ويطلبها كلها والإحفاء المبالغة في المسألة وبلوغ الغاية في كل شيء. يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح ﴿تبخلوا﴾ يعني بالمال فلا تعطوه ﴿ويخرج أضغانكم﴾ يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للأموال قال قتادة علم الله أن الإحفاء بمسألة الأموال مخرج للأضغان.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿ها أنتم هؤلاء﴾ يعني أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى: ﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾ قيل أراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به إخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله ﴿فمنكم من يبخل﴾ يعني بما فرض عليه إخراجه من الزكاة أو ندب إلى أنفاقه في وجوه البر ﴿ومن يبخل﴾ يعني بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى: ﴿فإنما يبخل عن نفسه﴾ أي على نفسه ﴿والله الغني﴾ يعني عن صدقاتكم وطاعتكم لأنه الغني المطلق الذي له ملك السموات والأرض ﴿وأنتم الفقراء﴾ يعني إليه وإلى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والآخرة ﴿وإن تتولوا﴾ يعني عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وعن القيام بما أمركم به وألزمكم إياه ﴿يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ يعني يكونون أطوع لله ورسوله ﷺ منكم. قال الكلبي: هم كندة والنخع من عرب اليمن. وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: هم فارس والروم.

وقيل: لا يسألكم محمدٌ أموالكم، نظيره: ﴿ قلْ ما أسألكم عليه من أجْر ﴾ [الفرقان: ٥٧، صٓ: ٨٦]، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألانكم غيضاً من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفساً، وقُرُّوا بها عيناً.

وإلى هذا القول ذهب ابن عُيينة، يدلّ عليه سياق الآية: ﴿ إنْ يسألكموها فيحفِكم ﴾، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلاناً إذا جهده، وألحف عليه بالمسألة، ﴿ تبخلوا ﴾، بها فلا تعطوها، ﴿ ويخرج أضغانكم ﴾، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ﴾، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، ﴿ فمنكم مَن يبخل ﴾، بما فرض عليه من الزكاة، ﴿ ومَن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني ﴾، عن صدقاتكم وطاعتكم، ﴿ وأنتم

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده مقال وله رواية أخرى عن أبي هريرة قال: «قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل إن تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله ﷺ فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس» ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة إن شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

الفقراء﴾، إليه وإلى ما عنده من الخير. ﴿ **وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي: هم كندة والنخع، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم. أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاتي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن إسحاق النجيبي المصري المعروف بابن النحّاس أنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب ثنا مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿ **وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾، قالوا: يا رسول الله مَن هؤلاء الذين إن تولّينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس».



سورة الفتح

وهي مدنية (خ) «عن أسلم أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض سفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلاً فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك فقال عمر: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فيّ قرآن فما لبثت أن سمعت صارخاً يصرخ بي فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: لقد أنزل عليّ الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** وأخرجه الترمذي وزاد فيه «وكان في بعض أسفاره بالحديبية» (ق) عن أنس قال: لما نزلت **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** إلى قوله **﴿فوزاً عظيماً﴾** مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية «قال رسول الله ﷺ لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً» لفظ مسلم ولفظ البخاري **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله ﷺ: هنيئاً مريئاً فما لنا فأنزل الله عز وجل **﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** قال شعبة: فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال: أما إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً فعن أنس وأما هنيئاً مريئاً فعن عكرمة». وأخرجه الترمذي عن قتادة عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ

سُوْرَة الفتح

مدنيّة وهي تسع وعشرون آية.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد الطوسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أُمك يا عمر كرّرتَ على رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يُجيبك، قال عمر فحرّكت بعيري ثم تقدّمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما لبثت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه، فقال: «لقد أُنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس، ثم قرأ: **﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ليغفرَ لكَ اللّهُ ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ﴾**»، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفّان ثنا همّام ثنا قتادة ثنا أنس قال: نزلت على النبي ﷺ: **﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ﴾** إلى آخر الآية، مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة، فقال: «نزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا جميعاً»، فلما تلاها نبيّ الله ﷺ قال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً لك قد بيّن الله ما يفعل بك، فماذا

«لقد أنزلت عليّ الليلة آية أحب إليّ مما على الأرض ثم قرأ النبي ﷺ فقالوا هنيئاً مريئاً يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ حتى بلغ ﴿**فوزاً عظيماً**﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ الخطاب للنبي ﷺ وحده والمعنى إنا قضينا وحكمنا لك فتحاً مبيناً ظاهراً بغير قتال ولا تعب. واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس أنه فتح مكة وقال مجاهد: إنه فتح خيبر. وقيل: هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الإسلام التي يفتحها الله عز وجل له.

فإن قلت على هذه الأقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ بلفظ الماضي.

قلت: وعد الله تعالى نبيه ﷺ بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جرياً على عادة الله تعالى في أخباره، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كأنه تعالى قال: إنا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة. وقال أكثر المفسرين: إن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الأصح، وهو رواية عن أنس. ومعنى الفتح: فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعباً متعذراً حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه. عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا وماشيتنا وركابنا. وقال الشعبي في قوله ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ قال: فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا

يفعل بنا؟ فأنزل الله هذه الآية التي بعدها: ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار ﴾، حتى ختم الآية.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾، اختلفوا في هذا الفتح، ورُوِيَ عن أبي جعفر الرازي عن قتادة عن أنس: أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر، والأكثرون على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذَّراً حتى فتحه الله عزّ وجلّ. وروى شعبة عن قتادة عن أنس: ﴿ **إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾، قال: صلح الحديبية، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديبية كنّا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا. وقال الشعبي في

كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، فعز الإسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح، وقال الحسن بن الفضل: هو مردود إلى قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات» وقال ابن جريج: هو راجع إلى قوله في سورة النصر ﴿واستغفره إنه كان تواباً﴾ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك. وقيل: إن الفتح لم يجعل سبباً للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الأمور الأربعة المذكورة وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. كأنه قال: يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطاً مستقيماً ليجتمع لك عز الدارين وأغراض العاجل والآجل. وقيل: يجوز أن يكون الفتح سبباً للغفران لأنه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح. وقيل: لما كان هذا الفتح سبباً لدخول مكة والطواف بالبيت، كان ذلك سبباً للمغفرة. ومعنى الآية: ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر، يعني بعدها وهذا على قول ما يجوز الصغائر على الأنبياء. وقال عطاء الخراساني: ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم. وقال سفيان الثوري: ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة، وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول: أعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى: ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك. وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة، وتأول لأن النبي ﷺ لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فسماه ذنباً فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فأعلمه الله عز وجل بذلك وإنه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ يعني بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ يعني ويهديك إلى صراط مستقيم وهو الإسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك من الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم وهو الإسلام. وقيل: معناه ويهدي بك إلى صراط مستقيم ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ يعني غالباً ذا عز ومنعة وظهور على الأعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الأمن بحمد الله تعالى.

قوله: ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾، قال: فتح الحديبية، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس، قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام. قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾، أي قضينا لك قضاءً بيّناً. وقال الضحاك: إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً بغير قتال، وكان الصلح من الفتح المبين، قيل: اللام في قوله: ﴿ ليغفر ﴾ لام كي معناه إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح. وقال الحسين بن الفضل: هو مردود إلى قوله: ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ [محمد: ١٩].

﴿ ليغفرَ لكَ اللّهُ ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ﴾، وليُدخِل المؤمنين والمؤمنات جنّات الآية، وقال محمد بن جرير: هو راجع إلى قوله: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبّحْ بحمد ربّك واستغفرْهُ ﴾ [النصر: ٢]، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة، وما تأخر إلى وقت نزول

فإن قلت: وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزاً والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه؟.

قلت: معناه ذا عزة كقوله ﴿عيشة راضية﴾ أي ذات رضا. وقيل: وصف النصر بما يوصف به المنصور إسناداً مجـازياً. يقال: هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق. وقيل: معناه نصراً عزيزاً صاحبه فحذف المضاف إيجازاً واختصاراً وقيل إنما يحتاج إلى هذه التقديرات إذا كانت العزة من الغلبة. والعزيز: الغالب.

أما إذا قلنا إن العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير، فلا يحتاج إلى هذه التقديرات، لأن النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله تعالى فصحّ وصف كونه نصراً عزيزاً.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم. قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن طمأنينة إلا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها. ولما قال الله تعالى: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾، بيّن وجه هذا النصر كيف هو، وذلك أنه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الأقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله تعالى نبيه ﷺ ثم قال تعالى: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ وذلك أنه تعالى جعل السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين سبباً لزيادة الإيمان في قلوبهم، وذلك أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهي، آمنوا به وعملوا بمقتضاه، فكان ذلك زيادة في إيمانهم. وقال ابن عباس: بعث الله عز وجل رسوله ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم، فكلما أمروا بشيء وصدقوه، ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم، وقال الضحاك: يقيناً مع يقينهم. وقال الكلبي: هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق. وقيل: لما آمنوا بالأصول وهو التوحيد وتصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهي جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في

هذه السورة. وقيل: ما تأخر مما يكون، وهذا على طريقة مَن يجوِّز الصغائر على الأنبياء. وقال سفيان الثّوري: ما تقدّم ممّا عملت في الجاهلية وما تأخّر كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد، كما يقال: أعطى مَن رآه ولم يره، وضرب مَن لقيه ومَن لم يلقه. وقال عطاء الخراساني: ما تقدّم من ذنبك: يعني ذنب أبويك آدم وحوّاء ببركتك، وما تأخر ذنوب أُمتك بدعوتك. ﴿ ويتمّ نعمته عليك ﴾، بالنبوّة والحكمة، ﴿ ويهديك صراطاً مستقيماً ﴾، أي يثبتك عليه، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النّعمة بالمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام. وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ غالباً: وقيل: معزّاً.

﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾، الطمأنينة والوقار، ﴿ في قلوب المؤمنين ﴾، لئلا تنزعج نفوسهم لمّا يرد عليهم، قـال ابن عباس كـل سكينة في القـرآن فهي طمأنينـة إلاّ التي في سورة البقـرة [٢٤٨]، ﴿ليزدادوا إيمـانـاً مـع إيمانهم ﴾، قال ابن عباس: بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلاّ الله، فلما صدّقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم

إيمانهم ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ لما قال الله عز وجل: وينصرك الله نصراً عزيزاً، وكان المؤمنون في قلة من العدد والعدد، فكأن قائلاً قال: كيف ينصره؟ فأخبره الله عز وجل أن له جنود السموات والأرض وهو قادر على نصر رسوله ﷺ ببعض جنوده بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة في قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله ﷺ وإهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والأرض وجوه: الأول: إنهم ملائكة السموات والأرض. الثاني: أن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض جميع الحيوانات الثالث أن جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلال والخسف والغرق ونحو ذلك ﴿وكان الله عليماً﴾ يعني بجميع جنوده الذين في السموات والأرض ﴿حكيماً﴾ يعني في تدبيره وقيل: عليماً بما في قلوبكم أيها المؤمنون حكيماً حيث جعل النصر لكم على أعدائكم.

قوله عز وجل: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ يستدعي سابقاً تقديره هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات. وقيل: تقديره أن من علمه وحكمته إن سكّن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه، فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وقد تقدم ما روي عن أنس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إن فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قال الصحابة: هنيئاً مريئاً قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ فإن قلت تكفير السيئات إنما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة، قلت: الواو لا تقتضي الترتيب وقيل إن تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الإدخال بالذكر بمعنى أنه من أهل الجنة ﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾ يعني أن ذلك الإدخال والتكفير كان في علم الله تعالى فوزاً عظيماً ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ يعني المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وإنما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكفارين لأن الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لأنه عدو مبين والمنافق لا يمكن أن يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ يعني أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عليهم دائرة السوء﴾ يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك ﴿وغضب الله عليهم﴾ زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ﴿ولعنهم﴾ يعني وأبعدهم وطردهم عن رحمته ﴿وأعدّ لهم جهنم﴾ يعني في الآخرة ﴿وساءت مصيراً﴾ يعني ساءت جهنم منقلباً.

الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أُمِروا بشيء فصدّقوه ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم. وقال الضحاك: يقيناً مع يقينهم. قال الكلبي: هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، ﴿ ولله جنود السمٰواتِ والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾.

﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفّر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ﴾، وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة قالوا لمّا نزل ليغفر لك الله هنيئاً مريئاً فما يفعل بنا فنزل: ﴿ لِيُدخِل المؤمنين والمؤمنات جنّات ﴾ الآية.

﴿ ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾، يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة، ﴿ الظانّين بالله ظنّ السوء ﴾، أن لن ينصر محمداً والمؤمنين، ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾، بالعذاب والهلاك، ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيراً ﴾.

وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ تقدم تفسيره بقي ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والأرض على إدخال المؤمنين الجنة ولم أخر ذكر جنود السموات والأرض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين، فنقول: فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والأرض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والأرض قبل إدخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فإذا دخلوا الجنة أفضوا إلى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه، فلا حاجة لهم بعد ذلك إلى شيء، وأخر ذكر جنود السموات والأرض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم أبداً.

فإن قلت: قال في الآية الأولى: ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾، وقال في هذه الآية ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ فما معناه؟ قلت: لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين، ناسب أن تكون خاتمة الآية الأولى ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾، ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته، ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ فهو كقوله: ﴿أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾ وقوله ﴿أخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ الخطاب للنبي ﷺ ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه إلى الكافة شاهداً على أعمال أمته ومبشراً يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيراً يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الإرسال فقال تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ فالضمير فيه للناس المرسل إليهم ﴿وتعزروه﴾ يعني ويقووه وينصروه. والتعزير: نصر مع تعظيم ﴿وتوقروه﴾ يعني وتعظموه والتوقير: التعظيم والتبجيل ﴿وتسبحوه﴾ من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع القائص أو من السبحة وهي الصلاة.

قال الزمخشري: والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى. تعزير دينه ورسوله ﷺ. ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره: الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى الرسول ﷺ وعندها تم الكلام فالوقف عليّ ويوقروه وقف تام ثم يبتدىء بقوله ويسبحوه ﴿بكرة وأصيلاً﴾ على أن الكناية في ويسبحوه راجعة إلى الله تعالى يعني ويصلوا الله أو يسبحوا بالغداة والعشي.

﴿ ولله جنود السمٰواتِ والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً * إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه ﴾، أي تُعينوه وتنصروه، ﴿ وتوقّروه ﴾، تعظّموه وتفخّموه هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ وههنا وقف، ﴿ وتسبّحوه ﴾، أي تسبّحوا الله يريد تصلّوا له، ﴿ بكرةً وأصيلاً ﴾، بالغداة والعشي قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وليؤمنوا، ويعزروه، ويوقروه، ويسبّحوه) بالياء فيهنّ لقوله: ﴿ في قلوب المؤمنين ﴾، وقرأ الآخرون بالتاء فيهنّ.

﴿ إنّ الذين يبايعونك ﴾، يا محمد بالحديبية على أن لا يفرّوا، ﴿ إنما يبايعون الله ﴾، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع على أيّ شيء

قوله عز وجل: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ يعني إن الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا إنما يبايعون الله لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة وأصل البيعة: العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له، والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية، وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلتين سميت ببئر هناك. وقد جاء في الحديث أن الحديبية بئر. قال مالك: هي من الحرم. وقال ابن القصار: بعضها من الحل. ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيدة، قال: قالت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ قال: على الموت (م) عن معقل بن يسار لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصناً عن أغصانها من رأسه ونحن أربعة عشرة مائة قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر. قال العلماء: لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا. وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ). عن ابن عمر قال: إن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال يعني عمر: يا عبد الله انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله ﷺ فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع. وقوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ قال ابن عباس: يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه. وقال الكلبي: نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة. وقال الإمام فخر الدين الرازي: يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوهاً، وذلك لأن اليد في الموضعين إما أن تكون بمعنى واحد، وإما أن تكون بمعنيين.

فإن قلنا إنها بمعنى واحد ففيه وجهان: أحدهما: يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق إحسانهم كما قال ﴿بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان﴾ وثانيهما: يد الله فوق أيديهم أي نصرته إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه، يقال: اليد لفلان، أي الغلبة والنصرة والقوة.

وإن قلنا: إنها بمعنيين، فنقول: اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ، وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة، فيكون المعنى: يد الله فوق أيديهم بالحفظ. وقال الزمخشري: لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيداً على طريقة التخيل، فقال: يد الله فوق أيديهم، يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ هذا مذهب أهل التأويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السف السكوت عن التأويل وإمرار آيات الصفات كما جاءت وتفسرها قراءتها والإيمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل.

بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجّاج ثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله بن الأعرج عن معقل بن يسار، قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفرّ، قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت، أي لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفرّ. ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم. وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم

وقوله تعالى: ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ يعني فمن نقض العقد الذي عقده مع النبي ﷺ ونكث البيعة فإن وبال ذلك وضره يرجع إليه ولا يضر إلا نفسه ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ يعني من البيعة ﴿فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ يعني في الآخرة وهو الجنة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع والنخع وأسلم وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً، استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا، واعتلّوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الأعراب الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك، إذا رجعت إليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ يعني النساء والذراري. يعني: لم يكن لنا من يخلفنا فيهم: فلذا تخلفنا عنك ﴿فاستغفر لنا﴾ أي إنا مع عذرنا معترفون بالإساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فأكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ يعني أنهم في طلب الاستغفار كاذبون لأنهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أم لا ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً﴾ يعني سوءاً ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم

في المبايعة. قال الكلبي: نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة. ﴿ فمَن نكث ﴾، نقض البيعة، ﴿ فإنما ينكث على نفسه ﴾، عليه وباله، ﴿ ومَن أوْفَى بما عاهد عليهُ الله ﴾، ثبت على البيعة، ﴿ فسيؤتيه ﴾، قرأ أهل العراق ﴿ فسيؤتيه ﴾ بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿ أجراً عظيماً ﴾، وهو الجنة.

﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدّوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلّفوا واعتلّوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب ﴾، يعني الذين خلفهم الله عزّ وجلّ عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلّف عنك، ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا مَن يخلفن فيهم ﴿ فاستغفرْ لنا ﴾، تخلّفنا عنك، فكذّبهم الله عزّ وجلّ في اعتذارهم، فقال: ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾، من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون أستغفر لهم النبي ﷺ أو لا، ﴿ قل فمَن يملك

فأخبرهم الله عز وجل أنه إن أراد شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ يعني من إظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار وإخفائكم النفاق ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ يعني ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون إلى أهليهم ﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ يعني زيَّن الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به، حتى صار الظن يقيناً عندكم، وذلك أن الشيطان قد يوسوس في قلب الإنسان بالشيء ويزينه له حتى يقطع به ﴿وظننتم ظن السوء﴾ يعني وظننتم أن الله يخلف وعده وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكلة رأس، يريدون بذلك قتلهم فلا يرجعون فأين تذهبون معهم انظروا ما يكون من أمرهم ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوماً بائرين هالكين ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيراً﴾. لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله ﷺ وبين حال ظنهم الفاسد وإن ذلك يفضي بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الإيمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ وظن أن الله يخلف وعده فإنه كافر وإنا أعتدنا للكافرين سعيراً ﴿ولله ملك السموات والأرض يغفر لم يشاء ويعذب من يشاء﴾ لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ وحال الظانين ظن السوء أخبر أن له ملك السموات والأرض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم وأشمل وأتم وأكمل وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ قوله عز وجل: ﴿سيقول المخلفون﴾ يعني الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إذا انطلقتم﴾ يعني إذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون ﴿إلى مغانم لتأخذوها﴾ يعني غنائم خيبر وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئاً وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئاً ﴿ذرونا نتبعكم﴾ يعني إلى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا إذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا: ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ يعني يريدون أن

لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً ﴾، ســواً، ﴿ **أو أراد بكم نفعاً** ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿ **ضرّاً** ﴾ بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالنفع والنفع ضدّ الضرّ، وذلك أنهم ظنوا أن تخلّفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضرّ، ويعجّل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى: إن أراد بهم شـيئاً من ذلك لم يقدر أحدٌ على دفعه. ﴿ **بل كان الله بما تعملون خبيراً** ﴾.

﴿ **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً** ﴾ أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، ﴿ **وزيّن ذلك في قلوبكم** ﴾، زيّن الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿ **وظننتم ظنّ السَّوء** ﴾وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكْلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿ **وكنتم قوماً بوراً** ﴾، هلكى لا تصلحون لخير.

﴿ **ومَن لم يؤمن بالله ورسوله فإنّا أعتدنا للكافرين سعيراً* ولله مُلْك السمٰوات والأرض يغفر لمَن يشا ويعذّب مَن يشاء وكان الله غفوراً رحيماً * سيقول المخلفون** ﴾، يعني هؤلاء الـذين تخلّفوا عن الحـديبية، ﴿ **إذا انطلقتم** ﴾، سرتم وذهبتم أيها المؤمنون، ﴿ **إلى مغانم لتأخذوها** ﴾، يعني غنائم خيبر، ﴿ **ذرونا نتبعكم** ﴾، إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لمّا انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمَن شهد الحديبية خاصّة عوضاً عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئاً، قال الله تعالى: ﴿ **يريدون أن يُبدلّوا كلام الله** ﴾، قرأ حمزة والكسائي: (كلِـم الله) بغير ألف جمع كلمة، وقرأ الآخرون: ﴿ **كلام الله** ﴾، يريدون أن يغيّروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة، وقال مقاتل: يعني أمر الله نبيّه ﷺ أن

يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لأهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين. وقال مقاتل: يعني أمر الله تعالى نبيه ﷺ حيث أمره أن لا يسير منهم أحداً إلى خيبر. وقال ابن زيد: هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً، والقول الأول أصوب ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿لن تتبعونا﴾ يعني إلى خيبر ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ يعني من قبل مرجعنا إليكم غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ يعني يمنعكم الحسد أن نصيب معكم من الغنائم شيئاً ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾ يعني لا يعلمون ولا يفهمون من الله ما لهم وما عليهم من الدين إلا قليلاً منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ لما قال الله للنبي ﷺ: قل لن تتبعونا، وكان المخلفون جمعاً كثيراً من قبائل متشعبة، وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه، فجعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة، وهي أنهم يدعون إلى قوم أولى بأس شديد، فإن أطاعوا، كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجراً حسناً وهو الجنة، وإن تولوا وأعرضوا عما دعوا إليه، كانوا من المنافقين ويعذبهم عذاباً أليماً. واختلفوا في المشار إليهم بقوله ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ من هم فقال ابن عباس ومجاهد: هم أهل فارس. وقال كعب: هم الروم. وقال الحسن: هم فارس والروم. وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. وقال رافع بن

لا يسير منهم أحد، قال ابن زيد: هو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معيَ أبداً ﴾ [التوبة: ٨٣]، والأول أصوب، وعليه عامّة أهل التأويل، ﴿ قلْ لنْ تتبعونا ﴾، إلى خيبر، ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمَن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾، أي يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم، ﴿ بل كانوا لا يفقهون ﴾، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين، ﴿ إلاّ قليلاً ﴾، منهم وهو مَن صدق الله والرسول.

﴿ قلْ للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أُولي بأس شديد ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هم أهل فارس. وقال كعب: هم الروم: وقال الحسن: فارس والروم. وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذّاب. قال رافع بن خديج: كنّا نقرأ هذه الآية ولا نعلم مَن هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم. وقال ابن جريج: دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأتِ تأويل هذه الآية بعد. ﴿ تقاتلونهم أو يُسلمون فإن تُطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً ﴾، يعني الجنة، ﴿ وإنْ تتولّوا ﴾، تعرضوا ﴿ كما تولّيتم من قبل ﴾، عام الحديبية، ﴿ يعذّبكم عذاباً أليماً ﴾، وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟.

خديج: كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم. وقال ابن جريج: دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأت تأويل هذه الآية بعد، وأقوى هذه الأقوال، قول من قال إنهم هوازن وثقيف، لأن الداعي هو رسول الله ﷺ. وأبعدها قول من قال إنهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الأول فهو أن العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الأمر على عهد النبي ﷺ فلم يبق إلا مؤمن تقي طاهر أو كافر مجاهر. وأما المنافقون، فكان قد علم حالهم لامتناع النبي ﷺ من الصلاة عليهم، وكان الداعي هو رسول الله ﷺ إلى حرب من خالفه من الكفار. وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأساً وكذلك غطفان فاستنفر النبي ﷺ العرب لغزوة حنين وبني المصطلق، فصح بهذا البيان أن الداعي هو النبي ﷺ. فإن قيل: هذا ممتنع لوجهين: أحدهما أن النبي ﷺ قال: لن تتبعونا، وقال: لن تخرجوا معي أبداً، فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي؟ الوجه الثاني: قوله ﴿أولي بأس شديد﴾، ولم يبق للنبي ﷺ حرب مع قوم أولي بأس شديد، لأن الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول: الجواب عن الوجه الأول من وجهين: أحدهما: أن يكون قوله: قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبداً مقيد بقيد وهو أن يكون تقديره: قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبداً ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لأن من أسلم وحسن إسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج إلى الجهاد مع النبي ﷺ. الوجه الثاني: في الجواب عن الوجه الأول أن المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبداً يعني في غزوة خيبر لأنها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم. ثم نقول: إن النبي ﷺ لو لم يدعهم إلى الجهاد معه أو منعهم من الخروج إلى الجهاد معهما لامتنع أبو بكر وعمر من الإذن لهم في الخروج إلى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي ﷺ من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو أن النبي ﷺ لم يبق له حرب مع قوم أولي بأس شديد فغير مسلم لأن الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم أولو بأس شديد فثبت بهذا البيان أن الداعي للمخلفين هو النبي ﷺ وأما قول من قال إن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وإن عمر دعاهم إلى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لأن الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار.

فأنزل الله تعالى: **﴿ليس عل الأعمى حرج﴾**، يعني في التخلّف عن الجهاد، **﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومَن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار ومَن يتولَّ يعذّبه عذاباً أليماً﴾**، قرأ أهل المدينة والشام (ندخله) و (نعذبه) بالنون فيهما، وقرأ الآخرون بالياء لقوله: **﴿ومَن يطع الله ورسوله﴾**.

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾، بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا يفرّوا، **﴿تحت الشجرة﴾**، وكان سمرة، قال سعيد بن المسيب: حدّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. ورُوِيَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا وبعضهم ههنا، فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان قال عمر: سمعت جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنّا ألفاً وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن حاتم ثنا حجّاج عن ابن جريج أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنّا أربع عشرة مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جدّ بن قيس

وقوله تعالى: ﴿**تقاتلونهم أو يسلمون**﴾ فيه إشارة إلى وقوع أحد الأمرين إما الإسلام أو القتل ﴿**فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً**﴾ يعني الجنة ﴿**وإن تتولوا**﴾ يعني تعرضوا عن الجهاد ﴿**كما توليتم من قبل**﴾ يعني عام الحديبية ﴿**يعذبكم عذاباً أليماً**﴾ يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة والأعذار كيف حالنا يا رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج**﴾ يعني في التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ماهرة في جواز ترك الجهاد، لأن أصحابها لا يقدرون على الكر والفر، لأن الأعمى لا يمكنه الإقدام على العدو والطلب، ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب، وكذلك الأعرج، والمريض. وفي معنى الأعرج: الزمن المقعد والأقطع. وفي معنى المريض: صاحب السعال الشديد والطحال الكبير. والذين لا يقدرون على الكر والفر: فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكر وهي: الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج إليه من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من قوم مقامه عليه ونحو ذلك وإنما قدم الأعمى على الأعرج، لأن عذر الأعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الأعرج لأنه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الأعرج على المريض لأن عذره أشد من عذر المريض لإمكان زوال المرض عن قريب ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ يعني في أمر الجهاد وغيره ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول**﴾ يعني يعرض عن الساعة ويستمر على الكفر والنفاق ﴿**يعذبه عذاباً أليماً**﴾ يعني في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك**﴾ يعني بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا يفروا ﴿**تحت الشجرة**﴾ وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجاً، فمررت بقوم يصلون، فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فأخبرته فقال سعيد: كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها. قال سعيد: فأصحاب رسول الله ﷺ لم يعلموها وعلمتموها فأنتم أعلم فضحك. وفي رواية، عن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها، وروي أن عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هاهنا وبغضهم يقول هاهنا فلما كثر اختلافهم قال: سيروا. ذهبت الشجرة. (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير، أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه جميعاً غير جد بن قيس الأنصاري اختفى تحت بطن بعيره. زاد في رواية قال: بايعناه على أن لا نفر. ولم نبايعه على الموت. وأخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله تعالى عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾. قال: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت. (ق) عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية. «أنتم اليوم خير أهل الأرض». وكنا ألفاً وأربعمائة قال: ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة. وروى سالم عن جابر قال: كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم،

الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره. وروى سالم عن جابر قال: كنّا خمس عشرة مائة. وقال عبد الله بن أبي أوفى: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة، وكانت أسلم ثمن المهاجرين، وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أُميّة الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له، يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة،

أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له «الثعلب» ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعتهم الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال: يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشاً وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعزبها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت، فطف به. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ، رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم». ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت قال بكير بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله ﷺ: «بل على ما استطعتم». وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار أنهما قالا: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر. وقد تقدم أيضاً الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الأكوع بايعناه على الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب، ولم يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها إلا جد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر: فكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب.

وقوله تعالى: ﴿**فعلم ما في قلوبهم**﴾ يعني من الصدق والإخلاص والوفاء كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق ﴿**فأنزل السكينة**﴾ يعني الطمأنينة ﴿**عليهم**﴾ يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة، وهي أن هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ﴿**ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة، ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم.

فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس من بني عدي بن كعب أحدٌ يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيَّاها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعزّ بها منِّي عثمان بن عفَّان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأتِ بحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظِّماً لحُرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبَان بن سعد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابّته وحمله بين يديه، ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان وعظماء قريش لعثمـان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إنْ شئتَ أنْ تطوفَ بالبيت فطفْ به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتسبته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، قال بكير ابن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله ﷺ: «بل على ما استطعتم». وقال جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أنْ لا نفرّ، فكان أول مَن بايع بيعة الرضوان رجلاً من بني

فإن قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضا، لأنه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله ﴿**فعلم ما في قلوبهم**﴾.

قلت: قوله: ﴿**ما في قلوبهم**﴾، متعلق بقوله: ﴿**إذا يبايعونك**﴾، فيكون تقديره: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله: فأنزل السكينة للتعقيب، لأنه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿**وأثابهم فتحاً قريباً**﴾ يعني خيبر.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

﴿**ومغانم كثيرة يأخذونها**﴾ يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله ﷺ بينهم ﴿**وكان الله عزيزاً**﴾ يعني منيعاً كامل العزة غنياً عن إعانتكم ﴿**حكيماً**﴾ حيث حكم لكم بالغنائم ولأعدائكم بالهلاك على أيديكم.

قوله تعالى: ﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها**﴾ يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم إلى يوم القيامة ﴿**فعجل لكم هذه**﴾ يعني مغانم خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في

أسد يقال له أبو سنان بن وهب، ولم يتخلّف عنه أحداً من المسلمين حضرها إلاّ جدّ بن قيس أخو بني سلمة، قال جابر: لكأني أنظر إليه لَاصقاً بإبط ناقته مستتراً بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا علي بن أحمد بن نضرويه ثنا أبو عمرَان موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني ثنا محمد بن رمح ثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد ممّن بايع تحت الشجرة». قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فعلم ما في قلوبهم** ﴾، من الصدق والوفاء، ﴿ **فأنزل السكينة** ﴾، الطمأنينة والرضا، ﴿ **عليهم وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾، يعني فتح خيبر.

﴿ **ومغانم كثيرةً يأخذونها** ﴾، من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسمها رسول الله ﷺ بينهم، ﴿ **وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾.

﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها** ﴾، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿ **فعجّل لكم هذه** ﴾، يعني خيبر، ﴿ **وكفَّ أيديَ الناس عنكم** ﴾، وذلك أن النبي ﷺ لمّا قصد خيبر وحاصر أهلها همّتْ قبائل من بني أسد وغطفان أن يُغيروا على عِيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكفّ الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كفّ أيديَ الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿ **ولتكون** ﴾، كفّهم وسلامتكم، ﴿ **آيةً للمؤمنين** ﴾، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولّي حياطَتَهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، ﴿ **ويهديهم صراطاً مستقيماً** ﴾، يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقيناً بصلح الحديبية، وفتح خيبر وذلك أن رسول الله ﷺ لمّا رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرّم ثم خرج في بقية المحرّم سنة سبع إلى خيبر، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا

المستقبل وإنما عجل لهم هذه كعجالة الراكب أعجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير ﴿**وكف أيدي الناس عنكم**﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها، همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكف الله عز وجل أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم. وقيل: المعنى إن الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنّة عليكم ﴿**ولتكون آية للمؤمنين**﴾ هو عطف على ما تقدم تقديره، فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها، ولتكون آية للمؤمنين. يعني: ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ما وهبكم الله يحصل مثله لهم. وقيل: لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول ﷺ في إخباره عن الغيوب، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ﴿**ويهديكم صراطاً مستقيماً**﴾ يعني ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقيناً بصلح الحديبية وفتح خيبر.

(ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق). عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذاناً كف عنهم. وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم. قال: فخرجنا إلى خيبر فلما انتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله ﷺ قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي ﷺ قال «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (م) عن سلمة بن الأركع قال: خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تـــالـلـــه لـــولا الله مـــا اهتـــدينـــا ولا تصـــدقنـــا ولا صلينـــا
ونحـــن عـــن فضلـــك مـــا استغنينـــا فثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا
وأنـزلن سكينـة علينـا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال: أنا عامر. قال: «غفر لك ربك» قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان

إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا غَزَا بِنَا قوماً لم يكن يغزو بِنَا حتى يصبح، وينظر إليهم فإن سمع أذاناً كفَّ عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم قال: فخرجنا إلى خيبر فانتهيا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وأن قدمي لتمسُّ قدم النبيّ ﷺ، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد والله محمد والخميس، فلجأوا إلى الحصن، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: «الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنا أبو علي الحنفي ثنا عبيد الله بن عبد المجيد ثنا عكرمة بن عمّار ثنا إياس بن سلمة حدّثني أبي قال: خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال فجعل عمّي عامر يرتجز بالقوم شعراً:

«تـــاللّهِ لـــولا اللّهِ مـــا اهـــتـــدينـــا ولا تـــصـــدّقـــنـــا ولا صـــلّيـــنـــا ونحنُ عن فضلك مـــا استـغـنـيـنـــا»
«فـــثـــبّـــت الأقـــدامَ إنْ لاقـــيـــنـــا وأنـــزلَـــنْ ســـكـــيـــنـــةً عـــلـــيـــنـــا إن الأُلـــى قـــد بـــغـــوا عـــلـــيـــنـــا»

فقال رسول الله ﷺ: «مَن هذا»؟ فقال: أنـا عامـر: «غفر لك ربك»، قال وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصّه إلاّ استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبيّ الله لولا متّعتنا بعامر، قال فلما قَدِمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

يخصه إلا استشهد. قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله لولا متعتنا بعامر. قال: فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قــد علمــت خيبــر أنــي مــرحــب   شــاكــي الســلاح بطــل مجــرب

إذا الحـروب أقبلت تلتهـب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قــد علمــت خيبــر أنــي عــامــر   شــاكــي الســلاح بطــل مغــامــر

قال: فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله بطل عمل عمي عامر قال رسول الله ﷺ: من قال ذلك؟ قلت: ناس من أصحابك. قال: كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين. ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ. فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية فخرج مرحب فقال:

قــد علمــت خيبــر أنــي مــرحــب   شــاكــي الســلاح بطــل مجــرب

إذا الحـروب أقبلت تلتهـب

فقال علي رضي الله عنه:

أنــا الــذي سمتنــي أمــي حيــدره   كليــث غــابــات كــريــه المنظــره

أوفيهم بالصاع كيـل السنـدره

«قـد علمتْ خيبـرُ أنّي مـرحبُ   شـاكي السـلاح بـطلٌ مجـرِّبُ   إذا الحـروب أقبلتْ تُلتهـبُ»

قال: وبرز له عمّي عامر فقال:

«قـد علمت خيبر أنّي عـامرُ   شاكي السلاح بـطلٌ مغامِرُ»

قال فاختلفا ضربتيـن فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، وكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطَلَ عملُ عامر قَتَلَ نفسَه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله بَطَلَ عملُ عامر قتل نفسه، قال رسول الله ﷺ: «مَن قال ذلك»؟ قلت: ناس من أصحابك، قال: «كذب مَن قال ذلك، بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى عليّ رضي الله عنه وهو أرمد، فقال: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فأتيتُ علياً رضي الله عنه فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

«قـد علمت خيبـر أني مـرحب   شـاكي السـلاح بـطلٌ مـجـرّب   إذا الحـروب أقبلت تـلتـهـبُ»

فقال عليّ رضي الله عنه:

«أنـا الـذي سَمّتني أُمي حيـدرة   كليث غـابـات كـريـه المنـظرة   أُوفِيْهم بـالصاع كيـل السنـدرة»

قال فضرب مرحباً فقتله ثم كان الفتح على يده. أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفاً منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون فيه «أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه، فدعا علياً فأعطاه الراية وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز، فخرج إليه علي بن أبي طالب، فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز، فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمة صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله؟ قال: ابنك يقتله إن شاء الله. ثم التقيا، فقتله الزبير. ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الأموال» قال محمد بن إسحاق: فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجراً فقتله ثم فتح حصن ابن أبي الحقيق فأصاب سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بها على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية، صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «اعزبوا عني هذه الشيطانة» وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمراً وقع في حجرها،

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه. وروى حديث خيبر سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رَايةَ رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَهُ ويحبّه الله ورسُوله يفتح الله على يديه، فدعا عليَّ بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال له: امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فأتي مدينة خيبر، فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز فبرز إليه عليٌ فضربه فقدّ الحجر والبيضة والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوّام، فقالت أُمه صفيّة بنت عبد المطّلب: أوَيُقتَل ابني يا رسول الله؟ قال: «لا بل ابنك يقتله إن شاء الله»، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية، ويحوز الأموال. قال محمد بن إسحاق: وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن سلمة ألقت عليه اليهود حجراً فقتله، ثم فتح العموص حصن ابن أبي الحقيق، فأصاب منه سبايا، منهم صفية بنت حيّ بن أخطب جاء بلال بها وبأخرى معها، فمرّ بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفيّة صاحت وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أعزبوا عنّي هذه الشيطانة»، وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه، وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما»، وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن القمر وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلاّ أنك تتمنّين ملك الحجاز محمداً فلطم وجهها لطمة اخضرّت عينها

فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها، فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها فسألها عن ذلك ما هو، فأخبرته الخبر، وأتى رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله، فجحد أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله: ﷺ إني رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك قال: نعم فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي، فأبى أن يؤديه إليه فأمر به رسول الله ﷺ إلى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يسأتصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة» (ق) عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني أنظر بياض فخذ النبي ﷺ، فلما دخل القرية قال: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثاً. قال: وخرج القوم إلى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش. قال: فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال: يا رسول الله ﷺ أعطني جارية من السبي. قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك قال: أدعوها فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها. فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق، جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل وأصبح النبي ﷺ عروساً فقال: من كان عنده شيء فليجيء به. وبسط نطعاً فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال:

منها، فأتى رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو، فأخبرته هذا الخبر وأتى رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضر فسأله فجحده أن يكون يعلم مكانه، فأتى رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ إني قَدْ رأيتُ كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك»؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحُفِرت فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤدّيه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوّام فقال: «عذّبه حتى تستأصل ما عنده»، فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فصلّينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب رسول الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمسّ فخذ نبيّ الله، ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبيّ الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، قالها ثلاثاً، قال وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد، قاله عبد العزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس يعني الجيش، قال: فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال: يانبيّ الله أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيـي، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيتَ دحية صفية بنت حيـي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلاّ لك، قال: «ادعوه بها» فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جارية من السبي غيرها»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها أعتقها فتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهّزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً، فقال: مَن كان عنده شيء فليجيء به، وبسط قطعاً فجعل الرجل يجيء بالتمر

وأحسبه ذكر السويق. قال: فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ» (ق). عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «أصابتنا مجاعة ليالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله ﷺ أن أكفئوا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيئاً». فقال أناس: نهى عنها لأنها لم تخمس وقال آخرون: إنما نهى عنها البتة (ق) عن أنس: «أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك. أو قال علي قالوا أنقلتها قال لا فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ».

قال محمد بن إسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم» (خ). عن عائشة قالت: «لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر» (ق) عن ابن عمر «أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وأن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين فأراد إخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله ﷺ أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها. حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء. قال محمد بن إسحاق: لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ويخلوا له الأموال ففعل بهم ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم على النصف ففعل على أن لنا إذا شئنا إخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله ﷺ، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن

وجعل الآخر يجيء بالسمن، قال: وأحسبه قد ذكر السويق، قال: فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا موسى بن إسماعيل ثنا عبد الواحد الشيباني قال: سمعت ابن أبي أوفى يقول أصابتنا مجاعة ليالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها، فلما غلت القدور نادَى منادي رسول الله ﷺ اكفؤوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئاً، قال عبد الله بن عباس: فقلنا إنما نهى النبي ﷺ عنها لأنها لم تخمّس، وقال آخرون: حرّمها البتّة، وسألت عنها سعيد بن جبير فقال: حرّمها البتّة. أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا يحيىٰ بن حبيب الحارثي أنا خالد بن الحارث ثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت أن أقتلك، قال: ما كان الله ليسلّطك على ذلك، أو قال عليّ، قال: قالوا ألَا تقتلها يا رسول الله؟ قال: لا وتجاوز عنها رسول الله ﷺ، قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. وقال محمد بن إسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوانٌ وجدتُ انقطاع أبهري من ذلك السمّ» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشّار أنا حرمي أنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت: لمّا فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر. أنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أحمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرني نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لمّا ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت

مشكم اليهودية شاة مصلية، يعني مشوية، وسألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فأخذها، فلاكَ منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها يعني ابتلعها وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم. ثم دعا بها فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ فقالت: بلغت من قومي ما لايخفى عليك فقلت إن كان ملكاً استرحنا منه وإن كان نبياً فسيخبرنا. فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه. فقال: يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري». فكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة.

عن عبيد الله بن سلمان أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: «لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال: يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحاً ما ربحه أحد من أهل هذا الوادي. قال: ويحك وما ربحت قال ما زلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية. فقال له رسول الله ﷺ: ألا أنبئك بخير ربح؟ قال: وما هو يا رسول الله قال: ركعتان بعد الصلاة» أخرجه أبو داود.

وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ يعني وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها ﴿قد أحاط الله بها﴾

الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفُوا العمل ولهم نصف التمر، فقال رسول الله ﷺ: «نقرّكم على ذلك ما شئنا» فأُقرّوا حتى أجلاهم عمر في أمارته إلى تيماء وأريحاء. قال محمد بن إسحاق: فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم ويحقن لهم دماءهم، ويخلّوا له الأموال، ففعل ثم إن أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف، ففعل على أنّا إذا شئنا أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصليّة، وقد سألت أيّ عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السمّ، وسمّمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخـذ رسول الله ﷺ، فـأما بشر فأساغها وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: «إن هذا العضو ليخبرني أنه مسموم»، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك»؟ قال: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استحرت منه، وإن كان نبياً فسيُخبَر عنها، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل، قال: ودخلت أُم بشر البراء على رسول الله ﷺ تعوده في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «يا أُم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخيبر مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري»، وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوّة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها ﴾، أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، ﴿ قد أحاط

يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، وقال ابن عباس: علم الله أن يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس: هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولاً لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الإسلام وعزه. وقيل: هي خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم. وقيل: هي مكة. وقيل: هو كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه إلى آخر الزمان ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ أي: من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أي أسد وغطفان وأهل خيبر ﴿لولّوا الأدبار﴾ أي لانهزموا عنكم ﴿ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾ يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ قوله عز وجل: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ سبب نزول هذه الآية ما روي عن أنس بن مالك: «أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي ﷺ وأصحابه؛ فأخذهم سبايا فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم» انفرد بإخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني: «كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله ﷺ: جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم».

ومعنى الآية، أن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان

الله بها﴾، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر وعَدَها الله نبيّه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها. وقال قتادة: هي مكة. وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم، **﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾**.

﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، **﴿لولّوا الأدبار﴾**، لانهزموا، **﴿ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾**.

﴿سُنّة الله التي قد خلت من قبل﴾، أي كسُنّة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، **﴿ولن تجد لسُنّة الله تبديلاً﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً﴾**، قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، واختلفوا في هؤلاء، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمر بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هارون أنا حمّاد بن أبي سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنهم: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي ﷺ وأصحابه، فأخذوا سبايا فاستحياهم، وأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: **﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾**، وقال عبد الله بن مغفل المزني: كنّا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، على ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره، وعليّ بن أبي

أعظم من الفتح وهو قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم﴾ يعني أيدي أهل مكة ﴿وأيديكم عنهم﴾ أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة ﴿ببطن مكة﴾ قيل: أراد به الحديبية. وقيل: التنعيم. وقيل: وادي مكة ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ قوله عز وجل:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾.

(ذكر صلح الحديبية)

روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: «خرج رسول الله ﷺ من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش. وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريباً من عسفان أتى عتبة الخزاعي. وقال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موتورين وإن نجوا تكن عنقاً قطعها الله أو ترون أن نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حرباً فمن صدنا عنه قاتلناه. فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما جئت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرباً فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: امضوا على اسم الله فنفذوا. قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش. وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس: حل حل. فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي ﷺ من

طالب بين يديهِ يكتب كتاب الصلح، فخرج علينا ثلاثون شابّاً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم نبيّ الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «جئتم في عهدٍ أو جعلَ لكم أحدٌ أماناً»؟ فقالوا: اللّهمَّ لا، فخلّى سبيلهم، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هم الذين كفروا وصدّوكم عن المسجد الحرام﴾، الآية. روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسوّر بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ من المدينة زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، يريدون زيارة البيت، لا يريدون قتالاً، وساق معه سبعين بدنةً، والناس سبعمائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر، فلما أتى ذا الحُلَيفة قلّد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط قريباً من عسفان، أتاه عتبة الخزاعي وقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس، أترون أن أميل على ذراعي هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوتكنّ عُنقاً قطعها الله أو ترون أن نؤمّ البيت فمَن صدنا عنه قاتلناه، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرباً، فتوجّه له فمَن صدّنا عنه قاتلناه، قال: «امضوا على اسم الله»، فنفذوا قال النبي ﷺ: إن خالد بن

خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال: والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضاً فلم يلبث الناس أن نزحوه. وشكا الناس إلى النبي ﷺ العطش، فنزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي ﷺ فنزل في البئر فغرزه في جوفه. فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ: إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر.

فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره. فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته. قال: سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفي، فقال: أي قوم، ألستم بالولد؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ؟ فلما ألحّوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها ودعوني آتية قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: يا محمد أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات أنحن نفرُّ عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو

الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ، فألحّت، فقالوا: خلأت القصوا خلأت القصوا، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصوا وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم إيّاها»، ثم زجرها فوثبت، قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتربصه الناس تربصاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكى الناس إلى النبي ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي ﷺ، فنزل في البئر فغرزه في جوفه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العود المطافيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنّا لم نجيء لقتال أحد ولكنّا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدّة ويخلّوا بيني وبين البيت، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلاّ قد جموا وإنْ همْ أبوْا فَوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذنّ الله أمره»، فقال بديل: سأُبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنّا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، قال: فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن

بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي ولم أجزك بها لأجبتك. قال وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنصل السيف. وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال: أي غدر ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة قد صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء.

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمر ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون في وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له فرجع عروة إلى أصحابه وقال: أي قوم. والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي. والله إن رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره.

وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له وقد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها فقال رجل من كنانة: دعوني آته. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ: وأصحابه قال رسول الله ﷺ هذا فلان من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعث له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدي يسيل إليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال: يا معشر

تخبرنا عنه بشيء، وقال ذَوُوا الرأي منهم هاتِ ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدّثهم بما قال النبي ﷺ، فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أيْ قومِ ألستُ بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أوَ لستم بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتّهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرتُ أهل عكاظ، فلما بلحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومَن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال عروة: عند ذلك يا محمد أرأيتَ إن استأصلتَ أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لا أرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك، فقال له أبو بكر الصديق: امصصْ بظرَ اللات، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ فقال: مَن ذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أمَا والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتُك، قال وجعل يكلّم النبي ﷺ، وكلّما كلّمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال أخرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: مَن هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أيْ غَدَرَ السِّتّ أسعى في غدرتك، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلستُ منه في شيء»، ثم إنّ عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أيْ قومِ والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه

قريش إني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له: اجلس فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك. فغضب الحليس عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحبيش نفرة رجل واحد. فقالوا: مه كفَّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته. فقال: ائته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ: قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات أكتب بيننا وبينكم كتاباً فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ لعلي: اكتب باسمك اللهم. ثم قال له: اكتب هذا ما قضى عليه محمد رسول الله ﷺ: فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله. قال الزهري وذلك لقوله ﷺ لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض. فقال النبي ﷺ: وعلي أن يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل: والله لأتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلي أن لا يأتيك منا رجلاً وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. فقال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين من جاء مسلماً.

وروي عن البراء قصة الصلح وفيها قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله

مايعظم أصحاب محمد محمداً، والله إنْ تنخّم نخامة إلّا وقعت في كفّ رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظرة تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظّمون البدن، فابعثوها له» فبُعِثَت له واستقبله الناس يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت؟ فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألّهون فابعثوا بالهدي في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما لا يحلّ صدّ الهدي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه، فقالوا له: اجلس إنما أنت رجل أعرابي لا علم لك، فغضبَ الحليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أن تصدّوا عن بيت الله مَن جاءه معظّماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مَهْ كفّ عنّا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقال: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلّم النبي ﷺ فبينما هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو، وقال عكرمة فلما رآه النبي ﷺ قال: قد سهل لكم من أمركم، قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتبْ بيننا وبينكم كتاباً، فدعى رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي

قال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي: امح رسول الله. قال: لا والله لا أمحوك أبداً قال: فأرنيه، فأراه إياه فمحاه النبي ﷺ بيده. وفي رواية، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء: على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاه من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بجلباب السلاح السيف والقوس ونحوه.

وروى ثابت عن أنس أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فاشترطوا أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

(رجعنا إلى حديث الزهري)

قال بينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا: يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: فأجره لي. قال: ما أنا بمجيره لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش. فقال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما لقيت، وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً، وفي الحديث، أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك في المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وإنا لا نغدر، فوثب عمر إلى جنب أبي جندل وجعل يقول: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدني السيف منه.

قال عمر: ورجوت أن يأخذ السيف فيضربه به فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب النبي ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك، دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شرّاً إلى ما بهم.

الله عنه فقال له: «اكتبْ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ باسمك اللّهمَّ كما كنت تكتب»، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ لعلي: «اكتبْ باسمك اللّهمَّ»، ثم قال: «اكتب هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني، اكتبْ يا علي محمدُ بن عبد الله»، قال الزهري: وذلك لقوله لا يسألون خطة يعظمون فيها حُرمات الله إلّا أعطيتهم إيّاها، فكتب: هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيه الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، فقال له النبي ﷺ: «وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدّث العرب إنّا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلّا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ وروى أبو إسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا: لو نعلم إنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله»، ثم قال لعليّ رضي الله عنه: «امحُ رسول الله»، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: «فأرنيه» فأراه إيّاها، فمحاه النبي ﷺ بيده وفي رواية فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يُحسِن أن يكتب، فكتب هذا ما قضى محمد بن

قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور وروى أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي ﷺ؛ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلنا: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلى. قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار. قال: بلى. قلت: فلم نعط الدنية في ديننا إذا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أولست كنت تحدثنا إنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه وتطوف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنه سيأتي البيت ويطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنه آتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك تأتيه وتطوف به. قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، فلما فرغ من قضية الكتاب. قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام النبي ﷺ فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. قالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنة ودعا حالقاً فحلقه، فلما رأوا ذلك، قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلقين. قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: يرحم المحلقين. قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال: يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا: يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين. قال: لأنهم لم يشكوا.

قال ابن عمر: وذلك أنه تربص قوم وقالوا: لعلنا نطوف بالبيت.

قال ابن عباس: وأهدي رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك. قال الزهري في حديثه: ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات**﴾حتى بلغ ﴿**بعصم الكوافر**﴾ فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن

عبد الله، قال البراء: صالح على ثلاثة أشياء على أن مَن أتاه من المشركين ردّه إليهم، ومَن أتاهم من المسلمين لم يردّوه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلاّ بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه. وروى ثابت عن أنس: أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فاشترطوا: أن مَن جاءنا منكم لم نردّه عليكم، ومَن جاءكم منّا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: «نعم إنه مَن ذهب منّا إليهم فأبعده الله، ومَن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»، رجعنا إلى حديث الزهري قال: فبينما هم كذلك إذا جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أُقاضيك عليه أن تردّه إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنّا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذاً لا أُصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: «فأجِزْهُ لي»، فقال: فما أنا بمجيره لك، قال: «بلى فافعلْ»، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهل يجرّه ليردّه إلى قريش، قال أبو جندل: أيْ معشر المسلمين أُرَدّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذّب عذاباً شديداً في الله، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا جندل احتسبْ فإن الله جاعلٌ لك ولمَن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وإنّا لا نغدر» فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل، فقال: اصبر فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدني قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به إيّاه فضنّ الرجل بأبيه، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ

أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية قال: فنهاهم أن يردوا النساء وأمرهم أن يردوا الصداق. قال: ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم؛ وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا في طلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله ﷺ وقالا: العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله ﷺ يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة نزلوا يأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيد، فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأخذه، منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً. فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: ويلك ما لك؟ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم فأنجاني الله تعالى منهم فقال النبي ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد.

فلما سمع ذلك، عرف أن يرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم إليه فانفلت أبو جندل فلحق بأبي بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسلت إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل إليهم النبي ﷺ فقدموا إليه المدينة وأنزل الله عز وجل: ﴿**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم**﴾ حتى بلغ ﴿**حمية الجاهلية**﴾ وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخاري بطوله سوى ألفاظ منه وهي مستثناة في الحديث. منها قوله: فنزع سهماً من كنانته، وأعطاه رجلاً من أصحابه، إلى قوله: فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة إلى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، إلى قوله: وعليّ أن يخلوا بيننا وبين البيت. ومنها قوله: وروي عن البراء قصة الصلح، إلى قوله: رجعنا إلى حديث الزهري. ومنها قوله: وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا جندل، إلى قوله: قال عمر فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله حقاً؟ ومنها قوله: قال ابن عمر وابن عباس، إلى قوله: وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الألفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه.

خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناسَ أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمرُ أبي جندل شرّاً إلى ما بهم، قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذ، قال الزهري في حديثه عن عروة عن مروان والمثور، ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت النبيَّ ﷺ، فقلت: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلتُ: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نُعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولستُ أعصيه وهو ناصري»، قلت: أوَ ليس كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتُكَ أنّا نأتيه العام»؟ قلتُ: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبيَّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلتُ: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلتُ: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلتُ: فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ليس يعصي ربَّه وهو ناصره،

(شرح غريب ألفاظ الحديث)

قوله: بضع عشرة، البضع: في العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة إلى التسعة. وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة. قوله: وبعث عيناً له أي جاسوساً. قوله: وقد جمعوا لك الأحابيش: هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً. وقيل: هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له: حبش فسموا بذلك. وقيل: هو اسم واد بأسفل مكة. وقيل: سموا بذلك لتجمعهم. والتحبيش: التجمع. قوله: فإن قعدوا قعدوا موتورين، أي منقوصين. قوله: فنفذوا: أي مضوا وتخلصوا. قوله: إن خالد بن الوليد بالغميم، اسم موضع ومنه كراع الغميم. وقوله: طليعة الطليعة، الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو. قوله: وقترة الجيش: هو الغبار الساطع معه سواد. قوله: يركض نذير، النذير: الذي يعلم القوم بالأمر الحادث. قوله: حلَ حل: هو زجر للناقة. قوله خلأت القصوا: يعني أنها لما توقفت عن المشي وتقهقرت ظنوا ذلك خللاً في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي ﷺ: ما خلأت أي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل، أي منعها عن المسير. والذي منع الفيل عن مكة هو الله تعالى والقصوا اسم ناقة النبي ﷺ ولم تكن قصوا وهو شق الأذن. قوله: خطة، أي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه. قوله: حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها، وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. وقال ما لك: هي من الحرم. وقال ابن القصار: بعضها من الحل حكاه في المطالع. والثمد: الماء القليل الذي لا مادة له. والتربض: أخذ الشيء قليلاً قليلاً. وقوله: فما زال يجيش بالري، يقال: جاشت البئر بالماء إذا ارتفعت وفاضت. والري ضد العطش، والصد الرجوع بعد الورود. وقوله: وكانت خزاعة عيبة، نصح رسول الله ﷺ يقال فلان عيبة نصح فلان إذا كان موضع سره وثقته في ذلك. قوله: نزلوا على أعداد مياه الحديبية، الماء العد: الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد. قوله: ومعهم العوذ المطافيل، العوذ: جمع عائذ وهي الناقة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها، وقيل: هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت. والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة معها

فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قلتُ: أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أَفَأَخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنك آتيه وتطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أُم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أُم سلمة يا نبيّ الله أتحبّ ذلك؟ اخرجْ ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضاً غمّاً وحزناً، قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: والمقصّرين؟ قال: «يرحم الله المحلّقين»، قالوا: يا رسول الله والمقصّرين؟ قال: «والمقصّرين»، قالوا: يا رسول الله فلِمَ ظاهرت الترحّم للمحلّقين دون المقصرين؟ قال: «لأنهم لم يشكّوا»، قال ابن عمر: وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلّنا نطوف بالبيت، قال ابن عباس: وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برّة من فضة ليغيظ المشركين بذلك، وقال الزهري في حديثه: ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾، حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فطلّق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوّج

فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم أن معهم النساء والصبيان. قوله: وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب أي، أضرت بهم وأثَّرت فيهم. وقوله: ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة. قوله: وإلا فقد جموا، أي: استراحوا. والجمام: بالجيم الراحة بعد التعب. قوله: تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق. وقيل: السالفة حبل العنق وهو ما بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لأنها لا تنفرد عنه إلا بالموت. قوله: إني استنفرت، يقال: استنفر القوم إذا دعاهم إلى قتال العدو، وعكاظ: اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة. وقوله: بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح: الإعياء والفتور. والمراد: امتناعهم من إجابته وتقاعدهم عنه. قوله: استأصلت قومك. واجتاح: أصله من الاجتياح إيقاع المكروه بالإنسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الأذى. قوله: إني لأرى وجوهاً وأشواباً: الأشواب، مثل الأوباش وهم الأخلاط من الناس والرعاع. يقال: فلان خليق بذلك أي جدير لا يبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهي اسم صنم لهم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج المرأة وكان هذا اللفظ شتماً لهم يدور في ألسنتهم.

قوله: لولا يدلك عندي اليد النعمة وما يمتن به الإنسان على غيره. قوله: أي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة. وقوله: قد عرض عليكم خطة رشد، يقال: خطة رشد وخطة غيّ. والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه أنه قد طلب منكم طريقاً واضحاً في هدى واستقامة. قوله: وهو من قوم يعظمون البدن أي الإبل تُهدى إلى البيت في حج أو عمرة، وتقليدها: هو أن يجعل في رقابها شيء كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك أنه هدى. والإشعار: هو أن يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي أي جانبه. وقوله: هذا مكرز وهو رجل فاجر. الفجور: الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور. قوله: هذا ما قاضى عليه، أي فاعل من القضاء وهو إحكام الأمر وإمضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها إلى

أحدهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أُميّة، قال: فنهاهم أن يردّوا النساء، وأمر بردّ الصداق، قال: ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد، رجل من قريش وهو مسلم، وكان ممّن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا في طلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولىً لهم، فقدِمَا على رسول الله ﷺ، وقالا: العهد الذي جعلت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصحّ في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ولمَن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً»، ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستلّه الآخر من غمده، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جرّبت به ثم جرّبت به، فقال أبو بصير: وأرني أنظر إليه، فأخذوه وعلا به فضربه حتى برد، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ، قال: ويلك مَا لَكَ؟ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيّ الله قدْ والله أوفَى الله ذمّتَك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: «ويلُ أمه مسعر حرب، لو كان معه أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وبلغ المسلمين الذين احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد»، فخرج عصابة منهم إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلاّ اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لَما أرسل إليهم، فمَن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقَدِموا عليه بالمدينة، فأنزل الله

انقضاء الشيء وإتمامه. قوله: ضغطة، هو كناية عن القهر والضيق. قوله: بجلباب السلاح، بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام أيضاً مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغموداً ويعلق في مؤخرة الرحل. قوله: يرسُف بضم السين وكسرها لغتان، وهو: مشي المقيد. قوله: فأجره لي. قال ابن الأثير: يجوز أن يكون بالزاي من الإجازة أي اجعله جائزاً غير ممنوع ولا محرم أو أطلقه لي وإن كان بالراء المهملة فهو من الإجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضوع.

قوله: فلم نعطى الدنية، أي القضية التي لا نرضى بها أي لم نرض بالأدون والأقل في ديننا؟ قوله: فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى: فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فإنه على الحق الذي لا يجوز لأحد تركه. قوله: ويل أمه، هذه كلمة تقال للوافع فيما يكره ويتعجب بها أيضاً، ومسعر الحرب أي موقدها. يقال: سعرت النار وأسعرتها إذا أوقدتها. والمسعر: الخشب الذي توقد به النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل:

﴿**هم الذين كفروا**﴾، يعني كفار مكة، ﴿**وصدوكم**﴾ أي منعوكم ﴿**عن المسجد الحرام**﴾ أن تطوفوا به ﴿**والهدي**﴾ أي وصدوا الهدي وهو البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة ﴿**معكوفاً**﴾ أي محبوساً ﴿**أن يبلغ محله**﴾ أي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ﴿**ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات**﴾ يعني المستضعفين بمكة ﴿**لم تعلموهم**﴾ أي لم تعرفوهم ﴿**أن تطؤوهم**﴾ أي بالقتل وتوقعوا بهم ﴿**فتصيبكم منهم معرة بغير علم**﴾ أي إثم وقيل: غرم الدية، وقيل: كفارة قتل الخطأ، لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية. وقيل: هو أن المشركين يعتبونكم ويقولون: قتلوا أهل دينهم.

والمعرة: المشقة يقول: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لأذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب ﴿**فيدخل الله في رحمته من يشاء**﴾ أي في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح وقيل دخولها﴿**لو تزيلوا**﴾ أي لو تميزوا المؤمنين من

تعالى: ﴿ **وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾ حتى بلغ ﴿ **حمية الجاهلية** ﴾، وكانت حميّتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ الله ﷺ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت قال الله تعالى: ﴿ **هم الذين كفروا** ﴾، يعني كفّار مكة، ﴿ **وصدّوكم عن المسجد الحرام** ﴾، أن تطوفوا به، ﴿ **والهدي** ﴾، أي وصدّوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿**معكوفاً**﴾، محبوساً، يقال: عكفته عكفاً إذا حبستُه وعكوفاً لازم، كما يقال: رجع رجعاً ورجوعاً، ﴿**أنْ يبلغَ محله** ﴾، منحره وحيث يحلّ نحره يعني الحرم، ﴿ **ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات** ﴾، يعني المستضعفين بمكة، ﴿ **لم تعلموهم** ﴾، لم تعرفوهم، ﴿ **أنْ تطأوهم** ﴾، بالقتال وتوقعوا بهم، ﴿**فتصيبكم منهم معرّة بغير علم**﴾، قال ابن زيد: معرّة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الديّة. وقيل: الكفّارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفّارة دون الديّة، فقال: ﴿ فإن كان من قوم عدوٍّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ [النساء: ٩٢]، وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرّة المشقّة، يقول: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بهم كفّارة أو يلحقكم سبّة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿ **ليدخل الله في رحمته مَن يشاء** ﴾، فاللام في ليدخل متعلق بمحذوفٍ دلَّ عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام مَن يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿ **لو تزيلوا** ﴾، لو تميزوا يعنى المؤمنين من الكفّار، ﴿ **لعذّبنا الذين كفروا**

الكفار ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾ أي بالسبي والقتل بأيديكم وقيل: لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال. والثاني: لو تزيلوا. ثم قال: ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي في جنته. قال قتادة: في الآية إن الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية﴾ أي الأنفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله. وقيل: قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتحدث العرب أنهم دخلوا علينا رغماً منا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فكانت هذه ﴿حمية الجاهلية﴾ التي دخلت قلوبهم ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ أي: حتى لا يدخلهم ما دخلهم في الحمية فيعصون الله في قتالهم ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾.

قال ابن عباس: «كلمة التقوى لا إله إلا الله» وأخرجه الترمذي. وقال: حديث غريب. وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وكانوا أحق بها﴾ أي من كفار

منهم عذاباً أليماً ﴾، بالسبي والقتل بأيديكم، وقال بعض أهل العلم: لعذّبنا جواب لكلامين أحدهما: ﴿ **لولا رجال** ﴾، والثاني: ﴿ **لو تزيلوا** ﴾، ثم قال: ﴿ **لِيُدخل الله في رحمته مَن يشاء** ﴾، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: ﴿ **في رحمته** ﴾، أي جنّته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفّار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

﴿ **إذْ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميةَ** ﴾، حين صدّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمداً رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدّث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللاّت والعُزّى لا يدخلونها علينا، فهذه ﴿ **حميّة الجاهلية** ﴾، التي دخلت قلوبهم، ﴿ **فأنزل الله سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين** ﴾، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحميّة فيعصوا الله في قتالهم، ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى** ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والضحّاك وقتادة وعكرمة والسدي وابن زيد وأكثر المفسّرين: كلمة التقوى «لا إله إلاّ الله». ورُوِيَ عن أُبيّ بن كعب مرفوعاً وقال علي وابن عمر: كلمة التقوى لا إله إلاّ الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ **وكانوا أحقّ بها** ﴾، من كفّار مكة، ﴿ **وأهلها** ﴾، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيّه أهل الخير، ﴿ **وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾.

مكة ﴿وأهلها﴾ أي كانوا أهلها في علم الله، لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد ﷺ أهل الخير والصلاح ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير.

قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقوا رؤوسهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، شق عليهم ذلك وقال المنافقون: أين رؤياه التي رآها؟ فأنزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل.

وروي عن مجمع بن حارثة الأنصاري قال: «شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم: ما بال الناس؟ قال: أوحي إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نرجف فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» فقال عمر: أهو فتح يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده» ففيه دليل على أن المراد من الفتح هو صلح الحديبية، وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل. وقوله: لقد صدق الله ورسوله الرؤيا **بالحق**، أخبر أن الرؤيا التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أي الذي رآه حق وصدق وقيل: يجوز أن يكون بالحق قسماً لأن الحق من أسماء الله تعالى أو قسماً بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ وقيل: لتدخلن من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل أن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك ﴿إن شاء الله آمنين﴾ قيل: إنما استثنى مع علمه بدخوله تعليماً لعباده الأدب وتأكيداً لقوله: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله» وقيل: إن بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله. وقيل: لما لم يقع الدخول في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال: لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وإرادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى، وقيل: الاستثناء واقع على إلا من لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» مع أنه لا يشك في

﴿**لقد صَدقَ اللَّهُ رسولَهُ الرؤيا بالحقِّ لتدخلنّ المسجدَ الحرام إنْ شاء الله آمِنين**﴾، وذلك أنّ النبي ﷺ أُرِيَ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحبّوا أنهم دخلوا مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شقّ عليهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية. ورُوِيَ عن مجمع بن حارثة الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزّون الأباعر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أُوحي إلى رسول الله ﷺ، قال فخرجنا نرجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ﴾ [الفتح: ١]، فقال عمر: أوَ فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده»، ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقّق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جلّ ذكره: ﴿ **لقد صَدَقَ اللَّهُ رسولَه الرؤيا بالحق** ﴾، أخبر أن الرؤية التي أراها إيّاه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدقٌ وحقٌّ. قوله: ﴿ لتدخلنّ ﴾ يعني وقال: لتدخلنّ. وقال ابن كيسان: لتدخلنّ من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدّباً بآداب الله، حيث قال له: ﴿ ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله ﴾ [الكهف: ٢٣]. وقال أبو عبيدة: (إن) بمعنى إذْ مجازه: إذْ شاء الله، كقوله: ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة: ٩١]، وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: لتدخلنّ المسجد

الموت ﴿محلقين رؤوسكم﴾ أي كلها ﴿ومقصرين﴾ أي تأخذون بعض شعوركم ﴿لا تخافون﴾ أي من عدو في رجوعكم لأن قوله آمنين في حال الإحرام لأنه لا قتال فيه. وقوله: لا تخافون يرجع إلى كمال الأمن بعد الإحرام في حال الرجوع ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ يعني علم أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سبباً لوطء المؤمنين والمؤمنات. وقيل: علم أن دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم أنه في السنة الأولى ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي من قبل دخولكم الحرم ﴿فتحاً قريباً﴾ يعني صلح الحديبية قاله الأكثرون. وقيل: هو فتح خيبر قوله عز وجل:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ هذا البيان صدق الرؤيا وذلك أن الله تعالى لا يرى رسوله ﷺ ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سبباً للضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» وبقوله «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق» وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أي يعليه ويقويه على الأديان كلها فتصير الأديان كلها دونه ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ أي في أنه رسول الله ﷺ وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك أنهم تأذوا من قول الكفار لو نعلم أنه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى: وكفى بالله شهيداً. أي: في أنه رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ أي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله. قال ابن عباس: شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال ﴿والذين معه﴾ يعني أصحابه المؤمنين ﴿أشداء على الكفار﴾ أي غلاظ أقوياء كالأسَد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة ﴿رحماء بينهم﴾ أي: متعاطفون متوادّون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد. كما قال في حقهم: «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»

الحرام كلّكم إن شاء الله، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»، فالاستثناء راجع إلى اللحوق بأهل لا إلّه إلّا الله لا إلى الموت. ﴿ **محلّقين رؤوسكم** ﴾، كلها، ﴿ **ومقصّرين** ﴾، يأخذ بعض شعورها، ﴿ **لا تخافون فعلم ما لم تعلموا** ﴾، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: ﴿ **ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات** ﴾ الآية. ﴿ **فجعل من دون ذلك** ﴾، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام، ﴿ **فتحاً قريباً** ﴾، وهو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل: فتح خيبر.

﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لِيُظهِره على الدين كله وكفى بالله شهيداً** ﴾، على أنك نبي صادق صالح فيما تخبر.

﴿ **محمدٌ رسولُ الله** ﴾، تمّ الكلام ههنا، قاله ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدئاً: ﴿ **والذين معه** ﴾، قالوا: وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين، ﴿ **أشدّاءُ على الكفّار** ﴾، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة، ﴿ **رحماءُ بينهم** ﴾، متعاطفونَ متوادّون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما

﴿تراهم ركّعاً سجداً﴾ أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ﴿يبتغون﴾ أي يطلبون ﴿فضلاً من الله﴾ يعني الجنة ﴿ورضواناً﴾ أي أن يرضى عنهم. وفيه لطيفة وهو أن المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائي بعمله لا يبتغي له أجراً وذكر بعضهم في قوله: والذين معه يعني أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهما ركعاً سجداً علي بن أبي طالب يبتغون فضلاً من الله ورضواناً بقية الصحابة ﴿سيماهم﴾ أي علامتهم ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾ واختلفوا في هذه السيما على قولين: أحدهما: أن المراد في يوم القيامة قيل: هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية عن ابن عباس. وقيل: تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقيل: يبعثون غراً محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك. والقول الثاني: إن ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل. وقيل: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع.

قال ابن عباس: ليس بالذي ترون ولكنه سيما الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. والمعنى: أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفوة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك في رجلين أحدهما سهر الليل في الصلاة والعبادة والآخر في اللهو واللعب فإذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة. وقيل: هو أثر التراب على الجباه لأنهم كانوا يصلّون على التراب لا على الأثواب. قال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ يعني ذلك الذي ذكر صفتهم في التوراة وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم في الإنجيل فقال تعالى: ﴿ومثلهم﴾ أي صفتهم ﴿في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ أي إفراطه قبل فراخه. قيل: هو نبت فما خرج بعده شطؤه ﴿فآزره﴾ أي: قوّاه وأعانه

قال: ﴿أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿تراهم رُكّعاً سُجّداً﴾، أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها، ﴿يبتغون فضلاً من الله﴾، أن يدخلهم الجنة، ﴿ورضواناً﴾، أن يرضى عنهم، ﴿سيماهم﴾، أي علامتهم، ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾، اختلفوا في هذا السيما، فقال قوم: هو نورٌ وبياض في وجوههم يوم القيامة يُعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا. وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقال آخرون: هو السمت الحَسَن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال: ليس بالذي ترون لكنه سيم الإسلام وسجيّته وسِمته وخشوعه. وهو قول مجاهد: والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يُعرفون به. وقال الضحاك: هو صُفرة الوجه من السهر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى. قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجِباه. قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل مَن حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ذلك﴾، الذي ذكرت، ﴿مَثَلُهم﴾، صفتهم ﴿في التوراة﴾، ههنا تمّ الكلام ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: ﴿ومثلهم﴾، صفتهم، ﴿في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر: شطأه بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر، وأراد فراخه، يقال أشطأ الزرع فهو مشطىء، إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو شطؤه. وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. قوله: ﴿فآزره﴾، قرأ ابن عامر: ﴿فأزره﴾ بالقصر والباقون بالمدّ، أي قوّاه وأعانه وشدّ أزره، ﴿فاستغلظ﴾، ذلك الزرع، ﴿فاستوى﴾، أي تمّ وتلاحق نباته وقام، ﴿على سوقه﴾، أصوله، ﴿يُعجب الزراع﴾، أعجب ذلك زراعه، هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ لأصحاب محمد ﷺ في الإنجيل أنهم يكونون قليلاً، ثم يزدادون

وشد أزره ﴿**فاستغلظ**﴾ أي غلظ ذلك الزرع وقوي ﴿**فاستوى**﴾ أي تم وتلاحق نباته وقام ﴿**على سوقه**﴾ جمع ساق أي على أصوله ﴿**يعجب الزراع**﴾ أي يعجب ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد ﷺ مكتوب في الإنجيل أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ مكتوب في الإنجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد ﷺ والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل: الزرع هو محمد ﷺ شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ قيل: هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سراً بعد اليوم. وقيل: قوتهم وكثرتهم **ليغيظ** بهم الكفار. قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

(فصل في فضل أصحاب رسول الله ﷺ)

(ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ: «قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم» (م).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث». قوله: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو

ويكثرون. قال قتادة: مثل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقيل: الزرع محمد والشطء أصحابه والمؤمنون. ورُوِيَ عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ﴿ **أشدّاء على الكفّار** ﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ﴿ **رحماء بينهم** ﴾ عثمان بن عفّان رضي الله عنه، ﴿ **تراهم رُكّعاً سجّداً** ﴾ **عليّ بن أبي** طالب رضيَ الله عنه، ﴿ **يبتغون فضلاً من الله** ﴾ بقية العشرة المبشّرين بالجنة. وقيل: ﴿ **كمثل زرع** ﴾ محمد ﴿ **أخرج شطأه** ﴾ أبو بكر ﴿ **فآزره** ﴾ عمر﴿**فاستغلظ**﴾ عثمان للإسلام﴿ **فاستوى على سوقه** ﴾ عليّ بن أبي طالب استقام الإسلام بسيفه، ﴿**يعجب الزراع**﴾ قال: هم المؤمنون. ﴿ **ليغيظ بهم الكفّار** ﴾، قول عمر لأهل مكة بعدما أسلم: لا تعبدوا اللَّهَ سرّاً بعد اليوم. حدّثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاعي السرخسي إملاءً أنا أبو بكر عبد الله بن أحمد القفّال ثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندي ثنا شيخي أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف: أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعليّ في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». حدّثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن قاسم ثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي ثنا أحمد بن هاشم الأنطاكي ثنا قطبة بن العلاء ثنا سفيان الثّوري عن خالد الخزاعي عن أبي قلابة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أُبيّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أُمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، ورواه معمر عن قتادة مرسلاً وفيه: «وأقضاهم علي»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معلى بن أسد ثنا عبد العزيز المختار قال خالد بن الحذاء ثنا عن أبي عثمان قال حدّثني عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلتُ: أيُّ الناس أحبّ إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من

أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». أخرجه الترمذي.

وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال: هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمينّ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله؟ قال نعم» أخرجه الترمذي مفرقاً في موضعين، أحدهما: إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح، والآخر إلى أبي ذر (خ).

عن أنس أن رسول الله ﷺ صعد أحداً أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أحد أراه ضربه برجله فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».

عن ابن مسعود: «عن النبي ﷺ أنه قال: اقتدوا بالذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدى عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. (ق) عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه في جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من؟ قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً» عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالاً من ماله رحم الله عمراً ليقولن الحق وإن كان مراً تركه الحق

الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم مَنْ؟ قال: «عمر»، فعدّ رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم. أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نصر بن الحسين أنا علي بن أحمد بن منصور بن محمد بن الحسين بن شاذويه الطوسي بها قال ثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الأسدي ثنا يحيىٰ بن سلمة بن كهيل ثنا أبي عن أبيه عن سلمة عن أبي الزعراء عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وتمسكوا بعهد ابن أُمّ عبد». أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفّار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن أُحداً ارتجّ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعثمان، فقال النبي ﷺ: «اثبتْ أُحد ما عليك إلّا نبي أو صديق أو شهيد»، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ثنا أبو سعيد الأشج أنا وكيع ثنا الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي قال: عهد إليّ النبي ﷺ أنه لا يُحبُّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق. أخبرنا أبو المظفر التيمي أنا عبد الرحمن بن عثمان أنا خيثمة بن سليمان ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «مَن مات من أصحابي كان نورهم وقائدهم يوم القيامة قوله عزّ وجلّ: ﴿ ليغيظَ بهمُ الكفّار ﴾»، أي إنما كثرهم وقوّاهم ليكونوا غيظاً للكافرين. قال مالك بن أنس: مَن أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي ثنا أبو معمر بن الفضل بن إسماعيل أنا جدي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي أخبرني الهيثم بن خلف الدوري ثنا الفضل بن غسان بن المفضل العلائي ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا عتبة بن أبي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن معقل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله

وما له من صديق. رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة، رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. (م) عن زر بن حبيش قال: سمعت علياً يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق. عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من أحد يموت من أصحابي بأرض إلا بعثه الله قائداً ونوراً لهم يوم القيامة» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد روي عن أبي بريدة مرسلاً وهو أصح. (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فبغضبي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب.

قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم﴾ لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض. كقوله: فاجتنبوا الرجس من الأوثان، فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة. وقال ابن جرير: يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه ﴿مغفرة وأجراً عظيماً﴾ يعني الجنة. وقيل: إن المغفرة جزاء الإيمان فإن لكل مؤمن مغفرة والأجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمرداه.

في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فَمَن أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومَن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومَن أذاهم فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى الله فيوشك أن يأخذه»، حدّثنا أبو المظفر بن محمد بن أحمد بن حامد التميمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم أنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان ثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي القصّار بالكوفة أنا وكيع بن الجرّاح عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدهم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعرياني ثنا أبو محمد عبد الله بن عروة ثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إسكاف ثنا شبابة بن سوار ثنا فضيل بن مرزوق عن أبي خبّاب عن أبي سليم الهمداني عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ سرّك أن تكون من أهل الجنة فإن قوماً يتنحّلون حبّك يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم نبزهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون»، في إسناد هذا الحديث نظر. وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ﴾، قال ابن جرير: يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، وردّ الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه، ﴿ مغفرة وأجراً عظيماً ﴾، يعني الجنة. والله أعلم.



سورة الحجرات

(مدنية وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفاً).

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ من التقديم أي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلاً. وقيل: لا تقدموا فعلاً بين يدي الله ورسوله. والمعنى: لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما. وقيل: لا تجعلوا لأنفسكم تقدماً عند النبي ﷺ وفيه إشارة إلى احترام رسول الله ﷺ والانقياد لأوامره ونواهيه والمعنى: لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله ﷺ أو قبل أن يفعله. وقيل: لاتقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى أي: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ وذلك أن أناساً ذبحوا قبل النبي ﷺ فأمروا أن يعيدوا الذبح. (ق) عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء» زاد الترمذي في أوله: قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر وذكر الحديث.

وروي عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال: «من صام

سُوْرَة الحُجُرَات

مدنيّة وهي ثمان عشرة آية.

﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا تُقدّموا بين يدي الله ورسوله** ﴾، قرأ يعقوب: ﴿ **لا تقدّموا** ﴾ بفتح التاء والدال، من التقدّم أي لا تقدموا، وقرأ الآخرون بضمّ التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم بمعنى التقدّم، مثل بيّن وتبيّن، وقيل: هو متعدٍّ على ظاهره، والمفعول محذوف، أي: لا تقدّموا القول والفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول العرب: لا تقدّم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجّل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين اليدين الإمـام. والقدام: أي لا تقدّموا بين يدي أمرهما ونهيهما. واختلفوا في معناه، روى الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول الحسين، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يُعيدوا الذبح، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن زيد عن الشعبي عن البراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلّي، ثم نرجع فننحر، فمَن فعل ذلك فقد أصاب سُنّتنا، ومَن ذبح قبل أن نصلّي فإنما هو لحم عجّله لأهله ليس من النسك في شيء»، وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم

في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقيل في سبب نزول هذه الآية: ما روي عن عبد الله بن الزبير أنه قدم وفد من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة. وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخاري. وقيل: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون: لو نزل في كذا أو صنع كذا وكذا، فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتئتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. وقيل في القتال وشرائع الدين: لا تقضوا أمراً من دون الله ورسوله ﴿**واتقوا الله**﴾ أي في تضييع حقه بمخالفة أمره ﴿**إن الله سميع**﴾ أي لأقوالكم ﴿**عليم**﴾ أي بأفعالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ أي لا تجعلوا كلامكم مرتفعاً على كلام النبي ﷺ في الخطاب وذلك، لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام. وقوله: لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهي عن قول ﴿**ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض**﴾ أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ﴿**أن تحبط أعمالكم**﴾ أي لئلا تحبط. وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم ﴿**وأنتم لا تشعرون**﴾ أي بذلك. (ق) عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ الآية جلس ثابت بن

يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيّكم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي ملكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع معبد بن زرارة. وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردتَ إلاّ خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ حتى انقضت. ورواه نافع عن ابن عمر عن أبي مُليكة، قال فنزلت: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ إلى قوله: ﴿ **أجْر عظيم** ﴾، وزاد قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر عن أبيه يعني أبا بكر. وقال قتادة: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أُنزل في كذا، وصُنع في كذا وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد: لا تفتأوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله. ﴿ **واتقوا الله** ﴾، في تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿ **إن الله سميع** ﴾، لأقوالكم، ﴿ **عليم** ﴾، بأفعالكم.

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** ﴾، أمرهم أن يبجّلوه ويفخّموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضاً، ﴿ **أن تحبط أعمالكم** ﴾، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم، ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾، أخبرنا إسماعيل عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا الحسن بن موسى ثنا حمّاد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ **يا أيها**

قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكي؟ فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى. قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ بل هو من أهل الجنة.

زاد في رواية: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة مسلم وللبخاري نحوه. وروي لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون أنزلت فيّ وأنا رفيع الصوت على النبي ﷺ أخاف أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار. فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي فشدي على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار. وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله ﷺ فأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس. فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله ﷺ لا أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أبداً فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الآية. قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال: أف

الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «أبا عمر وما شأن ثابت أيشتكي»؟ فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى، قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»، ورُوِيَ أنه لمّا نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي، فمرّ به عاصم بن عدي فقال: ما يُبكيك يا ثابت؟ فقال: هذه الآية أتخوّف أن تكون نزلت فيّ وأنا رفيع الصوت أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ، وغلب ثابت البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبي سلول، فقال: إذا دخلت بيت فرسي فشدّي عليّ الضبة بمسمار، وقال: لا أخرج حتى يتوفّاني الله أو يرضى عنّي رسول الله ﷺ، فأتى عاصمٌ رسولَ الله ﷺ، فأخبره خبره فقال له: اذهب فادعه، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسرِ الضبّة فكسرها، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يُبكيك يا ثابت»؟ فقال: أنا صيّتٌ وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميداً وتُقتَل شهيداً وتدخل الجنة»؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ فأنزل الله:

﴿ إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله ﴾ الآية، قال أنس: فكنّا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذّاب رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة

لهؤلاء. ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجلاً من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من المعسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمته فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وأتِ أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ وقل له: إن علي ديناً حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فأخبر الرجل خالداً فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه. قال أبو هريرة وابن عباس: لما نزلت هذه الآية كان أبوبكر لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار. وقال ابن الزبير: لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فأنزل الله تعالى: **﴿إن الذين يغضون﴾** أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ أي إجلالاً له وتعظيماً **﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾** أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه **﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾** قوله عز وجل: **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾**. قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم، هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله ﷺ. فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله ﷺ قائماً في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ حجرة فعجلوا قبل أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا. حتى أيقظوه من نومه فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً. فقال لهم رسول الله ﷺ أترضوا أن يكون بيني وبينكم

منهم، فقال: أفٍّ لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنّا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قُتِلا، واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلان رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من المعسكر عند فرس يستَنّ به في طوله وقد وضع على درعي برمة فأتِ خالد بن الوليد وأخبره حتى يستردّ درعي وأتِ أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ وقلْ له إن عليّ ديناً حتى يقضيه عنّي، وفلان وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه والفرس على ما وصفه له، فاستردّ الدرع، وأخبر خالدٌ أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيّته، قال مالك بن أنس: لا أعلم وصيّةً أُجيزتْ بعد موت صاحبها إلّا هذه. قال أبو هريرة وابن عباس: لمّا نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلّم رسول الله ﷺ إلّا كأخي السرار. وقال ابن الزبير: لمّا نزلت هذه الاية ما حدّث عمر النبي ﷺ بعد ذلك فيسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته، فأنزل الله تعالى: **﴿ إن الذين يغضّون أصواتهم ﴾**، يخفضون **﴿ أصواتهم عند رسول الله ﴾** إجلالاً له، **﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾**، اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، **﴿ لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم ﴾**.

﴿ إنّ الذين يُنادونك من وراء الحجرات ﴾، قرأ العامّة بضمّ الجيم، وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع. قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سَريّة إلى بني العنبر وأمَّ عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجّه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة بن حصن وقَدِمَ بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، فقَدِموا وقت الظهيرة، ووافقوا رسول الله ﷺ قائماً في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون، وكان لكل امرأة من نساء رسول الله ﷺ حجرة، فعجّلوا قبل أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، ويصيحون حتى أيقظوه

سبرة بن عمرو وهو على دينكم؟ قالوا: نعم. قال سبرة: أنا لا أحكم إلا وعمي شاهد وهو الأعور بن بشامة، فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله ﷺ: قد رضيت. ففادى نصفهم، وأعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ وصفهم بالجهل وقلة العقل. وقيل في معنى الآية: أكثرهم إشارة إلى من يرجع منهم عن ذلك الأمر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الأكثر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾ فيه بيان لحسن الأدب وهو خلاف ما جاؤوا به من سوء الأدب وطلب العجلة في الخروج ﴿لكان خيراً لهم﴾ أي الصبر لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء. وقيل: لكان حسن الأدب في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ خيراً لهم: وقيل: نزلت الآية في ناس من أعراب تميم وكأن فيهم الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب. ويروى ذلك عن جابر قال: جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا: يا محمد اخرج علينا فإن مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله ﷺ: ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت، ولكن هاتوا. فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب رسول الله ﷺ: قم فأجبه. فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتاً فقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: أجبه. فأجابه فقام الأقرع بن حابس فقال: إن محمد المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعراً وقولاً ثم دنا من رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ما يضرك ما كان قبل هذا. ثم أعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم وقد كان تخلف في

من نومه، فخرج إليهم فقالوا: يا محمد فادِنا عيالنا، فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو، وهو على دينكم»؟ فقالوا: نعم، فقال سبرة: إني لا أحكم بينهم إلاّ وعمّي شاهد وهو الأعور بن بشامة، فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم، فقال رسول الله ﷺ: «قد رضيت»، ففادى نصفهم وأعتق نصفهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ **إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾، وصفهم بالجهل وقلّة العقل.

﴿ **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** ﴾، قال مقاتل: لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء، ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾، وقال قتادة: نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب. ويُروَى ذلك عن جابر قال: جاءت بنو تميم فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين، وذمّنا شين، فسمعها النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمّه شين»، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنُشاعِرَك ونُفاخرك، فقال النبي ﷺ: «ما بالشعر بُعثتُ ولا بالفخار أُمرتُ، ولكن هاتوا ما عندكم»، فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه، فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي ﷺ: «قم فأجبه»، فأجابه، وقام شاعرهم فذكر أبياتاً، فقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: «أجبه» فأجابه، فقام الأقرع بن حابس، فقال: إن محمداً لمؤتى له والله ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا، فكان خطيبهم أحسن من خطيبنا قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولاً، ثم دنا من النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إلّه إلاّ الله وأنك رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «ما يضرّك ما كان قبل هذا»، ثم أعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وكان قد تخلّف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنّه، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم، وأزرى

ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ فنزل فيهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ الآيات إلى قوله ﴿والله غفور رحيم﴾ أي لمن تاب منهم. وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى رسول الله ﷺ: وقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ وقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جنابه فجاؤوا فجعلوا ينادونه: يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآيات.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّـٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقاً وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك، فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد. فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق﴾ يعني الوليد بن عقبة.

به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم** ﴾ الآيات الأربع إلى قوله: ﴿ **غفور رحيم** ﴾، وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبيّاً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جنابه، فجاؤوا فجعلوا ينادونه، يا محمد يا محمد، فأنزل الله: ﴿ **إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج لكان خيراً لهم والله غفور رحيم** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا** ﴾، الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدّقاً وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقّوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدّي إليه ما قبلناه من حقّ الله عزّ وجلّ، فبدا له الرجوع، فخشينا أنه إنما ردّه من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنّا نعوذ

وقيل: هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه، لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك إلا أنه ظن وتوهم فأخطأ، فعلى هذا يكون معنى الآية: إن جاءكم فاسق بنبأ، أي بخبر، فتبينوا. وقرىء: فتثبتوا، أي: فتوقفوا واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ﴿**أن تصيبوا**﴾ أي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي ﴿**قوماً بجهالة**﴾ أي جاهلين حاله وحقيقة أمرهم ﴿**فتصبحوا على ما فعلتم**﴾ أي من إصابتكم بالخطأ ﴿**نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله**﴾ أي: فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو تكذبوه فإن الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا ﴿**لو يطيعكم**﴾ أي الرسول ﴿**في كثير من الأمر**﴾ أي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم ﴿**لعنتم**﴾ أي لأثمتم وهلكتم عن أبي سعيد الخدري «أنه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم قال: هذا نبيكم يوحى إليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا فكيف بكم اليوم» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان**﴾ أي جعله أحب الأديان إليكم ﴿**وزينه**﴾ أي حسنه وقربه منكم وأدخله ﴿**في قلوبكم**﴾ حتى اخترتموه لأن من أحب شيئاً إذا طال عليه قد يسأم منه والإيمان في كل يوم يزداد في القلب حسناً وثباتاً وبذلك تطيعون رسول الله ﷺ ﴿**وكره إليكم الكفر والفسوق**﴾ قال ابن عباس: يريد الكذب ﴿**والعصيان**﴾ جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة، وهو أن الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الأشياء في مقابلة الإيمان الكامل المزين في القلب المحبب إليه. والإيمان الكامل: ما اجتمع فيه ثلاثة أمور: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. فقوله: وكره إليكم الكفر في مقابله.

قوله: حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الإقرار باللسان فكره إلى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب إليه الإقرار بشهادة الحق والصدق وهو: لا إله إلا الله. والعصيان في مقابلة العمل بالأركان فكره إليه العصيان وحبب إليه العمل الصالح بالأركان ثم قال تعالى: ﴿**أولئك هم الراشدون**﴾ إشارة إلى المؤمنين المحبب إليهم الإيمان المزين في قلوبهم أي: أولئك هم المهتدون إلى محاسن الأعمال ومكارم الأخلاق ﴿**فضلاً من الله**﴾ أي فعل ذلك بكم فضلاً منه ﴿**ونعمة**﴾ عليكم ﴿**والله عليم**﴾ أي بكم وبما في قلوبكم ﴿**حكيم**﴾ في أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة إليه على وفق الحكم.

قوله عز وجل: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾. (ق) عن أنس قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن

بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتّهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه، وقال له: «انظر فإن رأيت منهم ما يدلّ على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تَرَ ذلك فاستعمل فيهم ما يُستعمل في الكفّار»، ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم ولم يرَ منهم إلاّ الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق ﴾ يعني الوليد بن عقبة، ﴿ بنبأ ﴾، بخبر، ﴿ فتبيّنوا أنْ تصيبوا ﴾، كي لا تصيبوا بالقتل والقتال، ﴿ قوماً ﴾، برآء، ﴿ بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾، من إصابتكم بالخطأ.

﴿ واعلموا أنّ فيكم رسول الله ﴾، فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً أو تكذّبوه، فإن الله يخبره ويعرّفه أحوالكم فتفتضحوا، ﴿ لو يطيعكم ﴾، أي الرسول، ﴿ في كثير من الأمر ﴾، مما تخبرونه به فيحكم برأيكم، ﴿ لعنتُّم ﴾، لأثمتم وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك. ﴿ ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان ﴾، فجعله أحبّ الأديان إليكم، ﴿ وزيّنه ﴾، حسّنه، ﴿ في قلوبكم ﴾، حتى اخترتموه، وتطيعوا رسول الله ﷺ. ﴿ وكرّه إليكم الكفر والفسوق ﴾، قال ابن عباس: يريد الكذب، ﴿ والعصيان ﴾، جميع معاصي الله، ثم عاد من الخطاب إلى الخبر،

أبيّ. فانطلق إليه النبي ﷺ فركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه، فتشاتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت فيهم: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.

ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ عليهم فأصلحوا وكف بعضهم عن بعض. (ق) عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبيّ. وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأصنام واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه ثم قال: لا تغيروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك. واستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي ﷺ دابته.

وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر: لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى أن يتبعه فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف. وقيل: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينهما وبين زوجها شيء فرقي بها إلى علية فحبسها فيها، فبلغ ذلك قومها فجاؤوا وجاء معه قومه، فاقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله عز وجل: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. وقيل: المراد من الطائفتين الأوس والخزرج. ﴿**فأصلحوا بينهما**﴾ أي بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما ﴿**فإن بغت**﴾ أي تعدت

وقال: ﴿ **أولئك هم الراشدون** ﴾، المهتدون.

﴿ **فضلاً** ﴾، أي كان هذا فضلاً، ﴿ **من الله ونعمة والله عليم حكيم** ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾، الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا مسدد ثنا معمر قال سمعت أبي يقول: إن أنساً قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيتَ عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاهم النبي ﷺ فقال: إليك عنّي والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما، فغضب لكلِّ واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنِعال، فبلغنا أنها نزلت: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾. ويُروَى أنها لمّا نزلت قرأها رسول الله ﷺ، فاصطلحوا وكفّ بعضهم عن بعض. وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مماراة في حقٍّ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنّ حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبيّ الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنِعال، ولم يكن بينهما قتال بالسيوف. وقال سفيان عن السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى عليّة وحبسها، فبلغ ذلك قومها فجاؤوا، وجاء قومه واقتتلوا بالأيدي والنِعال، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا

﴿إحداهما على الأخرى﴾ وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ أي ترجع ﴿إلى أمر الله﴾ أي إلى كتابه الذي جعله حكماً بين خلقه. وقيل: ترجع إلى طاعته في الصلح الذي أمر به ﴿فإن فاءت﴾ أي رجعت إلى الحق ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ أي الذي يحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله ﴿وأقسطوا﴾ أي اعدلوا ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ أي العادلين.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ أي في الدين والولاية ذلك أن الإيمان وقد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وإن بينهم ما بين الإخوة من النسب والإسلام لهم كالأب قال بعضهم:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه إذا افتخـــروا بقيـــس أو تميـــم

﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ أي إذا اختلفا واقتتلا ﴿واتقوا الله﴾ أي فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿لعلكم ترحمون﴾ (ق).

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله تعالى يوم القيامة» والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده.

(فصل في حكم قتال البغاة)

قال العلماء: في هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع

بينهما ﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما، ﴿ فإن بغت إحداهما ﴾، تعدّت إحداهما، ﴿ على الأخرى ﴾، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء ﴾، ترجع، ﴿ إلى أمر الله ﴾، في كتابه وحكمه، ﴿ فإن فاءت ﴾، رجعت إلى الحق، ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، ﴿ وأقسطوا ﴾، اعدلوا، ﴿ إن الله يحبّ المقسطين ﴾.

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾، في الدين والولاية، ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾. إذا اختلفا واقتتلا، قرأ يعقوب (بين إِخْوتكم) بالتاء على الجمع، ﴿ واتقوا الله ﴾، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، ﴿ لعلّكم ترحمون ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه، مَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرّج عن مسلم كُرْبةً فرّج الله بها عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومَن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»، وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يُزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى سمّاهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، يدلّ عليه ما رُوِيَ عن الحارث الأعور أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه سُئِل وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفّين: أمشركون هم؟ فقال: لَا مِنَ الشرك فرّوا، فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلًا، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. والباغي في الشرع هو الخارج على الإمام العدل، فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل، ونصبوا إماماً فالحكم فيهم أن يبعث الإمام إليهم ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمة وأصرّوا على بغيهم قاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته، ثم الحكم في

كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن أبي طالب، وهو القدوة في قتال أهل البغي، وقد سئل عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم؟ فقال: لا إنهم من الشرك فروا. فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. والباغي في الشرع: هو الخارج على الإمام العدل فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم إماماً فالحكم فيهم أن يبعث إليهم الإمام ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغي قاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته. ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي على يوم الجمل: ألا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح، وهو بذال معجمة، وهو الإجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه. وأتي علي يوم صفين بأسير فقال: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين. وما أتلفت إحدى الطائفتين على الأخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس إلى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالاً. أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة: بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم، أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إماماً، فلا يتعرض لهم إذا لم ينصبوا قتالاً ولم يتعرضوا للمسلمين فإن فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم.

وروي أن علياً سمع رجلاً يقول في ناحية المسجد: لا حكم إلا الله. فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل. لكم علينا ثلاثة: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بقتال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ الآية نزلت في ثلاثة أسباب: السبب الأول: من أولها إلى قوله خيراً منهم. قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته

قتالهم أن لا يتّبع مُدْبِرَهم ولا يقتل أسيرهم، ولا يذفف على جريحهم، نادى منادي عليّ رضي الله عنه يوم الجمل: ألا لا يُتّبع مدبّر ولا يُذفّف على جريح. وأُتِيَ عليّ رضي الله عنه يوم صفّين بأسير فقال له: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله ربّ العالمين. وما أتلفتْ إحدى الطائفتين على الأخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليها، قال ابن شهاب: كانت في تلك الفتنه دماء يُعرَف في بعضها القاتل والمقتول، وأتلف فيها أموال كثيرة ثم صار الناس إلى أن سكنت الحرب بينهم، وجرى الحكم عليهم فما علمتُه اقتصّ من أحد ولا أغرم مالاً أتلفه، أما مَن لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لا مِنّة لهم، أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إماماً فلا يتعرّض لهم إن لم ينصبوا قتالاً ولم يتعرّضوا للمسلمين، فإن فعلوا فهم كقطّاع الطريق. ورُوِيَ أن عليّاً سمع رجلاً يقول في ناحية المسجد: لا حكم إلّا لله، فقال عليّ: كلمة حق أُريدَ بها باطل، لكم علينا ثلاث لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بقتال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم ﴾، الآية قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أُذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى

ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة، أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلساً قام قائماً كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس ثم يقول: تفسحوا تفسحوا. فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال: تفسح. فقال له الرجل: أصبت مجلساً فاجلس. فجلس ثابت خلفه مغضباً، فلما أنجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال: من هذا؟ قال أنا فلان. قال له ثابت: ابن فلانة وذكر أماً له كان يعيَّر بها في الجاهلية. فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله هذه الآية.

وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم. أي: لا يستهزىء غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى: ﴿**عسى أن يكونوا خيراً منهم**﴾ السبب الثاني قوله: ﴿**ولا نساء من نساء**﴾ أي لا يستهزىء نساء من نساء ﴿**عسى أن يكنَّ خيراً منهن**﴾ روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. وعن ابن عباس: «أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي ﷺ: يهودية بنت يهوديين. عن أنس: بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي ﷺ إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال: اتقي الله يا حفصة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

والسبب الثالث قوله تعالى: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**﴾ عن أبي جبيرة بن الضحاك وهو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة «قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ﴿**ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾» أخرجه أبو داود وفي الترمذي قال «كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ﴿**ولا تنابزوا بالألقاب**﴾.» قال الترمذي: حديث حسن. قوله تعالى: ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعيب بعضكم بعضاً ولا يطعن بعضكم في بعض. والمراد بالأنفس،

جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم، فضنّ كل رجل بمجلسه فلا يكاد يُوسّع أحدٌ لأحد، فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلساً يجلس فيه قام قائماً كما هو، فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطّى رِقاب الناس، ويقول: تفسّحوا تفسّحوا، فجعلوا يتفسّحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له الرجل تفسّح، فقال له قد أصبت مجلساً فاجلس، فجلس ثابت خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل، فقال: مَن هذا؟ قال: أنا فلان، فقال له ثابت: ابن فلانة، وذكر أُمّاً له كان يعيّر بها في الجاهلية، فنكّس الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم، كانوا يستهزؤون بفقراء أصحاب النبي ﷺ مثل عمّار وخبّاب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخرْ قومٌ من قوم ﴾ أي رجال من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختصّ بجمع الرجال، ﴿ عسى أنْ يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ ﴾، رُوِيَ عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله ﷺ حين عيّرن أم سلمة بالقصر. وعن عكرمة عن ابن عباس: أنها نزلت في صفيّة بنت حُيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين. ﴿ ولا تلمزوا

الإخوان هنا. والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم، فإذا عاب عائب أحداً بعيب، فكأنه عاب نفسه. وقيل: لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره فيكون حاملاً لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تدعوا الإنسان بغير ما سمي به. وقال ابن عباس: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله. وقيل: هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر. قيل: كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه: يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك. وقيل: هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير. وقال بعض العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذماً له، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمداً ومدحاً تكون حقاً وصدقاً فلا يكره كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: الفاروق، ولعثمان: ذو النورين ولعلي: أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك ﴿**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾ أي بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ﴿**ومن لم يتب**﴾ أي من ذلك كله ﴿**فأولئك هم الظالمون**﴾ أي: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم. وقيل: ظلموا الذين قالوا لهم ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن**﴾ قيل: نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيىء شيئاً لهما فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً. قال: لا غلبتني عيناي فنمت قالا له: انطلق

أنفسكم ﴾، أي لا يعب بعضكم بعضاً، ولا يطعن بعضكم على بعض، **﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾**، التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمّي به. قال عكرمة: وهو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر. وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنُهوا عـــن ذلك. قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير. ورُوِيَ عن ابن عباس قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنُهِيَ أن يُعيّر بما سلف عن عمله، **﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾**، أي بئس الاسم أن يقول يا يهودي أو يا فاسق بعدما آمن وتاب، وقيل معناه: إن مَن فعل ما نُهِي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقّوا اسم الفسوق، **﴿ ومَن لم يتبْ ﴾**، من ذلك، **﴿ فأُولئك هم الظالمون ﴾**.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾، قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضمّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما، ويتقدّم لهما إلى المنزل فيهيىء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضمّ سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدّم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيّىء لهما شيئاً، فلما قَدِمَا قالا له: ما صنعتَ شيئاً؟ قال: لا غلبتني عيناي، قالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال له رسول

إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاماً فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً فقال رسول الله ﷺ انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له: إن كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة طعام ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع قالا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً. قال: ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن يعني أن يظن بأهل الخير سوءاً فنهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شراً وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يريد به سوءاً أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً فيراه أخوه المسلم فيظن شراً لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهياً أو يكون الرائي مخطئاً فأما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم ﴿**إن بعض الظن إثم**﴾. قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما: إثم، وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به. وقيل: الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب إليه وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالأخ المسلم ﴿**ولا تجسسوا**﴾ أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى يظهر على ما ستره الله منها (ق).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير إلى صدره التقوى هاهنا.

التقوى هاهنا بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن

الله ﷺ: «انطلق إلى أُسامة بن زيد وقلْ له إن كان عند فضل من طعام وإدام فليعطك»، وكان أُسامة خازن رسول الله ﷺ على رَحْله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما وأخبرهما، فقالا: كان عند أُسامة طعاماً ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالا: لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أُسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ، فلما جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما»، قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: «بل ظللتم تأكلون لحم سلمان وأُسامة»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبو كثيراً من الظن ﴾، وأراد أن يظن بأهل الخير شرّاً، ﴿ إنّ بعض الظن إثم ﴾، قال سفيان الثّوري: الظن ظنّان أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. ﴿ ولا تجسّسوا ﴾، التجسّس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبّع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا، ولا تناجشوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً». أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي أنا عبد الله بن ناحية ثنا يحيىٰ بن أكثم أنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن

الأمور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع إلى حديث الغير. وقيل: معناهما واحد وهو طلب الأخبار. وقوله: ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها. قوله: ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره.

عن ابن عمر قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عن عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله». قال نافع: ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك. والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن غريب عن زيد بن وهب. قال: أتى ابن مسعود فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً. فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر إلينا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة» (م) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة».

قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ أي لا يتناول بعضكم بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أتدرون ما الغيبة؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وإن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه قد بهته». أخرجه مسلم عن عائشة قالت: «قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له إنساناً فقال ما أحب أني حكيت إنساناً وإن لي كذا وكذا» أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح، قوله: لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة.

قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ قال مجاهد: لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل

واقد عن أبي أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «يا معشر مَن آمن بلسانه ولم يفضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه مَن تبعِ عورات المسلمين، يتتبّع الله عورته، ومَن يتتبّعِ الله عورته يفضحه ولو في جوف رحْل». قال ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم عند الله حُرمة منك. وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً، فقال: إنّا قد نُهينا عن التجسّس، فإن يظهر لنا شيئاً نأخذهُ به. ﴿ ولا يغتبْ بعضكم بعضاً ﴾، يقول: لا يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن المفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرُكَ أخاكَ بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقدِ اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو الطاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلاً فقالوا: لا يأكل حتى يُطعم، ولا يرحل حتى يُرحّل، فقال النبي ﷺ: «اغتبتموه»، فقالوا: إنما حدّثنا بما فيه، قال: «حسبك إذا ذكرتَ أخاك بما فيه». قوله عزّ وجلّ: ﴿ أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه مَيْتاً فكرهتموه ﴾، قال مجاهد: لما قيل

لحم أخيه ميتاً قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غالباً قيل تأويله إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لأنه لا يحس بذلك وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء كما يتألم جسده إذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع آكد لأن العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه، وقوله ميتاً أبلغ في الزجر.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سيار بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل؟ قال كل بما اغتبت بعد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شراً قال: ولكنك استمعت ورضيت، فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع أحداً يغتاب أحداً عنده.

قوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي في أمر الغيبة واجتناب نواهيه ﴿إن الله تواب رحيم﴾ قوله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي ﷺ: من الذاكر فلانة؟ قال ثابت: أنا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت؟ قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا﴾ الآية. وقيل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض

لهم: ﴿أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ قالوا: لا، قيل: ﴿فكرهتموه﴾ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً. قال الزجّاج: تأويله: إن ذكرك مَن لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحسّ بذلك. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الفرياني ثنا محمد بن المصطفى ثنا ابن المغيرة عبد القدّوس بن الحجّاج حدّثني صفوان بن عمرو ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لما عُرِجَ بي مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون بها وجوههم ولحومهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»، قال ميمون بن سيار: بينا أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول: كلْ، قلتُ: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، فقلت: والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شرّاً، قال: لكنك استمعت ورضيت به، فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع أحداً يغتاب عنده أحداً. ﴿واتقوا الله إن الله توّاب رحيم﴾.

﴿يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذَكَرٍ وأُنثى﴾، الآية. قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة يعيّره بأمه، قال النبي ﷺ: «مَن الذاكر فلانة»؟ فقال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: «انظر في وجوه القوم» فنظر فقال: «ما رأيتَ يا ثابت»؟ قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: «فإنك لا تفضّله إلّا في الدين والتقوى»، فنزلت في ثابت هذه الآية، وفي الذي لم يتفسّح: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا

أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً وقال سهيل بن عمرو إن يكره الله شيئاً يغيره.

وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء فقال ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ يعني آدم وحواء. والمعنى: إنكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى إنا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فإن كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب ﴿وجعلناكم شعوباً﴾ جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعوباً لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم ﴿وقبائل﴾ جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وبني أمية من لؤي ودون الأفخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف. وقيل: الشعوب للعجم، والقبائل: للعرب، والأسباط: من بني إسرائيل. وقيل: الشعوب الذين لا ينسبون إلى أحد بل ينسبون إلى المدائن والقرى والقبائل الذين ينتسبون إلى آبائهم.

﴿لتعارفوا﴾ أي ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالأنساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل

في المجالس فافسحوا ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال مقاتل: لمّا كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة وأذّن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم يرَ هذا اليوم، قال الحارث بن هشام أما وجد محمدٌ غير هذا الغراب الأسود مؤذِّناً وقال سهيل بن عمرو: إن يُرِد الله شيئاً يغيِّره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به ربّ السماء، فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا، فدعاهم وسألهم عمّا قالوا فأقرّوا فأنزل الله تعالى هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء، فقال: ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذَكَرٍ وأُنثى ﴾ يعني آدم وحوّاء أي إنكم متساوون في النسب. ﴿ وجعلناكم شعوباً ﴾، جمع شعب بفتح الشين، وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومُضَر والأوس والخزرج، سُمّوا شُعوباً لتشعّبهم واجتماعهم، كشعَب أغصان الشجر، والشعَب من الأضداد يقال: شعث أي جمع وشعَب أي فرق. ﴿ وقبائل ﴾، هي دون الشعوب، واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدتها عمارة، بفتح العين وهي كشيبان من بكر ودارم من تميم، ودون العمائر البطون، واحدتها بطن، وهي كبني غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وأُميّة من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشيرة حيّ يُوصَف به وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل. وقال أبو روق: الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن والقرى، والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم. ﴿ لتعارفوا ﴾، ليعرف بعضكم بعضاً في قُرْب النسب وبُعْده، لا ليتفاخروا. ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾، قال قتادة: في هذه الآية إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا يونس بن محمد ثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسبُ المال، والكرم

الإنسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ قيل: أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور.

وقال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى.

عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «الحسب المال والكرم التقوى» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق). عن أبي هريرة قال: «سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألون؟ قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه إذا تعلموا أحكام الشرع عن ابن عمر أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخاً فنزل على أيدي الرجـال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: الحمد لله الذي أذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس إن الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم» والمحجن عصا محنية الرأس كصولجان وقوله غبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها ﴿**إن الله عليم**﴾ أي بظواهركم ويعلم أنسابكم ﴿**خبير**﴾ أي ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم إلى معادكم قيل: التقي هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب إلى جنابه. وقيل: حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالأوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فإن اتفق أن يرتكب منهياً لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهياً ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الأمل فليس بمتق لأن المتقي لم يترك ما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فإن التفت لحظة إلى نفسه وأهله وولده جـعل ذلك ذنباً واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله وإياكم من المتقين.

التقوى»، قال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى. أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيم ثنا عبد الله بن حميد أنا الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجّته، فلما خرج لم يجد مَناخاً، فنزل على أيدي الرجال، ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبّرها بآبائها، إنما الناس رجلان بَرٌّ تقي كريم على الله، وفاجرٌ شقي هيّن على الله، ثم تلا ﴿ **يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذَكَرٍ وأُنثى** ﴾، ثم قال: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد هو ابن سلام ثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: سُئِل رسول الله ﷺ أيّ الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم عند الله أتقاهم**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فأكرم الناس يوسف نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن نبي الله ابن خليل الله**». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني**»؟ قالوا: نعم، قال: «**فخيّاركم في الجاهلية خيّاركم في الإسلام إذا فقهوا**». أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجّاج ثنا عمرو الناقد ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة فأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ. ويقولون: أتتك العرب أنفسهم على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على رسول الله ﷺ بذلك ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وقيل: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فأنزل الله عز وجل قالت الأعراب آمنا أي صدقنا ﴿قل لم تؤمنوا﴾ أي لم تصدقوا بقلوبكم ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ أخبر أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص. (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال: «أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فترك رسول الله ﷺ رجلاً منهم هو أعجبهم إليّ فقلت ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً فقال رسول الله ﷺ أو مسلماً ذكر ذلك سعد ثلاثاً وأجابه بمثل ذلك ثم قال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه». زاد في رواية قال الزهري: «فترى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل الصالح» لفظ الحميدي اعلم أن الإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والأبدان والجنان لقوله لإبراهيم عليه السلام: «أسلم قال أسلمت لرب العالمين» ومنه ما هو انقياد باللسان والقلب وذلك قوله: ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم.» وقيل: الإيمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والإسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمسلمين مع إظهار الشهادتين.

قوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنّا ﴾، الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قَدِموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السرّ، فأفسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنّون على النبي ﷺ، ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنّا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلّفوا، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية فيهم، ﴿ قالتِ الأعراب آمنّا ﴾ صدقنا، ﴿ قلْ لم تُؤمنوا ولكن قولوا أسْلمنا ﴾، انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي، ﴿ ولمّا يدخلِ الإيمان في قلوبكم ﴾، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن غرير الزهري ثنا يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب أخبرني عامر بن سعد عن أبيه قال أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ فيهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم إليّ، فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته، فقلت: ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، قال أو مسلماً، قال: فسكت قليلاً ثم غلبني

فإن قلت: المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول.

قلت بين العام والخاص فرق فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالإسلام أعم والإيمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمراً غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم.

وقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ أي ظاهراً وباطناً سراً وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الإيمان ﴿لا يلتكم﴾ أي لا ينقصكم ﴿من أعمالكم شيئاً﴾ أي من ثواب أعمالكم ﴿إن الله غفور رحيم﴾ ثم بين حقيقة الإيمان فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ أي لم يشكوا في دينهم ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ أي في إيمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أي تخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه ﴿والله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ أي لا تخفى عليه خافية ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي لا يحتاج إلى إخباركم ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ هو قولهم أسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله ﷺ

ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً قال أو مسلماً، فسكتُّ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان فواللّهِ إني لأراه مؤمناً قال أو مسلماً، قال: «إني لأعطي الرجلَ وغيرُه أحبّ إليّ منه خشية أن يُكبّ في النار على وجهه، فالإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة»، يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وأصاف إذا دخل في الصيف، وأربع إذا دخل في الربيع، فمن الإسلام ما هو في طاعة على الحقيقة باللسان، والأبدان والجنان، كقوله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام: ﴿ أسلمْ قال أسلمتُ لربّ العالمين ﴾ [البقرة: ١٣١]، ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب، وذلك قوله: ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخلِ الإيمان في قلوبكم ﴾، ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله ﴾، ظاهراً وباطناً وسرّاً وعلانية. قال ابن عباس تخلصوا الإيمان، ﴿ لا يلتكم ﴾ قرأ أبو عمرو (يا لتكم) بالألف كقوله تعالى: ﴿ وما ألتناهم ﴾ [الطور: ٢١]، والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يألت التاً ولات يليت ليتاً إذا نقص، ﴿ من أعمالكم شيئاً ﴾، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئاً، ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾، ثم بيّن حقيقة الإيمان.

فقال: ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾، لم يشكّوا في دينهم، ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾، في إيمانهم فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم.

فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ قلْ أتعلّمون الله بدينكم ﴾، والتعليم ههنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال بدينكم وأدخل

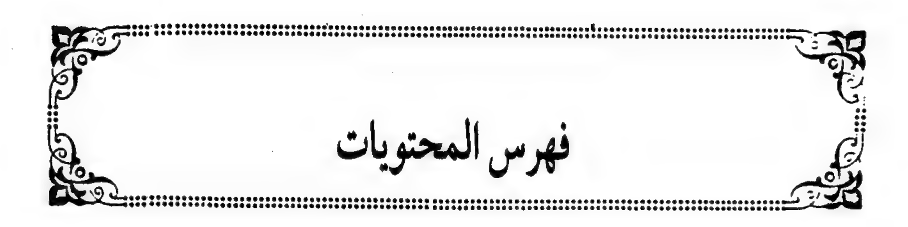
فبين بذلك أن إسلامهم لم يكن خالصاً ﴿**قل لا تمنوا على إسلامكم**﴾ أي لا تعتدوا عليّ بإسلامكم ﴿**بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**﴾ أي لله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى: ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أي إنكم مؤمنون ﴿**إن الله يعلم غيب السموات والأرض**﴾ أي إنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم ﴿**والله بصير بما تعملون**﴾ أي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباء فيه، يقول أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه، ﴿ **والله يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم** ﴾، أي يحتاج إلى أخباركم.

﴿ **يمنّون عليك أن أسلموا قلْ لا تمنّوا عليّ إسلامكم** ﴾، أي بإسلامكم، ﴿ **بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان** ﴾، وفي مصحف عبد الله ﴿ **إذْ هداكم للإيمان** ﴾ ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾، إنكم مؤمنون.

﴿ **إنّ الله يعلم غيب السمٰوات والأرض والله بصير بما تعملون** ﴾، قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالياء.

فهرس محتويات
الجزء الخامس
من تفسير الخازن والبغوي



فهرس المحتويات

تفسير سورة الزمر

تفسير سورة حمَ المؤمن

تفسير سورة فصلت

تفسير سورة حمَ عسقَ

تفسير سورة الزخرف

تفسير سورة الدخان

تفسير سورة الجاثية

تفسير سورة الأحقاف

تفسير سورة محمد ﷺ

تفسير سورة الفتح

تفسير سورة الحجرات

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٧٧٠٢ - بيروت - لبنان